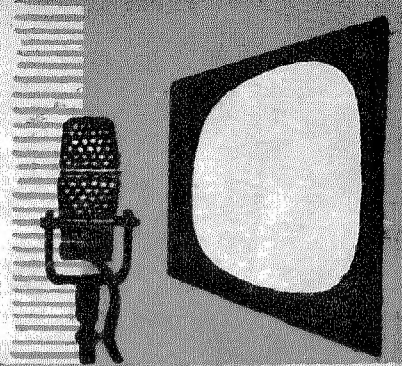


من الشرق
والغرب



الْكُونُ وَالْفَسَادُ

تأليف: أيمن مطوطا
ترجمة: أحمد لطفي السيد

0168981



Bibliotheca Alexandrina

الناشر
الدار القومية للطباعة والنشر

مكتبات
الأذاعة
والتليفزيون

من الشرق والغرب

الكون والفلسفة

لأرسطو طاليس

يتلوه كتاب « في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغاس »

ترجمها من الاغريقية الى الفرنسية وصدرها بمقدمة في تاريخ الفلسفة
الاغريقية وعلق عليهما تعليقات متتابعة

بأوتلمي سانتيلير

استاذ الفلسفة الاغريقية في «كلليجدي فرنس» ثم وزير الخارجية الفرنسية

ونقلهما الى العربية

أحمد لطفي السيد

مقدمة المترجم

يارتلى سانتيلار

أصول الفلسفة الإغريقية

هذان الكتابان اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما حملة على مدرسة ايليا التي هي من أقدم مدارس الفلسفة اليونانية - مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ٥٠٠ الخ وسابقوهم الحقيقون بالاعجاب هومروس وسافو ٥٥٠ الخ - علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ٥٥٠ الخ - الاتحادات الثلاثة : الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب - جملة الحوادث الكبرى التي تدخل في امرها الفلسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد - حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس - الوسائل المادية التي كانت عند الاقنمين لكتابة المؤلفات - المكتب من طاليس الى زمن ارسطوطاليس - شهادت هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفون والملاطون وارسطو - الاستعمال العام لورق البردي المصري - صنع الورق على قول بلاين - رسائل ششرون - ايضاح هذه الحوادث - ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا « فرنسا » - معابر وأقلام الكتبة التي يرجع تاريخها على الأقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا - أولية الفلسفة اليونانية - كونها لا تدن بشئ للشرق - المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية - خلاصة القول على مدرسة ايليا - المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة

جمعت عمدا بين هذين الكتابين في هذا السفر لانهما ، كما يظهر لي ، يعبران كلاهما عن أفكار من قبيل واحد . ففي أولهما يعنى أرسطو بايضاح كيف تكون الاشياء وكيف تنتهي ، خلافا لمذهب وحدة الوجود ولا تغيره . وفي ثانيهما المناقشة بعينها موجهة مباشرة الى ممثلي مدرسة ايليا : اكسينوفان مؤسسها ، وميليسوس حافظ مبادئها حتى العهد الذي قام فيه سقراط يبدل بالتردد القديم فلسفة جديدة حاسمة . فالفكرة في الكتابين متماثلة ، ولا فرق بين أحدهما وبين الآخر الا في الشكل فقط ، فهنا توضيح عام لمبدأ ، وهناك نقض خاص للمبدأ المناقض . وسنعود بالاختصار في آخر هذه المقدمة الى تقدير قيمة هذين الكتابين اللذين يستاهلان أن يعرفا أكثر مما هما الآن . ولكني أرغب بديا في أن أبين بقدر ما أستطيع من البيان ماذا كانت الحركة الفلسفية التي شاطر فيها اكسينوفان وميليسوس ، سواء في أحداثها أو في اتباعها .

اكسينوفان وميليسوس كلاهما من الأسماء البعيدة القدم . ومن الصعب لأول نظرة الاقتناع بأن درسيهما يبعث اهتماما جديا هذه الأيام . هذان الفيلسوفان كانا يعيشان في القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد . وعلى هذا المدى فليس الا التنقيب وحده ، فيما يظهر ، هو

الذى ما زال يوليها العطف الذى انقضى زمانه ، ويستقصى مذاهبهما المنسية منذ زمان بعيد . لست أقصد فى الحق الى انتقاد التنقيب ، ولكنى أدرك ما يثير تأثيره من التحامل البادر عند ما يتوغل فى درس تلك الأزمان البعيدة اذ تنعدم المراجع الوثيقة فلا يبقى لنا من أعيانها الا آثار لا صور لها . على أنى فى هذا الموطن أكثر مما فى سواء أسأل أن يصغى الى التنقيب لحظة . فان الموضوع الذى يحاوله فيما يتعلق باكسينوفان هو موضوع من أهم موضوعات تاريخ العقل البشرى وأكثرها حيوية .

انه ليس أقل من أن يكون ميلاد الفلسفة فى هذا العالم الذى نحن

منه .

أما من جهة الفلسفة الشرقية فاننا لا نعرف ، بل ربما لن نعرف أبدا من أمرها شيئا معينا بالضبط فيما يختص بعصورها الرئيسية وانقلاباتها . فان أزمنتها وأمكنتها وأهاليها تكاد تعزب عنا على سواء . انها مستحصمة دون ادراكنا ، مدعاة للشكوك لما يغشاها من كثيف الظلمات . حتى لو عرفنا منها هذه التفاصيل مع الضبط الكافي لما أفادنا ذلك الا من جهة ارضاء رغبتنا فى الاطلاع دون أن يتصل بنا أمرها كثيرا . ان الفلسفة الشرقية لم تؤثر فى فلسفتنا . ومع التسليم بأنها قد بعثت فى الهند وفى الصين وفى فارس وفى مصر فاننا لم نستعر منها كثيرا ولا قليلا . فليس علينا أن نصعد اليها لنعرف من نحن ومن أين جئنا . والامر على الضد من ذلك مع الفلسفة الاغريقية ، اننا بها نتصل بالماضى الذى منه خرجنا . وعلى الرغم من عمالة الكبرياء التى هى فى الغالب جانبية الكفران يجب علينا ألا ننسى أبدا أننا أبناء اغريقيا . انها أمنا فى جميع أمور العقل تقريبا . فلئن ساءلنا أوائلها فأنما نسائل اصولنا . فمن طاليس ومن فيثاغورث ومن اكسينوفان ومن أنكساغوراس ومن سقراط ومن أفلاطون ومن أرسطوطاليس اليان لا يوجد الا فرق الدرجة . نحن جميعا فى طريق واحد مستمر من قرون عديدة ، ومتصل بلا انقطاع لا يتغير اتجاهه ، بل يصير على مرور الزمان أكثر طولا وأبهى جمالا . والظاهر اننا لا نخطئ من الانتساب الى أمثال هؤلاء الأباء . وكل ما علينا هو أن نبقى حقيقين ببئوتهم بأن ندرج على سننهم .

قد أمكن القول ، لا من غير حق ، بأن الفلسفة ولدت مع سقراط (١) والواقع أن لهذا الرجل العجيب من المقام مايسمح بأن يسند اليه هذا الشرف العالى ، بأن يقرن اسمه بهذه الحادثة الكبرى . ولكن سقراط

(١) راجع مقدمة تاريخ الفلسفة لفكتور كوزان : لدرس الثانى من دروس سنة ١٨٢٨ والتاريخ العام للفلسفة الدرس الثالث ص ١٠٢ .

يتواضعه المعروف ما كان ليقبل هذا المجد ، فإنه كان يعلم أكثر من كل إنسان أن الفلسفة قد كانت تنشأ من قبله بنحو قرنين إلى أن جاء فأفاض عليها قوة وجمالا لم يفارقها بعده . لم يكن مولد الفلسفة في آتينا بل في آسيا الصغرى ، لأنه يجب تأخير هذه الحادثة مائتي عام إلى الوراء تقريبا ، إلا أن تمحي من التاريخ تلك الأسماء العظام الأولى التي ذكرتها . إن التقدم الذي افتتح سنقراط بابنه لم يكن إلا استمرارا لا ابتكارا وإبداعا .

كل الأصول غامضة بالضرورة . يجهل المرء نفسه دائما في أول الأمر . وإن تعرف سنة هذه القرون الأولى مقرون بالشك الذي يلحق أيضا الحوادث ذاتها التي مرت كأنها غير محسوبة . ومع ذلك إذا لم يلتزم هنا الضبط غير الممكن فإن أوائل الفلسفة اليونانية يجب أن تظهر لنا أجلى من أن يدعو للشك في أمرها سبب محسوس .

كان طاليس من ملطية ، وقد حقق التاريخ وجوده في جيش أحد ملوك ليديا نحو آخر القرن السادس قبل المسيح . وبسببه بقليل جاء فيثاغورث الذي بعد أن عاد إلى وطنه بتموس أثر سياحات طويلة فر منه اتقاء لظلم بوليقراطس الذي كان يضطهده ، وذهب يحمل مذهبته على الشطوط الشرقية لاغريقيا الكبرى إلى سيبارس وقروطون . أما أكسينوفان فإنه لأسباب أشبه بالمتقدمة نزح عن كولوفون . وطنه الأول ولما اجتمع ببعض المهاجرين من فوكاية ، الذين هم بين أياب الاخطار قد وجدوا آخر الأمر موثلا على شواطئ البحر الترهيني في ايليا (هييلا أوفيليا) ، أسس في هذه المدينة الحديثة العهد وقتئذ مدرسة شهرت ذكرها .

أصرف القول الآن إلى هؤلاء الثلاثة العظماء السنين كانوا جميعا رؤساء مدارس خالدات ، وإن كنا لا نعرف منها إلا الشيء القليل : مدرسة يونيا ، ومدرسة فيثاغورث ، ومدرسة ايليا . وعما قريب أستطيع أن أضم إلى هذه الأسماء طائفة من أسماء آخر ، لا يستطيع تاريخ الفلسفة أن يغفلها كما لا يستطيع اغفال الأولى .

ولكنني ، لا لشيء غير الفكرة في أمر طاليس وفيثاغورث وأكسينوفان أشعر بأمر يسترعى نظري ، أنهم ثلاثتهم من هذا الجزء من العالم الهليني الذي يسمى آسيا الصغرى وأنهم تقريبا متعاصرون . إن ملطية التي هي في القارة ، وسموس في الجزيرة التي بهذا الاسم ، وكولوفون في شمال ايفيزوس بقليل ، تكاد لا تتجاوز الأبعاد بينها خمسة وعشرين فرسغا .

على هذه المسافة الضيقة وفي وقت واحد تقريبا تجد الفلسفة مهندما المجيد . لكيلا نخرج من هذه الحدود في المكان والزمان والموضوع نضيف

الى هذه الثلاثة الاسماء : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ، أسماء أنكسيمندروس وأنكسيمنس اللذين هما أيضا من ملطية ، وهيرقليطس الذى هو من إفيزوس ، وأنكساغوراس من كلازومين غربى أزمير قليلا فى خليج هيرموز . وأذكر اسم لوكيبس وديموقريطس اللذين ربما كانا من ملطية أيضا أو من أبدير مستعمرة طيوس ، واسم ميلبوس الذى هو من سموس فيثاغورث . وفوق ذلك أضيف الى هذه الاسماء أسماء بعض الحكماء الذين هم أقل استنارة من الفلاسفة ولكنهم ليسوا أقل منهم احتراما . فمنهم بطاقس من ميتلين فى جزيرة لسبوس وهو رفيق سلاح للشاعر ألفايوس فى محاربة الطغيان ، وقد نادى به مواطنوه ديكتاتورا عليهم فلبث فيهم عشرة أعوام يعمل صالحا ثم نزل عن الدكتاتورية . ومنهم «بياس» من «بريينة» الذى لو اتبع الاتحاد اليونانى ما قدمه له من النصيح لنجا كما ذكر هيرودوت . ومنهم ايزوبس الذى أقام طويلا فى سموس ثم فى سرديس عند كرىزوس ، ذلك المولى الفريجى الذى لا ينبغي للفلسفة أن تنسى ذكره فى عداد ذويها ، والذى لم يستنكف سقراط من أن ينظم حكاياته شعرا (١) .

وأذكر كذلك أسباسيا من ملطية التى حدث عنها أفلاطون فى كتابه المينكسين ، والتى كانت تتحدث الى سقراط ، والتى كانت تعطى ليزركليس دروسا فى البلاغة كانت تؤلف منها أحيانا الخطب السياسية ، والتى خصص لها رغايل محلا فى مدرسته الاتينية .

من ذلك يرى أن تيديمان الارب كان محقا حين كنى آسيا الصغرى بـ « أم الفلسفة ووطن الحكمة » (٢) . هذه الأحداث القليلة التى جئت على ذكرها واتى يمكن أن يضاف اليها كثير من أمثالها كافية فى إثبات هذه الحقيقة . منذ الآن متى عرض حديث منشأ الفلسفة فى عالمنا الغربى - بالمقابلة للعالم الاستيوى - عرفنا لمن هو ذلك المجد ، والى من يجب أن يسند عدلا .

يكفى قليل من النظر للعلم بأن من الممتنع أن تنمو الفلسفة بذاتها وحدها . من البديهي أن جميع عناصر العقل يجب أن تبلغ نماءها قبل التأمل . لأن التأمل المرتب على نمط معين لا يظهر الا متأخرا وبعد سائر الملكات الأخرى . وليس بى حاجة الى التبسط فى بيان هذه الحقيقة المشاهدة فى الأمم وفى الأفراد على السواء . واقتصر على أن أقرر أن مجرى الأمور فى آسيا الصغرى لم يكن مختلفا عنه فى غيرها . فان

(١) فيدون لأفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩١ و ١٩٣ .

(٢) تيديمان ٥ روح الفلسفة (النظرية) سنة ١٧٨١ ج ١ ص ١٣٩ ، النسخة الألمانية .

الفلسفة على هذه الأرض المخصبة لم تكن نباتا منفردا ولا ثمرة غـير منتظرة . وقليل من الكلمات يكفي في التذكير بأنها كانت هي المنطقة المهمة لهذا الانتاج الشريف وما على الا أن أسرد أجمل الأسماء وأحقها باعتراف الناس .

في رأس هذه الطائفة اسم هوميروس الذي ولد وعاش يقينا على شواطئ آسيا الصغرى وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وماذا عسى أن أقول في قصائده وكيف أوفى عبقرته مدحا وثناء . كل ما أقرر أن هوميروس لا يقصر أمره على أنه أكبر الشعراء بل هو أعظمهم فلسفة . وإن بلدا ينتج باكرا أمثال تلك البدائع لحقيق بأن ينتج بعد ذلك عجائب العلم والتاريخ .

بعد هوميروس أقص نبا قليثوس الأيغيزوسي الذي هو حربي مثل طورطيس والذي شهد وقت إغارة القميريين وشلبا بها في شعره . ثم الكمان السردى الذي حق له أن يعلم تقدمونيا وطن لوكورغس ويهرها على ما بها من جفاء . وأرخيلوخس الباروصى والقايسوس اللسبوسى ذو الريابة الذهبية كما قال هوراس . وسافو الميتيلينية أو الأيريزية التي لا يكاد يستحق أحد الثناء أكثر منها إلا هوميروس (١) . ثم مينيرمس الأزميرى شاعر انتصارات يونيا على الليديين . ثم فوكليديس الملطى الذي حمل الشعر قواعد الاخلاق . ثم أنا كريون الطوسى . وقريب من الشعراء تربندرس اللسبوسى مبدع الموسيقى وواضع طرائقها الثلاث الأصلية : الليدية والفريجية والنورية . ويمكن أن نضيف إلى هؤلاء أريون الشاعر الذي هو من لسبوس مثل تربندرس .

ذلك في الشعر . وكم إلى جانب الشعر من الكنوز التي لا تقبل عنه في نفاستها وإن قلت عنه في البهاء . علم الفلك والجغرافيا أبدعهما أنكسيمندروس وسكولاكس من كاروندا على خليج يسوس . والرياضيات التي أبدعها فيثاغورس وتلاميذه أسلاف أرسطارخس السموسى معلّم أرخميدس وهيبارخس الرودسى . والتاريخ أبدعه أكسنطس السردى وهيكتايوس الملطى وهيلانيكوس الميتيلينى . وعلى الاخص هيرودوت الهاليكارناسى الذي لقب منذ زمان طويل إبا التاريخ . وبودى لو أعطيه لقبا آخر لو وفقت إلى لقب أجمل من هذا وأدخل منه في الحق . والطب انتقل من جزيرة سموس إلى كورينا وقروطن ورودى وكينيس قبل أن يقر قراره في قوض بفضل بقرط الذي لا يقل عظما في فنه عن هوميروس في شعره . وفي عمارة المدن أبدعه هيوداموس الملطى الذي كان مع ذلك

(١) ر . كتاب فيثاغورس على عبقرية بندارس ٨٠١ وما يليها ١٠٠ أيضا تاريخ الآداب الاغريقية الذى ألفه أوتفريد مولر . ترجمة إيلبيراندج ١ ص ٢١٨ وما يليها .

كاتباً سياسياً حلل مؤلفاته أرسطو في كتابه «السياسة» (ك ٢ ب ٥) .
وفن الحفر والصب أبدعهما تيودور السموسي ابن روكوس . وفن التعدين
أبدعه أتيديون . الخ .

أقف هنا لكيلا نجاوَز بهذا التعديد الجاف أبعد مما ينبغي .
ولكنه يجب التنبيه إلى أن هذا الحُصْب البالغ حُدِّ الاعجاز لم ينته
بانقضاء تلك الأزمان التي ذكرناها . فإن تيوفراسط هو من إيريزا ،
وأبيقور ربي في سموس وكولوفون ، وزنون فخر الرواق ولد في كتيون
من قبرص ، وإيفورس من كومة ، وتيوبومبس من شيوز ، وبرهاسيوس
وأيلس من إيفيزوس وكولوفون ، واسترابون من أماسية على الجسر
(البحر الأسود) مستعمرة إحدى المدن اليونانية من الشاطئ الغربي
لآسيا الصغرى . الخ . الخ .

تلقاء هذا المجد السامي الذي لم يمحَ ما ظهر بعده لا يسعني إلا أن
أقف مأخوذاً أسأله : هل عرف الناس أن يوفوا هذه العبقرية وهذا
الكمال وذلك الإبداع حقوقها من الإعظام ؟ لا أظن ذلك . وتلك في رأينا
داعية إلى تعديل تاريخ هذه المستعمرات الإغريقية من آسيا الصغرى في
بعض أجزائه على الأقل . تلك المستعمرات التي ندين لها بكل شيء .
ولكني إذا قربت هذا العمل وحاولت هنا عَجالة فذلك لا لرفع ظلما
مرت عليه القرون لضيق دائرة موضوعي ، بل ليحسّن فهم الناس لتلك
الحركة الخارقة للعادة والتي هي فذة في تطور العقل الإنساني ، ولأبين
حق واضعي الفلسفة وآباء العلم .

لذلك أعرض ، دون مجاوزة الحدود المشروعة ، ماذا كانت هذه
المستعمرات التي نزحت من أغريقا على شواطئ آسيا الغربية قبل المسيح
بأحد عشر أو اثني عشر قرناً ، وماذا كانت الحوادث السياسية الرئيسية
التي اعتورت تلك الأصقاع مدة قرنين اثنين من عهد إكستينوفان إلى
هنليستوس ، ومن طاليس إلى حرب بيلوبونيز . وصنري أن فلاسقتنا
أخذوا بقسط وأفر من هذه الحوادث بل صرفوها في بعض الأحيان مع
أنهم في الغالب كانوا حرها صالين .

وإني راجع في كل ما أقدم من القول إلى هيودوت وطوكوديدس
وأكستينوفون وما حفر على رخام باروص أو رخام أروتديل (١) .

كانت المستعمرات الإغريقية على شواطئ آسيا الصغرى مقسمة إلى

(١) من بين المؤرخين الحديثين استند على الخصوص في تاريخ أغريقا إلى ج جروت الذي
هو أتم وأحسن ما أعرف .

ثلاثة أجناس متميزة تؤلف اتحادات منفصلة : الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب . يقطن هؤلاء أوطاناً متقاربة المساحة . فاما الايوليون الذين هم أول من هاجر من الوطن الاصل المشترك فأنهم حطوا رحالهم واستوطنوا آسيا بعد فتح طروادة بقرن تقريباً اذا طردوا من بيلوبونيز عند اغارة الهيرقليديين . واما اليونان فقد جاءوا بعدهم بأربعين سنة تقريباً . وأما الدوريون فكانوا آخر المهاجرين .

كان الايوليون الذين هم أقل الشعوب الثلاثة شهرة وأضعفها امتيازاً يقطنون اثنتى عشرة مدينة (١) وهي كومة فريكيون ، ولاريسافريكيون ، وليونتيكوس ، وطموس ، وكيليا ، ونوسيون ، وايغروسا ، وبيطاني ، وايغاي ، ومورينا ، وغروناى وأزمير . ولكن هذه المدينة الأخيرة قد نزعت من أيديهم وأضيفت الى الاتحاد اليونانى بفضل الذين نفوا من كولوفون والتجئوا الى أزمير واستولوا عليها فى غفلة من أهلها . وقد ضاع من أيدي الايولين أيضاً بعض المدن الأخرى التى أسسوها على جبال ايدا . وكان لهم خارج القارة خمس مدائن بجزيرة لسبوس ، وواحدة بجزيرة طندوس ، وأخرى فى مجموع الجزر الصغيرة التى كان يطلق عليها اسم مائة الجزيرة منذ زمان هيرودوت . ولم يكن للمدائن الايولية من الاسم الا الحمول . وكانت أرض ايولس أحسن من أرض يونيا ولكن جوها كان أقسى من جو الأخرى خصوصاً فى سرعة التقلب .

وأما اليونان فكان لهم اثنتا عشرة مدينة كلها على التقريب مشهورة . وهي : ملطية وميوس وبربينه فى قاريا ، وايفيزوس وكولوفون وليبيدوس وطيوس وكلازومين وفوكاية فى ليديا وايروطراى على اللسان الذى يكوته جبل ميماس . وكان لهم جزيرتان : سموس فى الجنوب ، وشيوز فى الشمال . ومن الغريب أن اليونان كان لهم أربع لهجات متباينة جسد التباين : لهجة سموس وكانت لا تشابه واحدة من الثلاث الأخرى ، وملطية وميوس وبربينه كان لها ثلاثها لهجة واحدة . وللمدن الست الأخرى لهجتها ، وكان أهل شيوز وايروطراى يتكلمون بلسان واحد .

أما الدوريون الذين جاءوا بعد الآخرين فكان قرارهم فى الجزء الجنوبي ، وليس مدق الديوريون لهم الا ست مدن نزل عندهم الى خضن

(١) اتبع فى ذكر هذه المدن الترتيب الذى وضعه هيرودوت . ولكن أخذنا من الجنوب الى الشمال يجب أن ترتب هكذا : طمنوس ، ليونتيكوس ، لاريسا ، كومة ، ايغاي مورينا غروناى ، بيطاني ، كيليا . ولا يعرف مكان الأخرتين .

بعد قليل ، وهى : لندوس ، ويانيسوس ، وكاميزوس فى جزيرة رودس ، وقوص ، وكينيدس ، وهاليكارناس . على ان هذه المدينة الاخيرة قد عزلت عن الاتحاد الدورى عقابا لها على أن أحد أهلها كان اتهم بانتهاك بعض الحرمات المقدسية .

كل واحد من هذه الاتحادات الصغيرة كان له معبد جامع مشترك يجتمعون فيه : فللدوريين معبد طريوبيون ، ولليونان معبد نبتون هليكونى على رأس موكالى فى مواجهة سموس تقريبا ، وفى هذا المعبد كان يجتمع مجلس الاتحاد اليونانى المسمى بأنيونيون والذى كان يرأسه دائما شاب من شبان بريينة . ولا يعرف بالضبط معبد الايولين . كانت هذه المعابد لإقامة الاعياد الدينية عادة ، غير أنهم فى الظروف الخطيرة كانوا يتداولون فيها فى أمر اخطار الحلف وفيما يمس منافعهم الكبرى .

لم تك هذه المستعمرات لتشغل جغرافيا الا مساحة ضيقة . فلو أن شهرة المدائن والممالك كانت تقاس بمقدار امتدادها لظلت هذه المستعمرات مجهولة فى التاريخ ، فان مساحة المستعمرات الايولية واليونانية والدورية لا يكاد يتجاوز مجموعها ٧٠ فرسخا فى الطول على ١٥ أو ٢٠ فرسخا فى العرض ، أى أقل من ثلاث درجات فى خطوط الطول وأقل من درجة فى خطوط العرض . ومساحة لسبوس خمسة عشر طولا على خمسة عرضا ، وسموس لا يبلغ محيطها ٣٠ فرسخا . وشيوز أكبر منها قليلا .

ومن الطبيعى أن اهتم بأمر اليونان أكثر من الآخرين ، فانهم كانوا أكثر نشاطا وحذقا فى الملاحة والتجارة والسياسة والفنون والعلوم والآداب . ومن الامم كثيرة العدد من كان أثرهم أقل ألف مرة من أثر اليونان .

لما ترك اليونان أشاية الواقعة شمال بيلوبونيز على خليج كرسا كان لهم فيها اثنتا عشرة مقاطعة أو مدينة . واستصحبا لتذكار وطنهم الاول لم يشاءوا أن يؤسسوا فى آسيا من المستعمرات عددا أكثر مما كان لهم فى اغيرقا . ولما طردهم النوريون الذين أغاروا على بيلوبونيز من الشمال اجتازوا برزخ كورنثة واحتموا الى أجل ما على الاقل فى أطيقا ، وهى الملجأ العادى لجميع المنفيين كما نبه اليه طوكوديدس فى مقدمة تاريخه . وعما قليل ضاقت أطيقا القليلة الحصب ذرعا بأهلها واضطر نازحو أشاية الى البحث عن ملجأ آخر . وصادف وقتئذ أن قدروس مات ميتة الإبطال دفاعا عن وطنه ، ولما ألغى نظام الماوكية لم يتيسر لابنائهم أن يقيموا فى بلد انقطع فيه رجاؤهم من ميراث أبيهم ، فرأسوا المهاجرين فى هجرتهم . فاما نيلاوس فولى وجهه شطر ملطية ، واما اندركلوس فاتجه

الى ايفيزوس . ولو صدقنا رخام باروص لقلنا أن نيللوس هو الذى أسس
المدائن الاثنى عشرة اليونانية وأسس رابطة اتحاد تحت ظل الدين هى
البانيونيون الذى لم يكن بعد من القوة على ما كان يرجو مؤسسه .

يظهر أن المهاجرين الذين اقتفوا آثار ابنى قدروس كانوا خليط
ولم يكونوا من صميم اليونان كما يمكن أن يظن . فان الذين أتوا من
أشاية الى أطيغا اختلطوا فيها بأجناس مختلفة مختلفة جدا الاختلاط ليس
بينهم وبين اليونان جامعة مشتركة بل لا يشابه بعضهم بعضا ، إنما كانوا
أبناطة من أوبويا ، ومنجيين من أرخوموس ، وقدميين ودريزيين
وفوكيين ومولوس وأرقديين وبلاسجة ودورين من أييدورس وطائفة من
أجناس أخر . وكان كل هؤلاء الرجل يعامل بعضهم بعضا على حد
المساواة ، ومع ذلك كان اليونان الذين هم من نسل شيوخ آتينا يعتبرون
أشرف هذا الخليط وان كان ذلك لم يستتبع أية مزية عملية . وان تلقيهم
بلقب « اليونان » كان فى ذلك الحين وفيما بعده أيضا قليل الرفعة ،
فكان الاتينيون يخلطون منه ، وكان الملطيون فى أوج قوتهم يحبون
أن ينفصلوا من بقية هذا الاتحاد الذى كان دائما قليل الاحترام . وأما
اليونان فكانوا من جهتهم أيضا يفظرون بأصلهم وقيمون مثابرين
الابتوريا الاتينية ، تلك الاعياد الخاصة بالعائلة وبرابطة الاخوة الشعبية
التي كانت موجودة فى آتينا ، ما عدا أهل كولوفون وايفيزوس فانهم
حرموها على اثر قتل حرام ارتكبوه .

لم تكن الهجرة هينة ولو أنه كان يرأسها أبناء ملك . فلم يحمل
المهاجرون الى ملطية معهم نساءهم واتخذوا زوجات بالاكراه ، بل عمدوا
الى القاريين فذبخوا منهم الآباء والبعول والاولاد ، واستحيوا النساء
واتخذوهن زوجات لهم ، ولكنهن انتقمن لانفسهن فأقسمن الايمان على ألا
يطعنن مع غاصبيهن طعاما ولا يدعونهن أزواجا حتى لا يذقنهم حلاوة هذا
الدعاء ، واستنت بناتهن هذه السنة مع أزواجهن عدة أجيال .

والواقع ان البلد الذى احتله المهاجرون كان محتلا قبلهم زمانا
طويلا . فقد كان فيه ، غير أهليه ، خليط من البلاسجة والتوكريين
والموصيين والبيثونيين فى الشمال ، ومن الفريجين والليديين والمايونيين
فى الوسط ، ومن القاريين والليليج . . . الخ فى الجنوب . وكان هؤلاء
قبائل منقسمين على أنفسهم أكثر مما هو الشأن فى الاغريق ، ولو انهم
كانوا يقربون القرابين بالاشتراك ، مثال ذلك قرابينهم الى « مولا » فى
معبد «المشترى» القارى . فى أوائل الامر لم تكن الممالك التى كملكة
ليديا قد اتخذت نظمها بعد . ولو ان الليديين لما زحزحوا بعد ذلك الى
الوسط نشروا سيادتهم بادية الامر على تلك الجهات الى الشواطىء ،

وبعثوا منهم طوائف المستعمرين الى اغريقيا الكبرى والى امبريا وعلى شواطئ البحر الترهيني . وأما الموصيون الذين كانوا الى شمال ليديا وغربها فكانوا انزع هذه الامم الى الحرب . والفريجيون الذين هم أكثر توغلا في الجهة الشمالية من هؤلاء كانوا يشرون من تربية القطعان ، يبيعون من أصوافها وأجبانها ولحومها المملحة بأثمان غالية جدا في أسواق منطية . وكان الليديون مشغولين على الإخص بصناعة المعادن ، لان نصفت أرضهم بركانية تخرج الذهب والفضة والحديد والتحاس . الخ . وكانت أخلاق الفريجين والليديين أخلاق تهيب وحياء ، ومن بلادهم يأتي أكثر العبيد .

ومع أن اليونان جاءوا الى آسيا بالبحر فلم تكن تظهر عليهم المهارة في فن الملاحة . وعلى قول طوكوديدس لم يكن تفوق البحرية اليونانية حقيقة الا تحت حكم قيروش وابنه قمبيز ، ومع ذلك فقد كان شأنهم أن يقبلوا بخد على أن يتلقوا دروسا عن الكورنتيين الذين كانوا وقتئذ أعلم الناس بإنشاء العمارات البحرية وانتفعوا بتلك الدروس . على انهم قد الجأهم الحاجة منذ بداية أزمانهم الى التزام الشواطئ في ملاحظتهم . كانت هذه المدائن التي تستجلب كل شيء من داخلية البلاد لا تستطيع أن تحصل على الثراء الا بتجارة كبرى في الصادرات والواردات . فكانت كينوك ومراكز معاوضات بين الاهالي والبلاد التي كان يأتي منها الاجانب . فلم يمس على هذه المدائن زمان حتى ظهرت ثروتها على صورة رائعة . ولما ازدحمت بالسكان وفاضت بالثراء استطاعت أن تنشئ أساطيل قوية ، وعمرت كل شواطئ البحر الأبيض المتوسط شمال افريقية حيث كان لصور وسيدون من قبل منشآت في اغريقيا الكبرى وصقلية وفي بلاد الغالة وفي اسبانيا أمام عمده هيرقليس وفيما وراءها ، وعلى الإخص في القسم الشمالي لبحر أيغاي وفي هليسبنتس ، والبروبونتيد ، بل في البحر الاسود الذي كان يسمى وقتئذ «الجسر» ، حتى لقد قيل ان بلطية وحدها كان لها خمس وسبعون أو ثمانون مستعمرة .

هذا النماء الاول للمستعمرات الاغريقية بآسيا الصغرى ، وعلى الخصوص المستعمرات اليونانية ، غير معروف الا قليلا مع أنه استمر على الأقل ثلاثة قرون أو أربعة ، فان التاريخ لم يبتدىء حقا الا حين دخلت المدائن الهلينية الحرب مع المملكة الليدية أي حوالي القرن الثامن قبل الميلاد ، اعني من عهد حكم المرمادة .

روى هيرودوت على طوله تاريخ جوجيس الذي ارتقى عرش ليديا بقتله قندولس ملكها . وهذه الحكاية ليس عليها الا مسحة الضدق وان كانت ليست مطابقة لرواية أفلاطون التي هي بالبساده أسطورة . فان

غضب الملكة زوجة قندولس وغلب جوجيس عشيقها ليس فيه شيء من المستحيلات . وأما حكاية الخاتم فليست الا أسطورة عامة وجدت بعد ذلك بكثير على صورة أخرى في ألف ليلة وليلة . ولقد جيت أرخيلوخيس وهو مجاهر لقندولس وجوجيس عن ذلك العسكري الذي صار ملكا وعن اقتسامه وظفره في إحدى القطع الشعرية التي كان لا يزال يقرؤها هيرودوت (١) . وقد انتهت بموت قندولس العائلة الليدية الأولى التي تتبعي أنها من سلالة هيرقليسي ، والتي دام ملكها خمسمائة وخمسة أعوام مدة اثنين وعشرين جيلا من عهد نصف الإله الذي وصلها بنسبة كبرياؤها . وكان جوجيس هو أول الدولة الثانية دولة المرنادة .

اجتمع جوجيس في أول القرن السابع قبل الميلاد عهدا جديدا ، إذ أخذ يغير على المدائن الاغريقية ملطية وأزمير وكولوفون . وربما كان الحامل له على ذلك أنه أراد أن يبرر اغتصابه للملك ومطابوعة لبعض الضرورات السياسية ، في حين أن ليديا كانت وقتئذ بينها وبين الاغريق ، خصوصا اغريق القارة ، علاقات أقرب ما تكون الى السلام .

وقد كان جوجيس ، كسائر الاغريق في آسيا وفي غيرها ، يعتقد وحى دلفوس ويخضع له . ولما كان محاطا بالمكايد من كل ناحية منذ ثبوته العرش ، وخائفا من سخط الليديين الذين كانوا شديدي التعلق بالملك الذي ذبحه ، أراد أن يدخل الإله في قضيته ، فاستشاره وقدم اليه الهدايا الغالية . وقد أقر الإله هذا الغاصب القاتل على عهده . ولكن بوثيا كاهنة دلفوس كانت قد أنبأت بأن عائلة هيرقليسي سوف ينتقم لها من شخص الولد الخامس من ذرية جوجيس . وكان هذا الخليفة الخامس هو كريسوس السوء البخت المشهور بمصائبه أكثر من شهرته بكنوزه التي تضرب بها الأمثال . ولكن لم يك جوجيس في أوج ملكه ولا الليديون في سخطهم ليعبثوا بالدار الكاهنة ، وملك ذلك العسكري الزاني القاتل ثمانية وثلاثين عاما آمنا مطمئنا ما عدا خروبه مع مذبذبات الشاطئ . والظاهر أن ملطية وأزمير وكولوفون سلمت له وخضعت لسلطانه .

وقد حكم أردوس خلف جوجيس أكثر منه أيضا أي مدة تسعة وأربعين عاما . فاستولى على بريئة وهاجم ملطية بلا جدوى لأنها استطاعت رد هجماته . وخلفه ابنه سدواتيس ، فلم تمكث على العرش الا اثني عشر عاما ومات ، وكانت سنوه الست الأخيرة كلها مشغولة بمخاربة ملطية كما كان يفعل أبوه . ولكن هذه المدينة التي لم يكن يستطيع أن يأتيناها من

(١) د . هيرودوت ١ ب ١٢ ، واثلاطون ، الجمهورية ٢ ب ٦٩ ترجمة فكتور كوزان .

إلى البحر نجحت في الدفاع عن نفسها ، على رغم أن عدوها كان يهكم حرثها كل سنة وكان دائما على قدم الاستعداد ليكرر هجماته المخربة . وفي كل مرة حاول الملطيون الحرب في العراء كانت هزيمتهم أمرا مقضيا . وقد مزقهم العدو كل ممزق مرتين على أرضهم في ليمنيون وفي سهول مياندروس حيث صادف منهم غفلة وسوء احتياط .

وقد واصل أليات بن سدواتيس محاربة مدينة ملطية خمس سنين، وكان يظن وقوعها في يديه بالقحط وشيكا لولا أنه استشار وحشي دلفوس ، كما كان يفعل أجداده ، فجنح لعقد الصلح معها . وساعد على ذلك مهارة طراسوبولس طاغية ملطية وقتئذ . إذ أنبأه جلية الامر صديقه برباندروس بن كوبسيلوس طاغية كورنتا ، فأخفى عن سفير ليديا حقيقة الحال السيئة التي وقعت فيها المدينة من جراء الحصار ، وأوهمه أن في باطن أسوارها من الارزاق والذخائر ما لم يجتمع لها مثله من قبل . وبذلك انخدع أليات بما خبره به سفيره المخدوع وأمضى عهد ملطية في حين أنه لم يكن بينه وبين الاستيلاء عليها الا القليل . وقد استمر هذا السلام الذي يرجع الفضل فيه الى الوحي ودهاء طراسوبولس زمانا طويلا . ومات أليات بعد أن حكم سبعة وخمسين عاما حكما مملوا بالاضطراب . وفي هذا الزمن لم يقطع صلته الحسنة بكاهنة دلفوس . وقد اعتراه مرض طالت مدته ، فلما برى باستشارة الوحي قدم الى اله دلفوس كاسا جميلة من الفضة قاعدتها من الحديد فنية الصنع صاغها جلودكوس الشيبوزي . مخترع ذلك النمط الحديث الذي بالغ الناس في الإعجاب به .

لم تكن حرب ملطية هي الوحيدة التي أجج نارها أليات ، بل امتدّت على أزمير مستعمرة كولوفون ، وهاجم مدينة كلازومين الواقعة على مسافة قليلة الى الغرب في الخليج بعينه ، ولكن كلازومين ردتة عنها وحملتة خسائر عظيمة . غير أن أليات ألهم التوفيق وخدم آسيا كلها خدمة حقيقية بأن حول قواه الى محاربة القميريين الذين استولوا في عهد جده أردوس على تلك الولايات الآمنة المخصبة . فانهم لما طردهم السيتيون الرحل من مواطنهم اضطروا الى النزوح جهة الجنوب ونفذوا من قوقازيا وولوا وجوههم جهة الغرب وجازوا هالوس وتقسموا الى قلب آسيا الصغرى ، وكانوا قد دخلوا سرديس عاصمة ليديا على حين غفلة من أهلها وأحرقوها الا القلعة القائمة على صخرة شاهقة يجرى من تحتها نهر بكتول فهي وحدها التي استعصت عليهم ، ثم ردوا عن المدينة بعد ذلك ولكنهم ظلوا يهددون الامن : يخيفون السابلة وينهبون الاماكن المجاورة ، حتى طردهم أليات من آسيا الصغرى ودحروهم الى الشرق وقذف بهم بين

الإجناس السامية التي كانت حدود أوطانها تنتهي الى هالوس . ومن يومئذ يظهر أن علاقته بهم صارت من التهوالة والعطف بمكان .

لكن هذه العلاقات التي كانت بين ليديا وبين السيتيين هي التي جرت على آسيا الصغرى جيوش الميديين . ثم جيوش الفرس الذين هم أشد بأسا . فان فصيلة من السيتيين لما طردوا من اقليمهم القاسى المناخ هبطوا الى أرض ميديا فى الشمال الغربى من نهر الفرات ، فأحسن كواكزاريس ملك الميديين وفادتهم ، ولم تقتصر حفاوته بهم على أن مكن لهم فى وطنه ، بل دفع اليهم صبيانا من الميديين ليعلموهم لغتهم وليتعلّموا فى مدرستهم فن البرماية . ولكن بعض هؤلاء المتوحشين المقربين من ملك ميديا غاظهم منه شدة فى قول وجهه اليهم ، فشيغوا غليل صدورهم من هذه الاهانة بأن قتلوا الصبيان الذين هم فى رعايتهم واحتموا بمعية أليات ليتقوا شر العقاب الذى كانوا يتوقعون . فطلب كواكزاريس تسليم الجناة وأبى ملك ليديا تسليمهم . ومن ذلك قامت بين الليديين والميديين حرب لم تحب نارها خمس سنين أو أكثر . وهذا السبب كان تافها جدا ، بل يظهر أن الخلاف قام على سبب آخر ، لان الملكين متجاورتان ، والاحتكاك بين أم ما زالت متوحشة مثار خلاف لا يتقوى .

هنا استوقف النظر لحادثة فى غاية الخطر من حيث تاريخ تلك الامم ومن حيث تاريخ علم الفلك ومن حيث تاريخ الفلسفة جميعا : كانت تلك الحرب فى سنتها السادسة والتقى الجمعان وجنودهم على أشد ما يكون التحام بين المحاربين ، واذا بالشمس قد كسفت فغشيهم ليل مظلم اضطربهم الى وقف القتال . ليس فى هذه الحادثة ما يبعد احتمال وقوعها ، وليس من الغريب أن تأخذ ظاهرة من هذا النوع بالعقول مأخذا عميقا . غير أن هيرودوت الذى حفظ لنا ذكرها زاد على حكايتها أن طاليس الملطى كان قد تنبأ بهذا الكسوف الشمسى ونبا اليونان به وبالسنة التى يقع فيها (١) .

لا شبهة لدى فى رواية المؤرخ تلك التى قد أفسحت من البحث محلا لنظريات كثيرة على غاية الخطورة . فقد بحث العلماء أخيرا فى حساب هذا الكسوف بالآلات الفلكية التى بين أيدينا الآن والتي تكاد تكون معصومة من الخطأ رجاء تعيين تاريخ صحيح ثابت بين تلك الروايات المختلطة المشكوك فيها ، ولكن لم يمكن الإجماع على أمر علمى محض ولا الاهتداء الى الغرض المطلوب . فانّ الاب بيتو قد حسب أن هذا الكسوف ينبغى أن

يكون قد وقع في السنة الرابعة من الاولمبياد الخامسة والاربعين ، يعني السنة ٥٩٢ قبل الميلاد . وأما سان مارتان الذي هو آخر من عني بهذه المسألة فانه وجد أن كسوفاً كلياً يرى في هالوس حيث ملتقى الجيشين لا يمكن أن يكون الا في ٣٠ سبتمبر سنة ٦١٠ ق م . « ر » مذكرات مجمع الرسوم الخطية والفنون الجميلة - السلسلة الجديدة - الجزء ١٢ ، واذا يكون الفرق بين التقديرين ثمانية عشر عاماً . ويمكنني أن أسرد آراء آخرين من المؤلفين الحديثين ليسوا أقل اختلافاً من السابقين . أما بلاين عند القدماء فانه عني هذا الكسوف بغاية الضبط في السنة الرابعة من الاولمبياد الثامنة والاربعين وفي السنة ١٧٠ من تأسيس روما (١) . وهذا التوافق المشكوك في ضبطه بين التاريخين يجعل ذلك الكسوف في سنة ٥٨٠ تقريباً . ولست أريد الدخول في هذه التفاصيل لاني لا أطلع الى امكان الفصل فيها واستجلاء غوامضها ، بل أقف عند حد الترجاء في أن علم الفلك يستطيع أن يضع رأياً قاطعاً في هذه المسألة التاريخية .

أما المسألة الأخرى التي أثارته هذه الحادثة ثائرتها فهي : أيكون من الممكن أن طاليس حسب حقيقة هذا الكسوف وتنبأ به كما سمع بذلك هيرودوت ؟ شك المؤرخون الحديثون في ذلك . وفي هذه الايام أنكر ج . جروت (٢) . أن العلم كان وقتئذ من التقدم بحيث يسمح بنبوءات مثل هذه وحسابات علمية الى هذا الحد . لا أبغي أن أعارض هذا المؤرخ وهو حجة ، ولكنني أنبه الى انه يؤخذ من رواية هيرودوت عينا ، صادقة كانت أو كاذبة ، انه في زمانه أي بعد طاليس بقرن تقريباً كان الناس يعتقدون امكان حساب الكسوف . هذا وحده يكفي في اثبات أن العلم كان متقدماً الى قدر الكفاية فان مثل هذا الفرض يشهد بتقدم هو غاية في الجد لانه لاجل أن يقبل العامي امكان حساب الكسوف ويصدقه ويتحدث به لابد من أن يكون العلماء قد وفوا الموضوع بحثاً . ومما لا جدال فيه أيضاً ان شهرة طاليس بين تلك الشعوب كانت من الرفعة بحيث انهم نسبوا اليه من غير تردد هذه المعجزة العلمية . ولقد قرر بلاين أن هيبارخس الرودسي أمكنه أن يضع فهرساً لكسوف الشمس وكسوف القمر مدة ستمائة عام . وفي زمن هذا الكاتب الروماني لم تكن الحسابات الفلكية لتخطى مرة واحدة . حتى قيل : « ان هيبارخس كان يحضر مداولات الطبيعة » . وكان هيبارخس بعد طاليس بأربعمائة عام تقريباً . وربما كانت المسافة بين علم أحدهما وعلم الآخر متناسبة مع المسافة الزمنية بينهما ، لانه ليس في يوم واحد

(١) بلاين . التاريخ الطبيعي ك ٢ ب ٩ ص ١٠٦ طبعة وترجمة ليتري .

(٢) ر . م . ج جروت . تاريخ اليونان ج ٣ ص ٣١١ .

يمكن الوصول الى نتائج علمية مضبوطة الى هذا المقدار . فلست أرى من المستحيل فى شئ أن طاليس فى عهد أليسات قد فتح باب علم بلغ به هينارخس هذه الغاية البعيدة سنة ١٥٠ قبل الميلاد .

أعود الى ما كنا فيه :

بعد قليل عقد انصلح بين الليديين والميديين بوساطة سونيزيس ملك كيليكيا ولاينيوس ملك بابل . وزف أليات ابنته زوجة الى أصطياغ بن كواكراريس ، وأقسم الطرفان على احترام المعاهدة . واتباعا نعرف هذه الشعوب قد فصد سفراء الصلح من الجانبين أذرعههم ومص كل فريق من دم الفريق الآخر . ولكن هذه المحاولة التى عقدت على أكمل ما يمكن من الاخلاص كانت طائر نحس على ليديا ، اذ جرتها الى حرب جديدة انكسرت فيها وفقدت وجودها .

ذلك انه لما مات الملك أليات خلفه ابنه كريزوس الذى قدر عليه أن يكون آخر ملك لجنسه وحقت بذلك نبوءة هاتف دلفوس . وكان كريزوس هذا الذى صار اسمه مرادفا للغبى أميرا من خير الامراء الممتازين . ومع أنه كان شديد الاعجاب بكنوزه الوراثة التى جمعها أجداده انهيرقيون والميرمناديون لم يكن رجلا مترفا ولا ضعيفا كما يبدى للذهن عادة ، فما كاد يلى الملك حتى فكر فى أن يتم عمل أسلافه ويخضع نهائيا جميع المدائن الاغريقية على الشاطئ ، فتجنى عليها بعلل مختلفة حقا أو باطلا بادئا فتحة بافيزوس ، وعما قريب أخضع الى سلطانه كل المستعمرات اذ قهر يونيا وأيولس جميعا ، ولكن كريزوس أحس أنه لم يصنع شيئا مادامت الجزر خارجة عن قبضة يده ، فجهز أسطولا ليجاوز عليه بجيشه البحر ، ثم عدل عن هذه الغزوة التى هى قليلة الجدوى عند أمة كالليديين بنصيحة بياس البرينى ، وفى رواية أخرى بنصيحة بطاقس الميتيلينى اذ جاء الحكيم الى سرديس فسانه الملك عن ماجريات الحال فى الجزائر ، فأجاب بياس : وان أهل الجزائر يتأهبون لمهاجمة سرديس فى عشرة آلاف فارس ، فأجاب كريزوس : لتشأ السماء أن يركبوا هذا الشطط . فقال الحكيم : وأياها الملك لك الحق أن ترغب فى أن أهل الجزر يرتكبون خطأ كهذا ، ولكن ماظنك بما سيقولون من جانبهم عندما تأنيهم الانباء أنك تفكر فى غزوهم من طريق البحر ؟ . ففهم كريزوس الدرس على مرارته ، وقنع بأن عقد عهد محالفة ومودة بينه وبين يونان الجزر .

لما ارتاح كريزوس وأطمأن من هذه الجهة بحث فى بسط سلطانه الى جهة الشرق وفى آسيا الصغرى ، وعما قليل وضع يده على جميع الشعوب النازلة الى هنا من نهر هالوس دون ما وراءه ، وهم الفريجيون والميزيون

والمارياندينيون والخالوبس والبلاغونيون وتراقويونييا وبيثينيا والقاريون والهمفيليون حتى الدوريون وانيونان والايوليون . ولم يفلت من قبضته الاكيليكيا وليكيا في الجنوب . وكان نهر هالوس هو أحد الثلاثة أو الأربعة الأنهر التي تحدد هذه البقاع المسماة آسيا الصغرى وترويا ، فهو ينبع من جبال ارمينية ويسير من الشرق الى الجنوب الغربى وينفرج على نحو زاوية قائمة ليتجه من الجنوب الى الشمال فيصب في البحر الاسود شرقى سينوب وطندوجين وبعد نهر هالوس ثلاثة انهر آخر عظيمة النفع لتلك الجهات تتقاسم بينها شبه الجزيرة ، جارية كلها الى الغرب وصابة في البحر الابيض المتوسط يوازي بعضها بعضا تقريبا ، وهى المياندريس الذى يصب في خليج ملطية ، والقاصترس في خليج ايفيزوس ، والهرموز في خليج أزمير الى الشمال الغربى قليلا . وكان كريكوزوس أن يفخر بأنه تفرد بالملك في آسيا الصغرى وانه وصل بالملكة الليدية الى حد من رفاهة العيش وقوة البأس لم يكن لها مثله من قبل . ولكن ذلك هو في الواقع كان السبب في خرابها .

في هذه الاثناء حصلت تغيرات وانقلابات عظيمة في الشرق وفي البلاد المجاورة للمملكة الليدية المترامية الاطراف . فان قيروش خرب مملكة اصطياغ صهر كريكوزوس ، وقهر ملوك آشور ، وعاهد ملك هرقانيا ، وفكر في مهاجمة لينديا التي كان يظهر عليها انها كانت متحدة مع أعدائه . وبعد أن بسط سلطانه على جميع البلاد شرقى نهر هالوس لم يكن هناك محل للتأخر عن عبور ذلك النهر ، كذلك لم يكن لقوة الفرس الهائلة مدفع عن أن تمتد الى البحر وان تفتح شبه الجزيرة وكل ماتحويه من الشعوب سواء في ذلك البرابرة والاغريق . ولقد أدرك كريكوزوس للحين خطر الموقف الذى يتهده ، فلما علم بهزيمة اصطياغ استكمل عدته للحرب بقدر ما يستطيع .

فما كاد يتعزى عن موت ابنه الذى قتل في حادثة في الصيد، حتى عزم على أن يقف تقدم الفرس بأن يحالف اغريق الشواطىء وجيـع اغريق ييلوبونيز والغرب . ولهذه الغاية أرسل بادیء الامر يستشيع الوحي ليحصل على تأييد الآلهة والاعتقاد العام . وذهبت وفوده فعلا الى دلفوس ودودون ، والى أباس في فوكيد ، والى غار طروفو نيوس ومعبد انفياروس ومعبد البرنشييد على مقربة من ملطية ، بل الى معبد المشتري آمون نفسه . وكان كريكوزوس يريد ان يضع لهم بادیء الامر اسئلة يختبر بها صدقهم ثم يستفتيهم بعد ذلك بصورة منظمة في المسئلة الكبرى مسئلة الحرب مع الفرس التي كانت تقلق باله . فوجد أن هاتفي دلفوس وانفياروس أكثر اخلاصا ، فحمل اليهما الهدايا الباهرة التي يمكن قراءة وصفها التفصيلي في هيرودوت الذى رأى بعض هذه النقائس الغالية في المحارب . وعندما

قدم ملك ليديا تلك الهدايا الثمينة استثنار الهاتفين في أمر الحرب فكان جوابهما مبهما كله تورية ، اذ قال : « اذا اشتبك كريزوس في الحرب مع الفرس خربت مملكة عظمى » . . . أيهما ؟ أدولة الفرس أم دولة ليديا ؟ لم يقل الا الهيان بالتعيين ولكنهما نصحا لكريزوس أن حين وسيلة أن يتخذ حلفاء ونصراء من أقوى الشعوب الاغريقية . فعاد كريزوس هاتف دلفوس في هذه النقطة فعين له الهاتف اللقدمونيين من الجنس السورى والاثنين من الجنس اليوناني ، يعنى الهيلينيين والبلاسجة ، فأوفد سفراءه الى الاجزاء المختلفة لبلاد الاغريق يخطب ودهم فلم يجب دعاه الا اللقدمونيون الذين هم مائلون اليه لخدم اداها لهم قبل ذلك . أما بقية الاغريق ، وعلى الخصوص الاثينيين ، فلم يدركوا حقيقة الخطر المقبل ولم يجيبوا داعي ملك ليديا واستنجد كريزوس ، على ما يقول سيروبيديا ، حتى بأهل مصر . ولكن من المشكوك فيه ان مصر وجهت لمساعدته مائة وعشرين الف مقاتل كما يروى الرجل الطبيب اكسينوفونا .

ولقد أول كريزوس جواب الهاتف لمصلحته خطأ وأغار على كابادوس من ارض ميديا التي افتتحها قيروش قبل ذلك بقليل ، وكان من الضروري له أن يعبر نهر الهالوس وهو في هذا المحل واسع المجرى ، ووقع بذلك في صعوبة كبرى لم يتغلب عليها الا بحلق طاليس الذي كان قد تبسع الجيش الليدى في عدد غير قليل من مواطنيه ، فانه اصطنع جسرا عريضا فصل النهر الى عدة فروع سهل اجتيازها . تلك هي الرواية التي وصلت الى هيروdot في حادثة عهدها . ولكن هيروdot يظهر عليه أنه يعتقد أن الجيش عبر النهر بالبساطة على قناطر لم تنشأ في رواية العامة الا بعد هذه الواقعة بزمان . ولما عبر كريزوس النهر استولى على المنطقة التي كانت تسمى بطيريا وخربها .

سارع قيروش الى لقاء الغائرين بجميع جيوشه ومن انضم اليهم من أهل البلاد ، ولكن قبل أن ينزل الليديين أرسل الى اليونان يستميلهم الى التحلى عن جيش كريزوس ، ولكن اليونان بقوا على عهدهم مع كريزوس لاعتقادهم أن خيانة مخجلة لا تأتى الا بالعار المجرد من كل منفعة ، لان الاغريق لا يستطيعون ان يقفوا وحدهم في وجه الفرس اذا سقطت ليديا في يده كما كانوا يتوقعون . وان هزيمة عامة لكل اجناس الاغريق خير من العار ما داموا مصريين على ألا يسلموا بلادهم الى الفرس لأول وهلة . ولما التقى الجمعان في سهول بطيريا شرقى هالوس جرت بينهم حرب طاحنة استمرت نهارها طول اليوم الى المساء لم يظهر فيها نصر نهائى لاحد الفريقين على الآخر .

ولكن اضرارها كانت على كرىزوس أكبر ، لان جيشه مع بسالة قواده كان قليل العدد جدا بالنسبة الى الجيش الآخر . ولما رأى قىروش ما مس جيشه من القرح لم يشأ ان يبدأ بالقتال فى اليوم التالى ، فانتهر كرىزوس تلك الفرصة للتقهقر الى سرديس وعزم على ان يبلغ من الدفاع عنها غايته .

ثم استنجد حلفاءه وأما زيس ملك مصر ولاينطوس ملك بابل واستنفر لقدمونيا لنصرته ، واعتمد على انه متى اجتمعت له هذه القوى كلها يجدد الكرة على جيوش قىروش فى الربيع القادم ، وجعل ميعاد حلفائه ونصرائه على تمام خمسة أشهر من يوم الدعوة فى عاصمة ملكه . ولقد أصاب كرىزوس الحكمة فى هذه التدابير ، ولكنه ارتكب خطأ جماً فى صرف جنوده ظناً منه أن قىروش لا يستطيع ان يطلع على سرديس بجنده الذى نال منه القرح ما نال . وقد خاب ظنه لان قىروش احتفظ بجنوده وسار بهم بعد أن أخذوا قسطاً من الراحة الى ليديا ، فلم يلبث أن نزل السهل الفسيح القائمة فيه مدينة سرديس .

أما كرىزوس وان كان قد أخذ على غرة فإنه لم تنحل عزيمته بل اعتمد على ما هو مشهور عن أهل ليديا من الاقدام خصوصاً كتائب فرسانهم ، فأنهم كانوا مقطوعى النظير لمهارتهم فى ستوس الخيل وفى حسن استعمالهم الرماح الطوال التى كانوا يعتقلونها . ولكن قىروش من جهته قد فكر فى تقليل قيمة تفوق فرسان العدو ، فسير فى مقدمة جيشه جماله كلها التى لم تعتمد خيل ليديا رؤيتها ولا رائحتها فجعلت وصعبت رياضتها ، فترجل الليديون وأبلوا على الرغم من ذلك بلاء حسناً ، لكنهم بعد التحام هائل انهزموا فلم يجدوا لهم مؤثلاً الا أسوار مدينتهم .

لما رأى كرىزوس انه محصور بجنود منصوره عجل الى حلفائه وعلى الاخص اللقمنونيين ، لكن هؤلاء بعد أن تاهبوا لنصرته حسب نص المعاهدة جاءهم نبأ سقوط سرديس عنوة فى يد قىروش بعد حصار دام أربعة عشر يوماً ووقوع كرىزوس فى الاسر . لما وقع ملك ليديا التعسف فى أيدي أعدائه منقلاً بالسلاسل وحكم عليه بأن يحرق حياً هو وبعض أبناء العائلة الكبرى الذين كانوا معه وسعرت له النار وكادت تصل الى جسعه ، رق له قلب قىروش وأخذته الرحمة على هذا الملك البائس الذى كان يحتمل تصاريق القدر بالرضا والتسليم ، والذى كان فى هذه اللحظة الرهيبة يذكر نصيحة سبولون له حينما وفد عليه واقام فى معيته . وكانت سن كرىزوس وقت وقوعه فى الاسر تسعة واربعين عاماً حكم منها أربعة عشر عاماً منذ وفاة أبيه ، وبقي بعد ذلك زمناً طويلاً فى معية قىروش مرافقاً ومعيناً له فى غزواته .

ان تاريخ سقوط سرديس ليس أقل اضطراباً من تاريخ كسوف طاليس . واخذاً بما على رخام باروص تكون سرديس سقطت في السنة الثالثة من الاولبياد التاسعة والخمسين أى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد . أما فريريت فإنه يقول انه وقع في سنة ٥٤٥ أخذاً بشهادة سوسيقرات الذي استشهد به ديوجين اللايرثي في كتابه « حياة بيراندر » . وأما فولني فإنه أخره الى سنة ٥٥٧ في كتابه « أخبار هيرودوت » . وعلى كل حال فإن هذا التاريخ على خطره محوط بالشكوك ، ولا يزال محلًا للتحقيق .

لما غلب الليديون على أمرهم أحست المدائن الاغريقية خطر مركزها ، فعرض الايوليون واليونان الطاعة على الشروط التي كانت بينهم وبين كيرزوس ، فرفضتها قيروش مزدريا اياهم ، وذكر اليونان اعراضهم عنه حين خطب ودهم قبل ذلك ببضعة أشهر، فلم يبق لهذه المدائن الا خوض غمار الحرب بعد ذلك الرفض المهين ، فدعيت ندوتهم (البانيونيون) وحضرها أهل المدائن كلها الا الملطيين الذين كانوا اتخذوا للحرب عدتهم قبل ، ولكن حظ الجميع منها لم يكن أحسن من حظ مملكة ليديا .

من المحتمل ان يكون هذا الحين هو تاريخ النصيحة التي قدمها طاليس للاتحاد اليوناني ، فإنه لبصره بالعواقب ارتأى ألا يكون للمدن اليونانية الا جمعية واحدة تعقد في طيوس، لتوسط مركزها ، على ان تحتفظ كل مدينة بنظمها الخاصة ، لانهم متى اجتمعت قواهم كانوا بالضرورة أقدر على مقاومة عدوهم المشترك ، فإن الاتحاد وحده هو الذي ينجيهم ما دامت المنازعات الداخلية هي التي أضعفتهم . ولكن هذا الرأي السديد لم يكن ليطاع فيهم مع أنه لم يجيء بعد الاوان ، فإن حال اليونان لم يكن بعد من السوء بحيث لا يمكن اصلاحه . ولقد نصح لهم طاليس بعد ذلك نصيحة في وقت أشد حرجاً فلم تقابل الا بما قوبلت به سابقته من الاعراض . ثم نصح لهم بعد ذلك بياس البرييني أحد أعضاء الندوة (البانيونيون) ان يترك اليونان جميعاً آسيا ويتخذوا اسطولا كبيراً يركبونه الى « سردينيا » حيث يؤسسون جمهورية قوية . وأبان لهم بياس أنهم أن بقوا في آسيا لا يستطيعون أن يحموا حريتهم . يرى هيرودوت أن اليونان لو كانوا قرروا هذا القرار الباسل لصاروا أسعد الشعوب الاغريقية كلها ، ولكنهم قنعوا بمفاوضة الايوليين ليرسلوا سفراء الى أسبرطة يطلبون باسمهم وباسم اليونان اعانة الجمهورية اياهم .

لم تشأ جمهورية اسبرطة أن تمد لهم بقوة حقيقية ، بل ارسلت رجالاً ثقة من رجالها يقال له «لقرين» الى سرديس يطلب الى الفاتح ألا يسئ الى أية مدينة اغريقية ويهدده بسخط لقدمونيا . غير أن قيروش الذي

ماكان يعرف الى ذلك الوقت ما هي اسبرطة ، أخذ يسأل بها وأعلن - وهو هازيء بهذه الشعوب التي يخالها متأنة في أمورها - انه أولى بها ان يشغلها الخطر المحقق ببلادها عن الخطر الذي يهدد يونيا . في هذا الوقت دعا قيروش اختلاف الاحوال في بابل وبكتريان والساسيين بل وفي مصر أيضا الى التمسك بالسفر من سرديس الى اقبطانا ، وخلف على المدينة فارسييا يدعى طابالوس ، وجعل على نقل الكنوز التي جمعها ملوك ليديا منذ عدة قرون ليديا يقال له بكتياس .

انتهز بكتياس غيبة قيروش في حصار بابل ، ووضع يده على الكنوز التي أوتن على نقلها ، وانتبه بها مكانا بعيدا على الشاطئ ، ودعا الليديين الى الثورة والانقضاض على قيروش ، وألف بالمال جندا سار به الى حصار مدينة سرديس التي كان يحميها طابالوس . ولكن هذه الثورة لم تلبث حيناً حتى جاء مزاريس أحد قواد قيروش بالمدد ، واضطر بكتياس الى الهرب والاحتماء في دكومة ، فلما طلبه مزاريس هم الكوميون بتسليمه اليه بنصيحة حاتق البرنثيد لولا رجل شجاع منهم يقال له ارستوديقوس حمى الغزيل ونجاه من الهلك واستحب عصيان الاله على انتهاك حرمت الضيافة في حق مستجير . ونجا بكتياس الى ميتيلين حيث عادت لاهل دكومة نخوتهم وأرادوا هم أيضا حمايته . غير ان هذا السبيء الحظ قد أخذه الشيزيون بالقوة من معبد مينرفا وسلموه الى الفرس ، لان قيروش أمر بأن يحضر لديه حيا ، وقبض الشيزيون ثمنا لهذا العار مقاطعة أطرنة الواقعة في ميزيا تجاه لسبوس ، ولكنهم لم يسعدوا في هذه الارض التي امتلكوها بذلك الثمن المخجل ، فقد أكد هيرودوت انه من زمن طويل على أهل شيزو لا يستطيعون أن يقرؤا للألهة قربانا ولا أن يضحوا بشيء مما كان يأتيهم من غلة ذلك البلد الملعون .

قسا مزاريس في التكنيل بالدين خرجوا على الملك في ثورة بكتياس . وكتب الرق على سكان بريينة وباعهم بالزاد ، وخرّب بلا رحمة سهول مياندريس جميعها واباحها لنهب عسكره ، ولكن منيته صادفته أثناء هذا الانتقام . ولقد أراد الفرس بهذه القذائع ان يغلوا أيدي المغلوبين عند الثورة ، ولكن اغريق الشاطئ ومستعمرات أيولس ويونيا ودريدا لم يخفهم ذلك بل أخذوا عدتهم واستجبعوا بأنهم الى حرب غير متعادلة القوى ولا ملحوظ في نتيجتها الا الفشل والخللان .

بذلك يبتدىء العهد الثالث والاخير لتاريخ الاغريق في آسيا الصغرى فان العهد الاول لبث من وقت نزوحهم اليها الى حكم جوجيس غاصب ملك ميديا ، وهو أطولها ، لانه لا يقل عن ٥٠٠ سنة . والثاني الذي كان مملوءا بالتنازع بين مدائن الاغريق ومملكة ليديا ، ويمتد الى هزيمة كريسوس

وسقوط سرديس • ولم تكن قوة ملوك الميديين تلقاء قوة الفرس شيئا
مذكورا ، لان الفرس كانوا أمة حزب ملكة جزءا عظيما من آسيا ، وتقدموا
تقدما كبيرا في فنون الحرب بفضل قيادة قيروش •

أما الذي خلف مزاديس على التنكيل بالثائرين واستمرار الفتح فهو
رجل خليق بكل أنواع الفطائع واقتراح الدنيا يقال له هربغوس اشتهر
بعمل مقطوع النظم في الحسنة حتى في معرض دنيا البلاط الفارسي ، ذلك
أن «اصطياغ» ملك الميديين ، كان قد أزعجته رؤيا ، فكلف هربغوس امينه
أن يحتال لقتل الولد الذي ولدته حديثا ابنته مندانا من قمبيز ، وكان هذا
الحفيد المقصود بالوقية هو قيروش ، فقبل هربغوس هذا الامر ، ولكنه لم يشأن
يقتل الصبي بيده فوكل ذلك الى راع أخذته الرحمة من توصيلات زوجته
فاستبدل صبيه الذي ولد ميتا بالذي دفع اليه ليقتله ، ودخلت هذه الحيلة
على هربغوس فلما استكشف «اصطياغ» خفية الامر وعلم بكل ما جرى
كظم غيظه ، ولكنه انتقم من هربغوس شر انتقام ، فأمر بقتل ابن هربغوس
سرا ، ودعاه الى طعام قدم اليه فيه لحم ابنه فأكله ثم أمر فأحضر رأس الغلام
ويده وقدمت أثناء المأدبة تحت غطاء الى هربغوس ، فلما كشف عنها الغطاء رأى
هذا المنظر الفظيع فلزم السكينة ، فسأله «اصطياغ» في ذلك فقال : انه تعرف
اللحم الذي أكله ولا يسعه الا الثناء على الملك على ما تفضل به •

ومع ذلك فان هربغوس قد أصر على الانتقام من «اصطياغ» بأن يثل
عرشه من تحته ، فحرض قيروش سرا على العصيان • ولم يصادف هذا
الامير الشاب عناء في حمل الفرس على نبذ نيز الميديين الثقيل • ولقد بلغت
الحمية «باصطياغ» انه لما جاء حفيده على رأس الجيش الفارسي أمر على
الجند هربغوس الذي كان قد نكل به ذلك التنكيل ، فلم يلبث هذا الأخير
أن خانه وانخدع بالجيش ، وقهر قيروش «اصطياغ» ولم يقتله بل تركه
يعيش في الخزي • وسقطت مملكة الميديين بعد أن أقامت ٣٢٨ سنة من
ديجوسيز بن فراورط • وبقي هذا القسم من آسيا من يومئذ تابعا للفرس
الذين لم يحتفظوا به الا أقل من تلك المدة حتى سقطت مملكتهم باغارة
اصكندن •

ذلك هو هربغوس الذي رمى به قيروش مدائن الاغريق ليخضعها •

ولقد عنيت بذكر هذه التفاصيل على شهرتها لابن أي الامم وأي
الاخلاق سيكون ليونان الشاطيء علاقة بها •

أخذ هربغوس يبتكر طرائق لفتح المدائن ، فكان كلما وصل مدينة
احاط بها ثم حفر حولها خندقا يحصر اهلها فيضطرون الى التسليم • فبدأ

بمدينة فوكية ، تلك المدينة التي كان لها اسم كبير في ذلك العهد والتي تهمنا بوجه خاص جد الاهمية ، لان أحد فلاسفتنا اكسينوفان كان بها منذ نفى من كولوفون وهرب مع مواطنيه على الشواطىء البعيدة لبحر طرهينيا ولقد كان أهل فوكاية اول من أزعج السياحات الكبرى المقرونة بالآخطار من جميع الجنس الهلينى، فانهم أول من علم الناس ما هو البحر الادرياتيكي وبحر طرهينيا وايبيريا وطورطائيس ، تلك الاصقاع السحيقة فى حدود الارض وراء عمد هيرقليس، وهم الذين حوروا طريقة صنع السفن فرغبوا عن السفن الغليظة المستديرة الى سفن ذات خمسين صفا من المجاذيف وهى المسماة «البانيكوتور» . ولما كان لأهل فوكاية صلات مودة ومعاملة ببلاد طورطائيس عرض عليهم ارغانونيوس ملك هذه الجهة أن يهاجروا اليه اذا شاءوا أن يتركوا يونيا عندما هدد الفرس مدينتهم . ونظرا الى انهم لم يكونوا قد عزموا على الهجرة بعد ، اعطاهم حليفهم الملك مبلغا عظيما من النقود ليساعدهم على اقامة سور منيع حول مدينتهم ، فاقاموا هذا السور الواسع الامتداد من احجار كبيرة محكمة الرصف جدا .

وقف هربغوس أمام هذا الحصن العظيم الذى لم يستطع النفوذ منه الى داخل المدينة ، وبقي محاصرا لها حتى أرق أهلها ارهاقا ، ثم عرض عليهم عرضا يوافقهم وهو ان يهدموا جزءا من الحصن الامامى تحتله الفرس اشارة الى أن أهل المدينة أطاعوا فطلب اليه الفوكيون الذين أعياهم الحصار جوابا على هذا العرض هدنة يوم واحد ، وأن يبتعد الجيش الفارسى عن مراكزه ، فأجابهم هربغوس الى ذلك مع توقعه ما سيحصل فاغتنم الفوكيون هذه الهدنة ، وحملوا على السفن نساءهم وأولادهم وجميع ما يستطيعون حمله خصوصا الامتعة المقدسة التى جمعوها من المعابد ، وسافروا الى شيوز فلما جاء الفرس فى اليوم التالى وجدوا المدينة خلوا ليس فيها احد من أهلها .

كان الفوكيون قد رغبوا بادىء ذى بدء فى أن يشتروا من أهل شيوز الجزر التى تسمى اينوزوس ، لكن هؤلاء قد رفضوا الصفقة حتى لا يخلقوا لانفسهم مزاحمين لا يستهان بأمرهم على مرافق التجارة ، فاضطر الفوكيون الى أن يوجهوا سفنهم نحو جزيرة قورسقة (المسماة وقتئذ سيرنى) حيث أسسوا فيها قبل ذلك منذ عشرين عاما مدينة «علاية» باشارة الهاتف ولكتنتهم قبل أن يذهبوا الى هذا المنفى النهائى رجعوا الى فوكاية على غرة من حرسها الفارسى وذبحوهم ، ومع ذلك فإن هذا العمل الجرى لم يمكنهم من البقاء فى وطنهم القديم بل ارتدوا الى أسطولهم . وليثبتوا أنهم لن يتركوه القوا فى البحر كتلة من الحديد واقسموا ألا يعودوا قبل أن تطفو هذه

الكتلة الثقيلة على سطح الماء . وعلى رغم هذا القسم زين لنصف النازحي أن ينزلوا الى البر ويدخلوا فوكاية ، وأما النصف الآخر الذى بر بقسمه فقد اعتمد على ألا يبقى تحت نير المتوحشين الذى لا يطاق ، وأبحروا الى قورسقة ، فدخلوها آمنين وأقاموا كما يشتهون فى سكنية مدة خمسة أعوام مع مواطنيهم الذين سبقوهم اليها قبل ذلك بسنين طوال . ولكن أهل طرهينيا وقرطجنة هاجموا الفوكيين ، أما حسدا من عند أنفسهم ، وأما اضطرابا للكسب وجبا فى السلب والنهب . ولم يكن لدى الفوكيين الا ستون سفينة ضد مائة وعشرين لحصومهم ، ولم يبرر لهم ذلك الترد فى منازلهم ، بل ذهبوا يبحثون عن عمارات خصومهم فى بحر سردينيا ، وتحرشوا بهم وطلبوهم للقتال ، ولكنهم خسروا فى هذا انظر ثلثي سفنهم فرجعوا عاجلين الى « علالية » ، واحتملوا عائلاتهم وأموالهم ليلجأوا الى موئل آخر آمن من هذا . والظاهر أن جزءا من هؤلاء المهاجرين قد وقع فى يد الطرهينيين والقرطجنين فقبضوا عليهم وذبحوهم ، وذهب الجزء الآخر الى رغبوم فى صقلية ، ومن هناك اتجهوا الى الشمال وأسسوا على أرض أونترى مدينة كانت تسمى فى زمن هيرودوت « مدينة هيبلا » وهى المعروفة بمدينة ايليا الشهيرة بمدرستها الفلسفية التى شيدت فيها بعد تأسيسها بقليل .

فى نحو هذا الحين لجأ أكسينوفان الى ايليا هاريا من كولوفون التى وقعت فى قبضة الفرس ، وانضم الى الفوكيين الشجعان الذين كانوا مثله يكرهون العبودية . من الواضح أن ما ورد فى شعر أكسينوفان خاصا باغارة الفرس الذين ما زال يسميهم الميديين ، إنما يراد به واقعة هربفوس تلك لا حرب الميديين (١) ، كما ظن ذلك أحيانا . وقد يظهر أن تأسيس ايليا الذى شهدا به أكسينوفان كما شهدا بتأسيس كولوفون كان فى سنة خمسمائة وست وثلاثين أو خمسمائة واثنين وثلاثين قبل الميلاد ، بل قد يكون أدنى من ذلك . على كل حال فإنه قبل اغارة مردونيوس وداتيس على بلاد الإغريق بثلاثين سنة على الأقل ، وليس عندنا ما يفيد أن أكسينوفان عاش الى ذلك الوقت .

ولسنا نرى فيما حفظ لنا التاريخ من التفاصيل ماذا جرى على كولوفون بخصوصها ، وهى من ليديا كمدينة فوكاية ، ولكن المفهوم ضمنا هو أنها وقعت فيما وقعت فيه فوكاية ، وأن أهلها الذين لم يقبلوا حكم

(١) ولقد جلا الشك فى هذه النقطة فكتور كوزان . راجع القطع الفلسفية والفلسفة القديمة طبعة سنة ١٨٦٥ ص ٣ و ٤

المتوحشين ركبوا البحر ليلجأوا الى جهات أكثر طمأنينة . حق أن هيرودوت لم يذكر بعد أخبار الفوكيين الا اخبار أهل طيوس الذين فعلوا مثل ما فعل اولئك ، فحملوا ما قدروا عليه في سفنهم وقصدوا تراقيا حيث أسسوا مدينة أبدين ، وقد كان سبقهم في الهجرة الى تلك البلاد أحد مواطنيهم المدعو كلازومين . أضاف هيرودوت الى هذا أن بقية مدن يونيا خضعت لحكم الفرس بعد مقاومة عنيفة ، ولأمانع من افتراض أن أكسينوفان كان أحد هؤلاء الأبطال الذين أثنى عليهم المؤرخ ، والذين لم يلقوا قبيحاً الى الفرس الا بحكم الضرورة . الا المملطيون وحدهم فانهم اتفقوا مع قيروش كما ذكر أنفا وبذلك احترم هربغوس حياتهم اكتفاء بما شئت وأذل من سائر يونان القارة . وأما أهل الجزائر فانهم بوضعهم كانوا في مأمن من الغارة ، لان الفرس لم يكن لديهم بعد أسطول يطولون به الجزائر ويلقون على أهلها نير العبودية . وأما يونيا وأبولس فانهما أطاعتا غاية الطاعة حتى جند منهم هربغوس حين مشى الى قاريا التي وقعت في قبضته بعد قليل . وأما الكنديون فانهم حاولوا الدفاع بالأسراع في قطع البرزخ الذي يصلهم بالقارة ، ثم بدا لهم أن يستسلموا الى الفرس أخذاً بنصيحة كاهنة دلفوس . وأما البيدازيون من ضواحي هاليكارناس فانهم قاوموا حتى حين ، ولكنهم قهروا كما قهر الليقيون الذين أبلوا بلاء حسناً في الدفاع عن وطنهم . وبذلك تم النصر لقيروش ، وكان يستطيع أن يغتبط وهو سائر الى اخضاع بابل بأن كل آسيا الدنيا ملك له الى البحر .

كانت جزيرة سموس وقتئذ أقوى الجزر ذات مركز سام بما لها من الروابط بأغريقيا وبمصر ، وبينما كان قمبير المفتون ابن قيروش يغزو مصر ليقضى على نفسه فيها كان بوليقراطس يحكم سموس ، وقد مكن له فيها بحسن ادارته وقلة تحرجه ومبالاته ، حتى جعل الجزيرة من الرخاء محسودة الوفر من كل نظائرها . وكان من أمره أنه أقام فيها ثورة انتهت باستيلائه فيها على السلطان هو وأخويه ينتنيوت وسيلوسون ، اذ اقتسم الاخوة الثلاثة حكم المدينة لكل منهم قسم معلوم . ولكن بوليقراطس لم يلبث ان تخلص من أخويه اذ قتل احدهما وشرذ الثاني وخلص له الحكم واطاعه أهل المدينة . وقد أراد أن يثبت لنفسه الملك المفصوب فارتبط بأمازيس ملك مصر ، وتبادل واياها الهدايا النفيسة . ولم يمض عليه حين حتى نبه ذكره ، وعمت شهرته بلاد الاغريق ، وكان استعداد العالم موافقاً في مشروعاته الى غاية المنى ، وكان أسطوله مؤلفاً من مائة سفينة من فوات الخمسين صفاً من المجاذيف ، وكان يبلغ عدد رعاياه وحدهم ألفاً .

ولم يكن مع ذلك ليرعى لجيرانه حرمة بل كان يضرب عليهم الاتاوة

بغاية الجراة ، وكان من مبادئه السياسية ألا يبقى حتى على أصدقائه متى
قضى الطرف الا انه كان يعرض عليهم بعد ذلك . وكان قد غزا عدة جزر
حوالي سموس ، بل عدة مدن في القارة . ولما ساعد اللبوسيون الملقطين
عليه حاربهم وقهرهم في وقعة بحرية ، وسخر جميع الاسرى مصفدين
بالاغلال في حفر الخندق العميق الذي كان يحيط بأسوار المدينة . وكان
من نتائج ظلمه أن بعض أهل سموس هجروها من هول ما يلقون من
الجور واستجاروا بأسبرطة ، فأبحر اليه اللقدمونيون في اسطول قوى .
وحاصروا المدينة أربعين يوما ، ولكنهم ارتدوا على أعقابهم بفضل بأس
بوليقراطس أو بفضل ماله . وبقي هذا الطاغية مستعبدا بالحكم مهيب
الجانب لا يغلب على أمره ، حتى ان من لم يريدوا من السموسيين الاستسلام
لظلمه لم يكن لهم وسيلة الا الهجرة بعيدا عن ملكه الى حيث ينزلون منزلا
يرضونه . ولم يكن ليأمن على نفسه الطواوى بذلك الخندق العميق الواضح
بل اتخذ نفقا تحت الجبل سلك فيه الى المدينة مائتدا ، وبني رصيفا شاهقا
متقدما في البحر ، جعل به المرفأ أكثر ملاءمة لرسو السفن ، ثم بنى
معبدا اشتهر بأنة اكبر المعابد المعروفة . وقد ذكر أرسطوطاليس أيضا
هذه الأعمال العظيمة التي عملها بوليقراطس .

وكان هذا الطاغية محبا للآداب والفنون ، ويقال أنه أول من أنشأ
مكتبة . وكان مثل ذلك في تلك القرون زخرافا نادرا ، كانت مصر وحدها
هي صاحبة الابداع فيه . وكان يؤوى اليه الشعراء ، وكان أنقريون
الطيوسى بعض جلسائه ومادحيه .

في صدد الكلام على عهد طفيان بوليقراطس هذا ، ينبغي أن نورد
خبر الصلات التي كانت لفيثاغورث به والتي لدينا عنها معلومات مبسطة
فان يميليك وفريريوس وديوجين لا يرث يلتقون في هذه النقطة ، وليسوا
بالضرورة الا صدى كثير من المؤلفين الذين هم اقرب عهدا بزمان فيثاغورث
وكتبوا ترجمته مثل أرسطوكسين الموسيقي تلميذ أرسطو وأبلينيوس
الصورى وهرميب وديوجين وانتيقون ٠٠٠٠ الخ . كان فيثاغورث بن
ميتزارخس يدعى بأمة الى اكبر عائلات سموس ، ويمكن ان يتصل نسبه
بأنسى مؤسس المستعمرة ، ويظهر أن أباه قد جمع مالا وفيرا
من تجارة القمح وكان صوريا على رأى بعض المؤرخين ، وطرهينيا على قوله
البعض الآخر وكان يستصحب ابنه معه في سياحاته منذ حداثة طفاه
الصبي مع أبيه تلك البلاد التي عنى بدرسها بعد ذلك ، فلما صار فى سن
التعلم ، ورأى أبوه فيه مخايل وعليه سيما التجارة ، وصله بأعلى الرجال
امتيازاً في زمنه : طاليس - على ما يقال - وانكسيمندر وانكسيمين الملطي

وفرقليد السيروسي . وقد عرف فيثاغورث فينيقيا وهو شاب اذ صاحب
أباه اليها . ولما أراد السفر الى مصر زوده بوليقراطس بكتاب توصية
الى أمازيس ، وذلك يثبت أن رأى فيناغورث فى بوليقراطس وقتئذ على الاقل
لم يكن كرايه فيه بعد ذلك .

لم تكن مدة اقامة فيثاغورث بمصر محل اتفاق فى التاريخ ، فمن
مترجميه ، مثل يميليك ، من حددها باثنين وعشرين عاما وان كان ذلك
قليل الاحتمال لما أسر عسكر قمبيز فيثاغورث سيق الى بابل ، وهناك
اتصل بالمجوس كما اتصل بكهنة مصر مدة اقامته بها ، اذ كان محل
اعجاب بذكائه ورجاحة عقله وحسن روايه . ولما رجع الى وطنه وهو
متقدم فى السن ، أى كانت سنة ستا وخمسين سنة على قول يميليك ،
فتتح فيه مدرسة . وظل السموسيون انفخرون بمواطنهم يعقدون
مداولاتهم السياسية قرونا عدة بعد ذلك فى مجلس نصف حلقى مسمى
باسم فيثاغورث ، وقد قال أرسطوكسين : ان فيثاغورث لما ترك سموس
فرارا من ظلم بوليقراطس لم يكن يتجاوز من العمر أربعين سنة ، وربما
كان قوله أوجه ، لانه أقرب عهدا الى هذه الاحداث من يميليك ، ومن
المحتمل أن يكون أعلم بها منه ما دام انه تلميذ ارسطو الذى كان يشغل
كثيرا بفلسفة فيثاغورث . وأما شيشيرون فانه ذكر فى كتابه « الجمهورية » :
أن فيثاغورث وصل الى ايطاليا فى الاولوية الثانية والستين أعنى فى سنة
٥٢٨ قبل الميلاد ، أى فى السنة التى جلس فيها طرخان العظيم على
العرش . ولما كان شيشيرون (على لسان سينيوت) يقصد الى تصحيح
خطأ تاريخى شائع . فمن المراجع أنه يعرف حق المعرفة صحة ما ذكر وأنه
غير مخطئ .

ومهما تكن حياة فيثاغورث محجوبة عنا مع ماكان من اشتغال كثير
من الكتاب الاقدمين بها ، فالظاهر انه من المحقق أنه هاجر من سموس
المحرومة الحرية ليجد بلدا فى افريقا الكبرى لا تشتمل فيه نفسه من
مشاهد الظلم ويستطيع ان يتمتع فيه بالاستقلال الذاتى الذى كان فى
حاجة اليه . وكذلك فعل اكسينوفان فى نحو هذا الزمن ، اذ كان يفر من
اضطهاد الفرس الذين كانوا أشد ظلما من طغاة الافريق . كان ذلك هو
الحظ المشترك لامثال هؤلاء ، فليس من السهل أن يبقى المرء وطنيا أو
فيلسوفاً ينوء بحمل الضغط الذى يأتية امثال أولئك الاسياد . وعلى ذلك
حمل فيثاغورث الى قروطون والى ستيباريس مذهب عجيبة فيها بلا شك
شئ من الديانات الشرقية التى اتصل بأهلها ، ولكنها حقيقة باحترام كل
من يحبون الحكمة والانسانية .

ولم تصل الينا مذهب فيثاغورث الا عن طريق الوسطاء ، اذ لم

يجتمع لنا شيء من مؤلفاته الكثيرة التي وضعها (١) فيما يظهر على مايقول هيلير قليطس ، والتي مع كون فيلولولوس أذاعها لأول مرة بعد ثلاثة أو أربعة قرون من وضعها كان يطليها أفلاطون بأعلى ثمن .

أما بوليقراطس الذي شاطر في أسباب تطعيم فيثاغورث فانه لقي حتفه على أسوأ ما يكون بعد سنين قلائل من اعتزال الحكيم سموس التي صارت أخط من أن تكون وطنا له ، ذلك بأن أورطيس الذي رسمه قيروش مرزبانا على سرديس حاول أن يوسع سلطان الفرس ويدخل الجزائر تحته ، فعزم على أن يوقع بالطاغية الذي أتى سموس الواقعة أمام حكمته قوة ومنعه ، فأرسل الى بوليقراطس سرا رسولا يخبره عنه بأنه مهدد شخصيا بغضب قمبيز البالغ حد الصرع ، وأنه يريد أن يودع ماله مكانا آمينا ويرجو السيد أن يقبل ايداعها عنده ، ولكيلا يتظن في قوله طلب اليه أن يرسل ثقة له ليريه خزانته المملوءة بالذهب المضروب على شريطة أن يبقى نصف المال للمرزبان والنصف الثاني يكون لبوليقراطس ينقله على مشروعاته الواسعة المدى الى حد فتح افريقيا كلها .

لم يطق شره بوليقراطس صبيرا ، فأرسل أمين اسراره منديروس الى « سرديس ليحقق خبر كنوز أورطيس الذي خدع الرسول وأراه صناديق مملوءة حجرا مغطاة سطوحها بالذهب ، فرجع الرسول الى سيده وقرر له مارأى ، ففرح بوليقراطس وعول على أن يذهب بنفسه لاحضار الذهب ، وعبثا حاول أصحابه وعائلته منعه ، حتى لقد كان منه أن هدد ابنته بالألا يزوجها الا بعد زمن طويل حين تشبثت بمنعه وقت ركوبه الفلك . ومضى وفي صحبته عرافه المدعو هيلي الذي لم يصل علمه الى كشف هذه الاحبولة . فلما وصل الى حيث ينتظره أورطيس أمر الغادر بالقبض عليه وصلبه . ومع ان هيرودوت لم يكن به مظنة ضعف للطغاة فإنه رئي لحال بوليقراطس الذي كان من العبقرية والسؤدد بحيث لا يستحق هذه الميتة الشنعاء . وكان في معية بوليقراطس في هذه السفرة المشنومة ، غير ذلك العراف المغفل ، ديموكيتا الطبيب الشهير من قروطون الذي وقع هو ايضا بهذه الاحبولة في الرق ، ثم دعى بعد ذلك بقليل الى بلاط دارا ليعالجه من التواء مفصلي أصابه ، وذلك حين أمر دارا مهلك المجوس بقتل أورطيس لارتكابه فظائع لامصلحة في ارتكابها (٢) .

(١) ديوجين اللايرثي . حياة فيثاغورث ف ٦ ك ٨ ب ١ . وان الرسائل بين انكسيمين وفيثاغورث ربما لا تكون منتحلة . ديوجين اللايرثي فيما كتبه عن حياة زينكم الفيلسوفين (٢) السنة ٢٣٠ من تأسيس روما أو ٥٢٣ قبل الميلاد على رأى بلاين ك ٣٣ ب ٦ ص ٤٠٣ طبعة ليتري .

لما خلت سموس من بوليقراطس لم تستأخر عن الوقوع في قبضة الفرس ، لان الطاغية لما ذهب الى حيث لقي حتفه كان قد خلف على الجزيرة اخاه مندريوس الذي هو اقل كفاية من أن يلي الحكم ، وجاءت جنود أوطانيس المرزبان الجديد تحت قيادة سيلوسون اخي بوليقراطس الذي نال حظوة عند دارا بسبب أنه عرفه في مصر حيث منقاه ، فهرب مندريوس وترك الجزيرة ، فتولى أخوه شاريلالوس قيادة الحامية ، وبعد مقاومة عنيفة سقطت الجزيرة في أيدي الفاتحين ، ودخلها سيلوسون فوجدها خلوا من سكانها .

ولما انتصر دارا على بابل بفضل اخلاص زوبير وجه قواه الى محاربة السيتيين ، فصنع له مندروكليس المهندس السموسي القنطرة المشهورة التي عبر عليها جيشه بغاز البسفور ، وهي قنطرة من المراكب لم يكن طولها اقل من أربع غلوات أى نحو ٨٠٠ متر . ولا بد أن يكون اتخاذ مثل هذه القنطرة من أصعب ما يكون وكانت واقعة على رأى هيودوت ، بين بيزنطة وبين معبد قائم على مصب البسفور . ولكي يخلد هذا الملك العظيم ذكرى هذا العمل أغدق على المهندس السموسي نعمة ، وأقام عمودين على جانبي الشاطئ كتب عليهما باللغتين اليونانية والآشورية . وقد رسم مندروكليس في معبد جونون لوحة تمثل القنطرة وجيوش الفرس تعبر فوقها تحت نظر دارا جالسا على عرشه . وقد شفع دارا جيشه البرى بأسطول عظيم يقوده اليونان والايوليون وفريق من أهل هلسبون . وأمر الاسطول أن يدخل البحر الاسود ، ثم يدخل مجرى الدانوب ونهر الاستر . ويقوم قنطرة على النهر في محل تفرعه الاول الى عدة فروع . واتجه دارا بجنوده في البر من تراقيا الى تلك النقطة ، وكانت عدة جنوده البرية سبعمائة ألف مقاتل وعدة سفن أسطوله ستمائة سفينة وكانت هذه الجيوش البرية والبحرية مؤلفة من جميع الأمم التي تشملها مملكة الفرس المترامية الاطراف من شواطئ آسيا الصغرى الى الهندوس

وتقدم الملك العظيم ، على بعد الشقة وصعوبة المسالك ، في طريقه بين تلك الأمم الجافلة التي كانت تولى الادبار أمامه وتستدرجه شيئا فشيئا الى مفازاتها الواسعة وتلك المهمة التي لا تجاز ، كما وقع في أيامنا هذه لفاتح آخر ليس أكثر منه بصرا بالعواقب ولا أقل منه نحسا في الطالع . وقد عنى دارا في انتصاراته الموهومة بأن يقيم في طريقه أعلاما وأعمدة نقش عليها بالعبارات الفخمة : « اخضاع الجيتيين » . وكان يبني آثارا سهلة البناء ، فانه أمر بأن يلقي كل جندي من جيشه العرمرم وهو سائر حجرا في مكان معين ، فيجتمع من هذه الحجارة

أكمة عظيمة يخيل أنها هرم • ونقد وجد جيش دارا حتى في هذه
المجاهل بعض آثار النفوذ الاغريقى ، فانه أولئك الرحل الذين كانوا
يعبدون « ذالمكسيس » الذى كان ، كما يقال ، عبدا لفيثاغورث بن
منيزارخس فى سموس ، والذى بعد أن صار حرا وغنيا عاد الى موطنه
بشنتات من المدنية الهلينية اذ نقل اليهم شيئا من عقائد سيده العالم •
غير أن هيرودوت لم يقبل هذه الرواية وردها بأن «المكسيس أوغيليزيس»
كان أقدم من فيثاغورث بكثير ، وأن فيثاغورث أعجب بحكمته العالية (١)
ولكن تلك الرواية المشهورة مهما كانت كاذبة تدل على الأقل على ما لاسم
الفيلسوف من الاحترام منذ تلك الازمان ، فاليه تنسب الثقافة الاخلاقية
والاصلاح الموفق الذى وان لم يتم كان سببا فى التذيب من حال أهل
تراقيا المتوحشين •

على أن دارا لما وصل الى المحل المعين على نهر الدانوب ، وجد
اليونان نفذوا أمره باقامة قنطرة المراكب ، كما أقاموا قنطرة البسفور •
ولما عبر الجنود النهر أراد دارا رفع القنطرة حتى يتبعه الاغريق فى
غزوته ، ولكن قويس رئيس المتألثة كان لحسن الحظ أسد رأيا من الملك
فانه وصل الى اقناعه ببقاء القنطرة لانها طريقه الوحيد عند التقعر •
وعلى ذلك أمر دارا اليونان ان ينتظروه ستين يوما فان لم يعد فى هذه
المدة هدموا القنطرة وسافروا •

حدث ما كان سهلا توقعه ، فان جيش دارا بعد أسفار نحو الشمال
متعبة عديمة الفائدة اضطر الى أن يعود خاسرا تاركا مرضاه وجرحاه ،
وكانت حاله حال ذلك الجيش العظيم سنة ١٨١٢ الذى كان فى تلك
البلاد تقريبا يقاتل أولئك الاعداء أنفسهم الذين خدعوه الخديعة عينها •
ولما انتصر السيتيون على دارا من غير حرب تقدموه الى قنطرة الدانوب ،
وكان دارا سيلاقى ملاقى نابليون فى عبور نهير بين يزيلا لولا أمانة
الاغريق الذين وكل اليهم حراسة القنطرة ، فان السيتيين حرضوهم على
كسرها قائلين : ان معاد الستين يوما قد مضى ، وانهم قد أوفوا بعهدهم •
وقد نصح لهم ملتياد الاتينى الذى كان قائد أهل شرسنيز وهلسبون
وطاغية عليهما والذى صار بعد ذلك فاتح مرطون ، أن يهدموا القنطرة
وينسحبوا الى بلادهم وبذلك يهلك الجيش الفارسى ويسترد اليونان
حريتهم ، وكانت نصيحته ستجد آذانا صاغية ، ويكون لها من الأثر
مالم يكن لاغراء السيتيين ، لولا أن اجتمع رؤساء اليونان وقرروا بناء
على رأى هستيا الملطى ان ينتظروا دارا ويخلصوه • وكان مع هستيا

من رعوس اليونان سطرطيسم الشيويزى وأوسيزن السموسى ولوداماس
الفوكى . وكان أرسطاغوراس الكومى وحده رئيسا للايوليين . ولم يكن
الوفاء بالمعهد هو الذى حمل أولئك الرؤساء على هذا القرار الغريب ، بل
هى المصلحة الشخصية ، فان هسستيا لم يصادف عناء فى اقناع زملائه
الذين مصلحتهم كمصلحته بأنهم اذا فقدوا تأييد الفرس لهم لم يثبت واحد
منهم سيدا على مدينته التى يحكمها ، بل أن الامة متى تخلصت من حكم الاجنبي
تسارع الى حكم الديموقراطية ، وتحرم رؤسائها الحاليين كل سلطان عقابا
لهم على قبولهم المزايا التى خصهم بها الملك الكبير . وقد رجح لدى
الرؤساء هذا الرأى وأمكن لدارا ، وقد اقتفى السيتيون أثره ، أن يفر
منهم بعبور النهر .

ماذا كان عساه أن يقع لو أن اليونان كسروا اتقنطرة وهلك بذلك
دارا وجنوده ؟ تكون داهية دهياء على مملكة الفرس من غير شك ، ولكن
هذه الضربة مهما كانت كانت خطورتها لا تكون هى القاضية ، لان هزائم مرطون
وسلامين وبلاته لم تكن تكفى لهذا الغرض . حقا ربما كانت يونيا
تستطيع أن تتنفس من ضيق الحناق بعض الزمن وتسترد استقلالها ،
ولكن اغارة جديدة أكثر حدة بالضرورة من سابقتها ترجعها الى الخضوع
فلم يكن حان الوقت لسقوط الفرس الذين كانت أمتهم وقتئذ فى قوة
الشباب وطور النمو الاول ، ولكن هذا لا ينفى الاجرام عن أنانية الرؤساء
اليونان فانهم كانوا يستطيعون البقاء على عهد دارا بأسباب أشرف من
الاسباب التى اتخذوها .

لما وصل دارا الى سستوس ركب البحر الى آسيا وخلفه مغبار على
الجنود فى أوروبا ، وليفتح تراقيا ومقدونيا . وبعد قليل دعى مغبار
الى صوص ، وكذلك هسستيا الذى ظهر أن من عدم التبصر تركه وحده فى
تراقيا ، حيث أقطعه دارا اقطاعات واسعة فى مرسينة جزاء له على خدمته

ولقد منيت بلاد اليونان بجهد جديد ومصائب جدد تتخمر فى باطنها
فان هسستيا لما ترك منطقته نزل عن السلطة الى أرسطاغوراس صهره وابن
عمه ، فجاء الى هذا الاخير بعض المنفيين من نكسوس يستنجذونه ،
وأحسن من نفسه قلة الحول فى أن يقوم بمشروع فتح نكسوس وحده ،
فرجع فى الامر الى أرتافرن أخى دارا ومرز بأنه على سرديس وجميع تلك
الجهات التى هى أول مرزبانية فى المملكة ، فطمع أرتافرن فى الاستيلاء
على نكسوس وما يليها من مدن السكلاد وحصل من دارا على الاذن
بتسيير مائتى سفينة تحت تصرف أرسطاغوراس ، ولكن الشقاق قد
دبت عقاربته بين الاحلاف فاستطاعت نكسوس أن تدافع عن نفسها وان

تصد هجمات محاصريها وتردهم بالحربة بعد حصار أربعة أشهر ، وعلى ذلك لم يوفق أرسطاغوراس الى تحقيق شيء مما وعد به مرزبان سرديس فخاف من ذلك على سلطانه الخاص ، وعقد العزم على الا يكون نصف مذنب فغلظ ذنبه ، وأوقد نار ثورة صريحة دفعه اليها أيضا سلفه هستيا الذي كان لا يزال في صوص عند الملك الكبير ، ولكن يجذب قلوب الملطيين اليه نزل عن حكومة الطغيان ، ورتب بدلها حكومة الشعب ، ودعا المدائن اليونانية الاخرى الى العصيان ، فاستجابت لدعائه وطردت جميع الطغاة الذين نصبوا عليها قنصيا .

ان ما آتاه أرسطاغوراس من الاقدام الكبير كان بعد استفسارة اصحابه . فاما هيئات الملطي المؤرخ فكان راية الا يوقدوا نار الحرب في الحال وليس لديهم المال الضروري ، فلما لم يستطع الاقتناع برأيه ألجأ في وجوب توجيه كل قواهم نحو البحر ، بفكرة أنهم فيه أقدر على الهجوم منهم في البر ، ولهذا الغاية نصح بأن يأخذوا جميع أموال كزيروس التي جمعها في معبد ألبرنشيدي ، ولكنهم أصموا آذانهم عن الاستماع لهذا الرأي السديد ، وأصروا على الثورة على أي حال . وكان أرسطاغوراس يشعر تماما بضعف يونيا فذهب الى أسبرطة ليتخذها حليقة له .

ولقد عنى أرسطاغوراس ليزيد كليومين ملك أسبرطة علما بحقيقة مشروعاته بأن يبين له في أثناء المفاوضة مواقع البلاد التي كانت موضع النزاع الحديث وهي ليديا وفريجة وقبادوس وقارس الخ . بينها له مرسومة على صحيفة من النحاس حملها معه ، وكان وقتئذ من أحلك ما يكون رسم خريطة جغرافية . ويظهر أن أنكسيمنديروس هو صاحب هذا الاختراع البديع ، ولكن كليومين لم يفهم الا بسؤال واحد : « ماهي المسافة بين بحر يونيا وبين المحل الذي يقيم فيه الملك ؟ » فأجابه ببساطة : « مسير ثلاثة أشهر » وكان ينبغي لأرسطاغوراس أن يحسب وقع هذا الجواب في نفس رجل أسبرطي ، لأن كليومين بعد أن ستمع هذا الجواب أمر نزيه أن يبرح للقدمونيا قبل غروب الشمس ، ورفض مع الازدراء المال الذي حمله اليه ليحاول اغواءه به . وكان ما قاله أرسطاغوراس عن المسافة حقيقة واقعية ، فان هيرودوت قد عده بالضبط والعناية المائة والإحدى عشرة محطة الواقعة على الطريق الجميل الذي أنشأه دارا من سرديس الى صوص على نهر كواسب أو كراسو البعيد جداً من مدينة بابل نحو الشرق . فكان ١٣٥٠٠ غلوة أو ٤٥٠ برزنجيا والبرزنج هو في المتوسط ٣٠ غلوة أو بعبارة أخرى ٦٠٠ فرسخ ، فكان لابد للقيام بمشروع ضخم كهذا عبقرية استكندر ومائتا عام حرب على مملكة الفرس

الضخمة ، ولم يكن لكليومين من خلقه ولا من زمانه مايجرئه على معاناة امثال هذه المشروعات .

لما فشل ارسطاغوراس فى اسبرطة قصد آتينا لانها صينارت شيئا فشيئا أقوى مما كانت عليه منذ قلبت طغيان اليبزستراتيين ، واخذت ترسل السفراء الى ارتافرن مرزبان سرديس حتى لايصغى الى مزاعم هينياس الذى التجأ اليه . ولما لم ينبجج ارسطاغوراس فى استمالة كليومين ، ونجح فى استمالة سكان آتينا ، وعدتهم ثلاثون ألفا - كما ذكره هيرودوت بعبارة ملؤها التهكم ، اذ ذكرهم - بأن ملطية كانت مستعمرة لاجدادهم - فتقرر أن يرسلوا الى يونيا عشرين سفينة لتصرتها . وكان ذلك - كما زوّاه أيضا هيرودوت ، بداية الحرب التى فيها لبست الجمهورية ظل الفخر بتخليص الاغريق والتى فيها لاقت دولة الفرس هزائم قاتلية كانت طلائع لخرباتها العاجل . وقد حمل ارسطاغوراس البيون أيضا على الثورة ، وهم أولئك الذين اخرجوا من ضفاف استريمون الى فريجة بأفسس دارا ، وهنكبوا منها الى شيوز وسافروا من شيوز الى لسبوس ومنها الى دورينكوس ومنها عادوا الى بلدهم الاصلى .

لما وصلت السفن العشرية الى ايفيزوس وانضم اليها خمسين سفن اخرى من اريتريا لاقوا اخوة ارسطاغوراس يقودون جنود ملطية لان اخاهم اقام بالمدينة يباشر بنفسه حركة التعبئة وقد ترك الجيش البحرى الاسطول فى مياه ايفيزوس وتقدم هو على ساحل « قايسنتر » يجوس خلال طمولوس حتى وصل الى سرديس ، فأخذها من غير حرب تذكر وحرقتها بغاية السهولة ، لان سطوح منازلها مغطاة بالقصب اليابس . ولم يتمكن ارتافرن الا من الاستعصام هو وجنوده بالقلعة . وقد انزعج الفرس والميديون لما رأوا المدينة غنية النار ، ولكنهم استجمعوا شجاعتهم وخرجوا الى المحاربين وثبتوا أمامهم حتى اضطروهم الى التقهقر نحو الشاطئ ، ونهض الفرس المرابطون على الهالوس الى المعركة فلم يجدوا اليونان فى سرديس فاقتفوا آثارهم الى ايفيزوس حيث نالوا منهم نبلا فى واقعة كبرى .

ولقد أخذ اليأس من الاتيينيين كل مأخذ من جراء هذه الهزيمة فانسحبوا على رغم رجاء ارسطاغوراس والحاخا ، ولكنه هو لم ييأس ، بل اعتمد على جنوده الخاصة وعلى مساعدة مدن هلسبون وقاريا وجزيرة قبرص العظيمة واذ ذاك كان اونيزيلوس طاغية سلامين منتقضا على الفرس .

لما علم دارا بما آتاه الاتيينيون من المشاطرة فى احراق سرديس أقسم

أن ينتقم منهم ويجزيهم على هذه الإساءة شر الجزاء ، وأرسل هستيا بديا
ليعيد اليونان الى الطاعة بفضل دسائسه ، ولم تكن مع ذلك أحوال اليونان
بخير . بل ان قبرص سلمت بعد مقاومة شديدة ، وقاريا التي كانت ثائرة
ردت الى الطاعة وكلازومين سقطت في قبضة ارتافرن وأوطانيس ، وكذلك
سلمت كومة أوليد ، فلم يستطع ارسطاغوراس احتمال هذه الخيبة فانزوى
في مرسين بلد حميه هستيا . وكان هيكاط المظي يرى ان الاوفق لهم
الاتجاه الى جزيرة ليروس حيث يمكنهم البقاء حتى يعودوا الى ماطية في
الوقت المناسب . ولما سافر ارسطاغوراس الى تراقيا قتل امام قلعة وهلك
جيشه .

ولم يكن حظ هستيا بأحسن حالا من ذلك فان ارتافرن تظن في
أمره ، وأطلع على دسائسه ففر بعد عناه من سرديس الى جزيرة شيوز
فانتبهذوه بفكرة انه صنعة الفرس ، ولكنه بعد ذلك كسب جاذبيتهم بأن
أظهرهم على ما فعل لاقامة ثورة اليونان فحملوه الى ملطية حيث قابله
أهلها بفتور ، لانهم بعد أن نالوا حريتهم كانوا يخشون ان يعيد اليهم أيام
طغيانه ، ولما نفى من وطنه حصل من أهل لمبيوس على بعض السفن يطوف
بها جهة بيزنطة ينهب أموال الذين لا يريسون أن ينضموا اليه .

أخذت العاصفة التي أثارها ثورة ارسطاغوراس تهيم على رأس يونيا القام
تتقهقر امام هذا الخطر المزعج . انعقد البانيونيون وقررا الحرب ، ولم تكن هناك
فكرة في جرب برية فلم يؤلف

جيش ماوعولت ملطية على أن تتفرد بحماية أسوارها التي يهددها العدو
ولكنهم رتبوا أسطولا عظيما تجتمع سفنه في لادى وهي جزيرة صغيرة
قبالة ملطية ، فاجتمعت اليه السفن من كل ناحية حتى ان الايوليين
ارسلوا سبعين سفينة فكان الملطيون ومعهم ثمانون سفينة في الجناح
الايمن جهة الشرق ، وكان مع البريين اثنتا عشرة سفينة ، ومع
الميونتين ثلاثة ، ومع أهل طية سبع عشرة ، ومع الشيجوزيين مائة
سفينة ، ومع الاريتريين ثمان ، والفوكيين ثلاث فقط كالميونتين ، وكان
مع أهل سموس في آخر الجناح الايسر الى جهة الغرب سبعون سفينة ،
فكان هذا الاسطول الكبير العدد في طاقته أن يقاوم حلفاء الفرس الذين
هم الفينيقيون والقبارصة والصقليون والمصريون ، ولكن تسلس الشقاق
بين اليونان ، وحقد بعضهم على بعض حتى يوم الواقعة فلم يتناصروا
كما ينبغي . وكان السموسيون واللبوسيون أول من فر من حومة
القتال . ويكاد الشيجوزيون ان يكونوا وحدهم هم الذين صلوا سعي
الحرب وقاموا بواجبهم ولكنهم كانوا أضعف من الا يهزموا . وختمت
الحرب بهزيمة تامة . وكان دينيس رئيس الفوكيين بطلا مغوارا ، وكانت

هزيمته بحيث يضمن الظفر لو أطاعوا أمره ، فلما انهزم لم يجد مناصا
من الهرب على شواطئ فينيقيا ، ومن هناك الى صقلية حيث يشن الغارة
على انحرطجيين والطرهينيين .

بعد هزيمة لادى حوصرت ملطية برا وبحرا فأحسنّت الدفاع عن
نفسها ، ولكنها أخذت عنوة بعد حصار مهلك ، قذبت رجالها وسبيت
نساؤها وأطفالها ، وسبق بهم ارقاء بأمر دارا الى مصب نهر دجلة ،
واحتل الفرس المدينة والسهل الذى يحيط بها وأعطاوا بقية ما كان
يتبعها من الارض الى بيدازى قاريا . أما آتينا التى تخالفت عن ملطية
وتركتها ، فانها ألت لمصائبها التى هى نذير بمصائب أدهى وأمر . ولقد
صاغ هذه الواقعة المحزنة الشاعر المأسائى فرينشوس فى رواية تمثيلية
أبكت جميع شهود تمثيلها ، فحكم على الشاعر بتفريمه ألف درهم ومنعت
الرواية منعا باتا .

ثم قصد الفرس جزيرة سموس فلما رأهم أهلها ومعهم اقيس
ابن سيلوزون طأغيتهم القديم الذى كان نفاه أرسطاغوراس تفرسوا
ماسينزل بهم القدر فاستحبوا الرحيل من أوطانهم على آت يحتملوا ظنهم
مرة أخرى ، فهاجروا من جزيرتهم الى قلقة حيث كان يدعوهم الى صقلية
اهل زنكل . وكان السموسيون هم وحدهم اليونان الذين هاجروا
هذه المرة هم والمطيون الذين استطاعوا أن يفروا من المذبحة . ودخل
أقيس سموس تحت حماية الفرس الذين استثنوا معارضة هذه المدينة
وحدها من الاحراق اعتدادا بجميل السموسيين الذين تخاذلوا عن
اخوانهم يوم لادى .

وقد حاول هستيا أن يقاوم من جديده بعد أن انضم اليه بعض
اليونان والايوليين ، ولكنه قبض عليه قرب أطرنة فى ميزيا وسبق الى
ارتافرن فى سرديس فقتله صلبا واسل رأسه مصبرة بالملح الى دارا فى
صوم .

ولما قضى الاسطول الفارسى فصل الشتاء فى ملطية فتح جميع الجزر
شيوخ ولسبوس وتندوس . . . الخ فى حين أن الجيش البرى يستكمل
فتح جميع المدائن الاغريقية .

ولما كان لا انتصار الفرس نتائج فظيعة ، كما أندر الفرس بذلك
قبله بست سنين حين بدأت ثورة أرسطاغوراس ، فانهم كانوا يذبحون
الرجال ويخسون أجمل الفتيان ويرسلون أجمل الفتيات الى صوم ،

لويخرقوؤ المداين وما فيها من المعابد لينتقموا لحرق معبد سيبييل الهسة
 سرديس . وفي اثناء ذلك كان ارتافرون عامل اخيه دارا يدخل في اصلاح
 الشقاق بين اليونانيين ، وكان يضرب عليهم الجزية التي بقي مقدارها
 ثابتا لم يتغير الى زمن هيرودوت اى بعد ستين سنة ، ثم اخذ مردنيوس
 صهر دارا قيادة جيش جرار في البر والبحر وسار به في يونيسا يقيم
 حكومة شعبية متجها الى اوروبا ليعاقب آتينا واريتريا على مساعدتهما
 في عصيان مستعمرات اسيا الصغرى . فاما اريتريا فقد اسلمها بعض
 الخونة فقهرها داتيس ، وحرقت معابدها وصعد رجالها في الاغلال يساق
 بهم ارقاء الى صوص . واما آتينا التي حددها الخطر بعد اريتريا بأيام
 فانها اقتحمت الحرب وحدها هي والبلاتيون اقتحام الابطال ، وصدت
 الغازين في مرطون . وعلى ذكر مرطون امسك عن القول لاني لا اقصد
 روايه عجائب الشجاعة والوطنية . وماذا انا قائل في الوطنية ! آتينا
 التي سيكون من امرها ان تنير العالم يذكائها قد خلصته وقتلتها بعزيمتها
 التي لا تنزعزع ، فاذا كان قدر للفرس ان ينتصروا ماكان عسى ان تصير
 اليه المدنية الغربية ؟ وماذا يكون مصير اوروبا ؟ الله وحده يعلم ذلك
 ولكن آتينا تستحق اعترافا ابديا بجهيلها . وقد صيرت مرطون بلوغ
 الطرموفيل وارتميزيوم وسلامين وبلاته وميكال تجاه سوس من
 الممكنات . وكان اول شرط لقهر المتوحشين هو عدم الخوف منهم ، ذلك
 هو السنة الحسنة التي استنتها يونيا والتي اخذت بها آتينا في هذا الغرف
 امام خطر مزعج . لقد افتدتنا مدينه مينرفا (آتينا) من الاستعباد
 الاسمي منذ اثنين وعشرين قرنا . نحن الذين نعرف اليوم اسيا
 بعلاقة اننا نمدنها نستطيع ان نرى اكثر من اغريق ملنياد وطمستوكل
 من اية هاوية انتشلونة . ونستطيع ان نحلف كما فعل ديمستين باسماء
 الابطال شهداء مرطون .

في كتاب هيرودوت ينبغي ان تقرأ هذه الحكاية الخطيرة على بساطة
 في سردها كتبها بعد الواقعة بأقل من ثلاثين سنة ، وانه ليخاطب في
 اولمبيا رجالا اخذوا بخط من ذلك الانتصار ومن الحوادث التي كان يمكن
 ان يكون هو لها شاهد عيان . فلا أريد ان أكرر ما حدث به ذلك المؤرخ
 الشريف من سيرة المجء ، ولكن لي بعض كلمات على يونيا لاتهمى بالحوادث
 الى العهد الذي كان فيه ميليسوس آخر من علم من فلاسفتنا في سموس
 مذاهب مدرسة ايلي .

لما قهر اليونان اضطروا الى ان يخدموا سادتهم ويتبعوهم في
 حروبهم ضد اغريقا ، ففي سلامين كان من سموس اثنان من قواد

الاسطول الفارسي ، طيومستور بن اندروداماس وفيلاقس بن هستينا
وقد ابلينا بلاد حسنا ضد سفن لقدمونيا حين كان الفينيقيون يحاربون
سفن آتينا ، ولكنه مهما كان لاغريق آسيا الصغرى من العمل في تأليف
جزء عظيم من اسطول دارا واكراركسيس ، فانهم لم يكونوا الليتربصوا
الفرصة المناسبة للعصيان . بعد هزيمة سلامين جاء اسطول الفرس
يقضى الشتاء في كومة وفي سموس بعد ان وصلت الملك المغلوب ومعيته .
فلما جاءت السنة التالية حضر الاسطول الاغريقي تحت قيادة ليوتيكيدس
ملك اسبرطة يبحث عن اسطول الفرس في مياه آسيا الصغرى اظهرت
له جميع مدائن الشاطئ والجزر استعدادها لمظاهرة والعصيان على
الفرس ، وعلى الاخص جزيرة سموس ، فانها كانت تلهب شوقا الى
خلع طيومستور الذي رماهم به المتوحشون طاغية عليهم . فارسلت
لهذا الغرض رسلا الى ليوتيكيدس سواء في اسبرطة اوديلوس ،
ليؤكدوا له استعدادها . وربما كانت هذه المخابرات هي التي قوت
رئيس الاغريق على الحضور لمهاجمة الفرس في موضعهم ، ولكن المتوحشين
منذ الدرس القاسي الذي تلقوه في سلامين لم يكونوا ليخرجوا على اقتحام
حرب بحرية . وقد اذنوا للاسطول الفينيقي ان ينسحب ، ولم يكن يبقى
معهم الا يونان واغريق من الشاطئ ، فغيروا مركزهم من سموس الى ميكال
حيث جروا سفنهم الى البر واحاطوها بسور يصح ان يكون خط دفاع والى
جانبا جيش مؤلف من ستين ألف مقاتل تحت قيادة تيجران الذي عهد
اليه اكراركسيس في المحافظة على يونيا . وكان الفرس يظنون انهم من
موضعهم هذا في حصن حصين . ولزيادة الحيلة قد نزعوا السلاح من اهل
سموس الذين كانوا يتهمونهم بأن لهم ضلعا مع ليوتيكيدس والذين كان
منهم ان افتدوا بملهم اسرى آتينا وردوهم الى وطنهم ، وفوق ذلك فقد
كلف الفرس الملقين بحماية الطرق المؤدية الى قمم ميكال ، وعلى ذلك لم
يكن لديهم ادنى ريب في ان يصعدوا من حصنهم كل هجمة عليهم من العدو ،
ولكنهم مع ذلك قد اهلكهم الاتينيون والقورثيون بفضل شجاعتهم
وبانتفاض اهل سموس واهل ملطية ، فدمر جيشهم تدميرا ، وقتل قذرا
تيجران وحرق اسطولهم ورجع الاغريق ظافرين من هذه الموقعة مشدين
بالغنائم .

كانت يونيا قد تخلصت من حكم الاجنبي بعد واقعة ميكال ، ولكن
هل تستطيع ان تقوم قائمتها بنفسها وتدفع عنها حمق المتوحشين متى
تركت الى قواها وحدها ؟ . كان من المشكوك فيه ان لها طاقة على المقاومة ،
فاجتمع القواد في سموس وتداولوا فيما اذا كان الواجب على اليونان ان

يهجروا نهائيا سواحل آسيا الصغرى ويلتجئوا الى قسم من اغريقا يصن لهم ، فعارض الاتيينيون جد المعارضة في هذا القرار مع انه كان من اليسور تعويض اليونانيين على حساب الخونة الذين كانوا قد تخاذلوا عن الدفاع في القضية العامة عند الفارة الميضية . وأما البلوبونزيون فانهم انضموا الى هذا الرأي من غير مشقة ، ووقف الامر عند عقد معاهدة محالفة مع السموسيين والشيزيين واللبوسيين وجميع الذين شاطروا في الظفر . وقد كان الجيش الفارسي قد التجأ الى سرديس حيث كان اكراركميسس باقيا منذ رجوعه المخجل ثم تركها توا الى صوص ليستر عاره . ويكظم غيظه . ولما أصبح الاسطول الاغريقي سيذا على بحر ايجيه كانه لايهاب فيه عدوا رجع الى جهة بينوبونيزساذرا على امتداد كل الشواطئ حاملا من ابيدوس بعض بقايا قنطرة اكراركميسس المشهورة لجنحها في المعابد تذكارا لذلك الانتصار .

لما أمنت يونيا شر غارات الفرس اخذت تعمر ما تخرب ووضعت نفسها تحت حماية آتينا التي تربطها بها تذكارات الماضي ومنافع الحال وضعا تاما بقدر الامكان ، وبهذه المثابة تحزبت يونيا مع آتينا ضد اسبرطة التي كان ملكها ليوتيخيدس وبوزانياس موضعا للتظنن فيمما يتعلق بعلاقتهم مع المتوحشين . لقد كانت آتينا قوية جدا في البحر بحيث تستطيع ان تقدم ليونيا مساعدة عاجلة مفيدة في حين ان اسبرطة لا تستطيع ان تقدم هذه المساعدة ولو ارادتها . من اجل ذلك اخذ اليونان بحظ عظيم في اتحاد ديلوس وشاطروا بمقدار وافر في النفقات العامة التي أنفقها الحلفاء لمتحصن من هجوم المتوحشين كرة أخرى ، وكان ذلك على أثر حوادث بلاتة وميكال اى في نشوة الاستقلال اشتريدبحبوحة الثقة المتبادلة (نحو سنة ٤٧٧ قبل الميلاد) .

ولكن آتينا كان من شأنها أن جاوزت في استعمال السلطان الذي أوثنته عفوا فجرت على نفسها الغيرة والاحقاد التي سببت بعد ذلك حرب بيلوبونيز في وقت كان عدوهم المشترك لا يزال فيه بقية . واخذ سلطان آتينا ، كما نبه اليه ارسطو ، يشغل على نفوس حلفائها الذين هم مساوون لها لا رعاياها ، وبخاصة أهل نكسوس وطاشوز الذين عوملوا معاملة قاتنتية طالمة (٤٦٧-٤٦٥) ولم يكونوا ليستسلموا الى غطرسة الاتيينيين في أوامرهم . غير أن الاسطول الاتيني وهو مؤلف من مائتي شراع كان يبحر دائما على شواطئ آسيا عزيز الجانب مهيبا من الاسطول الفينيقي الفارسي الذي هرب أمامه حتى بلغ مياه النيل . كانت تلك خدمة حيوية

ليونيا . من أجل ذلك كانت يونيا من جانبها تتسامح في كثير من الامتهان الذي كانت تجنيه عليها حليفاتها القوية في مقابل هذه الحماية المستمرة التي تنالها . والظاهر أن اعترافها بجميلها كان إلى انفاية القصوى حين رأت أن استقلالها مضمون بمعاهدة استكرهت آتينا على عقدها الملك الكبير بعد عدة انتصارات داوت الهزيمة التي وقعت في مصر (٤٥٥ قبل الميلاد) وهذه المعاهدة التي يرجع الفضل في نصوصها إلى دهاء سيمون وأعماله في قبرص ، كانت تنص على أن فارس تترك شواطئ آسيا الصغرى التي يقطنها الاغريق حرة تمام الحرية فلا تضع عليهم جزية ولا تدنو بجندوها إلى خط على مسافة معلومة من الشاطئ ، وفي مقابل ذلك يتعهد الآتينيون وحلفائهم الا يغزوا بعد الآن قبرص ولا صقلية ولا فينيقيا ولا مصر . وقد أرسل الاغريق سفراء إلى صموص حيث صدق على المعاهدة وكن قلياس هو الممثل لآتينا (نحو ٤٤٩ قبل الميلاد) (١) .

صارت جمهورية آتينا وقتئذ في أوج قوتها ، فانها كانت على رأس اتحاد بحري تكاد تتصرف فيه على هواها ، مؤيدة بطائفة من الاحلاف في القارة ، سيدة على مستعمرات عديدة على جميع سواحل بحر ايجه وعلى الهلسبون وبحار الاغريق ، يضطلع بأعبائها رجل مثل بيريكليس . فهي لذلك كانت تتطلع إلى بسط سلطانها المطلق على جميع الجنس الاغريقي . وهذا الطمع هو الذي أعماها وذهب بها . من بين حلفائها كانت سموس وهي أشدهم بطشا وكانت تحتفظ هذه الجزيرة الكبيرة تلقاء آتينا بنوع من المساواة في المعاملة قد لا يأتلف وما تضمنه الجمهورية من مشروعات بسط سلطانها ، فحدث شجار قليل الخطورة بين سموس وبين ملطية بشأن أرض برين الصغيرة جر إلى المداخلة الآتينية فان الجمهورية قد دعت الفريقين إلى التقاضي أمامها . وكانت سموس تخشى تحيز بيريكليس للملطية التي هي وطن أسباسيا فرفضت قبول هذا التحكيم المريب فأرسلت آتينا لفورها أربعين سفينة لازغام سموس على الطاعة ، فقبلت حكومتهم من الأولين جارشية إلى الديموقراطية ، وأخذ خمسون من اعيان الاهالي وعدد مثله من أبناء العائلة الرفيعة رهائن وضعوا في جزيرة لمنوس . وبقيّة حامية في سموس لتحقيق نظام الحكومة الجديدة (نحو ٤٣٩ قبل الميلاد) .

كان هذا التصرف من جانب آتينا فظيلا فقبول بمثله لان منفي

(١) الخ ج جروت الحاحا شديدا في بيان الاصمية الكبرى لهذه المعاهدة . (تاريخ الاغريق

(ج ٥ ص ٤٥١ وما بعده) .

لنموس ذهبوا الى بيسوتنيس مرزبان سرديس يستنجدونه فأمدهم ببعض مقاتلين فقصدها سموس وعدتهم سبعمائة رجل ، وانقضوا على حرس الجزيرة الاتيني . بيانا واسلموهم الى بيسوتنيس . وفي الوقت عينه كرة رابحة مثل الاولى على جزيرة لنوس ردت اليهم رهائنهم ، وفوق ذلك تحالفوا مع بيزنطة التي تكاد تكون مثلهم في التبرم بحكومة آتينا ، وكان ذلك مفيدا لهم . كل هذا انما هو خطر جدى يهدد الجمهورية ، فلو احتملت عصيان سموس نذهب ذلك برئاستها وبسلطانها الذي كانت تؤيده هدة الثلاثين عاما التي عكفت قبل ذلك ببعض سنين مع اسبرطة عدوها الوحيد المريب ، لذلك عقدت آتينا العزيمة على التكنيل بسموس تكنيلا يمنع سواها من أن يهزم بتقليدها . ستون سفينة أرسلت سراعا الى الثائرين انفصل منها ست عشرة اما لمراقبة الاسطول الفينيقي على شطوط آسيا ، لان بيسوتنيس لا يفوته أن يضعه تحت تصرف الثائرين ، واما ليأتي بالمدد من جزيرتي شيوز ولسبوس اللتين بقيتا تحت الطاعة ، ولكن من الجائز عليهما أن تلقيا ظهر المجن . وبقي الأربع والاربعون سفينة امام سموس تحت قيادة بيريكليس احد القواد العشرة السنويين الذين من بينهم سوفكل الشاعر الذي نشر « انثيجون » السنة الماضية . ومع أن السموسيين كانوا يتوقعون هذا الهجوم ، فانهم كانوا ذهبوا لمحاصرة ملطية ، وكانوا عائدين اذ التقوا مع بيريكليس بالقرب من جزيرة تراجيا ، ومع أنه كان لديهم سبعون سفينة من بينها عشرون تحمل رجال حرب فان بيريكليس لم يتأخر عن منازلتهم وانتصر عليهم ، وعوضت خسارة سفنه بالمدد الذي جاءه وقدره اربعون سفينة جاءت من آتينا وخمس وعشرون من لسبوس وشيوز اللتين قدمتاها باخلاص .

وقد تلت الواقعة البحرية واقعة برية ، اذ نزل الاتينيون الى الارض ، وانتصروا على الثائرين وأسرعوا في اقامة أسوار عالية تحصر المدينة من ثلاث جهات في حين انها مضيق عليها من جهة البحر أيضا تضيق . وفي هذا المركز الحرج تشنى للسموسيين أن يرسلوا خمس سفن تحت أمرة استيزاغوراس يستعجل الاسطول الفينيقي الذي كانوا أحوج ما يكونون اليه . وليتدارك بيريكليس خطر تجمع هذا الاسطول اسرع بستين سفينة مما معه امام سموس متجهسا الى قونوس في قاريا . حيث كانت هي موطن الاجتماع كما كان يقال . فلما بعد بيريكليس خرج السموسيون مستقبلين ، ولم يكن خط دفاع الاتينيين قد تم بعد فانهمزوا وخربت بعض سفنهم ودارت عليهم الدائرة في البر والبحر ، ولكن نجاح البيموسيين لم يكن ليلبث مدة فان بيريكليس لما رجع بعد غيبة أربعة عشر يوما غير مجرى الحال ، ولكن في تلك المدة كانت المدينة قد

استطاعت أن تدخر الزاد وفيرا واستعدت لمقاومة حصار جديد • عاد الحصار كما كان وقوى الحصار البحرى بستين سفينة جاءت من آتينيا وثلاثين من لسبوس وشيوز فكادت تكون عدة مجموع السفن مائتى شراع تحيط بسيموس •

فى هذه الحادثة نال ميليسنوس القذح المعلى فى الوطنية وتشتد الطالع ، اذ كان على رأس الاستطول والجيش فانتهر غيبة بيريكليس وحرك حمية مواطنيه بغاية الاقدام وكسب الظفر الذى تكلمنا عنه آنفا • ويظهر على قول بلوتارخس فى ترجمة بيريكليس مستندا الى أرسطو : أن ميليسنوس هزم بيريكليس نفسه فى واقعة بحرية أولى ، غير أن طوكوديدس السنى شهد هذه الوقائع لم يقل شيئا من ذلك فتكون هذه الرواية مجالا للشك ومع ذلك فإن النجاح الاول لميليسوس لم يكن من شأنه ان يخلص وطنه ، فان بيريكليس لما جاءه نبأ هزيمة جيشه عجل الى سموس فخرج ميليسوس للقاءه ، ولكنه انهزم فى حرب برية ، ويمكن أن يكون هزم أيضا فى واقعة بحرية • وقد استمر الحصار على أضيق مما كان • وبقيت سموس وفيها ميليسوس تقاوم تسعة أشهر ، لان بيريكليس كان أحب اليه أن يأخذها بالاناء حتى مع انفاق المال والزمان من أن يسفك الدماء الاتينية • فلما جاء السموسيون على آخر زادهم سلموا ودك بيريكليس اسوارهم وأخذ سفنهم واضطروهم الى دفع نفقات الحرب التى قدرت كما قيل بألف طالنتن ، أى خمسة ملايين من الفرنكات فى زمننا ، فدفعت سموس على الفور جزءا من هذا المبلغ الطائل وقتئذ ، وتعهدت بدفع الباقي مؤمنا عليه برهائن قديمها • ويقال ان بيريكليس أيدى فى هذا الظرف ما تقشعر له الابدان من الفظاعة فى معاملة بعض الاسرى الذين ماتوا تحت العصا بعد تعذيب عشرة أيام ، ولكن الذى روى هذه الفظائع مؤرخ متأخير من سموس وهو دوريس فى عهد بطليموس فيلادلفوس • ولا شك فى أن روايته تشفى عن الحقد الوطنى ، فان بلوتارخس زيف هذه الرواية التى لم يجد لها أصلا فى طوكوديدس ولا فى أرسطو ولا فى ايفوريس وهم الذين استرشد بمؤلفاتهم فى ترجمة بيريكليس •

يظهر ان آتينيا كانت تعلق أكبر أهمية بقمع ثورة سموس ، لان مثلها من شأنه أن يحتذى • فإذا قلد سموس غيرها تداعت مشاريط الجمهورية الاتينية رأسا على عقب • من أجل ذلك قبل هذا الظاهر فى آتينيا عند عودته إليها بأجل مظاهر الترحم ، وأقيمت حفلات المآتم الفاخرة لشهداء هذه التجربة ووكلت المحكمة المقدسة أمر تأيينهم الى بيريكليس • ليس لدينا نص هذا التأين ، ولكننا يمكن أن نأخذ عنه فكرة من التأين الذى نقله لنا طوكوديدس من حيث المعانى على الأقل •

ذلك التأني الذي أقيم لشهداء حرب البيلوبونيز ، فإن بين الحربين علاقة مشابهة . لأن كليهما فتنة داخلية تمرق وحدة الأغريق . ولقد قوبل مدح شهداء حرب سموس بغاية الحفاوة ، فإن بيريكليس لما نزل عن منصبه الخطابة قامت اليه النساء جميعهن متأثرات بالاعتراف بفضلله يعانقنه ويتوجنه بالأزهار والمصائب ، كما كان يصنع بالمضارع المنتصر في حفلة الألعاب العمومية ، إلا امرأة واحدة لم تشرك الجماعة في ذلك الإعجاب المجمع عليه ، تلك هي ايلينس أخت سيمون السدي كان زما طويلا منافس بيريكليس وقبيل عليه تقول له : « حق انها أعمال مجسد حقيقة بهذه الأكاليل ! ولقد أضعنا رجالنا لا في حرب الفينيقيين أو الميديين ، كما فعل أخى سيمون ، ولكن في تخريب مدينة محالفة تدل بأصلها إلينا وجعل عاليها سافلها » .

لم يكن هذا الانتقاد المصادق الحقيقة ، ولكن الظافرين قد كانوا سكارى بخمرة الظفر . ولم يكن حظ سموس الا نذيرا بما غيبه القدر لكثير من المدائن الاغريقية الأخرى في الحرب الكبرى التي كان يتوقعها بيريكليس . والظاهر انه هو أيضا كان متأثرا بنجاحه الى حد لا ياتلف مع اعتدال أخلاقه المعروف . فاذا صدقنا فيه انشاعر يون الشيزي لحسينا بيريكليس يفخر بأنه فاق إغامبون الشهير الذي قضى عشر سنين في فتح مدينة أجنبية ، مع انه لم يقض الا تسعة أشهر للاستيلاء على أكثر المدائن اليونانية مالا وعزها نفرا ، ولكن كلمة بيريكليس هذه إنما نقلها صديق لسيمون خصمه فهي بذلك بعيدة الاحتمال ، لأن كلمة كهذه تخرج من فم رجل سياسة لا تعد الا غشيا ، انها فخر شخصي سوء الذوق لمعاجزة في غير موضعها موجهة للحلفاء ، ولكن مهما كان انتقاص هذا الشاعر له حقا أو باطلا ، فإنه كاف في الدلالة على ما علقته آتينا من الاهمية على هذه الحرب قصيرة العمر غزيرة الدماء . وعلى رأى طوكوديدس السدي هو مؤرخ شاهد عيان أن السموسيين لو كانوا انتصروا في هذه الحرب لآخذوا من آتينا سيادة البحر ، فكانت هذه الحرب على ما هي محل اللابغ حرب موت وحياة بالنسبة للجمهوريتين . فلما خضعت سموس رغيم مقاومة ميليسوس العنيفة لم يبق لآتينا شيء تخشاه الا شر نفسها ، وذلك نوع من الخطر تلهو عن الشهور به المدائن كما تلهو عنه كبرياء الافراد .

لا أريد أن أباوز بهذه الاعتبارات التاريخية الى ابعد من ذلك بل يظهر لي انها على ايجازها كافية لان تكشف بوضوح عن حالة الوسط الحقيقي الذي نشأت فيه الفلسفة والذي عاش فيه الاعيان الذين تشغل بأمرهم وعملوا أعمالهم . واني ملخص أبرز رسوم هذه اللوحة التي رسمتها لانعاش حياة تلك الازمان أو بعض اجزائها على الأقل .

أجل ظهرت الفلسفة لأول مرة في أسييا الصغرى قبل الميلاد بسنة
أو سبعة قرون ، انهما المستعمرات الاغريقية التي خرجت من يونيا
بيلوبونيز ، وهى التي أشعلت هذا المصباح فى إقطاع نصف متوحشة
ونقلته الى آتينا حيث كان الاستعداد للانتفاع به تاما ، فان انكساغوراس
الكلازومينى عاش مع سقراط ، وسقراط هو أب افلاطون ، ويمكن ان
يقال انه أب لارسطو أيضا ، ولكن قبل أرسطو وقبل افلاطون وقبل
سقراط كانت بذور الفلسفة مبدورة على أرض أخرى ، وكان من اللازم
ان تنقل الى أطيافا حيث تؤتى ثمراتها . نعم ان الفلسفة كانت مسبقة
هناك كما هو شأنها فى كل ناحية بالشعر ، فان هوميروس أنشد من قبل
ان يفكر فيثاغورث بأربعمائة أو خمسمائة عام ، ولكن العلم يجمع
صوره : الفلك والرياضيات والطبيعة والتاريخ والطب ، كل ذلك تبع
الفلسفة وناصرها ، لان الفلسفة هى التي نفخت روح الحياة فى كل هذه
الفروع واكتسبت بها قوى جديدة .

فى وسط المنازعات المدنية والحروب الاجنبية والتجارة والصناعة
والملاحة الى الجهات السحيقة والوقائع والاطار المتنوعة ، فى وسط
حروب الابطال التي كان يذكى نازها مئة قليلة من الرجال الاذكاء الاحرار
على دولة فخمة ، فى وسط كل ذلك يجب ان يوضع مهد الفلسفة الخاشع
المجيد . لم يكن هاجر فيثاغورث واكسينوفان الى شواطئ ايطاليا والى
اغريقيا الكبرى الا سخطا على الطفيان او الاضطهاد . وما لقحت ايطاليا
الا بهذين الاستاذين اللذين جاءها من الشاطئ الآخر للبحر ، ولكنها
لم تثمر لان النبات الغريب لم يجد فيها الاغذية الضرورية لنضجه . فكان
ان ترجع الفلسفة الى منزلها الاول الذى منه درج أوائل المهاجرين لتكسب
فيه صورتها الحقيقية وتكتسى ثوب جمالها وتستوفى قسطها من العظمة
وحقها من الاستقلال الذى كللها به استشهاد اهلها . غير ان هذه
الفلسفة ذاتها مهما دعا الظاهر الى انها ابتدعت فى اغريقيا أفلا يكون من
المحتمل ان تكون اقتبست الشرارة من قبس الاختلاط مع جيران اغريقيا ؟
فان طاليس قدعاش مع اللبيين ، وأصل أجداده من فينيقيا . وفيثاغورث
الذى يمكن ان يكون هو أيضا من أصل فينيقى زار حقيقة سوريا ومصر
وكلدة ماذا تعلم هناك ؟ وماذا جلب منها ؟ أو بعبارة أخرى بماذا تدين
الفلسفة الاغريقية جدة فلسفتنا وأم غربنا للعلم الشرقى ؟ هل من عليه
يحل هاتين المسألتين ؟ هل العقل اليونانى بل العقل الغربى اقترض
شيئا ما من العقل الشرقى العتيق ؟ هذه أيضا مسألة مظلمة على ما لدينا
من النور الحديث ، وسأحاول الجواب عليها بعد ، غير انى بادى ذى بدء

أبغى تكملة لما سبق أن أثير مسألة أقل بسطا ولو أن لها أهميتها وفائدتها فإنها مع قلة تسديدها جوهرية .

نحن نعرف فلاسفتنا ونعرف بعض الحوادث الرئيسية في حياتهم . نعرف بعض مؤلفاتهم أن لم تكن لدينا كلها . وإذا كان هوميروس هو وحده الذى وصل إلينا كاملا تقريبا بفضل أفلاطون فقد كان يمكن أن يصل إلينا الآخرون إذا لم تكن المصادفة أعصمت تأليفهم التى هى مستودعات أفكارهم . إذا فقد كتب الإقدمون ومن ذا الذى يجعل ذلك موضعا للشك ! هذه النظرية التى أقر بها هنا ليست قاصرة على ما يتعلق بطاليس وفيثاغورث واكسينوفان ومعاصريهم ولكنها تنسحب أيضا على من قبلهم وعلى من بعدهم إلى مسافات طويلة ، كيف خرجت من أيدي مؤلفيها تلك المؤلفات التى هى الآن تحت أيدينا كاملة أو آثارا ناقصة ومخرومة . وعلى أى مادة كتبت بادی الامر وماذا كانت وسائل الكتابة في عهد اكسينوفان بل في عهد ليكوريغوس أو هوميروس ولاجل أن يكون بحثنا في حدود وضعية ضيقة نتساءل كيف كانوا يكتبون في المستعمرات الاغريقية بآسيا الصغرى فى حاجات تجارتهم النشطة ومقتضيات سياستهم المعقدة إلحازمة وشعرهم الحاد وعلمهم العجيب وبالجملة فى سائر حاجات عيشة اجتماعية راقية مليئة بالاعمال .

أظن أننا الآن بحيث نجيب على هذه المسألة بطريقة قاطعة واضحة تمام الوضوح . ولكن قبل أن نقول كلمتنا فى هذا الغز نرى من الحسن تقديم حوادث مسلم بها لنبين أن استعمال الكتابة قبل الميلاد المسيحي بسبعة قرون فى آسيا الصغرى بل فى فارس نصف المتوحشة كان من الانتشار والسهولة على ما هو عليه عندنا الآن . كانت موادها أشياء أخرى ولكنها تكاد تساوى المواد التى نستعملها اليوم الا أعجوبة المطبعة . لم يكن للناس فى تلك الأزمان البعيدة ورق كالأوراق التى عندنا ، ولكنهم كان لديهم ما يساويه وما يؤدى لهم المطلوب من الورق .

أفتح بالمصادفة هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفان وأفلاطون وأرسطو وأخذ الأشياء كما رواها بل كما رواها وكما استعملوها

أضمر هربفوس وهو فى معية اصطياف ملك الميديين ان ينتقم من سيده القاسى انتقاما وينتصف لنفسه ، وأراد أن يتفق مع قيروش الذى على حداثة سنه كان له بين الفرس من النفوذ ما سيخرج منه مملكة فسيحة الأرجاء . لما لم يسع هربفوس أن يتصل مباشرة بالامير الشاب الذى يحمل هو أيضا ما يدعو للانتقام ، أرسل خادما أمينا يحمل اليه بعض الصيد ، وجعل فى بطن أرنب كتابا أخفاه فيه يحرض به قيروش

على الثورة ، ويؤكد له مساعده اياه . ماذا فعل قيروش ؟ لما فتح بطن
الارنب بيده ، كما اوصى المهدي خادمه به ، وقرا الكتاب بعزل ، وضع
كتابا مزورا يفيد ان اصطياف قد عينه رئيسا على القرس التابعين وقتئذ
للميديين . وقرىء ذلك الكتاب المزور على أعضاء عائلة الاشيمينيين
فصدوه ، وبهذه المثابة قادهم قيروش على غير علم منهم وحارب بهم
اصطياف-وخلعه (١) . ولم يكن هربغوس وقيروش مع ذلك الا متوحشين ،
ولكن ها نحن اولاء بهدد أناس متعلمين في آسيا الصغرى وفي مصر .
وهذا بوليقراطس طاغية سموس . وهسو على سرير ملكه متمتعا

بالرفاهية الى غايتها والناس الذين يعجبون به أو يخافون بطشه يكبرون
مته حذقه وسعاده . وكان له بامازيس الحكيم ملك مصر رابطة اتفاق
بل صنة صداقة فخاف اماريس على صاحبه ذلك الموفق المويب مما اجتمع
له من التوفيق المستمر أن يتغير له الدهر ، وهو يعلم انه لا ثبات للحظوظ
الانسانية فنصح له أن يحتر الغير في قلب القدر ، كتب له بذلك خطاب
عطف ونبوة اوصاه فيه أن يضرب على نفسه قربانا يتقى به سخط الحظ
الخادع الخائن ان استطاع . فاجابه بوليقراطس الذي يخشى على نفسه
ما يخشاه صاحبه بخطاب أرسله اليه في مصر ، ذكر له فيه الوسيلة التي
اتخذها ليصيب نفسه بمخض اختياره بمصيبة موجهة . والمصادفة الحارقة
للعادة هي التي صيرت قربانه عبثا . فكان اماريس وبوليقراطس يتبادلان
الرسائل بين سموس ومنفيس على نحو السهولة التي يتخاطب بها التجار
في وقتنا الحاضر بين ازمير والاسكندرية (٢) . لست ادعى أن الخطاب
الذي نسبه هيرودوت الى اماريس صورة رسمية من خطابه الاصل لا يتطرق
اليها الشك ولكنه لا محل لادنى شك في أن الملكين كانا يتبادلان الرسائل
الكتابية .

كذلك كان بوليقراطس نفسه قد جمع مكتبة كثيرة الكتب كما
ذكرنا آنفا ، وقد كانت في العالم الاغريقي احدى الباكورات التي استمتع
بها بوليقراطس وانفق في جمعها مالا طائلا . ويقولون نحو ذلك بالنسبة
الى بيزسراطس المتقدم بالزمان على بوليقراطس . يقولون انه أنشأ مكتبة
في آتينا وجعلها مكتبة عمومية ليلطف من حال الشعب بهذه المزية وبغيرها ،
ولكن ناقل هذا الخبر الينا هم من المتأخرين ، لان أحدهما أطيني والآخر
أولوجل ، غير اني لا أجد اسبابا تحمل على الشك في روايتهم . فلما
بوليقراطس فان مصر كانت له قدوة ما كان أسهل عليه تقليدها كما
سنبينه بعد ، وكان في استطاعته أن يجمع آثار المؤلفين الذين يعجبون

(١) هيرودوت ك ٦ ب ١٢٣ وما بعده

(٢) هيرودوت ك ٢ ب ٤٠ وما بعده .

سكان الشواطىء الذين يطربون للشعر ويتذوقون طعوم العلم منذ عهد هوميروس . وأما بيزيسطراط فمن المؤكد انه اذا لم يكن فتح مكتبة للجمهور فهو على الاقل قد اقتنى الكتب واشتغل بنفسه فيها لفرض سياسى محض . وروى بلوتارخس فى كتابه «حياة طيسى» أن بيزيسطراط سلب من «هيزيود» بيت شعر كان يمكن أن يجرح صلف الاتيين ، وانه زاد على قصيدة هوميروس بيتا من شأنه أن يسرهم ، فذلك الحذف وهذه الاضافة كيف يمكن اثباتهما الا أن يكون لديه نسخ من تلك القصائد يمكن فيها التغيير والتبديل .

نرجع الى استعمال الرسائل فى العهد الذى نحن بصدده .

ان أوريطيس مرزبان سرديس الذى عامل بوليقراطس بتلك القسوة الفظيعة استوجب بسلوكه الوحشى سخط كل من حوله ، فان أحد زملائه عاب عليه أحوالته التى نصبها لطاغية سموس ، فقتله هو وابنه . وكان دارا الذى ارتقى عرش الملك حديثا ساخطا على أوريطيس الذى فوق ما قارف من الإثم تلكا فى حرب المجوس والفرس بعد موت قمبيز ، وكان ذلك أكثر مما يلزم للملك الجديد من الأسباب التى تحمله على التخلص من مرزبان قوى يسوس فريجة وليديا ويونيا جميعا ويقبض جيشا عرمرما . ولان يقبض عليه جهرا بانقوة فيه ما فيه من عدم التيسر خضوعا فى ابتداء حكم جديد . ومع ذلك فان أوريطيس دس على سفراء دارا الذين جاؤا يدعونه الى مقابلة الملك من قتلهم سرا ، فصار بجملته ما فعل مستحقا للعقوبة ، ولكن كان يلزم مداراته بعض الشيء وتجنب ثورة أصبح حدوثها قريب الوقوع ، فدعا دارا أكابر الفرس وطلب اليهم أن يخلصوه من ذلك العاصي اما بقتله واما بالقبض عليه وإحضاره ، وفى كلتا الحالتين لا ينبغي اتباع غير طريق الحيلة ، فتقدم اليه منهم ثلاثون دفعة واحدة كلهم يعرض قيامه بهذا العمل وحده ، فلم يشأ دارا أن يختار من هذه العروض الصادرة عن الاخلاص واقتنع بين أصحابه فصادفت القرعة باجى بن ارطوطيس .

ماذا فعل باجى ؟ كتب كثيرا من الاوامر تتعلق بمسائل شتى ، وختم كل واحد منها بختم دارا ، فلما وصل الى سرديس سلم هذه الاوامر الى سكرتير الملك بحضرة أوريطيس ، لان كل مرزبان كان لديه ممثل للملك ، ففرض السكرتير الخاتم عن تلك الاوامر وقراها على الضباط العظام الذين كانوا حول أوريطيس . وكانت تلك الاوامر موجهة اليهم بنوع أخص ، فتلقوا جميعا اوامر الملك بغاية الطاعة والاحترام . فسر باجى بهذه المحنة الاولى ورأى أن فى استطاعته الاعتماد على طاعتهم ، فأفضى اليهم سرا ببعض الاوامر التى يأمرهم فيها دارا بالانفضاض عن أوريطيس والانقطاع

عن خدمته ، فأطاعه الضباط أيضا والقوا رماحهم دلالة على أنهم تركوا
المرزبان ، فلما تحقق بأجى من تأثيره فيهم جعل سكرتير الملك يقرأ عليهم
أمره إياهم بقتل المرزبان ، فهجموا عليه فخر صريعا تحت طعنات سيوفهم ،
وبذلك أخذ منه القود لبوليقراطس ، ونال دارا بغيته من الانتقام (١) .

على ذلك كان الفرس أنفسهم في زمن دارا يستعملون الكتب
بالسهولة التي يستعملها بها الإغريق الذين هم أرقى منهم تعلما وأكثر
مدنية ، فان الملك الكبير كان يرسل أوامره الى جميع اجزاء مملكته
الفسيجة الأرجاء . وكانت هذه الأوامر مكتوبة بالأوضاع وباللغات التي
ربما لا تزال تستعملها الى الآن تلك البلاد القليلة المدنية .

لما اتهم الإغريق بوزانياس بأن له ضلعا مع الفرس وكرهوه عزم
فعلا على خيانة قضيتهم الشريفة التي طالما خدمها في بلادة ، فراسل
أكراركسيس بكتاب يعرض عليه فيه أن يخضع له أسبرطة وبقية بلاد
الإغريق ، فقبل ملك الفرس عرض ذلك الخائن ، وكتب اليه بخط يده
كتابا أرسله اليه مع أرتطاز مرزبان دسكيلينس . فلما أحسن أهل
إيفورس خيانة ملكهم ، كتبوا اليه يندرونه بأن يغادر طروادة ويعود الى
أسبرطة حيث يستطيعون مراقبة سلوكه . فلم يجرؤ بوزانياس على
مخالفتهم ، وعاد الى مقر ملكه ، ولكنه لم يكف مع ذلك عن مراسلته
الجناثية ، ولكن الرجل الذي سلم اليه آخر الرسائل خاف على نفسه لانه
لم يعد ولا واحد من الرسل الذين حملوا أمثال هذا الكتاب الى دارا ،
ففض غلاف الكتب بعد أن قلد الحتم الموضوع عليها ليقلها كما كانت ،
فتحها ليري ما اذا كان لخوفه محصل ، واذا به يقرأ توصية على قتله ،
فحمل الكتب الى أهل إيفورس وبلغهم أمر الملك الذي كان يسلم اغريقا
للمتوحشين .

ان تاريخ طيميستوكل أشبه ما يكون بتاريخ بوزانياس وان كان
ثقل منه جنائية ، لان الاتيينيين كانوا حرضوه على الخيانة بأن عاقبوه
بالنفى ظلما فكاتب أرتقزاركسيس . ولما هرب من أرغوص الى قرقر
ومنها الى الملك أدهيت ملك الملوص ، ومن عنده الى إسكندر ملك مقدونيا
جاء آخر الامر الى إيفيزوس حيث كتب الى الملك الكبير يطلب اليه ملجا
أباه عليه الإغريق . وقد روى طوكوديدس صورة ذلك الكتاب ولا محصل
للمتظنن في صحنه (٢) .

(١) هيرودت ك ٣ ب ١٢٦ وما بعده .

(٢) طوكوديدس ك ١ ب ١٢٨ وما بعده .

من غير النافع أن نعدد الأمثلة لأنها مستفيضة في جميع المؤرخين الذين لم أذكرهم وليس من الضروري أن نذهب بالتمثيل بعيدا ، فقد وضع أن الناس في أفريقيا وفي آسيا الصغرى كانوا يستعملون الكتب في الأعمال العمومية والخصوصية على نحو ما نستعملها نحن تقريبا ، وبوسائل أشبه ما تكون بوسائلنا من حيث المادة التي كان يسهل الحصول عليها من غير عناء ، وأنهم يختمون الأوراق على نحو ما نختم أوراقنا بالطابع الرسمية ، وبالاختام التي يمكن تقليدها من غير أن تكسر الخ

وماذا كانت تلك المواد ؟ -

تجيبنا على ذلك عبارة هيرودوت الصريحة ، فإن ذلك المؤرخ العظيم للآزمان الأولى للعالم الإغريقي قال في عرض حديثه عن كيفية نقل «قدموس» الحروف الهجائية من فينيقيا إلى القارة عند اليونان ما يأتي :

« يطلق اليونان على الكتب من قديم الزمان اسم الدفاتر أو الجلود لأنهم » لما لم يكن عندهم ورق في تلك الأزمان كانوا يستعملون للكتابة جلود المعزى « والغنم ، بل في أيامنا ما يزال كثير من المتوحشين يكتبون على الدفاتر أو جلود من » « هذا النوع » (١) .

وقد أتى هيرودوت بما لا يقل عن ذلك عجبا ، فإنه ذكر أنه رأى بنفسه عند زيارته طيبة في بيوسيا في معبد أبولون الإسميني ثلاثة نصائب منقوشا عليها بالحروف التي كانت تستعمل في يونيا . وهذه النقوش باللغة في القدم إلى لايوس أبي أوديب أي بعد قلموس بأربعة أجيال .

إن الكلمة التي يستعملها هيرودوت عبارة عن الكتب هي كلمة «بيلوس» ودلالاتها معروفة بصورة مضبوطة ، فإن هذه الكلمة تدل على جزء معين من بردى مصر . ولم يترك تيوفراسط محلا لأقل شك في هذا الصدد ، فإنه في كتابه «تاريخ النباتات» (٢) قد وصف النباتات المائية، وتبسط في وصف البردى الذي ينمو في ماء النيل ، وعدد الاستعمالات المهمة المتعددة التي يصلح لها البردى ، وبعد أن قال : أن من الخشب تصنع المراكب ، قال : « ومن البيلوس تصنع الشرع والحصر والملابس أحيانا والنعال والحبال ، أشياء أخرى كثيرة أهمها الكتب «بيليا» المعروفة عند الأجانب حتى المعرفة . وعلى ذلك يكون معنى بيلوس الذي ذكره

(١) هيرودوت ك ٥ ب ٥٩ وما بعده .

(٢) تيوفراسط وتاريخ النباتات ك ٤ ب ٩

تيوفراسط هو ذلك الجزء من ساق البردى الذى لمروته ومقاومته يقبل هذه الاستعمالات المختلفة بالنسج والى .

وخلاف مكتبتى بيزسطراط وبوليقراطس ، فالثابت من الادلة التفصيلية التى أتى بها أفلاطون أن الكتب فى زمنه على المعنى الذى نفهمه نحن من هذا اللفظ كانت منتشرة جدا الانتشار باتينا . وقد روى سقراط نفسه فى كتاب « فيدون » انه سمع ذات يوم انسانا يقرأ كتاب انكساغوراس وفيه أن العقل هو نظام كل الاشياء ومبدؤها . ولما قرعته هذه الحكمة البالغة رجا أن يجد فى انكساغوراس حل كثير من النظريات بعد ما سمع من براعة الابتداء ، فجد فى طلب مؤلفاته وهو يظن انه سيتعلم منها علم الخير والشر ، فقرأها على شوق الفهم ، ولكنه كلما تقدم فى القراءة خاب من رجائه فالقى بها الى جانب ليعود الى تفسكره الذاتى ، اذا كان لسقراط كتب يراجعها ويتركها ، كما يفعل بيننا عشاق العلم والحكمة سواء بسواء ، يرجعون الى كنوز دور الكتب فلا يجدون فيها شفاء الغلة الذى يطلبونه .

وروى أنتيفون فى أول كتابه « برمينيد » نقلا عن رواية فيتودور أحد أصحاب زنون الايل قال : « لما أتى برمينيد وكان قد تقسم فى السن الى آتينا مع تلميذه أقام فى حى السيراميك خارج الاسوار فانتقل اليه سقراط فى رفقة ليسمع قراءة كتب زنون » وكانت تلك هى أول مرة حمل فيها زنون وبرمينيد هذه الكتب الى آتينا . وكان سقراط وقتها صغير السن . وكان زنون نفسه هو الذى يقرأ كتابه لان برمينيد كان غائبا فى تلك اللحظة وكان على وشك أن يفرغ من القراءة اذ عاد فيتودور ومعه برمينيد وستمع آخر هو ارسطوطاليس الذى صار بعد ذلك أحد الثلاثين ، ولم يسمع فيتودور الا قليلا مما كان باقيا ، ولسكنه أقام الى آخر التلاوة التى كان قد سمعها قبل ذلك فى جلسة أخرى .

لما أصفى سقراط الى النهاية طلب الى زنون أن يتفضل باعادة القضية الاولى من الكتاب الاول فأجاب طلبه مع الارثياع ، وأخذ الكتاب وأعاد الجملة التى وقف فيها سقراط والتى أراد سقراط استحضار الفاظها حتى يدخل فى مناقشة المعانى : « اذا كانت الموجودات متعددة لزم عليه أن تكون متشابهة وغير متشابهة فى آن واحد فيما بينها ، وهذا مستحيل لان غير المتشابه لا يمكن أن يكون متشابها ، وما هو متشابه لا يمكن أن يكون غير متشابه أيضا » وابتدأ الجدل وقتئذ فكرر سقراط قضية زنون ، وسأله اذا كان هذا حقا هو ما يريد ؟ فاكده زنون أن ذلك هو غرض كتابه ، فالتفت سقراط الى برمينيد وقال له : « ابرى واضحا أن زنون متصل بك لا بصلات الصداقة فقط بل بكتاباته » فالراقص

أنكما تقولان جميعا معنى واحدا ، وإن اختلفت العبارة ، فإن أحكما
يثبت أن الكل هو واحد ، ويثبت الآخر أن التعدد متنوع ، فاعترف
زنون بأن الحق في جانب سقراط ، وأنه ما كتب كتابه إلا انتصارا لمذهب
برمينيد ضد أولئك الذين يسفون جعله سخريا ، وأن كتابه جواب على
نصراء التعدد ، وأن الغرض منه أن يبين لهم أن مذهبهم نفسه له نتائج
أسخف من المذهب المضاد . وزاد على ذلك زنون بقوله : « انى ألفت هذا
الكتاب مدفوعا بدافع المجادلة ، فسرق منى قبل أن أسائل نفسى عما إذا
كان ينبغي نشره أو لا ينبغي . على هذا كنت يا سقراط اتخذ نفسك اذ
اعتقدت أن هذا الكتاب إنما أملت على رغبة رجل ناضج بدلا من أن تنسبه
الى شاب يميل به ما لطبع الشباب من حب المغالبة » .

واستمر حديثهم دائرا على موضوع الوحدة والتعدد بما هو معروف
لديهم من المواربة والمغالطة مما أكف عن الاسترسال فيه ، فحسبنا هذه
التفاصيل دلالة على أن زنون وبرمينيد لما جاءا من ايليا الى غرب اغريقيا
الكبرى كان في بلدهما كتب كما فى آتيننا ، وإن هؤلاء المتناظرين كانوا
يتخذون الكتب لما تتخذونه نحن من الاغراض يقرؤونها ويعيدونها ويقفون
بعض جملةا للتحقق منها . ونحن فى شأننا لا نقلب الا على مثالهم
صفحات ما لدينا من الكتب التى فى حجم الثمن أو الاثنى عشرى التى
ليست بأكثر مطاوعة للتقليب من كتبهم .

وفى مقدمة فدر الرشيقه قابل سقراط ذلك الشاب السذى خرج
يتنزه فى الخلاء بعد أن مضى صباحه قاعدا . فميم قضى فدر صبحه اذا ؟
فى استماع قطعة كان يقرأها له ليزياس بن سيفال ، وما زال مأخوذا
بما قرىء عليه . وقد كان ليزياس أتى خصيصا لهذا الغرض من بيده الى
مونيشيا ، فطلب سقراط من صديقه الشاب أن يفسر له ذلك الكلام
العجيب ، فامتنع فدر بفكرة انه أقل علما من أن يكرر مثل تلك العبارات
الجميلة ، ولكن سقراط الذى كان عليما بشغف صاحبه رقيق الحاشية
أكد له انه لابد أن يكون قد حفظ تلك القطعة عن ظهر قلب ، لانه لابد
أن يكون استعاد من مؤلفها أن يقرأها عدة مرات وأنه لم يقنع بذلك بل
لابد أن يكون أخذ الكراسة المكتوبة فيها حتى يقرأها على خلاء ، وإن ذلك
كان شغله الشاغل الذى ألهاه عن الخروج صبيحة يومه ، فأخذ فدر
يتنصل بحجج ضعيفة ، ولكن سقراط ألحف فى المسألة فاطهره فدر على
الرسالة المخطوطة التى كانت بيده مخبأة تحت طرف رداءه ، وأخذ
الصاحبان يبحثان وهما سائران على شاطئ اللصوص حيث كان يقمر
فيه سقراط قدميه ليبتد ، عن مكان يناسب القراءة بالراحة حتى وصلا
الى مجلس تحت شجرة سناج عالية ظليلة بجانب شجرة كف مريم يعطر

نورها الهواء على مسمع من خريز عين صسافية بين الثماثيل والاصنام القائمة للحدور ولنهر اخلاوس ، فجلس قدر وسقراط فى الظل على الحشيش الغض وقرأ الشاب كتاب ليزياس فى النسخة التى معه .

فأثنى سقراط على بلاغة ليزياس ، ولكنه لم يصل الى حد اعجاب صاحبه الشاب وقال له : ان هذا الموضوع قد كتب عليه الحكماء فى الازمان القديمة بما لا يقل اجادة عن هذا ، وحسبك منهم الحسناء سافو الشاعرة أو الحكيم أنقريون بل حسبك أى كاتب من الكتاب ، فلم يصدق قدير من ذلك شيئا . وسأله أن يأتى بأحسن مما أتى به ليزياس ، وان يفعل على الفور فلن يقرأ له شيئا بعدها ، فأخذ سقراط لقوره فى مسابقة ما ظنها مستحيلة عليه . وأعاد كلام ليزياس فى نفس الموضوع على ما فيه من الشطط والاشكال ، ولكنه ارقى كثيرا عن هذه المنافسة العافية فى موضوع مطروق ، وانتهر هذه الفرصة ليعطى الشاب درسا فى الخطابة والذوق . ان ليزياس يكتب أكثر مما ينبغي فيجب تعلم الحكم على مؤلفاته حتى لا تعطى من القيمة أكثر مما تساويه فى الحقيقة ، وان رجال السياسة البصراء يربأون بنفوسهم عن تأليف مؤلفات تكون بعدهم موضوعا لانتقاد الخلف انتقادا قاسيا ، فاذا كتبوا بالمصادفة شيئا كتبوه بكل عناية حتى لا يعاب عليهم . وهذا بيريكليس أخطب الخطباء وتلميذ أنكساغوراس العظيم لم يترك شيئا مكتوبا .

وبينا سقراط يرسم قواعد الخطابة الحقيقية اذا به يصل الى اختراع الكتابة والكتب . على حسب أسطورة محفوظة فى نقراطس ، احدى مدائن الدنيا ، ربما كان سولون قد رعاها من هناك ، أن الكتابة من اختراع الاله توت وهو أفضى بها الى الملك طاموس الذى كان يحكم فى طيبة . ولم يعجب طاموس بهذا الاختراع كما أعجب به مبدعه ، وخشى على المصريين من الكتابة التى يبعد عليها أن تصيرهم أكثر حكمة بل تضرهم متى جعلتهم يعتقدون أنهم يعلمون ما يقرءونه قراءة سطحية فى كتبهم . قال سقراط مغضبا : رأى طاموس : « يكون الانسان » من البساطة بئكان اذا تصور انه يمكن ابداع أى فن من الفنون فى الكتب . وأنه « يمكن تعلمه منها » كما لو كان قد خرج يوما من الكتب شىء بين متين ، الا ما يكون « من تنشيط الذاكرة عند الذى كان يعلم من قبل ما تحويه الكتب . وان محصلات » الكتابة أشبه بمحصلات الرسم . سئل لوحات الرسم تجنبك بسكوت خليل . وسئل « الكتب تحبك دائما بهذا الجواب . وقد تعتقد عند استماع ما فيها أنها علمة ، » ولكن مقالا متى كتب دار فدا كل ناحية ؛ فيقيم فى ابدى من يفهمه كما يقيم « فى ابدى الذين لم يكتب لاجلهم ، وأنه لا يهتف له . يتكلم وأمام من يلزم الصمت » فاذا احتقره أو غابه أحد بغير حق التجأ

الى أبيه ليساعده ، لانه لا يستطيع أن « يقاوم ولا أن يساعد نفسه » .
 فسقراط يحط من شأن هذه المقالات الميتة في طي الكتابة التي يحوزها
 ويرفع فوقها قدر المقال الذي ينقشه العلم في نفس اندي يتعلم ، ذلك
 المقال على الملأ بالحياة هو الذي يبقى في الذهن ، وما منزلة المقال المكتوب
 منه الا الشبح الباهت . هذا هو ما ينصح نغذر أن ينشر العناية بمناولته
 ان الشعاع والنائر صححانه ويحرران أنف مرة ما قد كتبنا ، يزبدان
 عليه او ينقصان منه ، ولكن يلزمهما قبل كل شيء أن يتما بما في نفسيهما
 ويرعاياه حق رعايته ، تلك هي الوسيلة لاستحقاق ذلك اللقب الجميل
 لقب الفيلسوف . ذلك هو الرأي الذي يمكن أن يعطيه فدراني ليزياس ،
 وذلك هو الرأي الذي يعرف سقراط كيف يجعل أصحابه الشبان
 يتذوقونه ، وعلى الاخص ايزقراط الجميل الذي عليه مخايل الشبورغ .

أنا لا اناقش رأى الحكيم الاتيني مهما ظهر لي منه عدم ائتلافه مع
 ذوقه اسليم المعروف ، ولكن أيا كانت قيمته وانه ينتج منه ان سقراط
 وفدر جميع اصحابهما يستعملون الكتب كما نستعملها نحن ، يكتبون
 مقالاتهم ومؤلفاتهم كما نفعل نحن ، ويدرسونها ويصححونها ويهدونها
 كما نفعل نحن وينتج من هذا فوق ما تقدم انه منذ زمن افلاطون كان
 ينسب اكتشاف الكتابة واختراع الكتب الى مصر . ولا شك في أن
 افلاطون وهو من ذرية سولون يجب أن يعلم أكثر من غيره شأن تلك
 الاسطورة التي جاء بها جده الامجد من البلد الاجنبي .

وعلى هذه الوقائع القاطمة نزيد وقائع من العصر ذاته . نا وصل
 اكسينوفون رئيس تقهر عشرة الآلاف من بيزنطة الى سلميديس آخر
 نقطة وصل اليها في الشمال ، حكى أنه عند دخوله في البحر الاسود وجد
 سفنا كثيرة جانحة في الرمل تحت جرف الشاطئ وان أهل تراقيا سكان
 تلك المنطقة يسارعون الى نهب أولئك الفرقى التعساء ويتقاتلون على أيهم
 يسرق من السلب أكثر من غيره . ولذلك توجد منقولات كثيرة على هذا
 الشاطئ الحبث ينقلها الملاحون في صناديق من الخشب ، ومن بينها كتب
 لا شك في أن أولئك المتوحشين ما كانوا يفهمونها ، ولكنهم يحفظونها
 ليبيعوها (١) . ونظرا الى أنه كان يوجد عدد عظيم من الجاليات الاغريقية
 في تلك الجهات بيزنطة وغيرها ، فليس مستحيلا أن فكر أولئك الملاحون
 في الاتجار بالكتب ، وربما كانوا ينقلونها من الشواطئ الاسميوية ومن
 آتينا والمدائن الاخرى لليونان النازلين والمهاجرين الذين مع بعضهم عن

(١) اكسينوفون . انا باز . ٧ ب ٥ ف ٤ ص ٣١٣ طبعة لرممان ديدو .

وطنهم تتوق أنفسهم الى الاقتباس من نوره الذى هم أحوج مايكونون اليه
في غربتهم *

لا أقول بأنه في زمن أفلاطون بل فيما قبله لم يكن يوجد في آتينا
أصلا كتبية يبيعون الكتب ويشترونها فذلك محتمل جدا ، ولكنه ليس
عندنا على ذلك شهادات تقارن في قدمها ذلك الزمن . فان أول شهادة من
هذا النوع تنسب الى زنون الستيومي ، فان زنون قبل أن يترك مدينة
ستيوم وهى مستعمرة فينيقية في قبرص اشترى حمولة من الارجوان
ليربح فيها في آتينا وذهب يستفتى الهائف عن أحسن طريقة للعيشة
فتصح له انهاء ان يصير في لون الموتى ، وفسر زنون هذه النصيحة بأنه
يجب عليه أن يعكف على قراءة كتب الاقدمين حتى يشحب لونه . فلما
وصل الى آتينا بعد غرق محزون دخل عند كتيى وأخذ يقرأ بلذة شديدة
الكتاب الثانى من مذكرات اكسيذوفون على سقراط ، فسأل الكتيى وهو
مسخور بلذة ما قرأ : أين يمكنه ان يقابل المؤلفين الذين يكتبون مثل
هذه الملح ؟ فاشار له الكتيى بأصبعه الى «قراطيس» الذى كان مارا وقتها
في الشارع فجعل زنون الى الاستاذ يهتف خطاه حتى وصل اليه وتلميذ
عليه ، ولكن لما لم يستطع ذلك الجفاء الغليظ اعتزل قراطيس اذ أصبح
في قدرته أن يضع مؤلفات لا تقل عن مؤلفات استاذه وأخصها كتابه على
فيثاغورث (١) . وكان عمر زنون وقتئذ ثلاثين عاما وعلى الاحتمال الغالب ان
ارسطو وقتها كان لا يزال حيا فان ذلك كان في آخر ملك اسكندر *

اقص حادثة أخيرة استعيرها من نظريات ارسطو في الفصل السادس عشر
الباب السادس (ص ٩١٤ ف ٢٥ طبعة برلين) يتساءل المؤلف : لماذا قطع
الكتب يعطى هيئات مختلفة على حسب ما اذا كان هذا القطع مصنفيا او
بانحراف ؟ اترك التفسير الى ناحية لانه لا يهمنا هنا ، ولكن ذلك يبين ان
ارسطو كان لديه كتب من جنس كتبنا وعلى الاقل من جهة كونها مقصودة
على صورة منتظمة قليلا او كثيرا . بعد ذلك في الفصل الثامن عشر يبحث
ارسطو : لماذا تنيم القراءة بعض الناس ؟ ولماذا بعضهم على الضد من ذلك
يتناول الكتاب حين يريد أن يبقى ساهرا ؟ كل ذلك يعين استعمالات
المكتب أشبه ما تكون بما نفعل نحن . كان في آتينا بعضهم يقرأ في سريره
وليس معدوما فيها هذا الصنف من الناس الذين ياثرون هذه البلذة
عندنا *

من أين جاءت هذه الكتب ؟ وعلى أى مادة كانت مكتوبة ؟ لا أتأخر

(١) ديوجين اللايرثى ك ٧ حياة زنون الستيومي

فى الجواب : كانت مكتوبة على ورق البردى ، وكان البردى يجىء من مصر منذ أقدم الأزمان كان بين مصر وبين اغريقيا روابط مستمرة ، ومن باب أولى كان بين مصر وآسيا الصغرى . وان أقدم الهجرات التى اتبع فيها سبيل اناخوس وسكروفس وكثير غيرهم انما عادت من شواطئ النيل جالبة معها الى الهلين فى عداد ما جلبته لهم أسماء جميع آلهتهم المتنوعة الى اللانهاية ؛ وبعد ذلك ضاعفت العلاقات دواعى التجارة والحروب . وفى تلك القرون التى نحن بصدددها كانت مصر متدخلة دائما لمصالح شتى فى سياسة جميع الأمم المجاورة لها ، وعلى الأخص سياسة المدائن الاغريقية التى على الشاطئ ولما أن فتح الفرس مصر صارت هذه العلاقات أكثر توثقا واستمرارا فان اسطول المصريين وجيوشهم كانت تشهد كل حين وقائع البر والبحر ومن البديهي . ان الأمم المختلطة على هذا النحو تتبادل كثيرا من الاشياء بحكم الضرورة . وكانت مصر وقتئذ الوحيدة تقريبا فى انتاج البردى فكانت تصدر منه كميات وفيرة الى بقية العالم .

قد كان من السهل على مصر وهى التى اكتشفت الكتابة وهى التى تخرج البردى وتستعمله تلك الاستعمالات انصادرة عن المهرة والذكاء أن تتصور ايضا انشاء المكاتب ، فان الكتب متى كتبت وجب جمعها وحفظها لحفظ الذكر لكل ما اشتملت عليه . وعلى الرغم من قول طاموس وأفلاطون وسقراط فقد ظهر ان تلك المحفوظات مهددة ونفيسة جدا . ذلك ما كان هو الواقع . فان اوزيمندياس أحد ملوك مصر يعتبر انه اول من اقتنى مكتبة أو من اوائل من اقتنوا مكاتب . وتذكر هذا الحادث العجيب نقله الينا ديودور الصقلى الذى زار مصر فى الأوشية ١٨٠ كما كان زارها هيروdot من قبله بأربعمئة وخمسين عاما ورأى بعينه كل ما يتكلم عنه تقريبا . بعد أن قال كلمة عن قبور الملوك التى كان عددها سبعة واربعين على رواية الكهنة والتى لم تكن الا سبعة عشر حين زارها ديودور (١) . وصف بغاية التفصيل الاثر الشهير لأوزيمندياس ، ومن بين العماثر التى تنسب الى هذا الملك دار الكتب المقدسة المنقوش على وجهتها : « دواء النفس » . ولا يستنتج من كلام ديودور نفسه أن هذه المكتبة كانت لا تزال قائمة فى زمنه . فاما أنها وجدت فذلك مالا يكاد الشك يتطرق اليه . ولقد كان لدى الكهنة المصريين كتب بالغة فى القدم مسجل فيها تاريخ البلاد سنة فسنة تسجيلا منتظما والوراثة غير المنقطعة على عرش مصر

(١) نزلت اليها بنسخ فى السنة ١٨٥٤ عند سياحتى فى مصر وجدت أن اعجاب ديودور كان أقل من حقيقة الواقع بكثير . (ر . رسائل على مصر طيبة وفيل ص ٢٧٤ وما بعدها)
(يارتلى سانتيلير)

لأربعمائة وسبعين فرعوناً وخمس ملكات ، وألم يشأ ديودور أن يكرر بالنسبة لعهد كل فرعون ما كانت تحويه هذه الكتب التي يظهر أنه اطلع عليها ، ولكنه وضع خلاصتها وعلى تلك الوثائق بنى عمله . فإذا لم تكن هذه المكتبة موجودة قبل المسيح بخمسين عاماً فلا أقل من أن يكون ذكرها وارداً في تلك السنويات الرسمية التي كنه لا يزال يمكن الاطلاع عليها مهما كان مبلغها من الضبط قله أو كثرة « ١ » .

وعلى رأى علمائنا المشتغلين بالآثار شأن أوزيمندوس الذي كان يسميه الاعريق أوزيمندياس هو فرعون من العائلة السادسة عشرة . وهذه العائلة يعترن عهدها تقريباً بعهد انحوس اى بتاريخ نحو افي سنة قبل الميلاد . فان الهندسوس او عرب الرعاة تكون العائلة السابعة عشرة .

مثل هذه الأحاديث ربما كانت تظهر لنا حديث خرافة ، إذ لا يمكن التصديق بوجود كتب في زمن بالغ من القدم حد الغاية ، إذا لم تكن حاصلين إلا في متاحفنا على الأدب ، التي لا تقبل التهم ، المثبتة لهذه الحوادث . ففي باريس وفي تورينو وفي ليون وفي برلين ٠٠٠ الخ أوراق البردى والمخطوطات التي يصل تاريخها إلى ثلاثة عشر وأربعة عشر قرناً قبل الميلاد المسيحي بل إلى أبعد من ذلك . ولكل أن يراها ولمعرفة تاريخها ليس عليه إلا أن يستقى شمبرليون ودى روجى ومرييت وأمينى بيرون وليمانس ولبيسيوس ٠٠٠ الخ . أن بردية تورينو الشهيرة التي تكلم عنها شمبرليون في خطابه إلى دى بلاكاس (ص ٤٢) هى على الأقل من القرن الثالث عشر قبل المسيح كما بينه لبيسيوس « تودتنبوخ ص ١٧ » وفي كتاب الملوك نقل لبيسيوس (لوحة ٦) مخطوطة يصل تاريخها إلى العائلة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ، وذلك ما يبلغ بنا إلى أقصى مما ذكرنا . ووصف مارييت في مذكرته عن دار الآثار ببولاق (ص ١٤٨) بردية وجد في طيبة في نحو المترين طولاً يتعلق بأحدى الثلاث العائلات الأولى للإمبراطورية الجديدة ، وهذه المخطوطة لا يقل عمرها عن ١٢٨٨ سنة قبل الميلاد بل يمكن أن تكون من سنة ١٧٠٠ ومخطوطة أخرى (ص ١٥٣) طولها أربعة أمتار ونصف على ٣٥ ر. ارتفاعاً وهى من متعلقات العائلة الثامنة عشرة فتكون من سبعة عشر قرناً قبل الميلاد . ويمكن إيراد أمثلة من هذا

(١) يتكلم ديودور على الأقل مرتين أو ثلاثاً على سياحته في مصر . ر . المجموعة التاريخية ك ١ ب ٤٤ ف ١ ب ٤٦ ف ٧ . وفيما يتعلق بمكتبة أوزيمندياس راجع الكتاب عينه ب ٤٩ ف ٣ . وإذا ما حدث سولون كهنة سايس ذكروا له كتبهم المقدسة وفيها سويات البلد منذ ثمانية آلاف عام (رطيماس ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٩) .

النوع الى مايشاء ، ولكن حسبنا ما أوردناه وما أظن بنا حاجة الى المجاوزة
بالايضاح الى ابعد من ذلك فقد كمل .

اكثر من ذلك . قد وجد بجانب المخطوطات الأدوات التي تصلح
لكتابتها. فنجانين تحوى المادة الملونة وقصب الاقلام ، وذلك ما يعدل عندنا
المحابر والريش ، والمصاقل التي تصقل البردى قبل الكتابة عليه ،
والمقالم التي توضع فيها الاقلام . وفي دار الآثار بليدن توجد الواح
الكتابة ومعها دوى فيها يميز المرء بغاية الوضوح الحبر الأسود او الاحمر
وقد جف في باطنها ودوى من البرنز . . . النخ . وكل هذه الآثار انما
هى سابقة على العائلة السادسة عشرة على رأى ليانيس (ص ١٠٨ ف
٢٤٥) وفي دار الآثار ببولاق توجد ألواح الكتاب ، ومعها كل لوازمها
وهى كما قرر مارييت سابقة لعهد ابراهيم (ص ٢٠٩) وعلى ذلك يكون
عمرها من ٣٥ الى ٤٥ قرناً . وفي باريس في متحفنا المصرى أيضا جميع
الأدوات اللازمة للكتاب (القاعة المنسية - دولا ب P درج X)
وكذلك في قاعة الموتى (درج LM ترى المخطوطات اما على ورق البردى
أو على القماش ، كل ذلك غير أوراق البردى الكبيرة المنشورة المحبوسة
بالاطر المغطاة بانزجاج والتي تبلغ أطوالها عدة أمتار . وفى ليدن
مخطوطات تبلغ أطوالها الى اثنى عشر مترا . والواقع انه كان يمكن صنع
ورق البردى الى طول غير متناه لان العرض وحده هو المحدود ولا يكاد
يزيد عن ٣٠ سنتيمترا .

من التفاصيل التي تقدمت والتي يمكننا ان نزيد في ايضاحها عند
الحاجة اظن أننا نستطيع استنتاج النتائج الآتية اننى هى كذلك ، كما
يظهر لى ، حوادث ثابتة:

ان فلاسفتنا للقرن الخامس والسادس قبل الميلاد كتبوا مؤلفاتهم
سواء فى آسيا الصغرى أو فى اغريقا الكبرى ، وقد وصل اليها بعض
أجزاء هذه المؤلفات من خلال الصعوبات التي كانت تقترن بنقل الكتب
قبل اكتشاف المطبعة واختراع الورق من انقطن ومن الكتان أو استعمال
الرق . وان كتب اكسينوفان وميليسوس بل ربما كتب طاليس وفيثاغورث
أيضا كلها كتبت كما يكتب كل الناس وقتئذ على ورق البردى المصرى .
ولابد أن تكون صورها على شكل ورق البردى المحفوظ في دور الآثار . ومن
الممكن أن تكون أوراق البردى رتب ، منذ عهد قديم وبالتحقيق منذ
عهد ارسطو ، بحيث يكون شكلها كشكل كتبها الحاضرة . ومن ثم تيسر
جميع الكتب فى المكاتب ، فام المكاتب التي ينسبونها الى بوليكراتس

وبيزيسطراط لم تكن بلا شك الا تقليدا للمكاتب المصرية التي كان أشهرها دار الكتب التي أنشأها أوزيمندياس .

ما الذي بقي علينا تعرفه ؟ ربما كان شيئا واحدا هو الذي تقتضيه نفوسنا الطلعة بحكم عاداتنا الجديدة في دقة التحرى وهو صنع البردى المخصص للخطابات ولوثائق الكتاب . ومن محاش المصادفات ان بلان الذي ليس أقل منا حبا للاطلاع قد نقل اليينا هذه المعلومات اذ يقول لنا كيف كان يصنع ورق البردى في زمنه . ومن المفهوم ضمنا أن هذه الصناعة قد نالها بعض التحسين بمرور الزمن الطويل الذي يبتدىء من عهد أوزيمندياس الى القرن الاول للميلاد ، ولكن الاصول الرئيسية لهذه الصناعة لابد أن تكون قديمة جدا بل الظاهر أنه لم يكد يدخل عليها أقل تغيير (١) .

وقد عني بلان عناية كبرى بوصف هذا القصب المسمى برديا نظرا الى « أن المدنية وتذكارات الاشياء مرتبطة باستعمال الورق ، وبهما يتعلق تخليد ذكرى الرجال » . أما فرون فإنه لم يبلغ بتاريخ استعمال الورق الى أبعد من عهد اسكندر الأكبر وتأسيس مدينة الاسكندرية . وقد يكون ذلك صحيحا فيما يتعلق باستعمال الورق في روما ، ولكننا قد رأينا آنفا انه لا يمكن أن يكون صحيحا بالنسبة الى مصر ولا الى افرىقا ، وبلان لا يشاطر رأى فرون مهما كان معتبرا . وهاك ما يقوله في ذلك التبات النفيس الذي يريد درسه :

ينبت البردى في المستنقعات أو مياه النيل الراكدة على عمق لا يزيد على ذراعين ، جذره المعوج في ثخن النراع تقريبا ، وساقه مثلث الاضلاع ويندر أن يعلو أكثر من عشرة أذرع يتناقص سمكه من تحت الى فوق . فأما جذره فيستعمل وقودا وقد تتخذ منه بعض الآنية ، وأما ساقه الحطبي فتتخذ منه القوارب ، ومن قشرته تنسج الشرع (٢) والحصر والملابس والأغطية والحبال . وذلك ما قرأناه آنفا عن تيوفراسط ونقله عنه بلان بلا شك . وإن بردى مصر في كل الاستعمالات التي ذكرناها خيز من كل بردى آخر ، فانه البردى الذي ينبت في سوريا أو على شواطئ نهر الفرات بقرب بابل بعيد عليه أن يساوى البردى المصرى خصوصا في صنع الورق

ولصنع الورق يقسم البردى الى اشربة رقيقة جدا وعريضة بقدر

(١) بلان . التاريخ الطبيعى ك ١٣ ب ٢١ وما بعده ترجمة وطبع ليرى .
(٢) وهذا ما كان يبصره هيروdot حينما كان يسبح في مصر ك ٢ ب ٩٦ وعندنا في متحف الموقر نعال من البردى .

الممكن . وأحسن شريط منها هو شريط قلب النبات ثم الذى يليه على هذا الترتيب . وبهذه الطبقات الداخلية وحدها كان يصنع ورق الكتب المقدسة وسمى الورق من ثم باسم هيراتى . وبعد حين اعطى لا على درجة من الورق المنقى بالفصل اسم أغسطس ، كما سميت الدرجة الثانية من الورق باسم ليفى امرأة أغسطس ، وكان الهيراتى اذا فى الدرجة الثالثة وورق الدرجة الرابعة سمي انفتياترى نسبة الى المكان الذى كان يصنع فيه . ومن انواعه المتدركة الى أسفل ورق سايس الذى يصنع من قرطاة البردى ثم ورق الطينىوطيقى من مدينة قريبة من سايس ويباع بالوزن، ثم ورق الانبورييتيك أو ورق المتجر ، ولا يصلح الا للظروف او لف البضائع ، وبعد هذه الاشرطة تأتى قشرة البردى وهى اشبه ماتكون بقشرة الخيزران لا تصلح الا لصنع الاحبال التى لها خاصة البقاء فى الماء .

كل انواع الورق كانت تصنع بطريقة واحدة ولا يكون الاختلاف الا فى مادة الورقة ، ومتى أخذت الاشرطة بعناية تنشر على نحو خوان مندى بماء النيل ، فان هذا السائل الحامل للطمى يصلح كزق لتقوية الاشرطة وضمها بعضها الى بعض . وعلى هذا الحوان الممال نوعا تازق الاشرطة على طولها وتقرض من نهايتها حتى تصير منتظمة ومتساوية فى الطول ثم يؤتى بأشرطة أخرى توضع بالعرض على شكل تعريش، ولوقاية الورق من التمزق كانوا يضعونه تحت المكبس فيحصلون منه على الورق الذى يعرضونه بعد ذلك للشمس ليجف . ثم يضعون هذه الاوراق بعضها فوق بعض لتكون منها فرائم الورق التى لا تتجاوز عدة الواحدة منها عشرين ورقة . وكان الورق مختلف العروض وأحسن ما كان فى عرض ثلاثة عشر اصبعاً ، والهيراتى لم يكده يتجاوز عرضه الاحد عشر، وقال فانيوس ان هذا الورق الهيراتى الذى اشتق اسمه من اسم ذلك الصانع الماهر الذى أبدعه لا يتجاوز العشرة . والورق المتجرى كان فى عرض ستة اصابع . وكان يمكنهم أيضا أن يصلوا الاوراق اطراف بعضها ببعض ليحصلوا على ورق لانهاية لطوله كما عندنا .

وكانوا يقدرين الورق كما نقدره نحن برقته ومتنائه وبياضته وصقلته . وقد اهتم الامبراطور كلود بتحسين ورق أغسطس الذى كان يجده أرق مما يلزم واكثر شفافية فجعل منه ورقا جديدا بأن جعل السدى من اشرطة الدرجة الثانية واللحمة من اشرطة الدرجة الاولى ، وبهذه الطريقة زيد فى عرض الورق اذ بلغ عرضه ذراعا فى الفرخ الكبير . وكانوا يفضلون ورق كاود فى الكتب ويستعملون ورق أغسطس فى المخططات . وكانوا يصلقون الورق بقطعة من العاج أو بمحارة ناعمة ، ولكنه كان

من اللازم الوقوف بهذه العملية عند حد معين ، والأولى الجبر فلا يأخذ في الورق وتكون الحروف المكتوبة معرضة لأن تنمحى عما قريب ، وذلك هو الذي يحصل في ورقنا حين يجاد صقله أكثر منا يلزم • ربما يكون حسد في مرأى العين ، ولكنه لا يطيب الانتفع به • وقد كان يحدث ماء النيل الحمى ضررا من هذا النوع متى صب من غيب احتواس في ابتداء العملية اذ يجعل الورق غير قابل للكتابة بل يترك فيه رائحة يعرفونها له وبقعا كان يلزم لازالتها أن يخرقوها من مواقع البقع ويرقموها بغاية الدقة حتى لا يظن لها المشتري ، لحسن سبك الغش فيها ، الا بالاستعمال اذ يشرب الورق الجبر في مواضع الرق ويجعل الحروف سائحة لا تقرأ الا قليلا •

لذلك قال بلاين انه لتوقى تلك العيوب المختلفة كان يلزق الورق بكيفية تجعله أطرى من قماش الكتان نفسه ، ووجد أن هذه الطرائق فعالة جدا قال : انه رأى عند أحد اصحابه وكان مغرما بخطوط امونيين مخطوطات لشييشيرون ولاغسطس ولغرجيل على ورق من هذا النوع ، بل رأى عنده مخطوطات لطيبيريوس وقايوس غراكوس مضى عليها مائتا عام مما يدل على أن لصق الورق كان من الجودة بحيث يقاوم كل الزمان •

وبعد أن اورد بلاين هذه التفاصيل عاد ينقض رأى فرون في أن استعمال الورق حديث في ايطاليا وحاول ان يثبت ، ضد مذهب ذلك العالم ان الكتب كانت معروفة منذ زمن «نوما بومبيليوس» فقد عشر في تابوت هذا الملك الذي وجد في زمن قنصلية سيتيفوس وبمبيليوس طنفيلوس ، بعد موته بخسمائة وخمس وثلاثين سنة ، على كتب من الورق • كذلك ثلاثة كتب جاءت بها العرافة الى طرخان الاجل كانت مكتوبة على ورق حرق منها اثنين والثالث الذي قبله هذا الملك البصير قد حفظ الى عهد سيلا ثم باد في حريقه روما • واذا أريد برهان دامغ غير منقطع الاثر على استعمال الورق في الزمن القديم فما على المريد الا أن يتصفح رسائل شييشيرون فيجد فيها المعلومات المضبوطة القوية في هذا الموضوع • فان الناس مازالوا يستعملون الاوراق مع السهولة القصوى ، ويسرفون في استعمالها الى الغاية • كتب شييشيرون الى اتيقيوس كل يوم بل مرات عديدة في كل يوم تارة رسائل طويلة ، وتارة أخرى تذاكر بسيطة يرسل اليه مع رسوله بعض أسطر أو صحيفة اذا لم يكن لديه مايقوله اكثر من ذلك أو سلسلة من الصحائف لا آخر لها اذا انطلق قلمه يتدفق أو اذا حضرته مناقشة مسائل هامة • ومتى كان موضوع الكتاب بهم عدة اشخاص عمل منه نسخ بعدهم أو صرح للمرسل اليه باتيان هذا العمل ، أما اذا كان

موضوع الكتاب دقيقاً يشطب الكاتب غير مرة العبارات الناقصة عن نادية المعنى المراد تملأ ، ويرجع مرات على ما كتب ويهذب ويحرره . وإذا كان الكاتب قد أخذ منه التأثير ماخذاً يبيكه ترك دمعه أحياناً تمحو الكتابة ومضى فرغ من الكتاب طواه وختمه . فإذا نسي الكاتب شيئاً أو أهمل تفصيل معنى من المعاني فتح الكتاب من جديد فإن كانت الورقة لا محل فيها كتبت الزيادة بالعرض . ومتى قرأ الكتاب المرسل اليه وكان لا يتضمن شيئاً يراد حفظه مرقه . ولا يتساهل في ذلك إذا كان المرسل قد أوصى بحفظ سره . فإذا طرح الكتاب مطرحاً من غير أن يمزقة فيمكن رده الى مرسله إذا طلب رده اليه . فإذا لم يجد أحدهم ورقاً مسح الكتابة من على ورقة أخرى وكتب عليها بعد غسلها أو كشطها متى فرغ الكاتب من كتبه جمعها وسلمها الى البريد يوصل كل كتاب الى المرسل اليه بغاية الأمانة . وقد تنتهز الفرصة فيكتب الى أصحاب متعددين في جهة واحدة ، فإذا فك المرسل اليه الصرة وزع الكتب على المرسل اليهم ، وعند الحاجة قد ترسل المرسل الى الأشخاص البعيدين .

ويمكن أن يجعل الانسان بنقسه كل هذا التعب ، يكتب كتبه بيده ويختتمها ويرسلها ، وقد يتخذ له سكرتيراً يكل اليه كل ذلك ، يعلم عليه الكتاب ويؤقم عليه بتوقيعه . فإذا كان المرء متعباً ، وعلم الاخص إذا كان به رمد اضطر الى تكليف غيره ، وفي هذه الحالة يعتذر لصاحبه بحجزه عن أن يمسه القلم ، كما نقول نحن في هذا المقام . وهذه الأسكاتة هم محال أمانة بالضرورة متى كانوا يطمعون على أسرار العائلة والأعمال الخصوصية والسياسية . وفي الغالب يستحقون هذه الكرامة التي يفتنون آياها ، ولكنهم أحياناً يخونون ساداتهم ويقرون بما معهم من الأوراق . ولما أنهم عادة من الأرقاء يقتفرون أثرهم وبقيض عليهم إلا إذا أبعدوا في فرائدهم بحيث لا يمكن الوصول اليهم . ويخلف الخادم غير الأمين أو الماحض خادماً أكثر أمانة وأقل كفاءة ، كل ذلك على عجل بحيث لا ندقظ من الرسالة زمناً طويلاً .

وإذا كان استعمال الكتابة في الشؤون الخصوصية من السرعة والسهولة على ما وصفنا فقد كان استعمالها في الشؤون العامة لا يقل عن ذلك الوصف ، فإن تحرير جميع العقود الرسمية يحصل بغاية السهولة . ومتى استكملت هذه العقود الشروط المطلوبة عمل منها نسخ بقدر عدد المنتفعين بها . كذلك الاوامر تصدر الى الموظفين القائمين بالاعمال التنفيذية من كل الطبقات والمخاطبات الادارية تحصل بوسائل سريعة تمامونة يظهر انها تشبه على الأقل ما هو عندنا الآن . فالى اقاصى حدود الجمهورية تصل الاوامر العالية التي يصدرها مجلس الشيوخ ويتخذ من

هذه الاوامر صور رسمية تحفظ بمحافظ السجلات ، ولولا المحن المتنوعة التي قلبت حال العاصمة الرومانية الخالدة من فتن داخلية ونهب وحرائق وحروب خارجية وهجوم وغارات ٠٠٠ الخ . لولا ذلك كله لكان المرجح أن تكون بين أيدينا تلك الوثائق التي هي انفس للتاريخ منها لارضاء حبنا الاطلاع على ذخائر الفن . فان المادة التي كتب عليها كل ذلك يمكن حفظها بدون أن تتغير مدة ثلاثين قرنا ، كما تشهد به أوراق البردي المحفوظة في دور الآثار عندنا . فاذا أصابنا ما أصابنا من فقد معالم من ذلك القدم المحترم المخصب فانما كآفة ذلك من خطايا الناس لا من خطيئة الزمان .

كذلك كان استعمال الكتب منتشرا عاما في عهد شيشيرون كاستعمال الخطابات كما هو الحال في أيامنا ، فلم يكن أحد من الاهالي ذو ميسرة وعلى شيء من العلم الا له مكتبة على شكل المكاتب التي كانت لاهالي الاسكندرية وفي سائر مدائن الاغريق من قبل ذلك بقرنين أو ثلاثة قرون (١) . كان لكل امرئ في روما مجموعة من الكتب يختارها لنفسه بنفسه أو بواسطة صديق له عوضا عنه اذا كان لهذا الصديق من مركزه مكنه من ذلك أو كآفة معترفا له بحسن الذوق في هذا النوع . وقد كان من شيشيرون أن كلف أطيقيوس إذ كان في آتينا أن يرسل اليه تماثيل وزخارف ليزين بها مكتبته التي كان يسميها الاكاديمي . ولما كان أطيقيوس يريد أن يتخلص من بعض كتب نسخها ويريد بيعها رجاء شيشيرون في ألا يبيعها من غيره لانه كان معجبا بمكتبة أطيقيوس ، وكانت مؤلفة بعناية خصوصية ، فطلب اليه تلك النسخ ليجمعها أساسا لمكتبته ، ولا يكون عليه بعد ذلك الا أن يكملها على حسب ما تقتضيه حاجته ودراسته وهواه ، كان ذلك في سنة ٦٨٦ ولم تكن سن شيشيرون تجاوز الاربعين ، ومع ذلك يفكر في أن ينزوي من ميدان العمل الى مسكن جميل هادئ يعيش فيه مع كتبه « تلکم الصحب القبياء » التي يجب مخالطتها حبا جما ، كما كان يقول ذلك لفرون الذي هو أيضا يفوق شيشيرون في الشغف بالعلم والابحاث المتنوعة في قدينيات وطنه وقديميات الامم الاجنبية . حين تمكن شيشيرون من بعض ساعات الراحة والعزلة حبس نفسه في مكتبته التي زخرفها وزينها ، واختفى وسط كتبه حتى كان يجعل منها ركاما عظيما يحيط به من كل ناحية . ومتى لم يكن لديه ما يرغب في مراجعته استنسخه عند أحد أصحابه ، فاذا كان لبعض

(١) نقل سويتون أن قيصر كلف فرون بالشاء مكتبات عامة فيها الكتب الاغريقية واللاتينية . وقد وضع فرون مؤلفا خاصا بالمكتبات ولكنه مفقود مع الاسف . راجع كتاب جستون بوايزير ص ٢٢ ، ٤٧ على فرون .

الاصحاب مثل هذه الحاجة قضاها لهم على خير وجه فيكلف كتبه ومقربيه وسكاترته بنسخ الكتاب المطلوب ، ويجد لذة في اهدائه كما كان يسره أن يتقبل كتابا يرسل اليه . وكان من الجارى في عرفهم أن الرجل يهدى الى صاحبه الكتاب الذى يعرف أن له فيه رغبة مستترة أو كان له به حاجة من غير أن يطلبه . واذا زار أحدهم آخر فوجد كتابا يوافقه أعير اياه فيرده بعد أن يقضى منه حاجته الخ .

يمكننى أن أضاعف هذه التفاصيل الى غير نهاية ، ولكن ما الفائدة في ذلك والناس يعلمون أن الرومان في آخر الجمهورية وقبل بلاين الذى ايجاد لنا فى كيفية صنع الورق بمائة وخمسين عاما كنوا قد اتخذوا من البردى كل ما نتخذة الآن نحن من الكتان ومن القطن ، فكان الناس يكتبون فى روما بمقدار ما نكتب نحن فى الاغراض الاجتماعية عينها وينفس السهولة والحدة ، بل مع تشابه تام فى الشهوات والمباراة . كانت المادة مختلفة ولكن الموضوع واحد . ولا أجد بين الحالين خلافا الا الخلاف الكبير الذى هو المطبعة التى لم تكن لتستكشف الا بعد ذلك بخمسة عشر أو ستة عشر قرنا . كان نسخ الكتب والامور الادارية والخطابات أمرا غاليا وبطيئا ، وذلك يستتبع أن تكون تلك النسخ قليلة العدد وفى غاية التعرض للضياع . جاءت المطبعة فجعلت النشر والنقل والحفظ ألف مرة أكثر أمانا وألف مرة أكثر سرعة وألف مرة أرخص ثمنا . بيد النساخ استبدل ضبط المكيئة المعصوم وقوتها التى لا تعرف حيا ورخصها الذى لا ينافس ، ولكن ذلك لم يكن مهما قيل فيه الا تغيرا ماديا صرفا ، فان المقصود متوفر فى الأزمان الغابرة . على ذلك يكون المخترع الحقيقى الكبير لا يزال هو الشيخ توت أو أى ساحر آخر من السجرة المصرين الذى أنطق البردى والحروف التى رسمها عليه قلم الكاتب مغمورا فى مادة ملونة . وعلى الرغم مما كان يفكر فيه البصير طاموس فان المقالة المكتوبة فى الذهن لم تكن لتكفى الا الذى يحملها فى طيات نفسه لانها منعزلة وشبه صماء . وما كانت المقالة لتعيش الا بالكتابة ، ويمكنها أن ترجو من العجز ما لا ينبغى للفرد الفانى أن يرجوه أبدا ، فان أوراق البردى لا تزال تكلمنا ، وسوف تكلم أحفادنا أزمانا طويلا مع أن طاموس قد حبس عن الكلام منذ أربعين قرنا . من ذا الذى كان يعرف ما افكره لو لم يكن أحد الكتبة الأقل حذرا منه قد سجل لنا أقواله التهكمية على صفحات البردى التى شد ما كان يستهين بشأنها ذلك الفرعون الحكيم المسرف فى الحكمة .

بعد ان ثبتنا فلاسفتنا فى نصابهم من حقيقة الحوادث التى كانت تعثور حياتهم فى حال الدراسة أو فى حال الحرب ، فى حال الإقامة أو فى

حال التشريد . وبعد أن بيننا الظروف الحسية التي ألغوا فيها مؤلفاتهم صار جائزاً لنا عن بيعة وشيء من الاطمئنان ان نتسائل الى أى حد كانت أصلية هذه الفلسفة ؟ انها كما يظهر لنا نبتت نحو القرن السابع قبل الميلاد في آسيا الصغرى المرتبطة بروابط وثيقة مع جميع البلدان المحيطة بها فبأى شيء هي مدينة لها ؟ وهل استعارت منها شيئاً ؟ أم هل هي مستقلة تمام الاستقلال لم تتبع سواها ؟ وهل لم تنهل شيئاً من غير مناهلها الذاتية ؟ إكانت مذاهب طاليس وفيثاغورث وأكسينوفان محض ابداع لها من الأصلية ما لشعر هوميروس وسافو وأرخيلوكس والكايبوس؟ وبعبارة أخرى هل الغرب الذي فتح صدره للحياة العلمية يدين بشيء للشرق الذي هو مخالف له والذي هو معتبر أنه متقدم عليه بكثير في هذا الطريق، الوعر الذي حده النهائي هو الفلسفة ؟

أحب من غير تردد بالسلب وأن نقول له تدن لاجد غيرها ، وأن المساعدات التي وردتها تكاد تكون من خفة الوزن بحيث يمكن الجزم بأن أي نقا في العلم أيضا كانت ذات أحداث وابداع ، شأنها في بقية الأشياء الأخرى ، وإذا كانت تلتقت شيئاً عن جيرانها فما هو إلا أصل عديم الصبر قصيرتها هو وبلغت من تصورها حد التمام بحيث يمكن القول بحق أنها هي التي أوجدتها في العالم .

وعلى أن أقدر دأبه ذلك دله ماذا يعني بالفلسفة ؟ وجسيم حدها وهذا : « اتجاه العقول اتجاهاً شاملاً إلى العلم » . المشاهدة لاجل العلم من غرضه آخر الا قدم العالم الذي تمردت فيه وفكره وأصله ونمايته . هذا هو المعنى الذي تولد وقتئذ لأول مرة في العقول الإنسانية والذي ، من طاليس وفيثاغورث وأكسينوفان إلى عهدنا ، لا يزال ينمو من قرن إلى قرن، والذي ينمو في المستقبل بلا انقطاع مادامت القرون وما دام الزمن الذي يقاس بها على بقاء النوع الانساني . ذلك هو ما أجادت الفلسفة في بداية أمرها عمله أن اعتنقت جميع العلوم بلا استثناء . وما هو الا بسبب ضعف عقولنا وضرورات البحث العام انه انفردت العلوم الخصوصية شيئاً في شيئاً وانعزلت أمها الفلسفة عن أولادها . ولكنها ما زالت تغذيها وتوكلها عليها . ولم تلبث الفلسفة أن حددت دائرتها الخاصة المتوزعة أجزاءها في العلوم المختلفة التي الفلسفة أسسها وتماهها ، ولكنها في تلك الايام الأولى كانت مختلطة بجميع العلوم ، لان العلوم لم تكن بعد قد خرجت منها . من هذا سمت نفسها بذلك الاسم الجليل المتواضع ، فان فيثاغورث لما سأله ليعون طاغية الفلياز (سيقونيا) أجاب بأنه فيلسوفاً وهو اسم لم يسمع من قبل .

الفيلسوف ليس الا صاحب الحكمة أى صاحب العقل ذلك العقل الذى يدرس الاشياء ويدرس نفسه أيضا . وقد كان فيثاغورث يقول : « حال الناس فى الحياة يسعون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون الى الاعياد الرسمية . وفى جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين اليها أغراض مختلفة ، أحدهم يقصدها ليبيع فيها بضائعهم مدفوعا بحب الكسب وآخر لا يقوده اليها الا حب المجد والرغبة فى ان ينال قصب السبق فى القوة أو فى المهارة . وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها الا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات وعجائب الصناعة المعروضة لأنظار الجميع . كذلك فى الحياة ، للناس الذين تضمهم الجمعية الانسانية مشاغل متباينة . فمنهم المجبرورون بجواذب الثروة والتمتع التى لا تقاوم . وآخرون مملوك عليهم أمرهم بانطع فى السلطان والشرف وهما لا ينالان الا بالحروب الحادة والمنافسات التى تستفك الدماء ، ولكن الغرض الاسمى للرجل هو امان النظر فيما فى هذا الكون من الجمال المتنوع الذى يقدمه لانظارنا وبذلك يستحق عنوانا فيلسوف ، فمن الحسن أن ينظر المرء الى اقطار السموات الفسيحة يتتبع سير الافلاك التى تتحرك فيها على قدر غاية فى النظام ، ولكنه لا يستطيع فهمه جيدا الا بالمبدأ المعقول المجرد الذى يسير الكون ويخصى كل شىء عددا ومقياسا ، فالحكمة تنحصر فى التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الالهية الايدى الاولى التى لا تتغير . والفلسفة ليست الا التتبع المستمتر لهذه الدلائل الشريفة التى تميز الناس وتصلحهم (١) .

منذ البداية قد علمت الفلسفة ما كانت تفعل ، منذ خمسة وعشرين قرنا لم تبحث الفلسفة الا فى تحقيق الفكرة التى قامت بها عند خطواتها الاولى بالتدرج تحقيقا كاملا . وما زالت حكمة فيثاغورث هى حكمتنا وان كانت العلوم قد رقت رقتا كبيرا جدا ، ولكن الفيلسوف لم يتغير فإنه سيبقى دائما هو الذى يتأمل فى الاشياء ويلاحظها ليقومها وليفهم نفسه ، هذا هو معنى العلم والفلسفة الذى أنسب شرفه الى أغريقا دون سواها . فمن أغريقا تلقينا من غير أن يكون افكره أحد من قبلها فى هذا الشرق الذى كانت تعتقده ويعتقده غالب أهل زماننا ينبوع كل نور وحكمة .

من كانت تستطيع أغريقا أن تستعير هذا المعنى وقتئذ أمن مصر

(١) إميليك ، حياة فيثاغورث ب ٧ ف ٥٨ ، ٥٩ طبعة لمرمان ديدو على اثر ديوجين اللايرتى . فبكل هذه الوثائق وثائق إميليك وفرغوريوس يمكن جمع حياة فيثاغورث المهمة ونبرة تامة عن مذاهبه الاصلية .

ام من فينيقيا ام من الفرس ام من الهند ؟ لا ارى غير هذه الامم احدا كان يستطيع ان يعلم الاغريق شيئا وأقول: ان هذه الامم ولو انها علمتهم أشياء كثيرة ولم تعلمهم الفلسفة أصلا . لا شك في أن كثيرا من فلاسفتنا وفيثاغورث على الاخص شاحوا سياحات طويلة في تلك البلاد وانهم ذهبوا اليها ليتعلموا ، فان فيثاغورث الذي ربما كان يدلى الى فينيقيا بعائلته ذهب الى مصر كما فعل طاليس من قبل وكما فعل هيرودوت بعده بقرن وأقام فيها ويقال : انه لقن الاسرار الخفية . وقد يمكن تصديق ذلك بسهولة ، لان سولون ذهب اليها ايضا . والظاهر يدل على انه لم يقف عند محادثة كهنة سايس (١) في أمر الاطلانديد ، ومن المحتمل أيضا ان فيثاغورث جاوز مصر الى كلدة وتحادث مع المجوس كما كان قد تحادث مع الكهنة المصريين . والفضل في ذلك يرجع الى الطريق الملكي الذي أنشاه دارا يصل به المسافر من سرديس الى صوص في أعماق فارس وراء دجلة والفرات من غير مشقة الا طول السباحة التي تقطع في ثلاثة أشهر . وليس يرى لماذا لا يدفع حب العلم الى ازماع مثل هذه السياحات في حين ان السياسة ، حتى قبل فتح ذلك الطريق ، كانت تقتضى كل وقت علاقات من هذا النوع . وقد كانا حكماء الاغريق مشوقين دائما الى زيارة مصر وفينيقيا وكلدة وهي البلاد الشحيقة التي كانوا يؤمنونها ليجدوا فيها كنوز العلم . والواقع انهم جابوا تلك الاقطار الشاسعة مع ما عليه الوصول اليها من المشقة .

ماذا جلبوا منها ؟ الآن وعلى اثر الاكتشافات اللغوية والاثرية التي جاء بها قرننا الحاضر والمعلومات الهيروغليفية والكتابات وأوراق البردى المصرية وكتب زورواستر وكتب الهند المقدسة ودين البراهمة والبوذيين ، نقول ان طريق الجواب مفتوح أمامنا ، ونستطيع أن نرى فيه أحسن مما رأى الاغريق ، نرى ماذا كانت حكمة الشرق المزعومة . تلقاء الآثار المفسرة بالضبط الكافي ان لم يكن بالكل فعلى الأقل بالجزء نعلم ماذا تساويه وماذا يمكنها أن تؤتية ، يبحث فيها عيشا عن الفلسفة وهي عنها غنية فكيف يكون الاغريق حتى مع تناول الاسرار الخفية قد وجدوا الحكمة فيها مادامت لم تكن فيها .

نطرح الى جانب فينيقيا ويهودة جميعا ، فان التوراة اثر ذو قيمة لا تقدر ان بما تشتمل عليه وان بما خرج منها، ولكي لا أرى ان اغريقيا استعارت منها شيئا أيا كان ، واذا كانت كتب اليهود المقدسة قد وصلت اليها بأية

(٢) راجع طيماوس: فلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٠٧ وما بعدها .

طريقة كانت فلماذا تخفى ذلك وهي قد اعلنت اعلاناً عالياً بل عالياً فوق ما يلزم حكمة مصر وحكمة المجوس ؟ أى عقبة اعترضتها فى اطراء الحكمة العبرانية اذا كانت عرفتيا ؟ يمكن أن يؤسف على أنها جهلتها ، وأنا أظن أيضاً أن اغريقاً التي كانت مستعدة للرقى بنفسها كانت تجد من دراسة كتب موسى مساعدة قوية ، ولكنها ما علمت منها شيئاً . والقول بضد ذلك يمكن أن يكون دليلاً على إيمان حاد ، ولكنه ضلال مبين لا ينهض واقفاً أمام أدلة الحوادث . فلما ترجم التوراة السبعون بعد ذلك أى فى عهد بطليموس الثانى فيلادلفى (٢٧٥ قبل الميلاد) أمكن الاغريق أن يقرعوها وليس يرى أنهم تحركوا لها ولا استناروا بها ، ولو قرئت عليهم فى زمن طاليس وفيثا غورث لكان أثرها أقل من ذلك أيضاً ، ولو فسرت لهم لمسا كادوا يفهمونها ولا يصغون اليها . والواقع انها لم تفهم شيئاً .

أقول عن مصر ما قلته عن فينيقيا ويهوذا تقريباً ، فمن عهد الاكتشاف العظيم الذى أتاه شمبرليون ومن كل الاعمال التى تبعتها وأيدته يعلم ماذا كانت أرض الفراعنة القديمة ، فقد يكون الانسان واثقاً من أنه لن يصادف فيها ما يدل على الفلسفة الا بيانات غير منتظرة من نوع جديد . كانت الاعتقادات الدينية مستفيضة فيها ، وكانت عريقة فى أصليتها جميلة على ما فيها من شذوذ ، ولكن العلم بالمعنى الخاص لم يكن بها ، وكل شيء يساعد على اثبات أنه لم يكن فيها أصلاً بل لم يكن ممكن الوجود بها على رغم ما عليه أهلها من الذكاء الحقيقى ، ان ذلك لا يقلل من أهمية دراسة مصر ، ولكنه لا ينبغي أن ننتظر منها ما ليس فيها . لها سنويات وليس لها تاريخ . يمكن ان يكون لها مشاهدات مضبوطة لبعض الحوادث الطبيعية والفلكية على الاخص ولكنها ليس لها علم . لها مذاهب دينية وليس لها فلسفة . حالها كحال فينيقيا جارتها وحال يهوذا التى كانت خاضعة لها وتخلصت منها منذ عهد موسى . يمكن أن يكون لها معلومات كبرى ولكنها لم تلمسها ولم تركزها على مبادئ معينة .

وللحكم على مجوس كلدة لدينا ما ذكره هيرودوت وما كتبه الكتاب المعاصرون وما تعلمنا إياه الكتب الدينية المجموعية التى فتح لنا مغالقتها حديثاً علماء اللغات وفى مقدمتهم ايجين بورنوف .

أما على قول هيرودوت الذى يظهر أنه رأى المجوس عن كتب فانهم لا يكادون يكونون الا عرافين . عندما أراد اصطياف ملك الميديين ان يفسر الحلم الغريب الذى رآه ابنته مندان قصد الى المجوس المحترفين بتعبير الرؤيا واتبع نصيحتهم مع التحرج ، اذا امر بقتل حفيده قيروش . وعندما يريد قمبيز أن يزعم حملته الجنوبية على مصر يعهد الى مجوس القيام بأعباء الدولة مدة غيابة فيسئ المجوسى فى ثقة الملك به ويجلس على العرش أخاه

سمرديس الكاذب ، ولكن الفرسان غاظمهم هذا الاعتصاف الذى يفضى الى خضوعهم للمجوسى ، فاتفق سبعة منهم تحت امرة الفارسى دارا بن هستانسب وذبحوا الاخوين اللذين تبوءا الملك غضبا ، وهم هم المجوس الذين يفسرون حلم اكزاركزيس ، اذ يهيم بمحاربة اغريقسا وعلى رأيهم يمشى ، وبينما هو فى الطريق على ضفاف الستريمون ، اذا بالمجوس يذبجون الخيل البيض يستفتحون بها باب النصر . فلما شئت الاسطول (٤٨٠ قبل الميلاد) بريح عاصف على شاطئ تراقيا فى رأس سبباس ، غير بعيد من اطوس حيث هلك اسطول آخر قبل ذلك بعشر سنين ، اذا بالمجوس يقربون قرابين للريح ليهذوا ثائرته فى اليوم الرابع . وبالجملة لا يقرب قربان الا بحضرة مجوسى لينشد ما يسميه هيرودوت تيوجرفى (أنشودة الآلهة) ليتم بذلك الاحتفال الدينى .

من أجل ذلك كانت فى اغريقا القديمة وعلى الخصوص فى روما شهرة للمجوس وكراهة لهم فى آن واحد ، ومن اسمهم اشتق اسم ذلك الفن الخفى الذى هو « السحر » وهو مخوف عند العامة وطالما غرر بهم . وقد أنحى عليه بلاين بالسخط فوق ماقد يستحق (١) . ومنذ عهد أرسطو كانت تلصق هذه التهم بمجوس الفرش والكلدان ، فان هذا الفيلسوف قد أفرده مؤلفا خصيصا بذلك وسماه « الماجيك » (٢) ليدفع عنهم التهم التى ظهر له فسادها . وفى كتابه المسمى « فى الفلسفة » ظن أن من الواجب عليه أن يشتغل بأمر المجوس الذين يعتبرهم أقدم عهدا من كهنة مصر ، ولما وصل الى لاهوتهم تكلم عن الاصلين اللذين يعترفون بهما : الحسن والقيبح « اوروماز - وأريمان » . ومن الكتاب المتأخرين عن أرسطو من جعل المجوس آباء الجنوزوفست (فلاسفة الهند المتريضين) بل آباء اليهود أيضا . وفى كتاب دانيال الذى كتب فى عهد دارا أن مجوس بابل ليسوا الا منجمين وسحرة ومفسرى أحلام ، ومع ذلك كانوا يلقبونهم بالحكماء ، ولكن الخدم التى تطلب منهم لا تكاد تدل على أنهم أرفع درجة من المحتالين والسحرة الدجالين ، فهل هم أنفسهم أولئك الذين كان لهم ارصاد فلكية فى بابل قدرها أرسطو خير تقدير (٣) .

ولكن المجوس اذا كانوا فلكيين مهرة فليستوا فلاسفة ، وكتبهم الدينية (زند) التى نعرفها الآن بطريقة أكيدة تبين لنا ذلك بغاية الوضوح .

(١) بلاين التاريخ الطبيعى ك ٣٠ المخصص كله لهذه المسألة .

(٢) ديوجين اللايرتى فى مقلته ف ٨ .

(٣) أرسطو كتاب السماء ك ٢ ب ١٢ ف ١ من ١٧٨ من ترجمتى .

هان الفنديداد واليسنا واليشث وجميع القطع المنسوبة الى زورواستر (زاراتسترا) تشتمل على آثار من ديانة ظاهر عليها الجلال والقوة فى خلال تلك الظلمات ، ولكنها لا تشتمل على مذهب فلسفى . وهذه الكتب هى كل ما يمكن اسناده الى مجوس كلدة . فاذا كان فيثاغورث قد اطلع عليها بالمصادفة فانه لم يدخل منها شيئا فى مذهبه الخاص : صلوات وأدعية وأناشيد وعقائد مبهمة وغير مستقرة وآثار من سير مقدسة وخرافات ليست هى خرافات الفيداس وليست كذلك من خرافات الاغريق ، ذلك على الاخص هو كل ما يمكن أن يقرأ فى كتبهم . وهذا فى الحقيقة لا ينقص من أهميتها الكبرى ، فان تاريخ الديانات يمكن أن يكتشف فيها الاصول النقيسة للغاية ، ولكن تاريخ الفلسفة لا يجد فيها شيئا يجنيه ، وعلى ذلك لم يكن المجوس ولا المصريون قد أوحوا الى اغريق يونيا شيئا .

أفتكون الهند ؟ ولا هى أيضا .

ليل حالك لا يزال يغشى الاصول الهندية وأخبارها ، ولان هذه البلاد ما كتبت قط تاريخها نصادف أكبر العناء فى ترتيب الحوادث والوقائع المتنوعة التى تتعلق بها . كذلك الحوادث الخاصة بالعلوم والآداب لا تخرج عن هذا الخفاء العام . ومع ذلك يبين لنا ، وسط هذا الاختباط الذى يكاد لا يخلص أبدا ، بعض الاصول الرئيسية الحق على ما فيهما من شدة الابهام ، فيمكن الجزم بأن آثارا بعينها من آثار العقل الهندى أقدم أو أحدث عهدا من بعض آثاره الأخرى . من ذلك أن أنواع الفيدا وعلى الاخص الفيدا التاريخى انذى لقب مع التسامح بلقب « الريك » هى متقدمة على سائر البقية وجماعة الفيدا أو على الأقل تلك المتقدمة لا يكاد يقل عمرها عن خمسة عشر قرنا قبل الميلاد ، غير أن هذه الاناشيد الشعرية ليس فيها شيء من الفلسفة . أما الخرافات الفياضة النامية فيها فانهما تشبه الخرافات اليونانية ، كما أن بين لغتى اليونان والهند البرهمانية مشابهة أخوة ، ولكن الطابع الفلسفى معدوم منها بالمرّة . وأما الاوبانيشاد التى يمكن أن يوجد فيها هذا الطابع بعد البرهمانيات فمن المؤكد أنها متأخرة عن الأزمان التى نحن بصددّها ، فمع أن طاليس وفيثاغورث واكسينوفان هم من القرن السادس قبل المسيح فان الاوبانيشاد لا يمكن أن تبلغ أقدمها إلا الى القرن الرابع .

وعلى ذلك لم يكن الاغريق ليستعملوا شيئا من الهند مع افتراض أنه كان من الممكن فى ذلك الزمان أن يكون لهم مخالطة مستمرة بحكامه شواطئ الهندوس ، بله حكماء أو انشط شبة جزيرة الهند أو شرقها . وما عرف العالم الاغريقى بجماعة الجمنوزوفست إلا بتجريدة الاسكندر وسفارة

ميفاستين ، ولكن الاسكندر وميفاستين هما متأخران بمائتي عام عن حكماء
سمنوس وملطية وكولوفون .

حق أن الهند خلافا لمصر ويهودة وفارس لها فلسفة حقيقية نعرفها
في مجموعها ونعرف منها آثارا تفصيلية . وريثا ندرسها دراسة تامة
تقرر منذ الآن أننا نعلم أن هذه الفلسفة مستوفية كل الشرائط اللازمة
للعلم على النحو الذي نعينه نحن اليوم ، والذي كان يعنيه الاغريق دائما .
انها مستقلة تمام الاستقلال ، وغرضها كغرض حكمة الاغريق تفهم العالم
والانسان . ولا شك في أنها درست كليهما على غير الوجه المفيد ، ولكنها
جعلتهما شغلها الوحيد ، فينبغي أن يكون لها بمذاهبها الستة التي تقاسمها
وتؤلفها مركز عظيم في التاريخ العام للعقل البشري .

ما هو تاريخ هذه الفلسفة ؟ وإلى أي زمن تنسب ؟ ذلك هو كل ما يهمنا
في هذا المقام .

قد كان يظن أن أحد هذه المذاهب الذي هو مذهب سعنخيا الملحد
من قبل كان سابقا على البوذية . ولما أن بوذا مات سنة ٥٤٣ قبل الميلاد
يكون سعنخيا معاصرا لطاليس ومعاصريه الآخرين . وكانوا يقفون مذهب
سعنخيا بالمذاهب الاخرى على ترتيب معين لا يخلو من التحكم كثيرا أو قليلا
باعتبار أن كل هذه المذاهب متأخرة عنه وبالتبع تكون متأخرة عن فلسفة
آسيا الصغرى ، ولكن يظهر أن هذا الترتيب أصبح الآن معدوم النصير ،
لأن أغزر البراهمة علماء متفقون على ترتيب سعنخيا بعد البوذية بزمن
طويل . أن الفلسفة لم تظهر في الدين القديم الا لاستئصال شأفة الالحاد
أو على الأقل لتفيل من غرضه . وأن مذهب سعنخيا الذي هو ملحد وروحاني
معا ما يكون الا طليعة التوفيق بين اعتقادات الدين الجديد وبين الاعتقادات
الجائية من فيدا ، ويكون « النيايا » أو المنطق جاء نفسه قبل سعنخيا
لحاجات المناظرة وتكون الفيدعنتا متأخرة عن الاثنين (١) .

ليس بي من حاجة إلى الدخول في مناقشات من هذا النوع ، ولا أريد
أن أجاوز بالبحث حدود ما قسّمته من القول ، والا كانت افاضة في العبث
فإن من البين أننا حتى اذا وضعنا سعنخيا في الترتيب الرجودي قبل
ظهور البوذية وجدنا أن الاغريق لم يكن في وسعهم أن يعرفوا من مذهبه
شيئا عندما أخذوا بفلسفون لأول مرة . ومع افتراض أن سنيحة فيثاغورث

(١) ر . مؤلف بديجا « حوار عن الفلسفة الهندسية » لندن ١٨٦١ في قطع الثمن
ص ٥٠ وما بعدها . وكان الاستاذ بديجا أستاذا في مدرسة بيشوب بكلكتا أمضى مؤلفه
إلى جورج مونز .

بلغت به بابل وصوص ، فأجها لم تعلمه مذاهب لم تكن خلقت فى بنجاب
أو على شطوط نهر الجنج .

ينبغى أن يزاد على هذا أن « داراسانا » الفلسفة الهندية على ماهى
معروفة عندنا منذ كولبروك وماتلا مذكراته المشهورة من المعلومات ليس
بينها وبين الفلسفة الاغريقية فى تلك الازمان الاولى علاقة مشتركة . فلا
فى طاليس ولا فى فيثاغورث ولا فى اكسينوفانثا يسكن العصور على اثر
للمشابهة أو التقليد . وهذا مفهوم بالبداهة مادام الظاهر كله يدل على
أن الفلسفة البرهمانية لم تتم الا بعد ذلك بقرنين أو ثلاثة .

ومضى خرجنا بالهند من الموضوع صار من العبت أن نبليغ بالبحث
الصين ، فإن لاوتسو معتبر أنه عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ،
ولكن الفلاسفة الاغريق الاول لو كانوا قرعوا الثاوتى كنج وهو كتب
الطريق والعضيلة لما استطاعوا ان يحنوا فيه ما يصلح لهم (١) .

على ذلك لا الصين ولا الهند ولا فارس ولا مصر نفسها لم تلهم
الاغريق شيئا من فلسفتهم . وسأبين فيما يلى أى حظ من التأثير كان
للمذاهب المصرية فى مذهب فيثاغورث ، ولكنه يمكن الجزم بصورة عامة أن
الفلسفة الاغريقية باعتبار أنها فى مهدها فلسفة بالغة فى الاصلية غايتها .
وبأن معنى العلم على الصورة التى صورتها بها هذه الفلسفة وقتئذ كان
ياكورة فهم العقل البشرى للعلم ، تلك هى نتيجة كبرى اعترف بغاية
الارتياح أنها ليست أمرا جديدا ، كما قد يبين من الاعتبارات التى تقدمت
بل قد تقدمنى بزمان رجال ارتأوا هذا الرأى من غير أن يكون قد توفر
لديهم كل مالدينا من الادلة .

فان العالم المحقق بروخر كان يكتب منذ قرن كامل فى هذا الموضوع
وقبل أن يصل الى الفلسفة الاغريقية بحث عن بدايات الفلسفة فى الارض
جميعها . فراح يستجوب على التعاقب العبرانيين والكلدانيين والفرس
والهنود العرب والفينيقيين والمصريين وطائفة من أمم أخرى ، فلم يعثر
فيها على الفلسفة التى ينشد هم أياها عبثا ، حتى بلغ الاغريق فقال : « الآن
لنبليغ الاغريق هذه الامة المشهورة منذ كانت صنيعة فى المهد بدررس الحكمة
والفنون ، والتى عندها وجدت الفلسفة مقرها الذى بفته زمنا طويلا بعد
أن تلقت هذه الامة عن المتوحشين بعض الجرائم من المعساروق الالهية
والبشرية » .

(١) راجع مؤلف استايلسلاس جوليان « لاو - صني - الى - كنج » المطبعة الملكية
سنة ١٨٤٢

ثم بعد أن درس النظريات القديمة لانساب الآلهة التمثيلية والفلسفة السياسية للحكماء أضاف هذا العالم الرصين مؤرخ الفلسفة الى ما تقدم مايل محدثا عن مدرسة يونيا :

« الى هنا لم نقدر فلسفة الاغريق الا وهي صبيجة ترت في مهدها ، ولكننا قد بلغنا الآن منها الطور الذي فيه بدأ العقل البشرى يزاول الفلسفة الحقة ، ويظهر بالافكار المرتبة مظهر المشغوف بالنفوذ في حقيقة الاشياء فالى العبقورية الاغريقية ينبغي ان ننسب هذا المجد كما بينته آنفا وفي أول هذا التاريخ عند البحث في الاصول الصحيحة للفلسفة «(١)» .

واما أنا من جانبي فلا ازيد على ترديد عبارة بروخر ، وأعدني سعيئاً باستنادي الى هذا الحجة المحترم المتين الذي تقدم بمائة عام مالدينا في هذا العصر من المعلومات البينة . نتيجتي كنتيجته . نعم اغريقيا أصيلة على الاطلاق . اعطت كل العالم ولم يعطها العالم شيئا الا ما ربما يكون من بدور كانت عقيمة في غيرها فعرفت هي وحدها ان تنبئتها .

لن أتوسع في الكلام على مذاهب طاليس وفيثاغورث واكسينوفان بل افترض انها معروفة بمقدار ما يمكن ان تعرف من القطع النادرة التي نجت من البلى وأقف عند بعض الملاحظات العامة الى غاية العموم . من البين أن اكمل هذه المذاهب الثلاثة على نسبة كبيرة هو مذهب فيثاغورث . ونحن لانستطيع ان نتعرفه الا من خلال الشروح التي وضعتها عقول قليلة التفوق جاءت بعد المصنف بستة أو سبعة قرون ، ولكنها مع ذلك كافية في بيان أن الدراسة التي كان يزاولها حكيم سموس شدد ماكانت أفسح ميدانا وأكثر ضبطا من دراسات معاصريه ، فيها الفلسفة بتمامها تقريبا مع اجزائها الاصلية التي تتألف هي منها . وفوق ذلك فان دراسة العلوم وعلى الاخص العلوم الرياضية بلغت فيها شأوا بعيدا . ومن البلية أن شخص فيثاغورث كمذهبه لا يزال يحيط به من الظلام حجاب لا شيء يمزقه ، ولا شك في أن هذا الحجاب العظيم انما جاء كبره من السكوت الذي التزمه فيثاغورث والزم اياه تلاميذه الذين بقوا محتفظين بتنفيذ أمره مدة عدة أجيال . وكان ميلولاوس السابق لافلاطون بقليل هو أول من علم القاعدة - على ما يوكدون - ونشر المذهب بل ربما نشر كتب الاستاذ أيضا .

ومما لا يقل عن هذا مطابقة للواقع هو أن فيثاغورث على فلسفته

(١) بروخر تاريخ الفلسفة سفر (١) ص ٣٦٤ ، ٤٥٧

كان يحتفظ في نظرها بشيء من النحر الديني اذا لم يكن في افكاره فعلي الاقل في الجمعية التي ألفها والتي لا يدخل اليها الا بعد امتحان قاس يعجزه المريد ، فليست الفيثاغورية مفتوحة للكافة كالذهب الطبيعي لطاليس ، ولا كمنهج ماوراء الطبيعة لأكسينوفان . لفيثاغورث تلاميذ ، ولكنهم بعض أعضاء جمعية منتظمة خاضعة للملاحظة شديدة ومحصورة في حدود لا تجتاز ، انها نوع من مدينة فلسفية دينية سياسية قاسية وضيقة الحدود . فلم تلبث ان ارتاب في أمرها جيرانها فخرّبوها بالحديد وبالنار وما كان أسهل عليهم ذلك نظرا الى ان هذه الجمعية من الوداعة بمكان . ومن البديهي أن نظام المدرسة الفيثاغورية كان على مثال مدارس الكهنة المصريين ، وربما كانت على مثال مدارس المجوس أيضا وإن تناسخ الارواح هو عقيدة شرقية صرفة لم تتأقلم في العالم الهليني مع أن أفلاطون وضعها تحت إشرافه . كان فيثاغورث مؤسس مدرسة ورئيس جمعية معا ومبدع مذهب لا يتلقاه الا أشياعه ، وبهذه المثابة كان بين فلاسفة الاغريق وحيدا في هذا الباب . وينبغي ان يوضح ان سياحاته في مصر وكلدّة هي التي أوجدت في نفسه مقاصدا من هذا النوع فنقلها الى بلاد قلما توافقها وتنجح فيها ، ولكنها مع ذلك جعلت لفيثاغورث مركزا قدسيا علميا معا فبقى به علما فردا متميزا عمّن قبله ومن بعده . مذهبه العلمي غير تام ، ولكنه عظيم جليل . ومنهجه الأخلاقي طاهر لا غبار عليه حتى أن مذهب أفلاطون مع كونه أشد منه تعمقا لم يرجع عليه في طهره .

ولندع الى جانب شخصيات الفلاسفة وننبه الى ان الفلسفة الاغريقية بتمامها كانت موضوعة في وضع استثنائي أفادها جدا وهو أنها لم يكن أمامها أبدا ديانة مبنية على كتب مقدسة ، وقد كان الامر على ضد ذلك في مصر ويهودة وفارس وفي الهند حيث لم تكن الحال قاصرة على أن الدين قد سبق الفلسفة في تلك البلاد ، كما هو الحال عادة في كل زمان . بل انها اعتمدت فوق ذلك على أحسن معتبرة انها الهية ، ومع ذلك اقامت قرونا طويلا كالملة لسد الحاجات الادبية والاخلاقية في تلك الامم . وبعد ذلك خرجت الفلسفة من المحاريب فمثلا في بلاد الهند البرهمانية أو البوذية استطاعت الفلسفة أن تنمو نموا كبيرا متحللة من القيود الاولى وإن كانت تجاحها لم يكن عظيما . اما في بلاد الاغريق فلم يكن ما يشبه ذلك ، لأن الاغريق لم يكن لهم كتب الهية ولا موحى بها . وقد كان أرفيولينيوس وسائر المرتلين الاقدمين الذين كانوا ينشدون آيات الاسرار الاولى كلهم ما كان يتكلم الا باسمه هو دون أن يستند ما يقول الى الاله . ولما كان الأمر بالآلة متغير الصور منشورا في البلاد لا ينتظمها على حال واحد لم يستطع

الوصول الى تاليف جسم من المذاهب قد يصير ديانة ذات قوام خاص فلم يكن للكهنه نقابة قوية ذات سلطان وكاذا الناس يحترمونهم ولكن لا يطيعونهم ، ولم تكن الروابط بين الهيئتين الا مفككة العرى ، لانها انما تبحث عن معتقدات عامة يغير من عمومها في كل جهة اساطير محلية لانهاية لها ، وعن بعض احتفالات عامة لم تكن الزامية ، وهواتف يستشيرها الناس وقتما يريدون ؛ وألعاب عمومية . والكتاب الوحيد الذي أخذ بمجامع قلوب الاغريق انما هو قصيدة حماسية . ان قصيدة من شعر الحماسة تسحر العقول ولكنها لا تهديها ، تأخذ بالقلوب ولكنها لا توجب الايمان ، انها تنسى الاحتساسات الشريفة بما تقدم من التذكارات الوطنية ، ولكنها لا تسوى سبيل السلك . فما قصيدة حماسية بالعودة ولا هي بالزاندافستا ولا بمنتراس البراهمة ولا بالقسريان المثلث عند البوذيين . فالواقع ان الفلسفة كانت هي وحدها دين الهلين

وما تستب غظمة الفلسفة الاغريقية التي لا تزال تلدهينا وتعلم منها . بعد خمسة وعشرين قرنا الا الى استقلالها المطلق . ولو انها كانت تحت وصاية ديانة حسنة النظام امكن ان تظهر قواعدها بهذه السهولة التي ظهرت بها ؟ او كانت تخيا تلك الحياة الطيبة القوية ؟ او كانت تلد للعالم تلك الملح من التاليف وتؤتي ذلك الثمر اللذيذ ؟ من ذا الذي يعرف ذلك ؟ لا شك في ان الجنس الهليني كان عجيب الاستعداد فقد نجح في ميدان الفلسفة ، كما نجح في ميادين الاعمال الاخرى ، ولكن اما كانت تذبل هذه الخواص المعجبة لو ان الصنارة التي تغذيها جرت في قنوات اخرى من قبل وخصوصا في قنوات الديانة ؟ ولم يكن تاريخهم انحرافا الا لعبا تلعب به الملكات ، فكانت الخواص العليا للنفس في سعة من ان تتخذ لها نحا جديا آخر وتبحث عن غذاء لها أغزر مادة وأدخل في باب الحق ، بعيد على أن أنكر نعم الديانات على الناس ، وأرى أن من الخير أن تكون قد سبقت الفلسفة دائما ، وعند جميع الشعوب ، ولكن لا أستطيع أن أحجم عن القول بأنه اذا كانت ديانة الهلين أكثر جدية مما كانت عليه لاوشكت فلسفتهم وعلومهم أن تكون أقل في الجدة مما كانت عليه بكثير وتلك خسارة لا تعوض على الاغريق وعلينا أيضا لاننا نحن أبناءهم ومظهر استمرار حياتهم .

ولئن انسب الى آسيا الصغرى وتلك الجمهوريات الاغريقية الصغيرة التي كانت مقيمة على شواطئها كل المجد الطارف في اختراع الفلسفة والعلم والشعر والموسيقى وكثير من الفنون الاخرى ، فاني لا أقصده الى أن أغبط آتينا حقا من المجد المقطوع النظير ، ذلك لانه من آتينا خرج في زمن قديروا أهل بعض هذه المستعمرات التي جمعت بين النضاط

والذكاء والشاعرية والحربية ، وفي آتيننا اجتمع اليونان • بل يمكن القول بأن آتيننا أعطت من دمها ومن روحها تلك الجاليات التي لم تستطع ان تظلم تحت سمائها بعد أن أقاموا بها زمنا طويلا • ثم أن تلك المستعمرات لم تستطع أن تحفظ في أوطانها جراثيم للفلسفة التي تخضت هي عنها ، فانه اذا كان طاليس بقى في ملطية فان فيثاغورث قد هاجر من سموس الى سيباريس وقروطون ، واكسينوفان ترك كولوفون الى ايليا • فلما نفيت الفلسفة مؤقتا من افرىقا الكبرى بما فيها صقلية وجدت سلطانها الحقيقي في آتيننا آخر مطافها ، وجدته بسقراط وأفلاطون في عهد انكساغوراس وبيريكلليس وفيدياس وسوفكل ، على ذلك تكون آتيننا قد حوت اسمى مظهر للذكاء الاغريقى ، وتكون الام المخصبة التي ولدت الملح من كل نوع ، فأن الفلسفة لما اقتلعت مرتين رجعت الى الارض الاولى التي منها خرجت المستعمرات اليربانية لتؤتى فيها اجيل زهرها وأنضج ثمارها • ولم تكن الفلسفة في آسيا الصغرى الا عارضا جاءت به المصائب السياسية ، فاقامت فيها قليلا ولكن بعد ان انبعث نورها الساطع • فلما استقرت بآتيننا مكثت بها أكثر من ألف سنة من عهد بيريكلليس الى عهد جستنيان فهي معلمة روما وجدة الإسكندرية ومنافستها الجديرة دائما بالاحترام •

من اجل ذلك يظهر لنا ان آتيننا ويونيا او بلفظ واحد اغريقيا كان لها على من عداها فضل وسؤدد لا يطاول ، ومن أجل ذلك نضع منزلتها من سماء المجد فى أوجها ، لا يقاربها فيه ولا على مسافة كبرى تلك الامم التي حاربتها ومزقتها ولكنها لم تقهرها مع انها تربي عليها فى العدد الف مرة • فمن ذا الذى يقام له وزن بجانب الاغريق فى باب الشعر والفنون والعلم والفلسفة ؟ لست أعنى السيتيين ولا سائر تلك الشعوب الرحل فى شماليها ، ولكننا أعنى الفرس والهنود بل المصريين أيضا ماذا عسى أن تكون القرون الاولى لولا الهلين ؟ ما هى تلك المعارف الانسانية التي ليس لهم فضل فى أمرها ؟ ولقد أراد مؤرخو الانسانية ومنهم هرود أن يتلمسوا أسباب هذا التفوق الخارق للعادة من ظروف ولؤبأع كلها مادية كشكل ارضهم وحال جوهم وحاجات تجارتهم • الخ ، ولكن مع أن تأثير هذه الظروف لا ينكر الا أنها لا تستطيع أن تحل لنا مشاكل هذه النظرية الدقيقة ولا أن تفسر لنا سر هذا التفوق تفسيرا مقنعا ، فان شواطئ آسيا الصغرى وضفاف بحر ايجيه وأطيقا ، وبيلوبونيز واغريقيا الكبرى لم تتغير عن أصلها ، ومع ذلك أين هى تلك الروح التي كانت تنعش الهلين فى تلك العصور الحنبية ؟ ماذا صارت روح تلك الشعوب التي لم تتغير أوطانها المخصبة الجميلة منذ ذلك

العهد الى اليوم فان اخلافهم لا يعدون الاّن شيئاً فيما يتعلق بارتقاء
المدارك الانسانية .

لا نكاد نجد لهذا السؤال جواباً يمكننا الا الواقع نفسحه ، فانا
لنرى كيف كانت اغريقا فوق كل الامم حتى بالبقايا القليلة التى وصلت
الىنا من اعمالها ، ولكن لماذا اصطفى هذا الشعب الصغير فى زمن معين
خلال قرون عديدة ليكون عنوان النور الابدى الهادى لجميع الامم فيمما
يتعلق بالمعقولات ؟ ذلك سر من أسرار العناية الالهية ليس لنا بالنفوذ
فى كنهه يدان ، بل هو كسائر أسرار الله تنال اعجابنا ولا ينالها
فهمنا . ان الاغريق ، الذين لم يكن لهم على النوع الانسانى سعة النظر
التى تقدمها لنا اليوم فلسفة التاريخ مدعمة بشقى الملاحظات ، قد حاولوا
مع ذلك أن يفسروا لانفسهم أعجوبة عبقريتهم . وإنى اوتر أيضا فى
هذا المقام ان استجوبهم بدل ان أجيب عنهم فى هذه المسألة ، أولئك
هم ثلاثة شهود عدول من عصر واحد تقريبا وهم بقراط وأفلاطون
ورسوطو ، يشهد أحدهم باسم علم وظائف الاعضاء ، والثانى باسم
الفلسفة والوطنية ، والثالث باسم السياسة ، ولا بأس من ان نتخذ
بجانب هؤلاء شاهدا على الشعر ايشيل الذى كان يقاتل فى موطن .

فمن كتاب بقراط على الاهوية والمياه والاماكن ، ذلك الكتاب
الذى يتخيل قارئه كأنما مدده فيما أتى به من النظريات هو العلم
الحديث ، استطرد فيه المؤلف بحكم ضرورة استيفاء موضوعه الى المقارنة
بين الجنسيتين والوطنين الذين يعرفهما حق المعرفة ، لانه عاش فيهما
فقال :

« أريد بالمقارنة بين آسيا وأوروبا أن ابين كيف ان كليتهما تخالف
الآخرى » فى كل شيء ، وانه ليس بين الامم التى تقطن كليتهما أية
مشابهة فى البنية . وقد « يكون من التزام ما يلزم تعدد جميع
الفروق ، بل أكتفى بأكثرها أهمية ، واشدها » « بروذا للمعان ، لاعرض
رأى الذى ارتأيته فى ذلك ، فاقول : ان آسيا تختلف عن » « أوروبا
اختلافا عظيما بطبيعة حاصلاتها جميعا ، تنوء فيها ما تخرج الارض
وما يخرج » « من ظهور الناس الذين يزعمونها . فكل ما يتولد فى آسيا
يفضل ما يتولد فى أوروبا » « فضلا كبيرا فى الجمال وفى بسطة الجسم .
جرها أكثر اعتدالا ، وأممها أدمت » « أخلاقا وأسهل قيادا ، والعلّة فى
ذلك هى التوازن التام بين الفضول . . . فان الماشية » « التى ترعى فى
أرض آسيا حسنة المنظر خصبة التكاثر الى حد مدهش ، وتربيتها ،
« ناجحة الى الغاية . وأما الناس فيها فنموهم عظيم يمتازون عن الاجناس

الآخري « . بجمال صورهم وفضل قامتهم . ولا يختلف بعضهم عن بعض في الرواء ولا في الصورة . » ويمكن أن يقال : ان مثل هذه الجهة بينها وبين الربيع نسب يكاد يكون متصلا « . بالنظر لتأليف فصول السنة ولطف آثارها ، ولكن لا شجاعة الرجولة ولا مصابرة « . المشاق ولا اجهاد النفس في العمل ولا شدة البأس كل هذه الصفات لا تنمو « . في مثل هذه الطبيعة ، سواء فيه الوطنيون والمستوطنون ، بل ان حب الملاهي « . عندهم يتغلب على ما عداه من الميول الآخري » .

« أما من جهة ضعة النفس وعدم الشجاعة فان الاسيويين اذا كانوا أقل ميلا « . للحرب وأكثر سلاما في الطبع من الاوروبيين فعلة ذلك انما هي على الخصوص « . في حال اقليمهم حيث لا توجد تقلبات شديدة لا في الحر ولا في البرد بل « . قليلا ما يشعر بتغير الجو ، وحيث لا يعترى العقل صدمات ولا يعرف الجسم « . تغيرات . وتلك انفعالات من شأنها أن تكسب الخلق وحشة وتمزج به ميلا « . للجماح والعصيان أكثر مما تفعل الحال الجوية دائمة التماثل . ألا إنها التغيرات « . من النقيض الى النقيض هي التي تنبه العقل الانساني وتمنعه من أن ينم « . في ظلال السكون . تلك هي الاسباب التي يتعلق بها على ما يظهر لي ضعة « . نفوس الاسيويين » .

« ينبغي ان يضاف الى ذلك حال النظمات ، فان جزء آسيا الاكبر خاضع للملوك . » وحيثما كان الناس لا يملكون حرية أشخاصهم لا يعينهم المروء باستعمال السلاح ، بل « . يصرفون كل عنايتهم في أن يظهروا بمظهر العجزة غير الصالحين للخدمة العسكرية . » ذلك بأن الخطر ليس مقسوما بينهم قسمة عادلة ، اذ يسعى الرعايا الى خوض غمار « . الحرب يذوقون فيها من المتاعب ألوانا يموتون فيها من أجل أسيادهم بعيدين عن « . أبنائهم وعن نسايتهم وعن كل ما هو عزيز عليهم . وفي حين أن كل ما يأتونه من « . ضروب النشاط والبسالة انما يجنى أسيادهم ثمرته يكبر به قدرهم وتشتد به عصيتهم ، « . فان أولئك المحاربين لا يجنون من وراء كل ذلك الا الاخطار والهلاك . وفوق ذلك « . فان هؤلاء الرعايا لابد لهم من أن يروا في الغالب دخول الاعداء وانقطاع الاشغال « . سببا لجعل غيظانهم حصيدا جزا . بهذه المثابة ترى الذين آتتهم الطبيعة في هذه « . الامم قوة في القلب وميولا حسنة قد تمنعهم تلك النظمات السياسية من الانتفاع بها . » وان أكبر برهان على ما أقدم هو أن في آسيا جميع الامم الاغريقية والمتوحشة « . المتحللة من نير السيادة والتي تضع قوانينها بنفسها لنفسها وتشتغل لحسناتها هي أكثر « . الامم

الاسميوية ميلا الى الحرب . ولما أنها كانت تتعرض لاختطاس الحروب لحسابها ، الخاص فكانت تتمتع بشرة شجاعتهما أو تحتل سوء نتائج جينها ليسوا كالاسيويين » المحكومين بالملوك ، فان الشجاعة تفقد وجودها بالضرورة في قلوب الرجال الخاضعين » لحكم الملوكية ، نفوسهم مستعبدة فلا يكادون يهتمون بمعاناة الاخطار بمحض » ارادتهم من اجل توسيع سلطان غيرهم . ولكن الامر على ضد ذلك اذا كان الانسان غير خاضع الا الى قوانينه الذاتية واذا كان يعرض نفسه للخطر من اجل منفعة » الخاصة لا من اجل منفعة غيره . من هذا شأنه يقتحم المخاوف طائعا مختارا ويلقى » بنفسه بكل قلبه في جميع مهادى المصادقات لانه سيجنى لنفسه ثمرة انتصاره . » من اجل ذلك كانت القوانين مساعدة عن سعة على تكوين الشجاعة » .

» تلك هي المقارنة العامة التي يمكن تقريرها بين أوروبا وآسيا في كل الاشياء » (١) ، ذكر أفلاطون في كتابه المينكسين حيث لايزيد سقراط على أن يكرر مقالات اسباسيا الشاعرة الملطية تمجيدا للاغريق الذين قهرروا قبائل آسيا مانصه :

» لما جاء الفرس الذين هم سادة آسيا وحكامها يسعون لاذلال أوروبا قائلهم » « أبأؤنا أبناء هذه الأرض فقهرهم ودحروهم » ولتقدير قيمة هذا العمل العظيم ينبغي » « أن نتقل بالفكرة الى العصر التي كانت فيه آسيا كلها خاضعة الى ملكها الثالث ، (٢) » « فأولهم قيروش الذي لما مكنته عبقريته من تحرير مواطنيه الفرس أخضع اليه » « ساداتهم الميديين ، وحكم بقية آسيا الى حدود مصر . ثم فتح ابنه مصر وسائر الاقطار » « الانريقية التي استطاع أن يصل اليها . وثالثهم دارا فقد بسط حدود مملكته » « ومدّها الى سبتيا بفتوحات جيشه البري ، وأما أساطيله فجعلته سيد البحر والجزر ، « واذا كان لا يجزو أحد على مقاومته قد دلت له هامات الأمم فكم من أمة قوية » « خريبة ألقت غنائها الى الفرس ودخلت تحت نير سلطانهم اذا استحضر » « الانسان هذه الظروف في ذهنه أمكنه أن يقدر حقا البسالة التي أتاها يوم مرطون » « أولئك المقاتلون الذين صبروا على مهاجمة المتوحشين ، وعاقبوا بجمع آسيا وكبريائها ، » « والذين أثبتوا للاغريق بما جاؤوا به من الانفال والغنائم

(١) بقراط كتاب الا هوية والمياه والامكن ب ١٢ : ١٦ : ٢٣ : ص ٥٣ : ٦٣ : ٨٧
طبعة ليثرفي ج ٢

(٢) ايشيل . (: الفرس البيت ٧٦٥ وما يليه) . يذكر عدد آخر . يرى أن آسيا في عرف ايشيل وأفلاطون كان حدها الشرقي أرض فارس .

أن قوة الفرس لا تستعصى « على المقاومة ، وانه لاشيء من كثرة العدد ولا من سعة الثروة يقف أمام الشجاعة ... » لذلك ينبغي أن يسند ثناء هذا النصر الاول الى اولئك المقاتلين . وأما الثاني فثناؤه « مسند الى الظافرين فى الوقائع البحرية بسلامين وأرطيميس . وقد ضرب أبطال « مرطون مثلاً للاغريق عامة أن غثة قليلة حرة تكفى لرد غارة جيوش المتوحشين » « البرية ، مهما كانت لاتحصى عددا ، ولكنه لم يكن ليثبت أن ذلك ممكن ايضا « فى البحر كما أمكن فى البر حتى وقعت الوقائع البحرية فاستحق بها أولئك « البحارة المهرة ما أحرزوا من المجد لتخليصهم الاغريق من الخوف الأكبر ، ولانهم « صيروا الاحباطيل الفارسية لا تزيد مهابة على الجنود الفارسية . أما الواقعة الثالثة من « وقائع الاستقلال الاغريقى من حيث الترتيب التاريخى ومن حيث شدة الاقدام « فى واقعة بلاتة ، وهى أول واقعة اشترك فيها اللقدماتيون والأتينيون وباءوا « بمجدها جميعا ، وقد كان اللقاء فيها حرجا وخطرا محيقا فتغلبوا على كل شيء . وياله « من فضل يستأهل مدائحنا ومدائح قرون المستقبل » .

الى أى شيء فى الاغريق نسبت أسباسيا هذه الشجاعة : هذا المجد ؟ الى علة واحدة ، الى الحرية التى كانت تتمتع بها آتينا . كانت : « ها أنتم هؤلاء ترون كيف أنا اجداد هؤلاء المقاتلين واجسادنا وهؤلاء المقاتلين أنفسهم الذين ولدوا بالطالع المسعود وربوا فى مهد الحرية قد أتوا هذه الفعال الجميلة العمومية والخصوصية لغرض واحد هو خدمة الانسانية (١) » .

وما كان هذا النشيد الا اليق ما يكون بالاعمال التى يشدو بها . وحقيق بأسباسيا أن تمتدح آتينا وأبناءها . ولما قام مينكسين يشكر ستقراط عند انصرافه لم يتمالك نفسه من أن يجهر بهذا القول : « وحق المشتري أن اسباسيا لسعيدة بانها وهى امرأة تقدر على كتابة مثل هذه المقالات » .

ولا شك فى أن هذا الشاب قد أصاب فيما قال ، الا أنه فاتته ان هذه المرأة كانت من ملطية وألا أجدادها ، مع انهم كانوا لا يزالون اضعف من الاتينيين ، قد حاربوا الفرس غير مرة من قبل أن تتولى آتينا أمر قهرهم .

(١) مينكسين أفلاطون ترجمة فكتور كوزان ص ١٩٦ وما بعدها . ذلك هو الذى ذكره أيضا ايشيل على لسان جماعة المنشدون يجيبون أتوسا أم اكزار كسيس : « لا يستطيع مخلوق أن يقول أن الاتينيين عبيده أو رعاياه » الفرس البيت ٢٤٢ .

وأخيرا فإن أرسطو يشرك أفلاطون وبقراط في رأيهما ، فانه لما تكلم على الصفات المطلوبة في سكان المدينة في حكومة منظمة قال :

« لكى يلم المرء بهذه الصفات ماعليه الا أن يطرح نظره الى أشهر المدائن » « الاغريقية والى بقية الامم المختلفة التى تتقاسم سطح الارض ليرى أن الامم التى » تسكن الاقاليم الباردة حتى فى أوروبا هى على العموم مملوءة بالشجاعة ولكنهم » « على التحقيق أقل ذكاء فى العقل ومهارة فى الصناعة » وبهذه المثابة يحتفظون » بحريتهم خير احتفاظ ولكنهم من الجهة السياسية غير قابلين للنظام ، ولم يستطيعوا » « مطلقا أن يقهروا جيرانهم . أما فى آسيا فالأمر على ضد ذلك ، فإن أهمها أكثر » ذكاء وقابلية للفنون ، ولكنهم تنقصهم قوة القلب ويصبرون على البقاء تحت نير » « العبودية المؤبدة . أما الجنس الاغريقى الذى هو بموقعه الجغرافى وسط بين هؤلاء » « وهؤلاء فانه يجمع صفات الطرفين ويجمع بين الذكاء والشجاعة ، يعرف كيف يجمع بين حفظ الحرية وبين تأليف حكومات » « غاية فى النظام . فهو جدير اذا توحدت كلمته فى حكومة واحدة أن » « يفتح العالم (١) » .

هذا رأى ثلاثة رجال ، أولئك هم أرسطو وأفلاطون وبقراط فى عبقرية اليونان ، انهم لم ينفوا عن الاغريق المؤثرات الخارجية التى آثرها اظهر من اذا تخفى ، ولكنهم اهتموا على الخصوص بالاسباب الاخلاقية . وما ضلوا فيما ذهبوا اليه ، لاننا نحن الآن مع اننا أكثر تنورا ، بما أصبنا من التجربة الطويلة ، لانستطيع أن نزيد شيئا على هذه الاعتبارات الصادقة المستمدة وجودها بنوع ما من الحس ، فلتبقى اغريقا اذا ما كانت فى انعصور الاولى مدفونة فى طيات مجدها ، ولكن خالدة ما خلدت اعمال الانسان التى تقع فى يوم من الايام ثم تتلفها أيدي البلى مهما كان موضعها من الجمال والكمال .

كنت أريد أن أفرغ من هذه المقدمة التى طالت أكثر مما ينبغى ، ولكنها من هنا لا تكون كاملة اذا لم أرجع بها الى الكلام على الكتابين اللذين تتقدمهما وإذا لم أبسط القول على المسألة الكبرى التى تشبشت بها مدرسة ايليا ، تلك المدرسة التى يمثلها اكسينوفان وميليسوس أعنى بها وحدة الوجود وعدم تغيره . وما أدراك ماهى تلك المناقشة التى ثار ثاثرها فى بداية الفلسفة وقام بها رجال تقلبوا فى الاعمال الحيوية من

(١) أرسطو . السياسة ك ٤ ب ٦ ف ١ من ترجمتى ص ٢١٧ من الطبعة الثانية .

حرب وسياسة وسياسة واستعمار ؟ واذا نراهم فلاسفة ونظريين نراهم جميعا يزاولون المقاصد العملية بهمة مدهشة ، واني لنا ادراك التوفيق بين الحالين اذا لم نلم بالاخلاق والعادات والضرورات التي كانت في تلك الازمان المضطربة ! كان طاليس في جيش الياط وكان احد المؤتمرين في البانيونيوم ، وفيثاغورث يحجب البلاد الاجنبية زمنا طويلا على كثرة الاخطار وبعده الشقة ، واكسينوفان الذي نفى نفسه طوعا من وطنه المقهور بالفرس يذهب للانضمام الى الفوكيين فيما وراء البحار ، وميليسوس يدافع عن سموس ضد الاتيين بعزيمة لم يتغلب عليها بريكليس الا بعد طول العناء ، اولئك قواد وساسة يشتغلون بسا وراء الطبيعة ! امر شديد الندرة دائما ! وفوق ذلك فانهم يظهر عليهم انهم فنوا في دقة التدليل ، تلك الخاصة التي كانت تنهم بها عن بيئة مدرسة ايليا . اذا سلمنا بما ذكره افلاطون في كتابه المسمى « برمينيد » فان ذلك الانتقاد والتهمة كانا من الصحة بمكان ولا شك أن من الغريب أن تملك التديقات المنطقية على مثل هؤلاء الرجال عقولهم ، غير أنه يجب التنبيه الى أن برمينيد مع كونه تلميذ اكسينوفان وخليفته قد شرع لنفسه طريقا غير طريقه فمسخ من أفكاره وغلا فيها ، وربما كان ذلك أثرا من آثار الروح العامة المنتشرة وقتئذ في اغريقيا الكبرى ، تلك الروح التي كانت وقتئذ تبدع في صقلية فن الخطابة والتي غلت في نظريات فيثاغورث على العدد الى حد الافراط .

ليست تلك روح اكسينوفان انتي تتجلى في المقطوعات التي بقيت لنا من آثاره وفي الكتاب الذي أترجمه الآن في هذا المجلد . وعلى رأيي أن هذه النقطة هي التي ينبغي أن نوجه النظر الى الامعان فيها للاصابة في تقدير قيمة هذه المذاهب الناشئة وقتئذ ، والتي لم تكن لتأخذ بعد مركزا ثابتا في العقل الانساني في بداية هنيوه من سباته .

اول نظرة في الطبيعة التي تحيط بنا تظهر لنا بادي الامن وحدة الوجود ، وما يكون الا بعد ذلك بانزمان ان نميز بالجهد والتحليل اجزاء مختلفه في هذا المجموع العام الذي يسحر جلاله ابصارنا ويعني ادراكنا . ولم تستطع الهند لاقبل الفلسفة الاغريقية ولا بعدها أن تخسرج من تأثير فكرة الوحدة بل فنيته فيها بكليتها وبقي العلم على المعنى الخاص غريبا عنها على الاطلاق طول حياتها ، كانه لها نظريات للتهمج فيها نصيب قليل أو كثير ، وتصورات للعقل فيها حفظ وفير أو ضئيل ، كلها قائمة على الاصل العام للاشياء ، ولكن لم يكن فيها دراسة خاصة وضعية للظواهر الطبيعية ، ذلك هو أساس العبقريه الهندية وعظمتها . لا يوجد

شيء أكثر من ذلك في الفيدا والبرهانا والوبانيشاد . والإناشيد
الحناسية والقوانين في الدراسات الفلسفية . أما العنصرية الاغريقية
فانها اتقت ان تسحرها ظواهر النظرة الاولى في الوجود ، ودفعت بذلك
الخطر عن نفسها . ولئن كانت قد اتجهت وقتا ما الى فكرة الوحدة
فانها قد عرفت لحسن الحظ كيف تتخلص منها لتدرس عن قرب دراسة
منتجة بعض الاجزاء الاصلية لهذه الوحدة التي ليست في الواقع الا صورة
اللانهاية عينها .

ذلك هو الواقع حتى ان طاليس حين بحثه في التعبير عن ماهية
العالم كان يدرس الاصل المادى الذى تكون منه ، ومع انه قد اخطأ هذا
الاصل الذى ظنه الماء فانه على كل حال كان يعتمد على ما يشاهد بالحس
في الطبيعة ليتعرف اسرار الاشياء . يشتغل بالهندسة ويتتبع جريان
الكواكب في افلاكها مادام انه كان على وشك ان يتنبأ بكسوف الشمس .
وعلى رأى أرسطو ، وشهادته قاطعة في هذا المعنى ، ان طاليس كان
ينسجم بان العالم مملوء بالالهة القائمة بأمر النفس والحركة . وليس
فيثاغورث باقل استمساكا بفكرة الوحدة مع انه كان يجزئها ، ولم تملكه
استكشافاته الرياضية والفلكية لحظة واحدة عن النظر في توافق النظام
العالمى ، فكان يعترف بوجود طوائف متخالفة في هذا النظام ، ولكنه مع
ذلك يعترف على وجه الخصوص بوحدة عجيبة ، وعلى رايه ان الاضداد
اثنين اثنين تكون كلا واحدا يكون ارقى منها . وان الوحدة هي الاصل
الحقيقى في العالم المادى كما هي في العدد ، وبذلك ارتقى فيثاغورث الى
تعبير الله دون ان يميزه تمييزا تاما عن العالم الذى ينظمه ويسيره .

أما عند اكسينوفان فان فكرة وحدانية الله وقدرته هي ظاهرة بغاية
الوضوح دون ان يتعمق فيها كما تعمق فيها افلاطون من بعده وكما هو
الحال على الخصوص في اللاهوت المسيحى ، وأظن ان هذه النظرة الاولى
في الوحدة الالهية هي التى ألقت جلالها الباهر وخفائها في نظريات
مدرسة اهلينا . وعندى ان ذلك هو الذى يفسر اغلاط هذا المذهب
الشريف . ان نظر اكسينوفان لم يكن بعيد المدى ، ان شئتكم ، ولكنه
على الاقل لا يضل . أما برمينيد فان به ميلا الى السفسطة التى حملت
تلميذه ذنون على ان ينكر الحركة وحملت غريغياس على تأييد أبعد مذاهب
العدمية ضلالا وأقلها تنزها . وأما ميليسوس فانه لزم الجدل الوسط
بين الاستاذ صاحب المذهب وبين الذين غلوا به حتى وقعوا في المحال .
وانى مقارب بين اكسينوفان وميليسوس وذاكر الفروق الاساسية بينهما
على ما يظهر لى :

لقد كان اكسينوفان مليئا باحترام هذا المذهب الذى لم يدركه

أحد من قبله بمثل ما أدركه هو من الوضوح والجلاء ، لذلك نفى عنه
 خيالات الشعراء النطيفة التي تحط من مقامه كما نفى عنه الانثروبومورفيزم
 الجافى الذى هو مذهب العوام (تصور ذات الله تعالى على صورة الانسان) .
 تعالى الله عما يصفون من النقائص وعن صور الكائنات الفانية وعن صور
 هؤلاء التعساء الذين يجعلونه على صورتهم . ليس كمثله شيء فى الوجود
 لانه لماذا يكون المثل خالفا بدلا من أن يكون مخلوقا ؟ وان الله الذى لا يمكن
 أن يأتى من موجود يشابهه لا يمكن من باب أولى أن يأتى من شيء يكون
 دون مقامه . اذا هو لم يخلق من شيء فيكون بالضرورة أزليا . وأخذا
 بنتيجة ليست أقل ضرورة من الاولى يكون قديرا على كل شيء . لو
 كان آلهة متعددون لكانوا أقوى أو أضعف بعضهم من بعض ، وعلى ذلك
 لا يكون إله ، لان خاصة الاله أن يملك كل شيء ولا يملكه شيء ايا كان .
 ولما كان الله أزليا قديرا على كل شيء لزم على ذلك أن يكون واحدا ، لانه
 لو كان له منافسون لما أمكنه أن ينفذ أحكامه ويحقق ارادته العليا .

من ذلك ترى أن فى اكسينوفان بعض مبادئ جلييلة لم يرفضها
 اللاهوت المسيحي بل قبلها بالعناية قبولا حسنا ، ولكن نظر اكسينوفان
 قد اضطرب فى هذه النقطة ، وليس فى ذلك ما يوجب الاستغراب . ولقد
 أزداد أن ينفذ نظره فى حقيقة الذات الالهية فأخذ العثار فى هذا
 الطريق الوعر الذى ضل فيه كثير غيره ، فانه يقول : الله الذى لا يشابهه
 شيء من الحوادث هو على الأقل يشبه ذاته ، وهو هو فى جميع أجزائه
 وهو بأكمله هو فى كل جزء منها . قد يكون ذلك مقبولا ولكن اكسينوفان
 لما وقع فى الاستعارات التى لا تساوى قيمتها الا ما تساويه
 الانثروبومورفيزم التى انتقدتها بحق أخذ يشبه الله بفلك ، وكانت
 النتيجة عنده أن الله لا يمكن أن يكون لا لا متناهايا ولا متناهيا ، وانه
 لا يمكن أن يكون له حركة ولا سكن ، كما انه لا أول له ولا وسط
 ولا آخر . ومع ذلك فان اكسينوفان لم يخدع نفسه فى أمر الصعوبات
 غير المتناهية التى تقف فى حل هذه المسألة ، ودليل ذلك ما قاله فى هذه
 الابيات الجميلة التى نقلها الينا سكستوس امبريكوس .

« لا أحد من الكائنات الهالكة يستطيع أن يرى جليا فى هذه الاعماق
 ولن » « يستطيع أحد أن يعرف حقيقة ماهية الآلهة والعالم ، تلك الماهية
 التى أحاول الكلام عليها . فاذا لقي أحد يوما بالمصادفة الحقيقة التامة
 لما عرف هو نفسه أن يقدر ما وصل اليه منها ، وليس فى كل ما يقال
 فى هذا الشأن إلا محض تشبيه وتقريب » .

والظاهر أن برمينيد لم يتمش بالبحث فى هذا الموضوع الكبير
 الى الحد الذى وصل اليه أستاذه . وأما ذنون تلميذ برمينيد وواضح

من الجدل فانه ، على ما قال ديوجين اللايرثى نقلا عن أرسطو ، قد وصل
فى هذا الموضوع الى لا أدريه غلا فيها غرياس الى أقصى حد ، ولكنى
أكرر أنى لا أشتغل بذنون ولا بهرمينيد بل أخطأها الى ميليسوس فهو
الذى أقصد درسه بعد اكسينوفان .

مع أن ميليسوس يفصله عن رئيس المذهب ثلاثة أو أربعة قرون ،
فانه أحرص الناس على أن يحذو حذوه ويلتزم تعاليمه ، ألا انه ، عوضا
عن أن يبقى متمسكا بانه اكسينوفان الواحد الاذلى القادر على كل شيء
بل والمبرك لكل شيء أيضا ، زاغ عن الطريق ووضع الموجود موضع الاله
فاشتغل بالموجود آخذا اياه فى كل تجرده وفى كل عقمه . غير أن
التأملات الميتافيزيقية مهما قل فيها الضبط فان ذلك لا يقلل من جمالها
ولا من تعمقها الاستثنائى .

الموجود لا يأتى من الموجود والا لزم عليه أن يتقدم نفسه وهذا
تناقض . ومثل ذلك فى التناقض أن يتولد الموجود من المعدم . على
ذلك لم يكن الموجود قد وجد فى زمن ما ، وعليه يكون الموجود أزليا
وفوق ذلك لا يعتريه الفساد ولا الانتهاء ، لانه اما أن يتغير الى معدوم
وهذا محال ، واما أن يتغير الى موجود آخر واذ فلا يكون منعذما ، فالموجود
على ذلك كان دائما ويكون دائما ، وما دام أنه لم يوجد من العدم فهو لا
أول له ، وما دام لا يمكن فناؤه فهو لا آخر له ، وما دام لا أول له ولا
آخر له فهو حتما لا متناه ، وما دام لا متناهي فهو واحد ، لان اللانهاية
منافية للتعدد ، اذ لا يمكن تصور اثنين أو عدة لا متناهية . ومضى كان
الموجود أبديا واحدا لا متناهي كان بالنتيجة غير متحرك ولا قابل للتغير ،
لانه فى أى مكان غير ذاته يمكنه أن يتحرك ؟ ولما كان موصوفا بالوحدانية
المطلقة فإى تحول أو تبدل أو تغير يمكن أن يلحقه ؟ ولو أمكن أن يتبدل
بغيره أيا كان لانتفى أن يكون شبيه نفسه ولانعدم صورته الاولى
وجاءته صورة أخرى . ومع تقدم الزمن ينعدم هذا الموجود الأبدى
واللانهاى ويتحول الى لا شيء . ولما كان الموجود أبديا لا متناهي واحد
كان لا يمكن أن يكون له جسم ، فلا يمكن أن يكون ماديا ، لانه اذا
كان ذلك لزم عليه أن يكون ذا أجزاء متميزة بعضها عن بعض ، وهذا
ينافى وحدانيته ولا نهايته وأبديته . لاشى كائن حقيقة الا الموجود .
وجميع الاشياء التى تؤكد لنا حواسنا وجودها ليست الا مظاهر خداعة
متحولة كثيرا أو قليلا ، هى غير موجودة بالمعنى الخاص مادامت متغيرة
ومادام أنها تهلك بعبء أن تولد . أما الموجود الحقيقى فانه
لا يتحول ولا يتغير أبدا ولو أن الاشياء التى تظهر أمام حواسنا كانت

موجودة كما نطلبها للزم على ذلك أن تكون غير قابلة للتغير وأبدية كالموجود نفسه ، فلا شيء بموجود الا الوحدة ، وأما التعدد فلا وجود له أصلا .
أما أنا فاني أجد أفكار ميليسوس هذه خليقة به ، وبالدراسة التي هو أحد أعضائها . لاشك في أنها متناقضة من بعض الوجوه ، ولكننا من خلال هذه الرسوم البالية والمقطوعات القليلة نشعر لها بعظمة وقوة لم يوفهما تاريخ الفلسفة حقهما من حسن التقدير ، وربما كان هذا الخط منه أرسطو .

واني أعترف بأن أنكساغوراس مفهوم خير فهم بعد أكسينوفان وميليسوس ، فإن أنكساغوراس الذي هو معاصر لقائد سموس (ميليسوس) هو الذي جلا الغوامض عن علم الطبيعة وقواعد نظام الكون في عصره بأن أدخل عليها تلك الفكرة الصالحة : أن العالم يديره عقل المدبر .

ولقد أعجب سقراط بهذا المذهب مع أنه يرى أن أنكساغوراس لم يكن ليستقصى كل نتائج ، كما أننا نعلم ما صرح به أرسطو من اثناه الجميل على أنكساغوراس إذ يقول : لقد جاء أنكساغوراس بعد كثير من الفضالات ، أشبه ما يكون برجل سليم العقل يتكلم وسط المجانين (١) . فمن البقي أن ينتقص فضل أنكساغوراس أو أن ينزاع فيه بعد ما كان من شهادة سقراط وأرسطو ، فإن له الفضل الاوفى في هذا المذهب ، وليس شاذاً عن المألوف أن كلمة من عبقرى تكشف القناع عن المغيبات العلمية . قد يقال إن أكسينوفان وميليسوس هما اللذان وطأ لهذا المذهب بنظريتهما التي هي أقرب ما يكون منه . ولا مشاحة في ذلك فإن لهما نصيبهما الوافر من ذلك الفضل .

ذلك هو المعنى الحقيقي لمذهب الوحدة في مدرسة ايليا التي طالما حجب من نورها وصغر من قدرها على نسب غير مضبوطة ، وما الوحدة الايلية الا الله طلبوا معرفته يتلمسونها بين حجب الجهالة الاولى ويدرسونها ، كما يمكن أن تدرس في تلك الازمان اذ العلم والمشاهدة العلمية لا يزالان في بدايتهما . فلم تكن تلك الوحدة قد وصلت بعد الى ماقرره أنكساغوراس من الادراك الالهي ولا ماقرره سقراط وأفلاطون من العناية الربانية . غير أن تقرير تلك الوحدة مع ذلك كان الجرثومة الاولى لكل هذه المذاهب . ومهما يكن من صدق الانتقادات التي يمكن

(١) أرسطو الميتافيزيقا ك ١ ب ٣ ترجمة فكتور كوزان . وقطع فلسفية الطبعة

توجيهها الى المذهب الذى يرأسه اكستيتوفان ، فلا شغتك فى أن تلك التوجيهات السليمة هى التى آتته عظمته وخطره فى تاريخ الفلسفة .

أقف عند هذا الحد والخص بيان أوفى تلك المعانى التى جئت على ايضاحها بشيء من الضبط ربما كان أقل مما كنت أريد .

قد ظهر لى أن مجيء الفلسفة الى عالمنا الغربى حادثة من الخطوط بحيث أردت أن أحيطها بكل مايجوز خفاءها معتمداً فى ذلك على استجواب التاريخ عن الامم وعن الظروف التى اعتورت هذه الحادثة . ومما ينبغى التنبيه اليه أن هذه الحادثة انما كانت من احتكاك أوروبا بآسيا ، وإن كان ذلك قد حصل من قبل فى حزب طروادة إلا أن ظروف هذه الحرب مطروحة جانباً لأنها خرافية أو لقللة العلم بها . ذلك الاختلاط حصل فى بقعة من الارض ليس فيها من السعة إلا بمقدار ما يلزم لتحرك الجاليات الاغريقية وفى عصر يعتبر نسبياً عصر توحش ولكنه كان مملوءاً بالخصب الذى لم يتجدد بعد من وقتئذ الى الآن . على ذلك كانت آسيا الصغرى هى السابقة على آتينا التى فاقتها من بعض الوجوه ، كما يشهد بذلك هوميروس ، ولكن آسيا التى حملت بهذا الاصل العجيب تحت تائين امم غريبة عنه لم تستطع تعهده وانماه ، فعاد منها يستكمل قوته وكماله الى الارض العتيقة التى كان قد خرج منها منذ خمسة أو ستة قرون .

ولقد تصديت فوق ذلك لتبيين أن العبقريّة الاغريقية هى التى دانت العالم بهذا النفع العلمى الجليل دون أن تكون مدينة فيه لغربها . فاذا كانت الشعوب المجاورة لها آتتها شيئاً من العلم فما هو الا مدد مبهم غاية فى الابهام . لا وراء فى أن المصريين والكلدان والهنود لهم فى ماضى الانسانية مقام كبير ، ولكنهم مع ذلك فى الفلسفة أو فى العلم بعبارة أعم ليسوا شيئاً مذكوراً فى جانب الاغريق الذين لم يكونوا ليتعلموا منهم . ولقد أثبتت مقارنة اللغات فى أيامنا هذه أن لغة الاليزاة ولغة الفيدا كانتا فى الاصل لغة واحدة ، وأن اللسان الاغريقى والسبسكرى أخوان ولدتهما أم واحدة ، ولكنه اذا كان الاصل الذى اطرأ فى أزمان ما قبل التاريخ واحداً ، فإن ما قدر على الاخوين كان مختلفاً جد الاختلاف ، لان العالم الاغريقى قد أنتج الآداب والعلوم والفنون التى ننسج الآن على منوالها ، وشساطر بحظ عظيم فى تقديم المدنية المسيحية حتى وصلت الى ماهى عليه الآن ، فى حين أن العالم الهندى ما أنتج الا البرهمانية والبوذية ، فهو نازل على بمراحل على الرغم من المزايا المتعددة التى يكون من الظلم عدم الاعتراف له بها . بين العالم الاغريقى وبين العالم الهندى تأتى بلاد فارس التى توسطت بين العالمين فى المكان كما هى فى الزمان ، ولكنهما لم تشغل مركزاً يذكر

لها ولم تستفد منها الاغريق الا المجد الخالد الذى أحرزه أمثال ملتباد وليونيداس وطيستوكل والاسكندر .

ومع ذلك فإن الهند وفارس واغريقيا ومصر ويهودة نفسها . مهما كانت الفروق بينها فى المعقولات ، كلها هى الخمسة فروغ متفرعة عن جنس واحد . فإن علم أنساب الشعوب ووصفها الذى لا ينبغي أن يكون له أهمية عظمى فى هذه الابحاث ، لكنه مع ذلك لا ينبغي أن يغفل أمره فيها قطعا ، هذا العلم قد كشف الغطاء عن مشابهة تامة بين هذه الشعوب منطوية تحت فروق فى الاخلاق وفى العقل وفى اللغة ، وهذا الجنس الرفيع الذى يجمع الخمسة الشعوب المذكورة هو مايسمونه بالجنس الهندى القوقازى . وإن الامم السامية نفسها متفرعة منه أيضا كالاخرى وإن كانت قابلياتها تخالف قابليات الاخرى على الاطلاق فهى قوية فيما يتعلق بالدين عقيمة فيما عداه تقريبا ، ولكن فى هذه العائلة الكبرى الجميلة التى كأنها احتكرت لنفسها الذكاء الحقيقى يقف الاغريق بجملتهم فى صفها الاول . وحينما كانوا يستمون من عداهم بالمتوحشين لم تكن كبرياؤهم بالغة من السوء الحد الذى كان يظن بهم . ومع أنه كان خيرا أن يكونوا أكثر تواضعا فإن الهلين المدفوعين الى هذه الكبرياء بدواعى غرائزهم الصادقة لم يكونوا مخدوعين على شرف مقامهم أكثر مما ينبغي . والآن ونحن فى وسعنا ان نحكم حكما خلوا من الغرض نقول انهم أحق من سواهم بقصب التنبؤ . ومهما يكن من حال المستقبل فليس من الهين عليه أن ينزعهم من هذا المقام . أما أنا فلسنت أتردد فى إسناد هذا المجد اليهم ، مع انى لا أنكر ما كان لمنافسيهم من العظمة بل من التفوق فى بعض الوجوه ، ولكن من الذى يمكننا أن نضعه فى حلبة المجد فى مستوى فوق مستوى الهلين وقد جاءونا يقدمون بين يدي دعواهم الشعر والآداب والفنون والعلوم والفلسفة والتاريخ ؟

ولقد بينت ، على مهل الفلسفة الناشئة ، مقام مدرسة ايليا وما لأكسينوفان وميليسوس من الاهلية الخاصة بين طاليس وفيثاغورث .

ينبغي أن نكرر أن كل ما نسرده من هذه الحوادث التاريخية انما هو تاريخنا ولو كان منذ خمسة وعشرين أو منذ ثلاثين قرنا ، ذلك بأننا أبناء الاغريق ، ولولاهم لما وصلنا الى ما وصلنا اليه ، فإن اغريقيا هى التى علمت روما ، وبواسطة روما واغريقيا فتحت المسيحية بلادنا ومدنتنا بعد أن انتفعت بكل ما تخلصها ومهد لها السبيل . وإن العلم على جميع صورته كان معدوما فى الشرق ، فاخترعه الاغريق ونقلوه إلينا (١) . وما كان من

(١) راجع مقدمتى لكتاب السماء لارسطو ص ٧٩

روما والعالم الحالى بتمامه منذ اغارة المتوحشين الا أن اقتفوا هذا الاثر
الذى عفا رسته أحيانا ولكنه لم ينعدم أبدا .

وانى اذ عنيت بايضاح هذه الآثار الاولى أردت أن أوفى أجدادنا
حقهم وأن أذكر بما علينا من الواجب نحوهم بأن بينت مراكزهم وخدماتهم
للإنسانية . ان العقل الانسانى بطيء فى سيره فيحسن به وهو سائر فى
طريقه غير المتناهى أن يلقي نظره الوقت بعد الوقت الى الوراء ليرى من
أين ابتداء سيره ويسدد خطاه فى المستقبل غير المحدود الذى ينتظر
قدمه .

الكون والفساد

الكتاب الاول

الباب الأول

الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات
انكساروراس ولوكيبس وديمقريطس - نظف خاص للمذهب امبيدكل - الاستشهاد ببعض
أبياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الاشياء تبعاً لما يسلم به من الوحدة أو التعدد
للعناصر الأولية .

١ - لاجل أن ندرك الكون والفساد في الاشياء التي تتولد وتهلك
بالطبع يلزمنا ، كما هو الحال في البقية ، أن نقدر على حدة علمها ونسبها .
وسننظر أيضاً عند معالجة النمو والاستحالة ماهي كل واحدة من هاتين

- ك ١ ب ١ - أخذ فيلوبون يثبت أن هذا الكتاب متصل جد الاتصال بكتاب السماء
ودليله الاصل في ذلك أن كتاب السماء ينتهي بجملة فيها أداة استدراك لا يوجد معادلها
الا في هذا الكتاب . وهذا الدليل ليس قاطعاً جداً . ولكن من المحقق أن مواد الكتابين
مرتبط بعضها ببعض بفضل ارتباط ، وإن أرسطو بعد ما درس السماء والخواص العامة للأجسام
اللامتغيرة التي تؤلفها أمكنه أن يفكر في اتمام هذه الدراسة بدراسة الاجسام التي من شأنها
في الطبيعة أن تتولد وتهلك تابعة في ذلك قوانين منتظمة . الصلة اللغوية بين الكتابين
موجودة كما نبه اليه فيلوبون ولكن الصلة المنطقية بينهما هي أيضاً حق .

٢ - بالطبع - أراد أرسطو ، وهو لا يشتغل الا بالاجسام المكونة أو الهالكة بفعل
الطبيعة أن يخرج جميع الاجسام التي تكونها أو تهلكها الصناعة الانسانية . فان هذه
الاجسام يمكن أن تكون موضوع دراسة خاصة . - علمها ونسبها - اللفظ اليوناني الذي
عبرت عنه بالنسب هو أيضاً مبهم جداً . وقد حاول فيلوبون أن يوضحه فلم يوفق الى
ذلك . وربما كان اللفظ «تحولات» صالحاً أيضاً . - النمو والاستحالة - ينبغي الرجوع
الى تعريف هذين اللفظين في كتاب الطبيعة لأرسطو ك ٤ ب ٣ و ٧ و ك ٥ ب ٣ ف ١١
وما بعدها . فان النمو هو حركة في الكم وأما الاستحالة فأنها حركة في الكيف . - الكون
والاستحالة أما الكون بالمعنى الخاص فهو الانتقال من اللاوجود الى الوجود . وأما الاستحالة
فهو ليست الا مجرد تغير في الكائن الموجود من قبل . - بالحقيقة - زدت هذا اللفظ لاتمام
الفكرة . لاجل تبين الفرق بين الكون وبين الاستحالة أستشهد فيلوبون ببسبب شعير لوميروس
ولكن هومبروس لا يكاد يصلح حجة ذات وزن في هذه الفروق اللفظية والميتافيزيقية .

الظاهرتين ونبحث ما اذا كان طبع الكون وطبع الاستحالة ههما واحدا بعينه أو هما متميزان بالحقيقة كما هما متميزان بالاسم السدال على كليهما ؟

٢ - من القدماء من رأوا أن ما يسمى كونا مطلقا ليس الا استحالة والاآرون منهم رأوا أن كون الأشياء • واستحالتها ظاهرتان مختلفتان • فالذين يزعمون أن العالم كل ذو صورة واحدة ويجعلون الأشياء كلها تخرج من مبدأ واحد بعينه هؤلاء يلزمهم بالضرورة أن يروا الكون مجرد استحالة وأن يفترضوا أن ما يولد بالمعنى الخاص انما هو يستحيل • وعلى ضد ذلك الذين يسمون بأن المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد كما مبعدقل وأنكساغوراس ولوكيبس • هؤلاء يجب أن يكون لهم رأى مضاد للاول تماما •

٣ - ومع ذلك فان أنكساغوراس فى هذا قد نكر التعبير الخاص

٢ - من القدماء - سبى أن أرسطر يعنى بهم أمبيدقل وأنكساغوراس ولوكيبس وديمقريطس • الخ • • كونا مطلقا - يعنى الانتقال من العدم الى الوجود • ليس الا استحالة - يعنى ادماج ظاهرتى الكون والاستحالة • - ظاهرتان مختلفتان هذا الرأى هو وحده الصحيح فان الكون والاستحالة معنيان لا يمكن أدماجهما أحدهما الآخر • أن العالم كل ذو صورة واحدة - أو أنه لا يوجد إلا عنصر واحد بعينه هو الذى يكون كل شىء بلا استثناء • وهؤلاء الفلاسفة هم على المصوم اليونان وأصحاب مدرسة ايليا التى كانت تؤيد مذهب وحدة الجوهر ووحدة الوجود • - مجرد استحالة • قد زدت على المتن كلمة مجرد • - ما يولد بالمعنى الخاص هو الذى سناء التولد المطلق كما نبه إليه فيلوبون • - المادة تتألف من أكثر من عنصر واحد - أو أنه • يوجد أكثر من مادة واحدة • ولقد سبى هنا أنصار تعدد العناصر وأما أنصار الوحدة فلم يسمهم • أقام فيلوبون نفسه مقام أرسطوطاليس وذكر بأن طاليس لم يك يقبل الا الماء عنصرا أوحدا • وأنكسبين وديوجين الابلونى يقول كلاهما بأنه الهواء • وأنكسيمندروس يقول بأنه عنصر وسط بين الهواء وبين الماء • وكان هيرقليطس يقول بأنه النار • أما فلاسفة التعدد فان أمبيدقل كان يقبل القسول بالعناصر الاربعة كما قال به أرسطر النار والهواء والماء والارض • وأما أنكساغوراس فانه كان يفترضها تلك الاجسام المتجانسة المتشابهة الاجزاء واللامتناهية • وديمقريطس ولوكيبس كانا يفترضان هذا الفرض بالنسبة لذراتها اللامتناهية فى العدد وفى اختلاف أشكالها • (ر ر الفقرات الالكية ٢)

٣ - نكر أنكساغوراس التعبير الخاص - فى عهد أنكساغوراس لم تكن لغة الفلسفة قد تكونت كما حصل ذلك بعد • - كما يفعل فلاسفة آآرون - يعنى المذكورين بعد ذلك • - العنصرين المحركين - هذان العنصران المحركان اللذان يقول بهما أمبيدقل هما التنافر والعشق أولهما يفرق الأشياء والثانى يجمعها • ستة عناصر - يعنى عنصرى الحركة مضادى الیهما العنصر الاربعة العادية الارض والهواء والنار • وعلى رأى أمبيدقل أن هذه الاربعة الاجسدية منفصلة فقط • وأما الآآران فانهما فاعلان ومحركان • من أجزاء متماثلة المتشابهة الاجزاء (هوموميريس) - أحد هذين التعبيرين ليس الا ترجمة للآخر - كل جزء منها مرادف للكل - فان جزء العظم يسمى عظما وجزء من اللحم يسمى لحما فى حين أن جزء اليد لا يسمى يدا • الخ • وعلى ذلك يوجد من العناصر الاربعة المتشابهة بمقدار ما يوجد من الجواهر المختلفة ولذلك كانت عناصر أنكساغوراس غير متناهية فى العدد •

وغلب في لغته الخلط بين ولد وهلك وبين تغير . على انه يعترف بتعدد العناصر كما يفعل فلاسفة آخرون . كذلك قال أمبيدقل ان عناصر الاجسام كانت اربعة وانه باضافة العناصر المحركين يكون المجموع ستة عناصر . اما أنكساغوراس فانه ارتأى انها غير متناهية في العدد كما كان يرى لوكيبيس وديمقريطس . والواقع ان أنكساغوراس كان يعتبر عناصر الاجسام المركبة من أجزاء متماثلة : المتشابهة الاجزاء ، مثل العظم واللحم والنخاع وجميع المواد الاخرى التي كل جزء منها مرادف للكل .

٤ - ويزعم ديمقريطس ولوكيبيس ان جميع الاجسام مركبة في البداية من اجزاء لا تتجزأ او ذرات وهي غير متناهية لا في عددها ولا في اشكالها . واذا الاجسام لا تختلف في اصلها بعضها عن بعض الا بالعناصر التي تتركب منها وبوضع هذه العناصر وترتيبها .

٥ - ويظهر هنا ان أنكساغوراس من رأى معارض لراى أمبيدقل لان هذا الاخير يقول بأن النار والماء والهواء والارض هي الاربعة العناصر وانها أبسط من اللحم أو العظم او اى عنصر آخر من العناصر المتشابهة فيما بينها أو الاجسام المتشابهة الاجزاء . ولكن أنكساغوراس على الضد من ذلك يزعم ان الاجسام المتشابهة الاجزاء هي بسيطة وانها هي العناصر الحقيقية بينما ان الارض والنار والهواء مركبة وان جراثيم العناصر منتشرة في كل مكان .

٦ - على ذلك متى ادعى ان جميع الاشياء تخرج من عنصر واحد لا

٤ - اجزاء لا تتجزأ أو ذرات - كلا الاسمين مرادف للآخر تماما . وبسم الذرات اكثر استعمالا وقد بين فيلويون هنا وجه الخلاف بين مذهب أبيقور في الذرات وبين مذهب ديمقريطس فان أبيقور يقول بعدم تنافى الذرات في العدد ولكنه لا يسلم بانها غير متجانسة في الاشكال . الا بالعناصر التي تتركب منها - أو بعبارة اخرى « التي هي منها » هذه من اجل التخالف غير المتناهي في طبيعة الذرات . - بوضع هذه العناصر وترتيبها - هذا لعدم التناهي في الاشكال .

٥ - من رأى معارض - لا يجد فيلويون بين رأى أنكساغوراس ورأى أمبيدقل من مسافة التعارض ما تدل عليه عبارة أرسطو . - النار والماء والهواء والارض - ذكرتها بهذا التركيب لان أرسطو ذكرها كذلك . - انها أبسط من اللحم - قد يؤخذ من صوغ هذه الجملة ان أمبيدقل كان يعلم مذهب أنكساغوراس وينتقده . ولكن التاريخ الزمني لا يسمح بذلك . ولعل المراد هنا هم اتباع أمبيدقل كما يدل عليه تعبير النسخة الاغريقية لا أمبيدقل نفسه . - جراثيم العناصر - هذه الجراثيم ضد ما تقارب اذا الذرات التي هي منتشرة في كل مكان على حسب مذهب ديمقريطس .

٦ - ادعى ان جميع الاشياء تخرج من عنصر واحد لا غير هذا مذهب لم يقبله أرسطو ابدا . - كمنزود استعارة - ر (١) ألفا . - الموضوع للظواهر جذت على النصير اللفظ الاخير . - يعانى استحالة سيلزم في الواقع وجود موضوع دائم حتى يسكن ان يكون على

غير لازم ضرورة اعتبار كون الاشياء وفسادها كمجرد استحالة . فيكون اذا الموضوع للظواهر دائما واحدا ودائما هو بمعنى . فانما على موضوع من هذا القبول يمكن أن يقال انه يعانى استحالة ولكن متى سلم بأنواع متعددة للجواهر وجب التسليم أيضا بأن الاستحالة تخالف الكون . لان كون الاشياء وفسادها حينئذ يحصلان باتحاد العناصر او بافتراقها .

وفي هذا المعنى أمكن لامبيدقل أن يقول :

ليس لشيء من طبع ثابت ، وما الكل الا اختلاط وافتراق

§ ٧ - هذا تعبير ، كما يرى ، يلائم تماما فرض هؤلاء الفلاسفة . وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم . واذا فان هؤلاء الفلاسفة أنفسهم مضطرون الى الاعتراف بأن الاستحالة أمر مخالف للكون . ومع ذلك فان من المحال أن توجد استحالة حقيقية على حسب المبادئ التي يقررونها . على أنه من السهل الاقتناع بصحة الرأي الذي نقرره هنا . فالواقع أنه كما ان الجواهر في حال السكون نجده يعتريه في ذاته تفسير في العظم يسمى النمو والنقص كذلك أيضا يمكننا أن نشاهد فيه الاستحالة .

§ ٨ - ولكن من جهة أخرى ليس أقل من ذلك في باب المحال ايضاح الاستحالة على حسب ما يقوله السذيين يسلمون بأكثر من عنصر واحد . لان التأثيرات التي تجعلنا نقول بوجود الاستحالة هي فصول للعناصر ، أريد أن أقول ، الحار والبارد ، والابيض والاسود ، والجاف والرطب ،

التعاقب محلا للاستحالة التي تنتابه اذا يمر من البارد الى الحار ومن الابيض الى الاسود . الخ
او على التبادل . بأنواع متعددة للجواهر - عبارة النص بالضبط « اجناس متعددة » .
- باتحاد العناصر او بافتراقها - تحت تأثير العشق والتنافر كما يريد أمبيدقل .
§ ٧ - فرض هؤلاء الفلاسفة - الذين يقولون بتعدد العناصر . - وتلك هي أيضا طريقة تعبيرهم - او بعبارة أخرى « أن الفرض الذي نسلمه اليهم هو الذي يسلمون به » .
- مضطرون الى الاعتراف - لا يظهر أن أمبيدقل أنكره بالضبط ، ومن حق هذا القول أن بوجه الى ديمقريطس وأنصار الوحدة . - أن توجد استحالة حقيقية - النص أقل من هذا ضبطا في التعبير . نجده يعتريه - انما يستشهد أرسطو الى المشاهدة الحسية وعلى رايه ان الاستحالة ليست ظاهرة أقل وضوحا من النمو أو الذبول اللذين تدرجتهما حواسنا بغاية السهولة . أن الفكرة في هذه الفقرة لا تزال مضطربة خافية ولم أستطع جلاها كما أردت على الرغم من تفسير فيلوبون وتفسير اسكندر الافروديزي الذي نقله بجانب تفسيره . - نشاهد فيه الاستحالة - او تغير الكيف .

§ ٨ - الذين يسلمون بأكثر من عنصر واحد قد يظهر من هذا أن الفقرة السابقة موجهة الى الفلاسفة الذين يقولون بوحدة الجواهر ولكن النص لا يساعد على هذا التفسير .
- التأثيرات - او التأثيرات - فصول للعناصر - او بعبارة أوسع « الفروق التي توجد بين العناصر » . - الحار والبارد - بطريقة عامة كل المتقابلات بالتضاد التي تتوارد وتتعاقد على موضوع واحد بصفة . - ينتج من ذلك - ليست هذه نتيجة تنتج بالضرورة من مذهب أمبيدقل . - وهذا بالضبط اذا ما كان معنى بالاستحالة - ولا يظهر أن أمبيدقل ينكره .

واللين والصلب ، وجميع الخواص الاخرى المشابهة كما يقوله أبيقور
أمبيدقل : الشمس فى كل مكان بيضاء مملوءة بالحرارة وفى كل مكان
المطر ينشر غشاؤه وبرده .

انه يقرر المميزات عينها لسائر الاشياء . وينتج من ذلك انه اذا
كان الماء لا يخرج من النار ، ولا الارض من الماء . فان الاسود لا يمكن أن
يخرج من الابيض ، ولا الصلب من اللين . وهذا التدليل بعينه قد ينطبق
على جميع التغيرات الاخرى . وهذا بالضبط اذا ما كان يعنى بالاستحالة .

§ ٩ - ولكن ليس من البين انه يلزم دائما افتراض وجود مادة
واحدة لا غير لاجل الاضداد ، سواء أ تغيرت بالنقلة فى الاين أم تغيرت
بالنمو أو النقص أم تغيرت بالاستحالة ؟ يلزم ألا يكون الا عنصر واحد .
ومادة واحدة بعينها لاجل جميع الكيوف التى تتبدل بعضها ببعض . واذا
كان العنصر واحدا فهناك أيضا استحالة .

§ ١٠ - وعلى ذلك يظهر لنا أن أمبيدقل يناقض الحوادث الأكثر
واقعية ويناقض نفسه معا . لانه يزعم معا أن العناصر لا يمكن أن يجرى
بعضها من البعض الآخر بل على الضد يأتى منها سائر الاشياء ، وفى
الحقيقة بعينه بعد أن رد الى الوحدة الطبيعية كلها كاملة ما عدا التنافر ،
قد استخرج بعد ذلك كل شيء من الوحدة التى تخيلها . فعلى رأيه الاشياء
بانفصالها عن هذه الوحدة العنصرية بواسطة بعض فصول وبعض تباين
فهذا الشيء بعينه صار ماء وآخر صار نارا . وبهذه المثابة يسمى الشمس

§ ٩ - ولكن ليس من البين على هذه النظرية واجمع كتاب الطبيعة ك ١ ب ٧
ف ٩ وكتاب المقولات ب ١١ - بالنقلة فى الاين . بالنمو . بالاستحالة - تلك هى انواع
الحركة الثلاثة التى يقول بها أرسطو وقد شرحها فى كتاب الطبيعة . مادة واحدة بعينها -
عبارة النص ليست من البيان على هذا القدر . - التى تتبدل بعضها ببعض - والى هذا
على ذلك اُضداد ، فان الجسم بعينه هو الذى يكون بالتناوب حارا أو باردا أو أبيض أو
اسود . الخ .

§ ١٠ - يناقض الحوادث الأكثر واقعية - بانكاره وجود الاستحالة وهى ظاهرة مشاهدة
بغاية السهولة - رد الى الوحدة - ذلك هو (سفيروس) اله المادة المظروف فيه الصائم
على رأى أمبيدقل بلعل العشق الى أن يأتى التنافر فيكشفه عنه من جديد بأن يفصل
العناصر . - ما عدا التنافر - ما دام هو الذى يجب أن يقطع من جديد الوحدة التى
أوجدها العشق . - فعلى رأيه - يظهر أن ما يل هو نقل حرفى لمباراة أمبيدقل ولكن
البيان غير جلى وفيه القوض العادى الذى يوجد فى نقوض أرسطو . - فهذا الشيء بعينه
صار ماء - لا يظهر أن هذا هو مذهب أمبيدقل الحقيقى فان رأيه هو أن العناصر كلها
مكونة ولا تتغير ، بل هى فقط تجتمع أو تفرق تحت التأثير القدير للعشق والتنافر . -
ويمكن أن تمضى - قد لا تكون هذه هى فكرة أمبيدقل الحقيقية . - ما دامت متولدة فى
وقت بعينه - يظهر أن أمبيدقل على الضد من ذلك يعتقد أن هذه الفروق أبدية . - بل
الذى تتغير أيضا فى هذه اليوم فى مذهب أرسطو ولكن لا فى مذهب أمبيدقل .

يضيء حارة والارض كثيفة صلبة . ولكن متى بحيث هذه الفصول ، ويمكن أن تمحي ما دامت متولدة في وقت بعينه ، أمكن للارض بالجديهة أن تلاقى اذا من الماء كما يمكن أيضا للمساء أن يأتي من الارض . كذلك الحال بالنسبة لجميع الأشياء الأخرى التي جرى عليها التحول والتغير ، لا في الزمن الذي يتكلم عنه فقط بل التي تتغير أيضا في هذا اليوم .

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ منها يمكن أن تتولد الأشياء وتنفصل من جديد ، وعلى الخصوص متى سلمنا بالتنازع الأبدى المتبادل بين التنافر والعشق . فانظر كيف أن الأشياء فيما يظهر تتولد اذا من مبدأ واحد . لان النار والماء والارض وهي لا تزال مجتمعة لم تكن لتكون كل العنالم . ولكنه بهذه النظرية لا يعرف ان كان يلزم الاعتراف بأن لهن مبدأ واحدا أو مبادئ متعددة وأعني بهن الارض والنار والعناصر التي من هذا القبيل . ذلك بأنه في الواقع من جهة ما يفترض كمادة مبدأ منه تأتي الارض والنار متغيرتين بالحركة المتحصلة فانه لا يوجد اذا الا عنصر واحد لا غير . ولكن من جهة أن هذا العنصر عينه هو متحصل من اجتماع هذه الجواهر التي تتحد ينتج أن هذه الجواهر قبل اجتماعها هي ذواتها أشد عنصرية وسابقة بطبيعتها .

§ ١٢ - ولكن يلزمنا في دورنا أن نتكلم بطريقة عامة على كون الأشياء وفسادها على معناها المطلق ، وسنعيد البحث فيما اذا كان هذا الكون أو لم يكن وسنقول كيف يكون هو . ثم نتكلم أيضا على الحركات البسيطة كالنمو والاستحالة .

§ ١١ - زد على ذلك أن في مذهب أمبيدقل - ليس النص بهذا الضبط من البيان ، فإن المعارضة الجديدة تنحصر في أنه في مذهب أمبيدقل توجد مبادئ سابقة على العناصر وعلى ذلك تكون هذه العناصر ليست عناصر حقيقية .

- التنافر والعشق - هما مبدآن سابقان للعناصر يجمعانها ويفرقانها . - من مبدأ واحد - حينما يتكشف (سلفروس) اله المادة من جديد بفعل التنافر . - مبدأ واحدا أو مبادئ متعددة - يكون على الأقل الاثنان التنافر والعشق . - كمادة - يمكن ألا تكون هذه ايضا فكرة أمبيدقل ، فان التنافر والعشق لا يكونان بالضبط العناصر وإنما يعلنان بها فقط - أشد عنصرية - هذه هي عبارة النص نفسها .

§ ١٢ - في دورنا - زدت هاتين الكلمتين للدلالة على الانتقال الذي لم يذكر بالنص هنا ، فانه بعد أن استعرض أرسطو على التوالي مذاهب الآخرين سيبين مذاهبه وسنستكمل أولا على الكون مرجحا الكلام على نمو الأشياء واستحالتها الى ما بقى .

الباب الثاني

عدم كفاية نظرية أفلاطون - عود على نظرية ديمقريطس ولوكييس - نظرية جديدة على كون الاشياء وفسادها - النمط المتبع - أهمية مسألة اللوات - رأى ديمقريطس ولوكييس - رأى أفلاطون في كتابه طيمائوس - خطأ دؤلا، وهؤلا - وجوب الأخذ بملاحظة الاحداث على الاخص - فضل ديمقريطس من هذه الجهة - افكار في قابلية الاشياء للقسمة - يمكن الترافى للقسمة لا متناهية - صعوبات هذه النظرية - صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية اللوات - لغض هذه النظرية - المعنى العام الذى يعمل عليه كون الاشياء .

١٨ - لم يدرس اذا أفلاطون الكون والفساد الا من حيث طريقة وجودهما بالاشياء بل لم يكن ليدرس الكون في كل عمومه بل اقتصر على كون العناصر . ولم يقل شيئا على تكون جميع الاجسام التى هى من جنس اللحم والعظم وسائر الاجسام المشابهة لها ولم يتكلم على الاستحالة ولا على النمو ولم يبين كيفية ادراكه اياهما فى الموجودات .

٢ - على أنه يمكن الجزم بأنه لم يتكلم أحد على هذه الموضوعات بطريقة سطحية جدا ما عدا ديمقريطس فانه يظهر انه فكر فى كل المسائل ولكنه يخالفنا فى ايضاح الطريقة التى بها تحدث الاشياء . ولم يفكر أحد كما قلنا آنفا فى ايضاح النمو الا ما ربما يكون على المعنى الذى تفهم الكافة به هذه الظاهرة . اعنى بأن يقال ان الاجسام تنمو لأن الشبيه يأتى فينصاف الى الشبيه . أما كيف تحصل هذه الظاهرة فذلك ما لم يوضحه أحد البتة حتى الآن .

١٩ - لم يدرس اذا أفلاطون - رجع أرسطو الى نفس مذاهب أسلافه . - اذا - هذه الكلمة موجودة فى النص دون أن يكون لها وجه يبررها . - طريقة وجودها بالاشياء - يحتمل أن أرسطو يريد أن يقول ان أفلاطون لم يدرس الكون الا فى الحال الراعية للاشياء من غير أن يحاول الصعود الى الاصل ، فاذا كانت هذه هى فكرته فقد لا تكون صادقة تماما . إذ قد يوجد فى طيمائوس ما يتناقضه . - على كون العناصر - دون كون الكيوف التى تتاب العناصر . - على الاستحالة ولا على النمو - معنى النوعين الآخرين للحركة .

٢٠ - ما عدا ديمقريطس - مدح ديمقريطس هذا يمكن أن يظهر عظيما جدا بعد ذلك الانتفاذ السابق الموجه الى أفلاطون . - كل المسائل - ليست عبارة النص فى هذا القدر من الضبط . - التى بها تحدث الاشياء - هذا ليس تام الوضوح ، ولكن عبارة النص أدق من ترجمتنا ، ولاشك فى أن أرسطو يريد أن يقول أن ديمقريطس موافق لما فيما يتعلق بكون الاشياء ولكنه يخالفه فى كيفية حدوث هذه الظاهرة . فى ايضاح النمو - لا يرى أن أرسطو نفسه قد ببه هذا النص (ر . الطبيعة ك ٦ ب ١٦ ف ٥ من ترجمتنا ٢٠) .

§ ٣ - ومع ذلك فتم تدريس ايضا به - مسألة الاختلاط ولا اية واحدة من المسائل التي من هذا القبيل ولا مثلا مسألة معرفة كيف تفعل الاشياء وتنفعل وكيف ان شيئاً بعينه يفعل الاحداث الطبيعية وآخر بعينه ينفعل بها .

§ ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبس الا بصنور العناصر استخرجوا منها استحالة الاشياء وكونها . وعلى هذا فمن انقسام الذرات ومن اتحادها يأتي الكون والفساد ومن ترتيب الذرات ووضعها تأتي الاستحالة . ولكن لما كان هؤلاء الفلاسفة يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر وكانت الظواهر متضادة ولا متناهية بالعدد مما اضطروا أن يجعلوا أشكال الذرات لا متناهية أيضا بحيث ان الشيء الواحد يمكن أن يظهر عند ما هو لنظر هذا الراي أو ذلك تبعا لتفسيرات وضعه ويظهر متغير الصورة بمجرد أن تختلط به أو تزداد عليه أصغر جزئية أجنبية . ويظهر أنه صار غير ذاته جملة بتغير موضع جزء واحد من أجزائه . ذلك كما انه يمكن أن تستخدم الحروف بعينها لتأليف مأساة أو فكاهة حسبما يختار .

§ ٥ - ولكن لما كان كل الناس من غير استثناء تقريبا يعتقد بوجه العموم أن كون الاشياء واستحالتها هما ظاهرتان مختلفتان جسديا ، وأن الاشياء لتكون أو لتفسد يجب أن تتحد أو تنفصل في حين انها تستحيل بتغيرات في خواصها ، وجب علينا من أجل ذلك أن نقف على هذه المسائل التي يعرض منها في الواقع صعوبات حقيقية متعددة . اذا لم يجعل كون

٣ - ومع ذلك فلم تدرس أيضا - بعض هذه المسائل قد درس اما في كتاب الطبيعة واما في الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا (الآثار العلوية) ولكن لا أعرف اذا كان أرسطو قد تصق في البحث فيها الى أبعد مما فعل أسلافه .

§ ٤ - لما لم يهتم ديمقريطس ولوكيبس الا بصنور العناصر - ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . وهذا المعنى هو معنى فيلوبون وقد يمكن ترجمته هكذا : « بعد أن تخيل ديمقريطس ولوكيبس صور العناصر » . - الذرات - أضفت هذه الكلمة لان منهج ديمقريطس معلوم تماما ومنهج الذرات لا يقبل في الحقيقة الا القسمة والاتحاد والترتيب والوضع عللا لجميع الظواهر . - يحسبون الحقيقة في مجرد الظاهر - هذا هو المنهج الذي اعتنقه بعد ذلك السفسطائيون وطالما حازبه سقراط (ر . فروطاغوراس لافلاطون) . - أشكال الذرات - أضفت أيضا هاتين الكلمتين . - تبعا لتغيرات وضعه - مثل فيلوبون لذلك بطوق الحداثة فإنه تبعا لمقطع الضوء وموضع الراي يتلون بالألوان المختلفة .

- جزء واحد من أجزائه - ليست عبارة النص على هذا القدر من الضبط . - تستخدم الحروف بعينها - أو عبارة أصح « حروف الهجاء » .

§ ٥ - كل الناس - يشمل أنكساغوراس وأمبيدكل . - كون الاشياء واستحالتها - المنهج في الواقع خطط الظاهرتين وجعل احدهما الاخرى . وان عبارة النص في التمييز جلية غاية الجلاء . - وجب علينا أن نقف - سيكون ذلك موضوع هذا الباب والابواب التالية . - طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد - هذا مبهم .

الاشياء ، مثلا ، الا اتحادا فان لهذه النظرية طائفة من النتائج غير القابلة للتأييد . ولكن هناك براهين أخرى قاطعة على صحة المعنى المضاد ، ومن الصعب جدا نقضها ، تثبت أن كون الاشياء لا يمكن أن يكون شيئا آخر الا مجرد اتحاد وانه اذا كان الكون ليس اتحادا فمن ثم لا يوجد كون أصلا وانه ليس الا استحالة . لذلك يجب أن نعالج حل هذه التصعوبات مهما كانت خطورتها .

§ ٦ - النقطة الاصلية في ابتداء هذه المناقشة هي معرفة ما اذا كانت الاشياء تكون وتستحيل وتنمو أو تعاني الظواهر المضادة لهذه الظواهر بسبب وجود ذرات أعنى أعظما أولية غير قابلة للانقسام أو ما اذا كان لا يوجد أصلا أعظام غير قابلة للانقسام . هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الاعلى . ومن جهة أخرى بفرض وجود الذرات يمكن أن يتسائل أيضا عما اذا كانت - كما يريد ديمقريطس ولوكيبيس هذه الاعظام غير المنقسمة هي أجساما أو ما اذا كانت مجرد سطوح كما ذكر في طيماوس .

§ ٧ - ولكن من غير المعقول ، كما بينا في غير هذا الموضع ، أن نجاوز بتحليل الاجسام الى حد تصييرها سطوحا . وعلى ذلك يكون أقرب الى المعقول القول بأن الذرات هي أجسام . على انى لا اعترف أن هذا الراى هو ايضا قليل الشبه بالمعقول . ومع ذلك يمكن في هذا المذهب كما قد قيل أن تفسر استحالة الاشياء وكونها بتبدل الجسم الواحد تبعا لدورانه أو لتماسه أو تبعا لاختلاف اشكاله . ذلك ما يفعل ديموقريطس وهذا هو الذى أدى به الى انكار حقيقة اللون ما دام اللون في عرفه انما يكون من حركة الاجسام حول مركزها . ولكن الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح أولئك لا يمكنهم بعد ذلك أن يدركوا اللون . لانه بجمع السطوح ذرات السعة بعضها مع بعض يمكن الوصول فقط الى تكوين جوامد ولكن لا يمكن الوصول الى ايجاد أى كيف جسمانى .

§ ٦ - هي معرفة - ما اذا كان يوجد ذرات أو لا يوجد - تكون وتستحيل وتنمو - تلك هي الانواع الثلاثة للحركات التى الاشياء قابلة لها . - الظواهر المضادة لهذه - يعنى الفساد والاستحالة الى كيف مضاد والنقص . - أعنى - أضفت هذه الكلمة . - هذه النظرية هي من الخطورة بالمكان الاعلى - لذلك عاد أرسطو الى الكلام عليها مرات عدة - كما ذكر في طيماوس - ر كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١٤ .

§ ٧ - في غير هذا الموضع - في كتاب السماء ك ٣ كما يقول أيضا فيلويون . - الى حد تصييرها سطوحا - هذا الراى ليس هو راى أفلاطون في طيماوس الى حد ما يظهر على أرسطو أنه يذهب اليه هنا . - على انى لا اعترف - عبارة النص اقل وضوحا من هذه . - كما قد قيل - يرى فيلويون أن الالفاظ التى يستعملها أرسطو في هذا الموضع على قول ديمقريطس هي الفاظ مأخوذة على الاخص من لهجة أثين . - دورانه ... تماسه - هذا التعبير ليس بالفرنسية أكثر ضبطا في أداء المعنى من نظيرها باليونانية . الذين يقبلون قسمة الاجسام الى سطوح - مثل أفلاطون أو فلاسفة آخرين . - أن يدركوا اللون - أو أى كيف آخر للاجسام - عبارة النص اقل ضبطا من هذه .

§ ٨ - والسبب الذى جعل هؤلاء الفلاسفة يرون ، أقل من الآخرين ،
الظواهر التى هى محل وفاق بين الناس جميعا هو عدم المشاهدة . وعلى
ضد ذلك الذين استزادوا من فحص الطبيعة ، أولئك أحسن حالا فى
استكشاف هذه المبادئ التى يمكن أن تنسحب بعد على حوادث ما أكثر
عددها . ولكن هؤلاء الذين هم تائهون فى نظريات معقدة لا يلاحظون
الاحداث الواقعة وليست أعينهم موجهة الا الى عدد قليل من الظواهر وهم
يحكمون بسهولة كبرى .

§ ٩ - ها هنا أيضا يمكن أن يرى كل الفرق الذى يفرق بين
الدراسة الحقة للطبيعة وبين دراسة منطقية محضة . لان هؤلاء الفلاسفة
من أجل أن يبينوا مثلا انه يوجد ذرات أو أعظام غير قابلة للقسمه يدعون
انه اذا لم تكن تلك الذرات فان المثلث نفسه ، المثل الأعلى للمثلث ،
يكون مؤلفا مع أن ديمقريطس فى هذه المسألة يظهر انه لم يعول فى حلها
الا على دراسات خصوصية وطبيعية محضة . ومع ذلك فان ما سبيل من
هذه المناقشة سيبين لنا ما نريد أن نقول بأوضح من ذلك .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى افتراض أن الجسم يوجد وانه عظم
قابل للقسمه الى ما لا نهاية وانه من الممكن تحقيق هذه القسمه . فماذا
يبقى فى الواقع فى الجسم الذى يمكن أن يخلص من قسمه كهذه ؟ فاذا
افتراض أن شيئا قابلا للقسمه مطلقا وانه يمكن حقيقة قسمته هكذا فلا

§ ٨ - محل وفاق بين الناس جميعا - عبارة النص مبهمه قليلا فلست وافقا من
أنى حصلت المعنى جيدا . عدم المشاهدة - يوصى أرسطو هنا بمشاهدة الاحداث كما
يوصى به دائما ولكنه لم يكن فى موضع آخر مبينا وجازما كما هو فى هذا الموضع . ر .
مقدمة ترجمتى للتكنولوجيا ص ٤٢ وما يليها . - التى يمكن أن تنسحب بعد - أو
بعبارة فيلوبون وهى : «التى يمكن أن تشمل عددا من الحوادث ما أكثره . د والفرق
بين العبارتين عديم القيمة . - تائهون فى نظريات معقدة - عبارة النص تفيد أيضا لكن
هؤلاء الذين هم بعيدون عن الافكار العامية ... الخ » . - بسهولة كبرى - وبخفة
أكثر .

§ ٩ - الدراسة الحقة - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - هؤلاء الفلاسفة - يعنى افلاطون
ومندرسه . - اذا لم تكن تلك الذرات - أضفت هذه الكلمات التى يظهر أنها ضرورية . -
المثلث نفسه المثل الأعلى للمثلث - هذه الكلمات الأخيرة ليست الا تفسيريا لا سيقها . فان
المثلث نفسه فى لغة منهج افلاطون هو المثل الأعلى للمثلث . - مؤلفا - أى قابلا للقسمه
وهذا يناقض تماما نظرية المثل . - ما يلى من هذه المناقشة سيبين لنا ... بأوضح من
ذلك - يشعر أرسطو نفسه بأنه لم يقل هنا قدر الكفاية ليكون بيننا تماما . يدافع
فيلوبون عن افلاطون ضد أرسطو الذى لم يحصل جيدا فكرة استاده . ويظن فيلوبون
أن هذه النظرية قد يمكن أنها موجودة على الأكثر فى مذاهب افلاطون غير المكتوبة .

§ ١٠ - من الصعوبة الكبرى - كل المعنى فى هذه الفقرة غامض . واليكها بأبسط
عبارة : د من الصعب ان يفهم أن الجسم يمكن أن يقبل القسمه الى ما لا نهاية وان لا توجد فيه
«اجزاء التى لا تتجزأ . لان هذه القسمه تفنى الجسم عن آخره ولا يبقى منه شيء» =

يكون من المحال في شيء أنه أمكن قسمته مطلقا مع أنه لم يقسم في الواقع ولا أنه قد قسم فعلا . والامر كذلك اذا فيما اذا يقسم الشيء بالنصف . وعلى العموم لو أن شيئا قابلا بالطبع للقسمة الى اللانهاية قد قسم لما كان ذلك محالا البته . كما لا يكون محالا أن يفترض إمكان قسمته عشرة آلاف مرة مضروبة في عشرة آلاف مع أنه لا أحد يستطيع المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد .

§ ١١ - ما دام الجسم معتبرا انه حائز لهذه الخاصة فلنسلم انه يمكن قسمته مطلقا على هذا النحو . ولكن اذا ماذا يبقى بعد هذه التقاسيم ؟ هل سيكون عظما ؟ لكن ذلك غير ممكن لانه اذا يوجد شيء من عملية التقسيم وكان الفرض ، على الضد ، أن الجسم قابل للقسمة من غير أي حد ومطلقا . ولكنه اذا لم يبق جسم ولا عظم وظلت القسمة مستمرة فاما أن القسمة لا تقع الا على نقط واذا تصير العناصر التي تتركب الجسم عديدة العظم واما ألا يبقى هناك شيء أصلا .

§ ١٢ - ينتج من ذلك انه سواء أكان الجسم يأتي من لا شيء أم يؤلف من أجزاء فالامر على الحالين تصيير الكل الى ألا يكون الا ظاهرا . حتى مع التسليم بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط فلا يكون هناك أيضاكم . وفي الواقع لو أن هذه النقط كانت تتماس لتؤلف عظما واحدا وان العظم كان واحدا وانها كلها فيه فان جميع هذه النقط المجتمعة ما كانت لتجعل الكل أكبر لان الكل بانقسامه الى نقطتين أو عدة لا يكون

= وبذلك يوصل الى أن الجسم مؤلف من مجرد نقط ليس لها ابعاد أصلا . - وأنه من الممكن تحقيق هذه القسمة - عبارة النص أقل من ذلك ضبطا . - الذي يمكن أن يخلص من قسمة كهذه - لانها ستعتمد نهائيا كل ما تتركب منه الجسم . - فلا يكون من المحال - هذا فرض يمكن دائما فرضه ولا يلزم عليه شيء من المحال . - اذا يقسم الشيء بالنصف - يعني اذا قسم دائما الى اثنين كل ما يبقى من الشيء في التقسيم المتتابع أو اذا قسم الى أجزاء غير متساوية ، بكلتا الطريقتين يوصل الى اعدامه كله بهذا التقسيم غير المتناهي . - المجاوزة بالقسمة الى هذا الحد - لعدم كفاية الآلات التي يستعملها الانسان .

§ ١١ - معتبرا انه حائز لهذه الخاصة - عبارة النص أقل ضبطا من هذا التعبير . - ماذا يبقى - تكرار للسئلة الموضوع في الفقرة الماضية . - بعد هذه التقاسيم - زدت هذه الكلمات لبيان الفكرة قليلا . عظما - يكون أيضا قابلا للقسمة . - من غير أي حد ومطلقا - ليس في النص الا كلمة واحدة . - عديدة العظم لان النقط الرياضية مفروضة أنها لا عظم لها البته .

§ ١٢ - يأتي من لاشيء - أعني من نقط ليس لها أي امتداد . - ألا يكون الا ظاهرا - تلك هي النتيجة التي استنتجها السفسطائيون من ملصق ديقريطس . - بأن الجسم يمكن أن يأتي من نقط - النص ليس بهذه الصراحة . - كم - لان النقط لا تمثل كمية ما . - لا أكبر ولا أصغر من ذي قبل - مهما كان عدد نقط القسمة . - عظم حقيقي - أضفت لفظة حقيقي .

لا أكبر ولا أصغر من ذى قبل ، بحيث انه مهما جمّع من تلك النقاط فلا يمكن الوصول أبداً الى تأليف عظم حقيقى منها .

§ ١٣ - اذا قيل انه يوصل بالقسمة الى ألا يحصل منها الا كمنشأة الجسم فحق على هذا الفرض لا بد من ان الجسم يأتى من عظم ايا كان ، وتبقى المسألة كما كانت وهى كيف أن هذا الجسم الاخير قابل للقسمة فى دوره . فاذا قيل ان ما انفصل ليس جسماً بل هو صورة ما قابلة للانفصال أو خاصة ما فينتج من ذلك أن العظم يتحول الى نقط والى تماسات محولة بهذه الطريقة . واذا يكون من غير المعقول الاعتقاد بأن العظم يمكن أبداً أن يأتى من أشياء ليست أعظاما .

§ ١٤ - ولكن فوق ذلك فى أى مكان تكون هذه النقاط متساوية افترضت عديمة الحركة أم افترضت متحركة ؟ انه لا يوجد أبداً الا تماس واحد بين شيئين فلا بد أيضاً من افتراض انه يوجد شيء ليس هو التماس ولا القسمة ولا النقطة .

لو قبل اذا أن كل جسم أيا كان مهما كان امتداده يمكن دائماً أن يقبل القسمة مطلقاً لكأن تلك هى النتائج التى يوصل إليها :

§ ١٣ - كمنشأة الجسم - عبارة الاصل دقيقة ويظهر أن الفكرة غامضة ولو أنه فى الحقيقة واضحة . فإن أرسطو يفرض أنه يراد اثبات وجود الذرات وان قسمة الجسم لا يمكن أن تمتد الى الأنا نهاية . فاذا وصل بالتقسيم الممكن غاية الامكان الى تصيير الجسم مسحوقاً كمنشأة الخشب عند قطعه ولكن قطع المنشأة مهما دق حجمها فإن لها امتداداً وترجع المسألة بالنسبة لهذه الاجتهاد الصغيرة الى ما كانت عليه بالنسبة للجسم الذى كانت تؤلفه باجتماعها من قبل . - عظم أيا كان - فإن قطع المنشأة مهما صغر حجمها لها دائماً عظم قابل للتقدير . - فى دوره - زدت هاتين الكلمتين . - ان ما انفصل - أى بالقسمة البالغة اقصى حد لها . - قابلة للانفصال - قال فيلوبون ان فى هذا رواية أخرى وأنه فى بعض النسخ المخطوطة عبارة « غير قابلة للانفصال » بدل عبارة « قابلة للانفصال » . والسياق يقتضى على الظاهر أوفقية العبارة الأخيرة . ومع ذلك فإن فيلوبون يفضل معنى عبارة « غير قابلة للانفصال » لأن الصورة فى الواقع غير قابلة للانفصال عن الجسم بمعنى أنها تنعدم بانعدامه ولا يمكن أن تكون شيئاً بدونه . ولقد أثبت فى ترجمتى عبارة الرواية المشهورة ولكن الأخرى هى مناسبة أيضاً . - الى نقط والى تماسات - نظريات أبطلت آنفاً . - أشياء ليست أعظاما - ما دام أن النقط والتماسات لا يمكن أن يكون لها علم هو المفروض أى امتداد الى أية جهة ما .

§ ١٤ - فى أى مكان - معنى : « فى أى جزء من الجسم ؟ » - افترضت متحركة - كما يفعل الرياضيون اذ يسلمون بأن النقطة متى تحركت أحدثت خطاً كما أن الخط يحدث السطح والسطح الجسم . وقد شبه فيلوبون الى أنه يمكن إعطاء هذه الجملة صورة الاستفهام أو صورة الإيجاب على السواء . - أنه يوجد شيء - معنى الجزأين الماديين اللذين يتماسان أو أنهما متقاسمان فى نقطة تفصلهما . - لو قبل اذا - ر . ما سبق ف ١٠ هذا هو ملخص القسم الأول من كل هذه المناقشة . فانه اذا لم تقبل الذرات وقبل القول بأن كل جسم قابل للقسمة مطلقاً فتلك هى النتائج غير المعقولة التى تؤدى إليها هذه النظرية . فيستنتج من هذا مع ديقيرطس حقيقة نظرية الذرات . ومع ذلك فإن هذا المخلص يمكن أن يظهر أنه سابق لوقت .

١٥ - من جهة أخرى إذا أمكننى بعد انقسمة أن أركب الخشب الذى نشرته أو أية مادة أخرى بأن أعيد إليها وحدتها الأولى وأن أجعلها مثل ما كانت تماماً فمن الواضح أنى أستطيع أن أفعل ذلك فى أية نقطة يبلغتها فى كسرى الخشب . إذا فبالقوة الجسم قابل دائماً للقسمة مطلقاً وبدون حد . ماذا يوجد إذا ها هنا خارجاً عن القسمة وبمعزل عنها إذا قيل أنها خاصة للجسم ؟ يمكن دائماً أن يسأل كيف أن الجسم يتحلل إلى خواص من هذا القبيل وكيف يمكن أن يتألف منها وكيف أن هذه الخواص يمكن أن تنفصل عن الجسم .

١٦ § - إذا كان إذا محالاً أن الاعظام تتكون من مجرد تماسات أو نقط فإنه يلزم ضرورة أن يوجد أجسام وأعظام لا تتجزأ . ولكن هذه الافتراض عينه للذرات يخلق محالاً لا يمكن تخطيه ولو أن هذه المسألة قد فحصت فى غير هذا الموضع إلا أنه يلزم أن يحاول حلها هنا أيضاً . وللوصول إلى ذلك يلزم أخذها من جديد بتمامها من البداية .

١٧ § - نقول إذا بادىء بدء أنه ليس من غير المعقول فى شيء تقرير أن كل جسم محسوس هو معاً قابل للقسمة وغير قابل للقسمة فى نقطة ما ما دام أنه يمكن أن يكون قابلاً للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل

١٥ § - من جهة أخرى - برهان جديد لايضاح وجود الذرات . . مثل ما كانت تماماً يظهر أن هذا مناقض لما قيل سابقاً ف ١٣ - فى أية نقطة يبلغتها فى كسرى الخشب = . وعدد النقط يمكن ألا يتناهى ما دامت النقط مفروضا أنها عديمة الامتداد . فبالقوة . أن لم يكن بالفعل لعة واحدة هي عدم كفاية الآلات التى يستخدمها الإنسان . - خارجاً عن القسمة وبمعزل عنها - لا يوجد فى النص إلا كلمة واحدة لهذا المعنى - إلى خواص من هذا القبيل - تكرير لما قيل آنفاً ف ١٣ .

١٦ § - إذا كان إذا - تلخيص لتأييد نظرية ديمقريطس . - أجسام وأعظام لا تتجزأ - أو بعبارة أخرى ذرات كما كان يقرره ديمقريطس . للذرات - أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان . - غير هذا الموضع - ب . كتاب السماء ف ٣ ب ٢ ف - وزأجس كتاب الطبيعة فى مواطن عدة حيث نظرية الذرات ملحق إليها المبدأ لا مبنية بيانياً وضعياً . ويستشهد فيلوبون على الأخص بالكتاب السابع من الطبيعة حيث لا أحد فيه إلا ضيقاً من هذا القبيل . ويستشهد أيضاً برسالة الخطوط غير المنتظمة التى ينسبها إلى ثيوفراستوس بدلاً من أرسطو اتباعاً لرأى بعض المؤلفين .

١٧ § - معاً قابل للقسمة وغير قابل لها - بالفعل هذا محال ولكن يمكن أن أحتمل إمكان مجرد والآخرى قسمة بالفعل . - وإذا فالجسم فى النهر قابل للقسمة إلى الألف نهاية . ولكن فى الخارج تثبت القسمة عند حد بسرعة . - قابل للقسمة بالقوة المجردة وغير قابل لها بالفعل - عبارة النص أقل وضوحاً . - يكون قابلاً للقسمة وبغير قابل لها مع بالقوة . يعنى منقسماً وغير منقسم فى آن واحد بالقوة . وعلى رغم تفسير فيلوبون ومجهوداتى فإن هذه النقطة فيها من الغموض ما لم استطع أن أزيله بالمرءة . - واليك البيان الذى يمكن فهمها به : - أن جسماً لا يمكن أن يكون معاً قابلاً وغير قابل للقسمة حتى بمجرد القوة لأنه إذا كان كذلك بالقوة كان كذلك أيضاً بالفعل . وهاتان القابليتان فى الخارج لا يختصان مطلقاً . فكل الذى يمكن حقيقة هو أن الجسم يكون قابلاً للقسمة فى نقطة ما . وماذا لا .

للقسمة بالفعل . ولكن الذى يظهر انه محال تماما هو أن جسما يكون قابلا للقسمة وغير قابل لها معا بالقوة لانه اذا كان ذلك ممكنا فلا يكون أبدا بهذا الوجه أن الجسم يجمع بين الخاصيتين بأن يكون غير قابل للقسمة وقابلا لها معا بالفعل . بل انه يكون فقط قابلا للقسمة بالفعل فى نقطة ما . واذا لا يبقى منه شيء مطلقا ويتحول الجسم الى شيء غير جسمانى . ومع التسليم بأنه يمكنه أن يكون ثانياة اما بأن يأتى من النقط أو أن لا يأتى من شيء أبدا على الإطلاق فكيف يصير كون الجسم من جديد ممكنا .

§ ١٨ - أما ما هو بين فهو أن الجسم ينقسم بالفعل الى أجزاء متميزة ومنفصلة وإلى أعظام أصغر فأصغر دائما تتباعد بعضها عن بعض وتنعزل . ولكن من المحقق أيضا أن هذه التجزئة البعضية لا يمكن أن يجاوز بها الى اللانهاية وانه ليس من الممكن أيضا قسمة الجسم فى أية نقطة ما لان هذه القسمة غير المحدودة ليست ممكنة الاجراء ولا يمكن أن تتمشى الى حد معين .

§ ١٩ - يلزم اذا أن توجد ذرات أو أعظام لا تتجزأ خصوصا اذا سلم أن كون الاشياء وفسادها يحصلان أحدهما بالتفرق والآخر بالاجتماع ذلك هو الاستدلال الذى يظهر انه يبين ضرورة وجود الاعظام غير القابلة للقسمة أو الذرات . ونحن نتكفل باثبات أن هذا الاستدلال يرتكز من حيث لا يشعر على سفسطة مستتورة يستار سنكشفه عنها .

= يفيد أنه قابل للقسمة مطلقا لانه حينئذ لا يبقى بعد القسمة شيء أصلا ويتحول الجسم اذا الى شيء غير جسمانى . - الجسم ... غير جسمانى - هذا التقابل موجود بلفظه فى النص . - من النقط - التى هي ليست محسوسة ما دامت مفروضة عديدة الامتداد . - من شيء أبدا على الإطلاق - أو ربما كان « من عدم » من لا شيء . - كون الجسم من جديد - عبارة النص ليست بهذا الضبط .

§ ١٨ - ينقسم بالفعل - أضفت هذه الكلمة الأخيرة لبيان المعنى تماما . - أصغر فأصغر دائما - على حسب المادة التى هي موضوع القسمة والآلات التى تستخدم لذلك . - تتباعد - هذه عبارة النص وربما كانت غير مناسبة . - وتنعزل بعضا عمليا : القسمة . - التجزئة - أو التصغير أى تغيير الشيء الى أجزاء دقيقة ثم الى أدق منها . وهكذا . - الا الى حد معين - فى الخارج مع أنها فى الذهن ممكنة الى ما لانهاية .

§ ١٩ - يلزم اذا - حيثما لا يؤخذ الا بالظواهر المحسوسة القابلة للملاحظة يكون مذهب الذرات مذهبها حقا جدا . لان التجزئة فى الواقع يجب أن تقف عاجلا ثم تصادف على ما يظهر عقبة كؤودا فى الجزئيات التى لا تستطيع أن تنالها التجزئة - بالتفرق لناصر لا تقبل النقص ولا الزوال . بالاجتماع - بين هذه العناصر بعينها . - الذرات - أضفت هذه الكلمة لان الذرات غير قابلة للقسمة كما يدل عليه اسمها وفوق ذلك فانها غير قابلة للقسمة بالنسبة لنا بسبب دقتها . - ونحن نتكفل - عبارة النص أقل ضبطا من هذا ولكن أردت بهذا التعبير تأدية معنى الحدة التى استعمالها المؤلف فى عبارته . - سنكشفه عنها - ان البيان الآتى قد يبين عليه عدم مطابقتها تمام المطابقة لهذا الوعد .

§ ٢٠ - كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة فقابلية القسمة المطلقة تكون من جهة متعلقة بالإعظام ومن جهة أخرى غير متعلقة بها . ومن يسلم بهذه النظرية يظهر أنه يسلم أيضا بأنه لا يوجد بعد الا النقطة التي هي في كل مكان وفي كل اتجاه . ونتيجة ضرورية فان الصظم بالتجزئة يصير لا شيء لان النقطة ما دامت في كل مكان فالجسم لا يمكن أن يتركب الا من التماسات او من النقط .

§ ٢١ - وحينئذ فمعنى هذا هو الرجوع الى القول بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا ما دام يوجد في كل محل نقطة ما وأن كل النقط مجتمعة هي ككل واحدة منها على حدة وانه في الواقع لا يوجد أكثر من واحدة لان النقط ليست متتابة بعضها لبعض . وانه نتيجة أيضا أن الجسم ليس قابلا للقسمة مطلقا . لانه اذا كان الجسم قابلا للقسمة في وسطه فانه يكون قابلا لها في النقطة التي تتصل بهذا الوسط . ولكن الآن غير متصل بالآن كما أن النقطة لا تتصل بالنقطة . على أنه في هذا تنحصر قسمة الاجسام وتركيبها بحيث انه يوجد أيضا اجتماع واقتراق للاجزاء . ولكن الجسم مع ذلك لا يتحول الى ذرات وانه لا يأتي من ذرات . تلك النظرية التي تشمل صعوبات عديدة لا يمكن حلها . كذلك لا يمكن أن يتركب الجسم بطريقة بها تكون التجزئة ممكنة لا الى حد ما . فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة كان الامر كذلك ولكن الجسم ينحصر الى أجزاء متدرجة في الصفر وأن الاتحاد حصل بين أصغر الاجزاء .

§ ٢٠ - لا تتصل بالنقطة - ما دامت النقط معتبرا ان ليس لها أقل امتداد . - ومن يسلم بهذه النظرية - التي هي أن الجسم قابل للقسمة مطلقا . - بالتجزئة - في النقط التي يقال انه مركب منها . - الا من التماسات أو النقط - ر ما سبق ف ١٦

§ ٢١ - بأن الجسم قابل للقسمة مطلقا - هذا هو المعنى الذي افهمه ليلويون وهو مع ذلك يجد أن المعنى ليس واضحا على قدر الكفاية . وان هذه المناقشة كلها هي في غاية الاضطراب ومن الصعب الوقوف فيها على الفكرة الحقيقية للمؤلف . - يوجد في كل محل نقطة ما - يعني أن التجزئة يمكن أن تحصل في أي نقطة كيما اتفق . - لا يوجد أكثر من واحدة - في الواقع انه يوجد من النقطة بقدر ما يراه ولكنها كلها متشابهة فلا يمكن أبدا أن يؤخذ منها في الدفعة الواحدة الا نقطة واحدة . ونتيجة أيضا - النص ليس كذلك من حيث ضبط العبارة ولكن اضطرت الى زيادة الضبط لافق بينه وبين التعريف المذكور في الفقرة السابقة . - الآن النقطة - للكلماتان المقابلتان هما في النص اليوناني أكثر تقريبا بينهما من الكلمتين اللتين اضطرت لاستعمالهما في الترجمة . - للاجزاء - أضفنا من عندي . - صعوبات عديدة لا يمكن حلها - عرض بعضها في الكلام السابق . - ممكنة لا الى حد ما - وذلك يقدم ملحق الذرات . على هذا يكون أرسطو يرفض الكل ويقبل هذا الملحق لانه يجد من كل ناحية صعوبات لا يمكن التغلب عليها . - فاذا كانت النقطة تتبع في الواقع النقطة - هذا يظهر عليه أنه دليل حسم في النص بعض الحسرين

٢٢ - الكون المطلق الكامل للاشياء لا يقصر كما زعموا على اجتماع العناصر وتفرقها كما أن الاستحالة ليست مجرد تغير في الكتلة . بل ذلك خطأ تام يقع فيه كل الناس . ونكرر مرة أخرى أنه لا يوجد كون وفساد مطلقان للاشياء باجتماع العناصر وافتراقها . انما يوجدان فقط متى يتغير شيء بـكله عند ما يأتي من شيء آخر بعينه .

§ ٢٣ - وقد يظن أيضا أن الاستحالة هي تغير ما من هذا التقبيل ولكن ها هنا فرقا عظيما . فان في الموضوع جزءا يرجع الى الكنه وجزءا يرجع الى المادة قمتي فقط حصل التغير في هذين الامرين فهناك حقا كون وفساد . ولا يكون الا مجرد استحالة متى حصل التغير في الخواص والكيوف العارضة للشيء .

§ ٢٤ - فما هو الا بافتراق الاشياء وباجتماعها انها تصير قابلة للفساد بسهولة مثال ذلك متى تجزا الماء الى نقيطات صغيرات تتحول بأسرع ما يكون الى هواء ، في حين أنها اذا بقيت كتلة تصير هواء بأبطأ من ذلك .

§ ٢٥ - على أن هذا سيوضح فيما يلي . ولكن ها هنا أردنا فقط اثبات أن من المحال أن يكون كون الاشياء مجرد تأليف كما زعم بعض الفلاسفة .

§ ٢٢ الكون - كل آخر هذا الباب هو استطراد يبعد المؤلف به شيئا فشيئا عن الفكرة التي كان يظهر عليه أول الامر متباعدة القول فيها . - اجتماع العناصر وتفرقها - لان العناصر حينئذ هي أسبق من المركب الذي يتركب منها . - عندما يأتي من شيء آخر بعينه - عبارة النص ليست محكمة فان هناك أيضا لا يوجد كون بالمعنى الخاص .

§ ٢٣ - الاستحالة - الاستطراد مستمر . عظيما - أضفت هذه الكلمة . - في الموضوع أو في الشيء . - الى الكنه - الحد والماهية . - هذين الشئيين - أضفت علامة التثنية وصيغة النص صيغة جمع . - حقا - أضفت هذه الكلمة .

§ ٢٤ - فما هو الا بافتراق الاشياء وباجتماعها . ر ما سبق لي آخر الفقرة ٢٢ - متى تجزا الماء - المشاهدة صحيحة وقد حصلت من زمان بعيد لان هذه الظاهرة تلتح تحت النظر في غالب الاحيان (الميتولوجيا ك ٢ ب ٢ ف ١٨ من ترجمتي) . - تتحول بأسرع ما يكون الى هواء - أي بعبارة أخرى تتبخر .

§ ٢٥ - على أن هذا سيوضح فيما يلي - ذلك بأن المؤلف نفسه أحس أنه لم يكن دائما مبينا بقدر ما يطلب منه . - مجرد تأليف - سواء أكان اجتماعا أم افتراقا . راجع ما سبق ف ١٩

الباب الثالث

في الكون المطلق وفي فساد الأشياء - صعوبة هذه المسألة - الكون والفساد
الاضافيان - النمط الذي يتخذ في هذا البحث - شواهد من كتاب الحركة - إبدية الكائنات
وتعاقبها المستمر - تبادل الكون والفساد - تمييز لفظي مهم - استشهاد بـ «الفرق
بين الكون المطلق والكون الإضافي - فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين - الرأي العامي
في هذا الموضوع في أن شهادة الحواس تعطي أكثر مما تستحق - توضيحات مختلفة -
طريقة فهم إبدية الظواهر .

١ - متى تقرر هذا يلزم البحث أولاً فيما إذا كان يوجب في الواقع
شيء يولد ويموت بطريقة مطلقة أو ما إذا كان لا يوجد شيء يولد ويموت
بالمعنى الخاص . وفي هذه الحالة يلزم فحص ما إذا كان أي شيء مالا يأتي
دائماً من شيء آخر هو يخرج منه : مثال ذلك من المريض يأتي الصحيح ومن
الصحيح يأتي المريض أو كالصغير يأتي من الكبير والكبير يأتي من الصغير
وكل الأشياء بلا استثناء «تكون» بهذه الطريقة عينها . إذا سلم بكون
مطلق يلزم حينئذ أن الموجود يأتي مطلقاً من اللاموجود أي من العدم
بحيث يحق التأكيد بأن العدم يتعلق ببعض الموجودات . والكون الإضافي
يمكن أن يأتي من لا موجود إضافي . ومثال ذلك الأبيض يمكن أن يأتي
من اللا أبيض أو الجميل يأتي من اللاجميل . لكن الكون المطلق يجب أن
يأتي من اللاموجود المطلق .

٢ - حينئذ المطلق ها هنا يدل إما على الأولى في كل مقولة للموجود

§ ١ - بطريقة مطلقة - أعني من غير أن يوجب شيء يسبقه ومنه يمكن أن يخرج
- بالمعنى الخاص - يعني بالمعنى المطلق للكلمة . - وفي هذه الحالة - يعني في حالة
افتراض أن لا يوجد كون مطلق . وأن الموجود الكائن يخرج دائماً من موجود سابق عليه .
وقد قطعت الجملة لأنها في النص قد طالت أكثر مما يلزم ، من المريض يأتي الصحيح -
يعني أن الموجود المريض يرجع صحيحاً . أو بالعكس يصير الصحيح مريضاً . فالموجود إذا
لا يكون بالمعنى الخاص . بل هو فقط يتغير حاله ويمر بكيفيات مختلفة . ولكنه كائن أولاً
ومن قبل أن يلحقه التغير . - يكون مطلق - يعني أن الشيء الذي لم يكن من قبل قد
وجد وهو يخرج من العدم حيث كان فيه قبل الوجود . - من اللاموجود من العدم -
ليس في النص الا كلمة واحدة وعلى هذا المعنى يقال عن شيء ما أنه مفقود في العدم
وإن «العدم يتعلق ببعض الموجودات» كما هي عبارة النص . ولقد يظهر على العبارة
صورة التناقض على أنها صادقة . - الأبيض يمكن أن يأتي من اللا أبيض - أعني أن
شيئاً لم يكن أبيض يمكن أن يصير أبيض . وليس ذلك هو الكون بالمعنى الخاص بل هو
مجرد تغير أو مجرد استحالة . - الكون المطلق يأتي من اللاموجود المطلق - يعني أن شيئاً
يكون بعد أن لم يكن ، خارجاً من العدم الذي كان فيه .

§ ٢ - حينئذ المطلق هاهنا يدل إما على الأولى - المطلق يظهر أنه لا يمكن استعماله
في هذا المعنى الضيق ولكن هذا هنا هو مجرد تمييز لفظي كونه تحكم . في كل مقولة
للموجود - يعني في جميع المقولات الا في مقولة الجوهر فإن الأولى هو الحد الأعلى وعلى ذلك =

وأما على الكلى أعنى الذى يشمل ويحوى كل شيء . فإذا كانا الاولى هو مدلول المطلق فهناك كون للجهورات مما هو ليس بجوهر . ولكن ما ليس له جوهرية وما ليس البتة شيئا معينا بذاته لا يمكنه بالبداهة أن يكون لاي واحدة أخرى من المقولات كالكيف والكم والايين . . . الخ لانه حينئذ يكون معناه التسليم بأن كيوف الجواهر يمكن أن تنفصل عنها . فإذا كان اللاموجود هو بصورة عامة مدلول المطلق فذلك هو النفى الكلى لجميع الاشياء وعلى ذلك فما يولد وما يكون يلزم ضرورة أن يولد من لا شيء .

٣ - على اننا قد تكلمنا على هذا الموضوع فى موضع آخر وبحسنام باطول من ذلك ولكننا نلخص هاهنا فكرتنا ونقول فى قليل من الكلمات ان من وجه يمكن أن يوجد كون مطلق لشيء آت من انعدم اللاموجود . ومن وجه آخر لا شيء يمكن أبدا أن يأتى الا مما هو موجود . ذلك فى الحق ان ماهو بمجرد القوة وليس بالفعل يجب أن «يكون» أولا وبالضرورة على الوجهين اللذين بيناهما آنفا ولكنه لابد مع ذلك من العناية الكبرى فى فحص هذه المسألة التى يمكن أن صنعويتها قد هشمنا حتى بعد الايضاحات التى أسلفناها . وتلك المسألة هى كيف أن الكون المطلق يحصل سواء كان يأتى مما هو بالقوة أم يأتى بأى وجه آخر .

٤ - يمكن البحث فى الحق فيما اذا كان يوجد فقط كون للجوهر ولشيء معين بالفعل أو ما اذا كان لا يوجد أيضا كون للكيف وللكم وللأين

= لى مقولة الكيف ليس المقصود واحدة من الكيوف الخاصة بل هو الكيف نفسه . - وأما على الكلى - يعنى الجوهر والى هذا المعنى ينصرف عادة لفظ المطلق . - يشمل ويحوى كل شيء - ليس فى النص : لا كلمة واحدة . ومعنى ذلك أنه يلزم أولا أن يوجد الشيء حتى يمكن بعد أن يوصف بأى كيف اتفق . - فإذا كان الاول هو مدلول المطلق - أضفت لكلمات الثلاثة الأخيرة لجمل الفكرة أكثر ضيضا وجلاء . - فهناك كون للجوهر - التعبير لا يظهر أنه على ما ينبغي . فان المقصود ليس هو الجوهر بالضبط بل هو مجرد وجوده مكيف تبعا لكل مقولة فان شيئا يصير أبيض بعد أن لم يكن أبيض من قبل . - الخ - وضعت هذه الكلمة للدلالة على أن جميع المقولات ليست مذكورة هنا . - كيوف - عبارة النص أعراض . مدلول المطلق - رأيت من الواجب تكرير هذه العبارة لتكميل النص . - النفى الكلى لجميع الاشياء - ولعل أحسن من ذلك أن يقال : « النفى الكلى لجميع المقولات » بما فيها مقولة الجوهر . - ما يولد وما يكون - ليس فى النص الا أحد الفعلين .

§ ٣ فى موضع آخر - يعنى فى الكتاب الاول من الطبيعة ب ٨ ف ١ وما يليها ص ٤٧٣ من ترجمتنا كما نبه اليه فيلوبون . - آت من انعدم من اللاموجود - ليس فى النص : لا كلمة واحدة . - لاشء يمكن أبدا أن يأتى - ليست عبارة النص بهذا التأخر من البيان . - ماهو بمجرد القوة - الممكن ليس موجودا على التحقيق ولكنه يكفى إمكان وجوده لاجل أن يكون له وجود بنوع ما . - على الوجهين اللذين بيناهما - ردت هاتين الكلمتين الأخيرتين ، وبعبارة أخرى الممكن كائن وغير كائن معا .

§ ٤ - إذا كان يوجد فقط - أضفت الكلمة الأخيرة . - كون للجوهر - ويمكن ترجمتها بهذه العبارة « اذا كان الكون يتعلق بالجوهر » . - بالنسبة الى : للساد - الذى =

... الخ . وهذه الاسئلة عينها توجه على انسواء بالنسبة الى الفساد .
وانه اذا كان بالفعل شيء يكون أو يولد فمن الواضح انه يجب وجود
جوهر ما بالقوة على الاقل ان لم يكن بالفعل وبانكمال منه يخرج كون
الشيء وبغيره يتغير بالضرورة متى فسد .

٥ - هل من الممكن أن واحدة من المقولات الاخرى التي هي بالفعل
وبالكمال المحض تتعلق بهذا الموجود بالقوة ؟ أو بعبارة اخرى هل يمكن
تطبيق معاني الكيف وانكم والايين على هذا الذي ليس شيئا الا بالقوة
وبالقوة فقط بدون أن يكون شيئا بذاته بطريقة مطلقة حتى ولا أن يكون
مطلقا أبدا ؟ لانه اذا كان هذا الموجود ليس أي شيء بالفعل ولكنه كل
الاشياء بالقوة فان الوجود المفهوم على هذا النحو يمكن أن يكون ذا
وجود منفصل وحينئذ يوصل الى هذه النتيجة التي ها بها الفلاسفة الاولون
أكثر من كل شيء وهي ايجاد الاشياء من العدم المحض ولكنه اذا لم يسلم
أن هذا يكون موجودا حقيقيا أو جوهرًا وأنه شيء آخر من المقولات المذكورة
فحينئذ يفرض كما قلنا أننا أن الكيفيات والاعراض يمكن أن تكون
منفصلة عن الجواهر .

٦ - تلك هي النظريات التي يلزم مناقشتها هنا بالقدر المناسب
كما انه يلزمنا البحث عما هي العلة التي تجعل كون الموجودات أبدية سواء
الكون المطلق أو الكون البعض . مادام لا يوجد على رأينا الا علة واحدة أوحد
منها ينبعث مبدأ الحركة وما دام لا يوجد أيضا الا مادة واحدة أوحد يلزم
ايضاح ما هي هذه العلة .

٥ - هو ضد الكون . أولا يوجد كون وفساد : لا في مقولة الجوهر ؟ اي يوجد أن أيضا في المقولات
الاخرى . - بالفعل - زدت هذه الكلمة . - جوهر ما - كلمة جوهر يعنيها موجودة في
النص ولكن يظهر أن الجوهر يجب دائما أن يكون بالفعل لا أن يكون ممكنا مجرد امكان .
- بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة .

٦ - واحدة من المقولات الاخرى - يعني احلى المقولات الاخرى غير مقولة الجوهر . -
بهذا الموجود بالقوة - النص ليس بهذا الوضوح . - والايين - أو أي مقولة اخرى . -
ذا وجود منفصل - وهذا تناقض . - التي ها بها الفلاسفة أكثر من كل شيء - الفلاسفة
الذين لم يستطيعوا أبدا أن يقبلوا بأية صورة معنى العدم . من العدم المحض - عبارة
النص بالضغط هي « من العدم السابق لوجود » . - كائن حقيقي - يمكن أن يضاف
« متين » فاذا كان الممكن ليس جوهرًا فيقال أنه واحدة أخرى من المقولات . - المذكورة
- أننا - كما قلنا أننا - ر ف ٢ .

٦ - بالقدر المناسب - لهذا الموضوع الخاص الذي ندرسه في هذا الكتاب . -
العلة التي تحصل كل الموجودات أبدية - ليس هذا شيئا آخر الا الاستناد الى الله الذي
هو خالق الاشياء وحافظها كما هو مبين بعد . - سواء الكون المطلق - يعني الذي يخرج
الاشياء من العدم . - أو الكون البعض - يعني كون الكيفيات المتعاقبة على الاشياء . - علة
واحدة أوحد - هي المحرك الذي لا يتحرك . - مادة واحدة أوحد - - فيها يفعل المحرك
الاول . ما هي هذه العلة - ها هنا عبارة النص ينقصها قليل من الجلاء . لان السياق
يقضي على أن لا علة واحدة وهما علة فاعلة وعلة مادية .

§ ٧ - ولكننا سيق بنا أن تكلمنا عليها في كتابنا «الحركة» أذ قدرونا فيه أنه يوجد من جهة شيء غير متحرك طول الابد كله ومن جهة أخرى شيء على ضد ذلك واقع في حركة أبدية . فدراسة المبدأ غير المتحرك للأشياء تتعلق بفلسفة أخرى عليا . وأما المحرك انذى يحسرك كل البقية ، لانه هو نفسه قد حرك بحركة مستمرة ، فاننا سنتكلم عليه فيما بعد عندما فوضح ما هي علة كل واحدة من الظواهر الخاصة : وهنا نقصر على علاج هذه العلة التي تظهر بصورة مادة والتي تجعل أن كون الاشياء وفسادها لا يتخلفان في الطبيعة . ولكن هذه المناقشة قد تجلر أيضا الشك الذى اثرناه آنفا وسيرى كيف ينبغى أن يعنى أيضا بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء .

§ ٨ - ومع ذلك فانها مسألة محيرة أن يعرف ماذا عسى أن تكون العلة التى تدبر وتسلسل تناسل الاشياء اذا فرضنا أن ما يفسد يرجع الى العدم وأن اللاوجود ليس شيئا لا ما ليس موجودا ليس جوهرها ولا كيفا ولا كما ولا أين الخ لانه حينئذ مادام فى كل آن واحد من الكائنات يبيد وينعدم كيف يتأتى أن العالم بتمامه لم يكن قد فنى منذ زمان طويل ألف مرة اذا كان المنبع الذى يأتى منه كل واحد من هذه الكائنات محدودا ومتناهيًا ؟ فى الحق اذا كان هذا التوارث الابدى لا ينقطع البتة فليس ذلك بأن الينبوع الذى تصدر منه الكائنات يكون غير متناه لان ذلك محال

§ ٧ - فى كتابنا « الحركة » هذا العنوان يدل على كتاب الطبيعة . - اذا قدرونا فيه - ر . الطبيعة ك ٨ ب ٣ ف ٢ من ترجمتنا . ر . أيضا أوائل كتاب الطبيعة والتحقيق الخاص للعنوانات المختلفة لهذا الكتاب . - بفلسفة أخرى عليا - يعنى ما بعد الطبيعة . ر . الكتاب السابع من ترجمة كوزن . - سنتكلم عليه فيما بعد . ر . الباب العاشر من الكتاب الثانى من هذا المؤلف : - الظواهر - أو الكائنات . - العلة التى تظهر بصورة مادة يعنى العلة المادية . - لا يتخلفان - هذا هو التعاقب الابدى للكائنات . ولكن فى مذهب أرسطو لما أن العالم ليس له أول ولا ينبغي أن يكون له آخر فتعاقب الكائنات يجب أن يستمر كما ترى . وهذه المسألة قد بحث أيضا فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب ٧ ف ٤ وفى الكتاب الثالث ب ٥ ف ٤ - بالفساد المطلق وبمطلق كون الاشياء . - يعنى امكان أن شيئا يجىء من العدم ويرجع اليه .

§ ٨ - التى تدبر وتسلسل - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - يرجع الى العدم أو ينهب الى العدم . - ليس جوهرها ولا كيفا - - اعنى فى أى مقول من المقولات . - ولا أين - ليس هنا الا أربعة مقولات معدودة عوضا عن عشرة . لذلك وضعت لفظ . . . الخ . - العالم بتمامه - عبارة النص بالضببط و الكل . - محدودا ومتناهيًا - ليس فى النص الا كلمة واحدة . هذا التوارث الابدى - عبارة النص ليسود بهذا اللوح . - وقد وضعنا - ر . الطبيعة نظرية اللانهاية ك ٣ ب ٥ ف ٤ . وب ٢ ف ٥ . - أضعف فأضعف - ذلك فى الحق هو نظرية أرسطو فى الطبيعة . ولكن يظهر أنه يمكن أن يكون لمو الاشياء غير متناه وكذلك قسمتها لما هام الموضوع من كل وجه تخيلية محضة . - بهذا السبب وحده أن فساد شيء - هذا الفرض عينه موجود فى كتاب الطبيعة ك ٣ ب ١٢ ف ٢ من ترجمتنا .

تماما ما دام أنه في الواقع لا شيء غير متناه . وأنه انما يكون فقط بالقوة أن شيئا يمكن ان يكون غير متناه في القسمة . وقد وضعنا ان القسمة هي وحدها محل عدم الانقطاع وعدم الفوات لأنه يمكن دائما الحصول على كمية أضعف فأضعف . ولكننا هنا لا نرى وجها للمشابهة . أفلا تصير أبدية التعاقب ضرورية بهذا السبب وحده أن فساد شيء هو كون شيء آخر وان العكس بالعكس كون هذا موت ذلك او فساده ؟ .

٩ - وبهذا تلغى علة يمكنها أن تكفي لتوضيح كل شيء بالنسبة لكون الاشياء وفسادها ، هاهنا في عمومها وهناك في كل فرد من الكائنات بخصوصه . على أنه مع هذا يلزم البحث في أنه لماذا عند الكلام على بعض الاشياء يقال بطريقة مطلقة انها تكون وتهلك في حين انه عند الكلام على بعض أشياء أخرى لا يقال ذلك على اطلاقه ، اذا كان حقا أن كون موجود بعينه هو عين فساد آخر واذا كان العكس بالعكس فستاد هذا هو كون لذلك .

١٠ § - هذا التباين في التعبير يقتضى أيضا أن يفسر ما دام اننا نقول عن كائن في حالة بعينه أنه فسد مطلقا لا انه فسد من وجه بعينه فقط وما دمنا نصرف الكون الى معنى مطلق كما نصرف الفساد سواء بسواء . على ذلك فشيء بعينه يصير شيئا آخر بعينه ولكنه لا يصير على الاطلاق . أنظر مثلا كيف نقول عن شخص يتعلم انه يصير عالما ولكننا لا نقول من أجل ذلك انه يصير ويكون على الاطلاق . وبإدراك ما قلناه غالبا من أن بعض الاسماء تدل على جوهر حقيقى والبعض الآخر لا يدل عليه يمكن معرفة من أين تأتى المسألة المطروحة ها هنا . لأنه يهم كثيرا أن يعين فيم يتغير الشيء الذى يتغير ، مثال ذلك تحول الشيء الذى يصير نارا يمكن أن يسمى كونا مطلقا ولكن أيضا فسادا لشيء للأرض مثلا . وكذلك كون الأرض هو بلا شك أيضا كون ، ولكنه ليس كونا مطلقا مع انه فساد مطلق ومثلا فساد النار .

٩ § - ها هنا في عمومها - النص ليس بهذه الصراحة . - بطريقة مطلقة - من غير تحديد ولا تقييد من أى نوع .

١٠ § هذا التباين في التعبير - عبارة النص هي : « هذا » فقط . - انه فسد مطلقا - يعنى أنه يمر من الوجود الى اللا وجود بوجه تام وينقطع عن الوجود بعد أن بقى فيه زما ما . - من وجه بعينه فقط - يعنى مثلا أن شيئا يصير أبيض بعد أن كان أسود فانه لا ينقطع بذلك عن أنه كائن مطلقا . - فقط انه انقطع عن كونه أبيض . - وانه فسد من حيث أنه أبيض دون أن يفسد حقيقة . - عن شخص يتعلم - وانه على ذلك لم يكن بعد عالما ثم يصير عالما . ولكن لا يمكن أن يقال بوجه مطلق انه يصير كذا لو انه ومد مثلا انه يصير ويكون - ليس فى النص الا كلمة واحدة . ما قلناه غالبا - يمكن أن يراجع كتاب المقولات ١٤١ . - بعض الاسماء - عبارة النص غير محدودة . - جوهر حقيقى - عبارة

§ ١١ - بهذا المعنى كان برمينيد لا يعترف الا بشئين في الدنيا
الموجود والا موجود وهما عنده النار والارض . على انه ليس من المهم
افتراض هذه العناصر أو عناصر أخرى مشابهة لها لاننا لا نبحث الا في
الطريقة التي بها تحصل الظواهر لافي موضوعها . اذا التغيير الذي يوصل
الاشياء الى الوجود المطلق انما هو فساد مطلق وبالعكس ما يوصلها
مطلقا الى الوجود هو كون مطلق . ولكن مهما كانت الجواهر التي يعتبر
فيها الكون والفساد سواء النار أو الارض أو أى عنصر آخر مشابه فان
الكون والفساد لا يزالان أحدهما للوجود والآخر للعدم وجود .

§ ١٢ - هذا اذا هو فرق اول في التعبير يمكن تقريره بين الكون
وانفساد المطلقين وبين الكون والفساد اللذين ليسا مطلقين . وقرى آخر
يمكن أن يميزها وهو المادة التي يحصلان فيها أيا كانت هذه المادة فالتى
تدل فصولها دلالة أكثر على هذه الحقيقة بعينها أو تلك هي أيضا ادخل في
الجوهرية والتي تدل فصولها دلالة أكثر على العدم هي ادخل في الوجود .
وعلى ذلك فالحرارة مقولة ما ونوع حقيقى وعلى الضد البرودة فانها ليست
الا عدما . وبهذه الفصول بعينها تتميز الارض والنار .

§ ١٣ - عنه العامى ، انما يقرر الفرق على الاخص بين الكون وبين

النس بالضبط « شى » « معنى » . فساد الشى للارض مثلا - يعنى أن الارض يجب أن
تفسد لتصبحنا مع التسليم بان هذا التحول ممكن كما يفترضه برمينيد . - فساد النار
- الملاحظة بعينها .

§ ١١ - الموجود واللاوجود في كتاب الطبيعة كتاب ١٦ هو البارد الحار والموجود
واللا موجود اللذان اعتبرهما برمينيد العنصرين الاولين . ومع ذلك فان البارد والحار هما
مرادفا أيضا في ذلك الكتاب للارض والنار . على أنه ليس من المهم - يحس أرسطو هاهنا
أن تحول الارض الى نار أو النار الى ارض فرض غريب في بابه . - لافي موضوعها - يعنى
الموضوع الذى فيه تتحقق الظواهر والذى يمكن أن يكون على السواء الارض أو النار أو أى
جسم آخر كيفما اتفق . فان الجوهر يمكن أن يتغير ولكن الظاهرة هي دائمة بعينها ومع
ذلك فان أرسطو قد بين عبارته بياضا وضوحا فيما على .

- التغير الذى يوصل - ليس النص بهذه الصراحة - سواء النار أو الارض - كما يريد
برمينيد . - أحدهما للوجود - وهو الكون أو التولد . - والآخر للعدم وجود - وهو الفساد أو
التلف .

§ ١٢ - فرق اول في التعبير - ليست عبارة النص على هذا الضبط . - التي يحصلان
فيها - أضفت هذه الكلمات لايضاح الفكرة . - هذه الحقيقة بعينها أو تلك - عبارة النص
هي بالبساطة « شى بعينه » . وعلى ذلك فالحرارة مقولة - قد لا يكون هذا المثل مختارا
اختيارا حسنا . فاذا كان البرد هو عدم الحرارة فقد يمكن القول أيضا بان الحرارة عدم
البرودة . فان الحرارة والبرودة هما على السواء . لئلا أحدهما ضد للآخر . - تتميز الارض
والنار . - ر - الفقرة السابقة . وعلى حسب تفسير فيلونيون أن النار ادخل في الجوهرية من
الارض . فانها الايجاب أو الملكة في حين أن الارض ليست الا العدم . ر - آخر الفقرة
اللاحقة :

§ ١٣ - الفرق بين الكون وبين الفساد - الترجمة أضبط من النص . سلمتى وجد

الفساد هو أن الواحد مدرك بالحواس وأن الآخر ليس كذلك • فمق وجود
تغير في مادة محسوسة قال العالمى أن الشيء يولد ويكون كما يقول أنه
يموت ويفسد حينما يتغير الى مادة غير مرئية • ذلك بأن الناس يعرفون على
العموم الوجود واللاوجود تبعاً لما إذا كانوا يحسون الشيء أو لا يحسونه •
كما أنهم يعتبرون الموجود ما يعرفونه واللاموجود ما يجهلون • فحينئذ •
الحس هو الذى يؤدي وظيفة العلم • وكما أن الناس لا يدركون حقيقة
حياتهم وكونهم إلا لانهم يحسون أو يمكنهم أن يحسوا • كذلك
أيضاً ادراكهم لوجود الأشياء اذ يبحثون عن حقيقتها وما هم بواجديها
خيماً يقولون •

§ ١٤ - ذلك أن الكون والفساد المطلقين هما متغايران تماماً تبعاً
لاعتبارهما على حسب الرأى العالمى أو لاعتبارهما فى حقيقتيهما الواقعية •
إذا الهواء والريح أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما
جسمين إذا كانت المرجح فى ذلك الى مجرد شهادة الحواس • ومن أجل ذلك
يظن أن الأشياء التى فسدت مطلقاً تفسد بالتحول الى هذين العنصرين فى
حين أنه يعتقد أن الأشياء تولد وتكون متى تحولت الى بعض عناصر يمكن
لمسها أى الى أرض مثلاً ولكن فى الحقيق ذانك العنصران هما جوهر ونوع
أكثر من الأرض نفسها •

§ ١٥ - إذا قد وضع ما يدل على أنه يوجد الكون المطلق من حيث
كونه فساداً لشيء والفساد المطلق من حيث كونه كوناً لشيء أيضاً • وهذا
تغير - الترجمة اضبط من النص - يولد ويكون • • • يموت ويفسد - ليس فى النص فى
كلا الطرفين الا كلمة واحدة - ادراكهم لوجود الأشياء • - يعنى على حسب ان الأشياء
محسوسة أو غير محسوسة أولاً يمكن أن نحس :

§ ١٤ - على حسب الرأى العالمى - يمكن ترجمتها أيضاً هكذا : اخذاً بمجرد الظاهر -
أقل من سواهما فى مراتب الوجود من حيث كونهما جسمين - عبارة النص هى بالضبط
«أقل» فقط - بل مجرد شهادة الحواس - ما دام أن الهواء والريح يحسان أقل من العناصر
الكثيفة مثل الأرض والماء •
- الى هذين العنصرين - الهواء والريح • - مثلاً زدت هذا اللفظ لتسام الفكرة • - ونوع -
أو صورة • وليس لفظ النص بأكثر ضبطاً من اللفظ الذى التزم استعماله • - أكثر من
الأرض نفسها - ربما كان اللازم بيان حلة هذه النظرية التى يظهر لأول وهلة أنها مشككة •
أما فيلويون فيزعم أن الهواء على الحقيقة أكثر جوهرية من الأرض لانه يحيط بها وإن له
طوق ذلك خاصية الحرارة التى تزيد فى كماله •

§ ١٥ - إذا قد وضع - ليس هذا الايضاح جلياً كالمرفوب • وربما كان هذا الملخص
الذى أثبت هنا سابقاً لوقته • - انه يوجد - يظهر أن الاحسن هو أن يقال : «اله يظن أن
يوجد» •
ولكنى لم أجرؤ على المخاطرة بهذا التغير • المادة - عبارة النص هى غير معينة أيضاً كاللفظ
الذى استعملته فى الترجمة فانه يمكن أن يتساءل : مادة أى شيء هى ؟ • - الواحدة - يعنى
من هذين العنصرين •

يتعلق ، في الواقع ، بأن المادة مختلفة إما لان الواحدة جوهر في حين انه الأخرى ليست جوهرًا وإما لان الواحدة هي أكثر وإن الأخرى أقل وإما لان المادة التي يأتي منها الشيء والتي يذهب اليها هي أقل او أكثر حسية . ويقال على الأشياء تارة انها تولد وتصير بالاطلاق وتارة يقال بالتعيين انها تصير هذا الشيء بعينه أو ذاك من غير أن يأتي واحد من الآخر بالتكافؤ على النحو الذي نعنيه هاهنا . ونحن نقصر في الواقع الآن على ايضاح لماذا . ما دام أن كل كون هو فساد لشيء آخر وأن كل فساد هو كون لشيء آخر أيضا - نحن لانسند على هذا الوجه عينه الكون والفساد الى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر .

§ ١٦ - على أن هذا لا يحل المسألة التي كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا . بل هو يوضح لماذا يقال عن واحد يتعلم انه يصير عالما لا أنه يصير مطلقا في حين أنه بالنسبة لشيء ينشأ طبيعة يقال بطريقة عامة انه يولد ويصير . تلك هي التعاين أي المقولات المختلفة التي بعضها يدل على الموجود الحقيقي والجزئي والآخر يدل على الكيف والآخر على الكم . وبالتالي لا يقال البتة على كل الأشياء التي لا تدل على جوهر انها تصير بطريقة مطلقة بل انها تصير كذا أو كذا من الأشياء . ومع ذلك فإن الكون في كل الاحوال على السواء لا ينطبق انطباقا صريحا الا على الأشياء الداخلة في احدى المجموعتين . مثلا في مقولة الجوهر يقال ان الشيء يصير اذا تكون نار . ولا يقال ذلك اذا كان الذي يكون هو أرضا . وفي مقولة الكيف يقال عن الشيء انه يصير اذا صار الكائن عالما لا اذا صار جاهلا .

= - جوهر - يعنى شيئا شخصيا وخصوصا . - هي أكثر - أو بعبارة أخرى « الواحدة لها وجود أكثر بروز وللأخرى وجود أقل حسية » . - تولد وتصير - لا يوجد الا كلمة واحدة في النص الإغريقي - بالتعيين - أو فقط . - الذي نعنيه هاهنا - اذا نقول أن التولد المطلق هو فساد شيء آخر وإن الفساد المطلق هو أيضا تولد . - نحن لا نسند على هذا الوجه عينه - كل هذه القيود دقيقة وغامضة . - الى الأشياء التي تتغير بعضها في البعض الآخر - تلك هي الاحوال المختلفة التي بها يمر جسم بعينه كما يفهم من سياق الكلام الأخير . وليس هذا بالمعنى الخاص فسادا لكيف أو كونا له بل هو مجرد تعاقب .

§ ١٦ - التي كنا وضعناها لانفسنا حلا نهائيا - على الروابط الحقيقية بين الكون المطلق وبين الفساد المطلق . - أنه يصير عالما - إذ أن جهله ينقلب علما كما أن علمه يمكن أن ينقلب جهلا اذا نسي ما حفظه . - ينشأ طبيعة - كلمة النص يظهر لي أن لها ما لهذا اللفظ الذي استخدمته في الترجمة من القوة . - انه يولد ويصير - لا يوجد في النص الا كلمة واحدة . - بعضها . . . الموجود الحقيقي والجزئي وهو مقولة الجوهر . والنص أقل ضبطا من ذلك . - والآخر على الكم - لا يوجد هاهنا الا ثلاث مقولات على التعداد مع أن المقولات عشرة . - كتاب المقولات ب ٨ ص ٥٨ من ترجمتنا - انها تصير كذا أو كذا من الأشياء يعنى انها تتغير بالكيف او بالوضع ما دام المفروض ضرورة ان الجوهر هو ثابت تحت جتيح

§ ١٧ - إذا فأنظر كيف نوضح لماذا بعض الاشياء يكون بطريقة مطلقة وكيف أن البعض الآخر لا يكون لا بطريقة مطلقة ولا أصلا حتى في الجواهر أعيانها . وقد قلنا أيضا لماذا الموضوع من حيث هو مادة هو علة الكون المستمر الابدئ للاشياء نظرا الى أنه يمكن على السواء أن يتغير في الازداد وأنه بالنسبة للمجواهر ككون ظاهرة هو دائما فساد لآخرى وبالتكافؤ أن فساد هذه كون لتلك .

§ ١٨ - على أنه لم يبق محل لان يتساءل لماذا أن هذا الفساد الدائم للموجودات هو الذي يجعلنا شيئا يمكن ان يكون . لانه كما يقال ان شيئا هو فاسد مطلقا حينما يمر الى اللامحسوس وإلى اللاموجود كذلك يمكن أن يقال انه يكون ويأتي من اللاموجود متى أتى من اللامحسوس . والنتيجة أنه سواء أكان هناك موضوع أولا أم لم يكن فإن الشيء يأتي دائما من العدم بحيث إن الشيء في آن واحد حين يكون يأتي من اللاموجود وحين يفسد يعود الى اللاموجود أيضا . وهذا هو الفاعل في أنه ليس يوجد انقطاع ولا خلو . لان الكون هو فساد اللاموجود والفساد هو كون العدم .

§ ١٩ ولكن قد يتساءل عما اذا كان هذا اللاموجود المطلق هو ثاني

المقولات . - في احدى المجموعتين - التي احدهما موجبة والاخرى سالبة . ومع ذلك فانما إلى كليل بايضاح هذه الفكرة وان كانت الحدود التي اتخذت امثلة ربما لا يكون قد توافر فيها حسن الاختيار . - اذا تكون نار - لان النار معتبرة حدا ايجابيا في حين ان الارض معتبرة حد سلبي . - اذا كان الذي يكون هو ارضا - ما سبق فـ ١٤ - اذا صار الكائن علما - هذا هو الحد الايجابي في حين أن الجاهل حد سلبي ولكن في الحالة الاولى والاخرى يقال ايضا انه يصير علما او يصير جاهلا . وكل هذا هو غاية في الدقة .

§ ١٧ - حتى في الجواهر أعيانها - يعني في حالة ما اذا كان شيء مع كونه موجودا أقل في مرتبة الوجود من آخر لانه تابع له . ر . ما سبق فـ ١٥ . - الموضوع من حيث هو مادة - الموضوع يبقى لانه ماديا محل الازداد التي تحمل فيه وتعاقب عليه . فالموضوع يبقى مع تغيره . - المستمر الابدئ - لا يوجد في النص الا كلمة واحدة . - كون ظاهره او بعبارة أخرى تغير الكيفيات . فان كون الاسود هو فساد للابيض وكون الابيض هو فساد للاسود . والموضوع الذي يصير على التناوب اسود وابيض لا يزال باقيا .

§ ١٨ - ان هذا الفساد الدائم للموجودات - ليس النص على هذا القدر من الصراحة في كل هذا الموطن . - حينما يمر الى اللامحسوس - ر . ما سبق فـ ١٣ - فان الشيء يأتي دائما من العدم - قد اتخذت عبارة كمباراة للنص في انها عامة غامضة . وبعبارة أخرى سواء كان هناك مجرد تغير في الكيف فالظاهرة تأتي دائما مما لم يكن . - انقطاع ولاخلو - ليس في النص الا كلمة واحدة . ومع ذلك فمن فرط التعقيد أو بالحرى من الاسراف اللغوي أنه يمكن التكلم عن كون العدم أو فساده .

§ ١٩ - هو ثاني الضدين - الذي ليس كائنا بالفعل ولكنه يمكن ان يكون بان يشغل محل الضد الذي هو كائن . - لما إن الارض وكل ما هو ثقل هو اللاموجود - ضد الرأي

المضدين • ومثلاً لما ان الارض وكل ما هو ثقيل هو اللاموجود اذا كانت النار وكل ما هو خفيف هي أو ليست هي الموجود • ولكن يمكن أن يقال أيضاً ان الارض هي الموجود وان اللاموجود هو مادة الارض كما أنه هو مادة النار على السواء • ولكن هل مادة أحد هذين العنصرين ومادة الآخر هي اذا مختلفة ؟ وهل من المحال أن يأتى أحدهما من الآخر كما هو الحال في الاضداد • لأن النار والارض والماء والهواء لها أضداد أو هل أن مادتها هي واحدة من وجه وهل ليست مختلفة الا من وجه آخر ؟ لان ما هو موضوع من وجه ومن آخر هو واحد ولكن شكل الوجود هو وحده الذى ليس واحداً • على أننا نقف عندما قلناه في هذا الموضوع •

العامى الذى يستند الى الارض وجودا أكثر من وجود الهواء والنار بحجة ان الحواس تدركها أكثر • ما سبق فـ ١٣ •

— ان الارض هي الموجود — يظهر في الحق انه من الصعب انكار ذلك • — وأن اللاموجود هو مادة الارض — لا يظهر ان اللاموجود يمكن أن يكون مادة لى شيء ما الا أن يصرف ذلك الى المعنى المجرد المحض حيث كان القول فيما مر • — وهل من المحال أن يأتى أحدهما من الآخر — هذا ما يشبه أن لا يعتمد الا على شهادة الحواس • — لها أضداد — قد يكون مضبوط من ذلك بيانا ان يقال انها بعضها لبعض ضد • ما هو موضوع — يعنى المسادة مأخوذة على معناها المجرد لا على المعنى الحقيقى بالفعل • — شكل الوجود هو وحده — هذا = — تمييز من لازمت أرسطو وهو فى الغالب غاية فى الصحة والضبط • — نقف — لا يظهر مع ذلك أن الموضوع قد انتهى ولا انه على الخصوص قد وضع بقدر الكفاية من الايضاحات التى سبقت •

الباب الرابع

فصول الكون والاستحالة - تمييز الموضوع والمعمول - الموضوع حد الاستحالة - أمثلة مختلفة - حد الكون المطلق وأمثلة متنوعة - آخر المقارنة بين الكون والاستحالة .

§ ١ - يجب الآن توضيح بماذا يختلف الكون والاستحالة لأننا نرى أن هذين التغيرين للأشياء هما متميزان تماما أحدهما من الآخر نظرا إلى أن الموضوع الذي هو كائن حقيقي والتكييف الذي هو طبعا محمول على الموضوع هما في غاية الاختلاف وأنه يجوز أن يقع التغير بأحدهما وبالأخر .

§ ٢ - توجد استحالة متى كان الموضوع ، وهو باق بعينه وهو دائما محسوس ، يلحقه تغير في خواصه المخصوصة التي يمكن أن تكون مع ذلك أصدادا أو أوساطا . على ذلك مثلا الجسم هو صحيح ثم هو مريض منع بقائه هو بذاته . وكذلك أيضا النحاس هو تارة مستديرة وتارة ذو زوايا مع بقائه جوهريا هو بعينه .

§ ٣ ولكن حينما الموجود يلحقه التغير بكميته دون أن يبقى منه شيء محسوس من جهة أنه موضوع واحد وبخلافه وأن الدم مثلا يتكون بأن يأتي

§ ٤ ف ١ - الكون والاستحالة - الكون أو التولد هو الحركة في الجوهر يعني الحركة التي تسير مما ليس موجودا إلى ما هو موجود أي من اللا وجود إلى الوجود . وأما الاستحالة فهي الحركة التي تغير في الموضوع كميته وتتمتعها أصدادا . ر : الطبيعة ك ٣ ب ٣ ف ٨ وك ٧ ب ٤ ف ٣ من ترجمتنا .

- التغير بأحدهما وبالأخر - لفظ تغير مصروف هنا إلى معنى الحركة .

§ ٢ - توجد استحالة - حد الاستحالة هذا لا يبعد في شيء عن الحد الذي أعطى في كتاب الطبيعة .

- وهو دائما محسوس - أو بعبارة أخرى : حقيقة متميزة وشخصية يمكن أن تدرجها حواسنا أصدادا أو أوساطا - مثلا الجسم وهو يسر من الأسود إلى الأبيض أو وهو يسر بجميع الألوان المتوسطة التي بين ذينك اللونين . - مع بقائه هو بذاته - من حيث الجوهر . وهذا هو الشرط الأساسي وبدونه لا يمكن أن تقع الاستحالة . - جوهريا - أضفت هذه الكلمة لزيادة بيان المعنى .

§ ٣ - ولكن حينما الموجود يلحقه التغير - حد للكون أو لصيرورة الأشياء . - بكميته هذا هو الشرط الأساسي للتولد والافلا فلا يكون التغير الاستحالة . - الدم يتكون بأن يأتي من كل النطفة -

الامر على العكس النطفة هي التي تأتي من الدم الا اذا كان لفظ «النطفة» هنا له معنى خاص .

- كون الواحد وفساد الآخر - اتخذت تعابير مبهمة كتعابير النص . - بالمقارنة - زدت هذه الكلمة .

من كل النطفة وأث الهواء يأتي من كل الماء أو بالعكس الماء من كل الهواء .
حينئذ يوجد في هذه الحالة كون للواحد وفساد للآخر . وهذا حق على
الخصوص متى كان التغير يمر من اللامحسوس الى المحسوس سواء بالنسبة
لحاسة اللمس أو بالنسبة لجميع الحواس الاخرى مثلا حينما يوجد كون
الماء أو حينما يوجد تحلل الماء الى هواء لأن الهواء هو بالمقارنة غير محسوس
تقريبا .

§ ٤ - ولكن في هذه الأشياء اذا بقي لحدى التقابل كيف ما متماثل
في الموجود الذي يتولد وفي الذي يفسد واذا كان مثلا حينما يتكون الماء
بأن يأتي من الهواء وهذان العنصران هما على السواء شفافان وباردان فاذا
لا يلزم بعد أن أحد هذين الكيفين فقط يتعلق بالجسم الذي فيه يحدث
التغير ومتى لم يكن الامر كذلك فلا يكون الا مجرد استحالة . مثلا في
حالة ما الرجل الموسيقي ينعدم والرجل غير الموسيقي يكون ويظهر ، ولكن
الرجل لا يزال دائما هو بعينه . وحينئذ اذا لم تكن أصلا خاصة هذا
الموجود أو كيفه الا المهارة في فن الموسيقي أو الجهل به فاذا يوجد كون
لاحدى الظاهرتين وفساد للآخرى . من ذلك يرى لماذا أن تلك ليست الا
كيفيات للرجل في حين أن هذا هو كون وفساد للرجل الذي هو موسيقي
وللرجل الذي لا يعرف الموسيقي فليس هناك الا تكييف للموضوع الذي
هو ثابت وهذا هو بالضبط ما يسمى استحالة .

§ ٤ - ولكن هذه الأشياء اذا - يرى مفسرو جادة « كويمير » بحق أن المعنى في
هذه الفقرة مغلق وتوضيحات فيليبون لا تجلو غموضه . ويظهر ان ارسطو يقصد الرد على
اعتراض لم يبينه بالضبط . في الكون يتولد الكائن بكليته والتغير يلحقه بكليته . أما في
الاستحالة فالكيفيات وحدها هي التي تكون محلا للتغير واذا حق وقع كون عنصر جديد يمكن
ان يتساءل اذا كانت كيفيات الاول يجب ان تزول هي ايضا جميعها معه . يجب ارسطو
بالسلب متى كن الكيف مشتركاً بين الكائن الذي يزول وبين الكائن الذي يتولد بالتفسير .
وعلى ذلك فالماء مع انه يأتي من الهواء الذي انعدم له خواص الهواء من جهة انه مثله شفاف
بارد . هذا هو تفسير المفسرين نقلته هنا . وقد كان من المرغوب فيه أن يكون النص أكثر
توسعا . فقط - زدت هذه الكلمة . ومتى لم يكن الامر كذلك - يعني متى لم يكن للشئ
الكائن الكيفيات عيها التي للشئ الفاسد . فلا يكون الا مجرد استحالة - عبارة النص
أقل ضبطا . الاستحالة مجرد تغير في الكيف وليس تغيرا جوهريا . في حالة ما الرجل
الموسيقي ينعدم . حفظت أسلوبه عبارة النص مع أنه في اللغة اليونانية شاذ كما تراه في
الفرنساوية . ولكن الرجل - يعني الموجود الجوهري الذي هو تارة موسيقي واخرى غير
موسيقي . خاصة . . . أو كيفه - ليس في النص الا كلمة واحدة . الا المهارة في فن
الموسيقي أو الجهل به - النص في غاية من الابهاز لم تبلفه عبارتي في الترجمة .

- كون . . . وفساد - كما في الجواهر . - كيفيات - او تغيرات . - للرجل - الذي يبقى كما
هو مع هذه التغيرات المختلفة . - للرجل الذي هو موسيقي - والذي ليس بعد مجرد رجل على
المعنى المطلق والجوهري .

§ ٥ - وإذا حينما يكون تغير حد ضد لاخر حادثا في الكم فتلك زيادة ونقص . ومتى كان ذلك في الاين فتلك هي نقلة . ومتى كان في الملكية الخاصة والكيف فتلك استحالة بالمعنى الخاص . ولكن متى لم يبق شيء مطلقا من الموضوع الذي أحد أضداده هو تغير أو عرض فذلك انه يوجد كون من وجه وفساد من وجه آخر .

§ ٦ - وحينئذ فالمادة الق هي على جهة الاولوية والافضلية الموضوع القابل للكون وللفساد . وبوجه ما هي أيضا التي تعاني أنواع التغيرات الأخرى لأن كل الموضوعات مهما كانت فهي قابلة لتقابلات ما بالأضداد . على أنا نقف هنا فيما كنا نريد ان نقول على الكون والفساد وعلى الاستحالة أيضا لتوضح ما اذا هي تكون أو لا تكون وكيف تكون .

§ ٥ - حد ضد الآخر - عبارة النص الضدية ر . المقولات ب ١٠ و ١١ ص ١١٩ من ترجمتنا لتعرف الفرق بين المتقابلات والأضداد . - فتلك زيادة ونقص - فان الموجود يتغير اذا في الكم . فتلك هي نقلة - فان الموجود اذا يتغير فقط في المكان . - في الملكية الخاصة او في الانفعال . - بالمعنى الخاص - أضفت هاتين الكلمتين لضبط المعنى .

§ ٦ - المادة - مأخوذة على وجه غير معين لئلا كما هو في الكتاب الاول من الطبيعة ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتي . - على جهة الاولوية - أو «على الخصوص» . - للكون وللفساد - تبعاً لأنها تكون أولا تكون . - وبوجه ما - بطريقة ملتوية لا بالطريقة الخاصة . - أنواع التغيرات الأخرى - الزيادة والنقص والنقلة والاستحالة ، وقد لاحظ بحق فيلوبون أن أرسطو لم يكن يبيانه في أي موضع آخر اجلي منه في هذا الموضع فيما يتعلق بحد المادة الذي هو دائماً من الصعوبة بمكان .

الباب الخامس

نظرية النمو - الفروق بينه وبين الكون والاستحالة سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو - نقلة الشيء النامي غير المحسوسة - صعوبة ادراك من أين يأتي النمو في الجسم - كل أجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة - الشروط الأصلية للنمو هي ثلاثة - المقارنة بين النمو والاستحالة - نظرية جديدة للنمو - تمييز ما بالفعل من ما بالقوة - يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو - علاقة العنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم بالجسم النامي .

§ ١ - علينا أيضا أن نتكلم على النمو وإن نقول فيما إذا يختلف النمو عن الكون وعن الاستحالة وكيف يمكن الأشياء التي تنمو أن تنمو وإلى تنقص أن تنقص .

§ ٢ - يلزم إذا أولا أن نفحص ما إذا كانت الفرق بين هذه الظواهر بعضها والبعض الآخر ينحصر فقط في الموضوع الذي تتعلق به . إن تغيرا يقع من موجود إلى موجود آخر ، مثلا من الجوهر بمجرد القوة إلى الجوهر بالفعل وبالكمال هل هو كون وتولد ؟ والتغير الذي يقع في العظم هل هو نمو ونقص ؟ أو ذلك الذي يحصل في الكيف هل هو استحالة ؟ ولكن الظاهرتين الأخيرتين اللتين ذكرناهما أليستا دائما تغيين أشياء تمر من القوة إلى الفعل والكمال ؟ أو أيضا أليست طريقة التغير هي التي تختلف ؟ وحينئذ الشيء الذي يستحيل بمنزلة الشيء الذي يتولد ويصير لا يظهر أنه يجب لهما التغير بالمكان الزوما . ولكن الذي ينمو والذي يذبل يجب أن يتغير بالحيز تغيرا مخالفا لتغير الشيء الذي يتحرك في الأين .

§ ب هـ ١ - النمو - على تقدير دعوى النقص الذي هو ضد النمو كما أنه تكلم على اللساد بعد الكون . وليس هناك حد يقابل الاستحالة لأنها يمكن أن تقع على الوجهين . وآخر هذه الفقرة يثبت مع ذلك أن أرسطو يتصدى للكلام على النقص كما يتصدى للكلام على النمو .

§ ٢ - في الموضوع الذي تتعلق به هذه العبارة غامضة قليلا كعبارة النص، ويمكن ترجمة عبارة النص أيضا هكذا : في الموضوع الذي تحصل فيه . - من الجوهر بمجرد القوة من الجوهر الذي ليس موجودا إلى جوهر حقيقي موجود بالفعل . كما يخرج حيوان من حيوان بلذ . - هل هو كون وتولد . ليس في النص إلا كلمة واحدة . - الذي يقع في العظم على وجه أو على وجه آخر . - الظاهرتين الأخيرتين - زدت لفظ «الأخيرتين» زيادة في البيان . - إلى الفعل والكمال . ليس في النص إلا كلمة واحدة . وإن الكلمتين اللتين ذكرتهما ليست حداهما إلا ترجمة للآخرى .

- التي تختلف - من الكون ومن الاستحالة إلى النمو وإلى النقص - يتولد ويصير - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - يجب لهما التغير بالمكان - بأن يأخذ أكثر أو أقل من الحيز تبعاً لحال النمو والنقص .
- الذي يتحرك في الأين - أو «الذي تلحقه نقلة» .

§ ٣ - لانه الشئ المتحرك في الاين يغير مكانه بكليته في حين ان انذى ينمو لا يتغير الا كشيء ينزلق ويمتد . والموضوع وهو باق في مكانه اجزائه وحدها تغير مكانها . ولكن هذا ليس كحال اجزاء الكرة الدائرة على نفسها لان هذه الاجزاء تغير محل جسم الكرة كله مع بقائه في الحيز بعينه . وعلى الضد من ذلك اجزاء الجسم النامي تشغل حيزا اكثر فاكثر كما ان اجزاء الجسم الذابل تشغل حيزا اقل فاقل .

§ ٤ - يرى حينئذ ان التغير في شيء يتولد وفي الذي يستحيل وفي الذي ينمو هو يختلف لا بالشئ الذي يقبل التغير فحسب بل ايضا بالطريقة التي يحصل بها التغير . ولكن اما من حيث الشئ ذاته الذي يلحقه تغير النمو وتغير الذبول - من جهة ان النمو والذبول يظهر انهما لا ينطبقان الا على عظم - كيف ينبغي ادراك انه ينمو ؟ هل يجب ان يفهم انه يتكون في هذه الحالة جسم وعظم فعلى مما ليس هو جسما ولا عظما الا بمجرد القوة والذي هو بالفعل وبالكمال ليس له جسم ولا عظم حقيقي ؟ غير ان هذا الايضاح نفسه يمكن ان يحمل على معنى مزدوج ويمكن ايضا ان يتساءل على أى الوجهين يجب ان يحصل النمو . هل هو يأتى من المادة التي تكون منعزلة ومنفصلة في ذاتها ؟ أم هل يأتى من المادة التي تكون في جسم آخر ؟ ولكن هذين الوجهين لفهم النمو ليسا هما مستحيلان على السواء ؟ فانه اذا كانت في الواقع مادة النمو منعزلة فاما ألا تشغل اى

§ ٣ - مكانه بكليته - يميز المفسرون هاهنا حالين . اما ان الجسم ينتقل بكليته مارا من مكان الى آخر واما ان اجزائه هي التي تغير مكانها كحال اجزاء كرة تدور على نفسها دون ان تغير مكانها كما هو مذكور بعد .

- ينزلق ويمتد - ليس في النص الا كلمة واحدة ليست على هذا القدر من الضبط . اجزائه وحدها - أضفت الكلمة الاخيرة - الدائرة على نفسها - . ر . الطبيعة لـ ٨ ب ١٤ ف ١ ص ٥٥٤ من ترجمتنا .
- الكرة - زدت هذا اللفظ . - حيزا اكثر فاكثر - دون ان تغير مكانها .

§ ٤ - في شيء يتولد . . والذي يستحيل . . والذي ينمو - تلك هي الانسواع الثلاثة الممكنة للتغير . بالطريقة التي يحصل بها التغير - كما بين هذا في الفقرة السابقة . اما من حيث الشئ ذاته - أضفت هذه الكلمة الاخيرة . - انه ينمو - أضفت هذه العبارة لانه ظهر لي انها ضرورية لتكميل الفكرة . وربما يلزم ان يزداد ايضا «ويذبل» كما فعل ذلك عدة من المفسرين . بالفعل وبالكمال .
ليس في النص الا كلمة واحدة . - يحمل على معنى مزدوج - هذا التحليل ربما كان مجاوزا الى حد أبعد مما يلزم ويظهر عليه انه دقيق بعض الشيء . - منعزلة ومنفصلة ليس في النص الا كلمة واحدة ومع ذلك لا يرى كيف ان المادة يمكن ان تنعزل وتنفصل دون ان تؤلف جسما . - لفهم النمو - أضفت هذا لتكميل الفكرة . - اى جزء في الاين - اودى حيزه لا يمكن ان تكون موجودة - ليس النص على هذه الصراحة . - في اين ما - ليس النص على هذه الصراحة . - ما يأتى : منها - التعبير مبهم ولكن النص ليس اقل ابهاما . - بحيث ان هذا الجسم - أو بالاولى : وهذه المادة المنعزلة التي منها يجب ان يخرج الجسم الحقيقي - =

جزء في الاين واما أن تكون كنقطة أو ألا تكون إلا من أنخلو وتكون جسما لا تدركه حواسنا • ففي أحد هذين الفرضين لا يمكن أن تكون موجودة • وفي الثاني يجب أن توجد ضرورة في أين لانا ما يأتي منها يجب أن يكون في أين ما بحيث أن هذا الجسم يكون فيه أيضا اما بنفسه او بالواسطة •

§ ٥ - ولكن اذا فرض ان المادة هي في جسم وانها انفصلت عنه بحيث انها لا تؤلف البتة جزءا من هذا الجسم لا بذاتها ولا بالعرض فينتج من هذا الفرض طائفة من المستحيلات البينة • وتوضيحه : مثلا اذا تكون هواء آت من الماء فذلك ليس لأن الماء يتغير بل لان مادة الهواء تكون محوية في الماء الذي يكونه كما لو كانت في آنية ما لانه لا شيء يمنع من أن تكون المواد غير متناهية في العدد بحيث يمكنها أيضا أن تكون بالفعل وبالحقيقة يلزم أن يضاف زيادة على هذا انه ليس كذلك ان الهواء يظهر انه يأتي من الماء كما لو انه كائن يخرج من جسم يبقى دائما على ما كان عليه •

يحسن حينئذ افتراض أن المادة هي غير قابلة للانفصال في جميع الأجسام وهي واحدة ومتماثلة عدديا ولو أنها ليست واحدة ولا متماثلة في نظر العقل •

§ ٦ - وبالسبب عينها لا ينبغي افتراض أن مادة الجسم ليست الا

= أو بالواسطة - عبارة النص بال ضبط «او بالعرض» ويلزم دائما أن يذكر ان المقصود هنا هو مادة النمو لا المادة على العموم •

§ ٥ - في جسم - عبارة النص غير معينة وهي «في شيء» ومع ذلك فانه يجب تقدير ان المادة هي في جسم ينمو كما يدل عليه المثل الآتي الذي فيه «لهواء يتكون بخروجه من الماء •• لان الماء يتغير - وهذا هو التفسير العام والطبيعي •• كما لو كانت في آنية ما - ليس عليها الا أن تخرج منها جاهزة دون أن تعاني تأثيرا جديدا - المواد - التي يمكنها أن تفعل النمو • - غير متناهية في العدد - او فقط غير متناهية • كعبارة النص - بالفعل وبالحقيقة - ليس في النص الا كلمة واحدة • أن الهواء يظهر أنه يأتي من الماء - يعني انه يوجد تغير فعلي يصير الماء هواء وان الهواء لا يخرج تماما من الماء •

• أن المادة - أي مادة النمو • - في جميع الاجسام - ربما يكون الاحسن قصر الفكرة والقول «في الجسمين المذكورين» • - عدديا •• في نظر العقل - هذه من التمايز التي اعتادها راسطون •

§ ٦ ليست الا نقطا أو خطوطا - وهذا ما يؤول به الى : لا يكون له حقيقة فعلية أكثر من حقيقة الموجودات الرياضية • - نهايات - لان النقط نهايات للخط والخطوط نهايات للسطوح • - بدون خاصية ما-تصيره مدركا بحواسنا وتجعل منه جسما حقيقيا • - ولا بدون ضرورة اسهل للدراك من مجرد خاصية • - شيئا - أو «كائنات» • - كما سبق بيانه في غير هذا الموضع - يحيل فيلوبون على الكتاب الاو • من الطبيعة حيث درس هذا الموضوع كما يقول وفي الحق انه يوجد في الطبيعة كتابا ف8 ص ٤٧٨ من ترجمتنا مناقشة مشابهة لهسده • - بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة • - من صورته - او «من نوعه» • - من مجرد كيف الصلب - ليس النص هكذا صريحا • فان الصلابة تختص بجسم حقيقي ولا يمكنها بذاتها أن تنتج شيئا • - مشتركا • - كالمثل التي قال بها أفلاطون فانها مشتركة

نقطا أو خطوطا لأن المادة هي بالضبط ما تكون النقط والخطوط نهايات لها . فهي لا يمكنها أبدا أن تقوم بدون خاصية ما ولا بدون صورة . وعلى ذلك حينئذ فإن شيئا يأتي دائما من شيء آخر مطلقا كما سبق بيانه في غير هذا الموضع . وهو يأتي من شيء موجود بالفعل وبالكمال اما من جنسه أو من صورته . مثال ذلك النار هي تكون بالنار والرجل هو يكون بالرجل أعني بحقيقة ، بكمال ، لأن الصلب لا يمكن أن يأتي من مجرد كيف الصلب . والمادة هي المادة لجوهر جسماني أعني مادة جسم خاص معين مادام الجسم لا يمكن أبدا أن يكون شيئا مشتركا . وهي هي ذاتها سواء في العظم أو في كيف العظم قابلة للانفصال في نظر العقل ولكن غير قابلة للانفصال في الالين إلا أن يفترض أن الخواص يمكنها أن تنفصل عن الاجسام الحائزة لها .

§ ٧ - بين حينئذ على حسب هذه المناقشة أن النمو في الاشياء ليس تغيرا يأتي من عظم بالقوة المحضة دون أن يكون له امتداد ما بالفعل وبالكمال لأن الكيف المشترك حينئذ يكون قابلا للانفصال . وقد سبق فيما تقدم في غير هذا الموضع أن هذا كان شيئا محالا . وفوق ذلك فإن تغيرا من هذا القبيل ينطبق على الخصوص لا على الهندس بل على الكون . لأن النمو ليس الا ازديادا في عظم موجود من قبل كما أن الذبول ليس الا انتقاصا له . فأنظر لماذا يلزم أن يكون أولا للجسم الذي ينمو عظم ما . وبالنتيجة لا يمكن أن النمو الذي يمر الى واقعية العظم يأتي من مادة مجردة من كل عظم لأن هذا أولى به أن يكون كونا لا أن يكون نموا حقا .

بين جميع الكائنات التي تشترك فيها - إلا أن يفترض - كما يزعم أرسطو أن أفلاطون افترضه في نظريته في المثل - الخواص - أو الكيف .

§ ٧ - من عظم بالقوة المحضة - ر . ما سبق في آخر الفقرة الثانية . - الكيف المشترك - لاحظ فيلوبون انه يوجد هاهنا رواية اخرى وان في بعض النسخ الخطية تحريفا في حرف واحد به يكون اللفظ دالا على « الخلو » بدل « الكيف المشترك » . وقد حاول فيلوبون أن يبرر استقامة التعبيرين جميعا . ولكن التعبير الذي اتخذته يظهر لي أنه الافضل . و « الكيف المشترك » هاهنا يجب أن يصرف الى المثل . والتعبير الثاني يمكن أن يستند الى آخر الفقرة الآتية . - في غير هذا الموضع - على رأى فيلوبون في الكتاب الرابع من الطبيعة ، ولكن لم أجد في ذلك الكتاب الرابع هذا المعنى ، بل يوجد في الكتاب الاول منها شيء من هذا القبيل ر . ب ٥ ف ١٢ ص ٤٦٠ من ترجمتنا - تغيرا من هذا القبيل - يعنى يمر من القوة الى الفصل ، من الامكان المحض الى الوجود الحقيقي . وفي الحق أن هذا يكون كونا لا نموا . فإن الشيء يولد لا انه ينمو . - أولا - أضفت هذه الكلمة لتكميل الفكرة . - واقعية العظم - يعنى الذي يدفع عظم الشيء الى أبعد ما يمكن أن يبلغه في النظام الطبيعي للشيء . - أولى به أن يكون كونا - تكرير لما قيل آنفا .

§ ٨ - فالأفضل حينئذ أن نأخذ بهذا البحث من جديد كما لو كنا في البداية تماما وأن نبحث ثانيا عما يمكن أن تكون هي أسباب نمو الأشياء ونقصها بعد أن أثبتنا ماذا يعنى بنمو أو نقص . ففى شيء ينمو يظهر إذا أن جميع الاجزاء بلا استثناء تنمو . كما انه فى النقص جميع اجزاء الشيء يظهر أنها تصير أكثر وأكثر صغيرة . وفوق ذلك فإن النمو يظهر أنه يحصل بأن شيئا ينضم الى الجسم والاضمحلال بأن شيئا يخرج منه . ولكن النمو لا يمكن أن يحصل بالضرورة الا بشيء مالا جسمانى أو جسمانى فاذا كان باللاجسمانى فالجزء المشترك يكون قابلا للانفصال ومن المحال أن توجد مادة منفصلة عن كل عظم كما قيل آنفا . وإذا كان بشيء ما جسمانى حصل النمو فينتج عنه أن هناك جسمين فى حيز واحد بعينه أى حيز الذى ينمو وحيز الذى يفعل النمو وذلك هو أيضا محال .

§ ٩ - بل لا يمكن أن يقال ان نمو الأشياء ونقصها يمكن حصولهما بالطريقة عينها التى يأتى الهواء من الماء مثلا مادامت حينئذ كتلة الهواء

§ ٨ - فالأفضل حينئذ - يظهر ان المناقشة كانت الى الآن من الجد بحيث لا محل لاعادتها بل يكفى الاستمرار فيها . - بعد أن أثبتنا ماذا يعنى - النص ليس على هذا القدر من الصراحة ولكن الترجمة التى أعطيها تستند الى شرح فيلوبون . - يظهر اذا - سبك العبارة يؤيد تفسير المفسر الاغريقى للفقرة السابقة . - الجزء المشترك - ر . ما سبق فى الفقرة السابقة وما سبيل فى الفقرة التاسعة . فان الجزء المشترك لا يمكن هاهنا ان يدل الا على اليهودى مجردة عن كل صورة ومشترك بالنتيجة لجميع الاجسام . وهذا تجريد محض . وفى هذا الموضع أيضا يوجد فى بعض النسخ الخطية تحريف فى حرف واحد فقرأ « الخلو » بدلا من « الجزء المشترك » وقد عولت على هذه العبارة الاخيرة كما سبق . ويحاول فيلوبون ان يؤول العبادتين كليهما مع ان الاصل الذى تحت نظره يظهر انه يوجد فيها لفظ « الخلو » لا « الجزء المشترك » . - كما قيل آنفا - فى الفقرة السابقة . وهذا التفصيل يظهر أنه يؤيد التعبير الذى اخترته - جسمين فى حيز واحد بعينه - مبدأ قرره ارسطو مرارا فى الطبيعة . وقد احتفظ به علم الطبيعة الجديد فى نظرية عدم قبول الاجسام للمداخلة .

§ ٩ - التى بها يأتى الهواء من الماء - يعنى متى أخذ الماء لاي سبب ما ان يتبخر ويتغير الى هواء . ر . الميتورولوجيا ك ا ب ٩ ف ٢ ص ٥٥ من ترجمتنا . - كتلة الهواء - المشاهدة مضبوطة ولكن لا يظهر لم أن القدماء كان عندهم طريقة ما لتحقيقها . - لجسم جديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - لفناء . - لأن الماء مفروض ضدا للهواء . - لهذا الذى هو مشترك - هذا يؤيد ترجمتنا للجزء المشترك فى الفقرتين ٧ و ٨ . - هذا الجزء المشترك - زدت قليلا على عبارة النص ايضا لها . - فلا الماء نما - لانه فى الواقع قد باد لينقلب الى هواء .

- يلزم أن يكون هناك جسم - وهو اذا « الجزء المشترك » أى اليهودى التى ليست مع ذلك جسما فعليا .

قد صارت أعظم مقدارا . اذا ليس في هذا مجرد نمو للماء بل هذا هو كون الجسم جديد فيه تغير الجسم الاول وهذا هو قساد لضده . وليس ذلك نموا لا لأحدهما ولا للآخر . ولكن اما أن ليس هذا نموا لشيء واما انه نمو لهذا الذي هو مشترك بين الشيتين الذي كان والذي فسد على السواء وهذا الجزء المشترك هو جسم أيضا . فلا الماء ولا الهواء نما وفقط أحدهما باد وانعدم في حين أن الآخر كان ويلزم أن يكون هناك جسم ما دام انه وجد نمو .

§ ١٠ - ولكن هناك أيضا محال جديد لانه يلزم عقلا حفظ الشروط الضرورية التي بدونها لا يمكن ادراك الجسم الذي ينمو أو الذي ينقص وهي ثلاثة أحدها هو أن كل جزء ما يصير أكبر في عظم ينمو ، مثالا إذا كان من اللحم فإن جزءا ما من اللحم ينمو . وان شرط الثاني هو أن انمو يحصل بانضمام ما إلى الجسم . وثالثا وأخيرا يلزم أن الشيء ينمو وأن يبقى معا ، وفي الواقع حينما شيء يكون أو يبيد مطلقا فهو لا يبقى البتة . ولكن حين يعاني استحالة أو نموا أو نقصا فإن هذا الشيء مع أنه ينمو أو يستحيل يمكث ويبقى هو بعينه . فها هنا انما هو كيف الشيء وحده هو الذي لا يبقى بعد هو هو . وهناك انما هو العظم نفسه الذي لا يبقى هو بعينه . وحينئذ اذا كان النمو هو بحق ما قد زعم فإن الشيء النامي يمكن إذا ان ينمو بدون أن شيئا يأتي وينضم اليه وبدون أن هذا الشيء يبقى كما انه قد يمكن أن يقضى بدون أن شيئا يخرج منه وبدون أن الشيء النامي يبقى . ولكن يلزم مطلقا حفظ هذه الشروط مادام انه افتراض أن النمو هو في الواقع كما قد ذكر .

§ ١١ - وقد يمكن أيضا أن يسأل ما هو بالضبط هذا الذي ينمو ؟

§ ١٠ - محال جديد - أضفت هذه الكلمة الأخيرة ما دام أنه قد نبه آنفا على محالات أخرى . - عقلا - عبارة النص بالضبط هي : « بالعقل في نظر العقل » . - الشروط الضرورية - عبارة النص ليست بهذا الضبط تماما . - الجسم الذي ينمو - عبارة النص أدخل في باب عدم التعيين لانه يقول : « هذا الذي ينمو » . وهي ثلاثة - وهذه الثلاثة الشروط هي حقيقة جدا ولا يكاد يمكن اليوم أن يقال أحسن من هذا . - وإن يبقى - يعني أن يبقى هو ما هو كما كان من قبل الا من حيث امتداداته فانها تكبر أو تصغر . - يكون أو يبيد - تلك هي حركة الكون والفساد أعني المرور من اللاوجود الى الوجود أو من الوجود الى اللاوجود . - يمكث ويبقى - ليس في النص الا كلمة واحدة - حفظ هذه الشروط - التكرير ليس في النص على هذا القدر من التمام .

§ ١١ - ما هو بالضبط هذا الذي ينمو - يظهر هاهنا أنه لا محل للشك وانه هو الجسم عنه الذي ينمو يتمثله هذا الذي يأتي وينضم اليه . - في جسم انسيبان -

هل هو الجسم الذى اليه يأتى وينضم شيء ؟ مثلاً متى فعل سبب بعينه
نمو الفخذ فى جسم انسان فهل الفخذ نفسه هو الذى يصير أسمن ؟
ولماذا هذا الذى يسمن الفخذ أعنى الغذاء لا ينمو هو أيضاً ؟ وفى الواقع
لماذا أن الاثنين لا ينموان معا ؟ لأن هذا الذى ينمو وهذا الذى ينمى يكونان
أعظم كما هى الحال عند مزج الماء والنبيد فإن كمية كليهما تصير أعظم على
السواء . اليس يمكن أن يقال أن هذا يرجع الى أن الجوهر فى حالة يمكث
ويبقى فى حين أنه فى الحالة الأخرى الجوهر ، وهو هاهنا ، جوهر الغذاء
يبيد ؟ وها هنا أيضاً إنما العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج
كما هى الحال حين يقال على المزيج انه من النبيد لأن المزيج كله يفعل فعل
النبيد لا فعل الماء .

١٢ - والأمـر كذلك أيضاً بالنسبة للاستحالة فإذا ، مثلاً ، بقى
اللحم ومكث دائماً ما هو وإذا طرأ على اللحم كيف أصلى لم يكن من قبل

= انحلت هذه الكلمات . - لا ينمو هو أيضاً - قد يمكن : لا يعطى هذا الجزء من القضية
صورة الاستفهام فيقال : ، فى حين أن هذا الذى يسمن : الفخذ لا ينمو - . يكونان
أعظم - العبارة مبهمـة لأن المزيج من : الاثنين هو فى الحق أكبر من كليهما على حدة . ولكن
كليهما على حدة لم يكبر إلا أن يكون المقصود هو ذلك المعنى المتدرى فى المثال الآتى - كمية
كليهما - هذا ليس صحيحاً فإن كمية النبيد كمية الماء تقبيل كما كانت . ولكن مزيجهما
وحده هو الأعظم فإذا قيل انه يوجد من الماء أكثر أو من النبيد أكثر فليس ذلك إلا
تجاوزاً فى اللفظ . - العنصر الغالب هو الذى يعطى اسمه للمزيج - وهذا أيضاً ليس
من الصحة يمكن أن لا يقال للمزيج انه من الماء أو من النبيد بل يقال انه ماء محض .

§ ١٢ - والأمـر كذلك أيضاً بالنسبة للاستحالة - يعنى أن فى ظاهرة الاستحالة
توجد أيضاً الشروط بعينها كما فى ظاهرة النمو . - بالبساطة قد استحال - هذا هو
المعنى الحق للاستحالة . فإن الكيف وحده قد تغير ولكن الجسم بقى هو بعينه . - فى
جوهره الخاص الذى لم يستحل - هذه الجملة لا توجد فى بعض النسخ الخطية . وليست
أيضاً فى شرح فيلوبون . ولكن يظهر لى أنه يمكن قبول المعنى الذى أعطيه فى ترجمتى
هذه . - هذا الذى يحل - أو بعبارة أخرى أكثر ضبطاً « حلة الاستحالة » . - شأنه
كشأن مبدأ الحركة - الذى يفعل أن الشيء ينمو ويدبل . - فى الشيء النامى وفى الشيء
المستحيل - هذا تطابق أيضاً بين النمو وبين الاستحالة . - المبدأ المحرك - هنا
للمحركة وهناك للاستحالة . ولم يقبل الشراح الاغريق هذه النظرية بتمامها فعل رأى
فيلوبون أن الاسكندر الانروديزى كان ينازع فى أن مبدأ الاستحالة والنمو موجود دائماً
فى الجسم الذى يستحيل أو الذى ينمو . وهذا المبدأ هو غالباً فى الجسم العريب الذى
يجلب للأخر النمو أو الاستحالة . - يصير فيه هواء - هذا موجز أكثر مما يلزم ولا
يزال غامضاً . وكان يلزم أن يزداد عليه أن الماء بصيرورته هواء مثلاً يتصلبد وقتاً دام
أنه صار أعظم فقد انقطع عما كان هو ما هو من قبل . - وهو يعانى هذا التغير -
ليكون المعنى أبين من ذلك كان يلزم إيراد مثال خاص ما كان ليترك أقل شك . -
والمبدأ المحرك لا يكون فيه بعد - فإنه فى ذلك الجسم الذى يسبب التغير ، الذى يعاينه .

فالحجم حينئذ باليساطة قد استحال ولكن أحيانا هذا الذى يحيل الشيء
أما أنه لا يعانى شيئا هو نفسه فى جوهره الخاص الذى لم يستحيل واما
أحيانا أنه يستحيل هو أيضا • ولكن هذا الذى يحيل شأنه كشأن مبدأ
الحركة هو فى الشيء النامى وفى الشيء المستحيل لانه فيهما يوجد المبدأ
المحرك • وقد يمكن أيضا أن هذا الذى يدخل فى الجسم يصير فيه أعظم
كالجسم الذى يقبّاه ويستفيد منه سواء بسواء مثلا إذا كان العنصر الذى
يدخل يصير فيه هواء • ولكنه وهو يعانى هذا التغير يفسد والمبدأ المحرك
لا يكون فيه بعد •

§ ١٣ - بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات يازم محاولة
استكشاف حل هذه النظرية مع التسليم بالشروط الآتية دائما :

ان النمو ليس ممكنا الا بأن يمكث الجسم النامى ويبقى وانه لا شيء
يمكنه أن ينمو بدون أن شيئا ينضم اليه ولا أن ينقص بدون أن شيئا
يخرج منه • وانه فوق ذلك كل نقطة محسوسة حيثما اتفق من الجسم
انماهى أو الناقص تصير أكبر أو اصغر • وأن الجسم ليس خلوا وان
جسمين لا يمكن البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه وأخيرا أن الجسم
الذى يحصل فيه النمو لا يمكنه أن ينمو بالللاجسمانى •

§ ١٤ - ونصل الى الحل المطلوب بقبولنا بادئ بدء ان الاجسام

§ ١٣ - بعد أن بلغنا الكفاية من بسط هذه الصعوبات - يرى فيلوبون أن أرسطو
لم يبسط الى الآن الا الآراء العامة فى علل النمو والذبول وانه يشرع منذ الآن فى بسط
مذهبه الخاص • استكشاف حل هذه النظرية على ما يفهمها أرسطو • بالشروط
الآتية - ليست عبارة النص على هذا المقدار من الصراحة • ومع ذلك فان هذه الشروط
قد سبق عنها ألفا ف ١٠ • محسوسة - معنى مادية • وقد ألح فيلوبون فى أهمية
هذه الكلمة التى بدونها على رأيه لا يستقيم المعنى • ان الجسم ليس خلوا - لا يظهر أن
هنا روايات أخرى كما كان فيما سبق فى الفقرة السابقة • أن جسمين لا يمكن
البتة أن يشغلا حيزا واحدا بعينه - ذلك ما نسميه الآن عدم مداخله الاجسام • -
باللاجسمانى - قد حافظت على عموم اللفظ الاغريقى وهو مفهوم •

§ ١٤ - الاجسام ذات الاجزاء غير المتشابهة - يمثل لها الشراح الاغريق بالوجه
واليد • الخ • التى تنمو بنمو اللحم والدم والعظم التى هى اجسام متشابهة الاجزاء
لا انها تنمو بأن وجوها او يدا تاتى فتقسم اليها ر • ما يلى ف ١٥ • ر لأن الاولى
ليست الا مركبة من الثانية - معلوم أن هذا هو مذهب أنكساغوراس فى « متشابهات
الاجزاء » ويمكن الاطلاع أيضا على أول « تاريخ الحيوانات » • فان الاجسام المتجانسة
الاجزاء هى التى فيها الاجزاء دائما هى بعينها والتى هى متشابهة للكل • على ذلك
جزيفة من الدم هى دائما دم • وجزء من العظم هو عظم دائما • ولكن جزء اليد ليس
يدا وجزء الوجه ليس وجها • لذلك ترى لماذا ان هذه الاجسام مكونة من اجزاء غير
متجانسة • - بمعنى مزدوج سيوضح فيما بعد فانه يمكن أن يعنى بها على السواء أن
المادة هى التى تنمو او انها الصورة فقط • - نوعها وصورتها - ليس فى النص : لا =

ذوات الاجزاء غير المتشابهة يمكن أن تنمو لانه انما هي الاجسام ذوات الاجزاء المتشابهة هي التي تنمو لان الاولى ليست الا مركبة من الثانية ويلزم بعد هذا التنبيه الى انه متى ذكر اللحم والعظم وأي جزء آخر مشابه لهما من الاجسام فذلك يمكن أن يؤخذ بمعنى مزدوج كما هي الحال بالنسبة لجميع الاشياء الاخرى التي لها نوعها ولها صورتها في المادة ، لان المادة والصورة هما مسميان على السواء لحما وعظما . فالقول بأن كل جزء كيفما اتفق من جسم ينمو وبأن عنصرا جديدا يأتي وينضم اليه فذلك بيان ممكن باعتبار الصورة ولكنة ليس كذلك باعتبار المادة . ويجب أن يرى أن الحال هاهنا كالحال حينما يقاس الماء بمقياس يبقى هو بعينه فان الماء الذي يجيء بعد هو دائما آخر . كذلك بهذه المثابة تنمو مادة اللحم ولا يوجد ضم إلى كل جزء كيفما اتفق . ولكن الجزء الفلاني يسيل والجزء الفلاني ينضم . وليس يوجد ضم ولا يحصل الضم الا إلى كل جزء كيفما اتفق من الشكل ومن النوع .

١٥ - ولكن بالنسبة للاجسام المركبة من اجزاء غير متشابهة مثلا بالنسبة لليد فمن الاشد وضوحا أن كلها ينمو بحالة متناسبة لانه في هذه الحالة ما دامت مادة النوع مختلفة فهي أسهل تمييزا عما يكون بالنسبة للجسم وبالنسبة للاجسام ذوات الاجزاء المتشابهة . من أجل ذلك حتى على ميت يظهر أنه لا يزال يعرف اللحم والعظم وأكثر سهولة من أن يميز فيه اليد والزراع وحينئذ فمن وجه يمكن أن يقال ان كل جزء كيفما

= كلمة واحدة . = المادة والصورة هما مسميان على السواء - يظهر ان المادة اول هذه التسمية من الصورة . = باعتبار الصورة - في الحق أن الصورة النوعية تبقى ولكن يلزم ايضا ان المادة تنمو . = باعتبار المادة - مثلا يظهر عليه اثر الذلة أكثر من اثر الصحة . = بمقياس يبقى هو بعينه - فان الماء الذي يس على الصالح من هذا المقياس يمكن أن يختلف ولكن صورة المقياس لا تختلف وهذا حق ولكن المثل لم ينفرد حسسن اختياره لان المقياس لا يمكن أن ينمو القول وأثره يحدد إصباح النور . = المضاء الذي يجيء - عبارة للنس « الذي يجيء » لفظ غاروت تخزير الفكرة برقع بعض الشيء من صوم المباشرة . = نمو مادة اللحم - يظهر أن هذا يتناقض ما أثبت سابقا وهو أن النمو لا يقع الا باعتبار الصورة لا باعتبار المادة . = لا يوجد ضم إلى كل جزء كيفما اتفق - على رغم ما يعتقد العامة . = الجزء الفلاني يسيل - والواقع ان الاجسام الحية هي في سريان دائم للجزئيات التي تفقد منها وللمعاصر الجديدة التي تلبثها تلك القطاع . = لا إلى كل جزء كيفما اتفق من الشكل - وضعت لفظ « شكل » لا لفظ « صورة » لان تعبير للنس مختلف أيضا .

١٥ - المركبة من اجزاء غير متشابهة - المثل المعطى في النص مثال في البيان فان اليد لا تتكون من ايد كما يتكون الدم من الجزئيات النوعية . = بحالة متناسبة - هذا ليس من الضبط على الغاية . = مادة النوع - أو مادة « الصورة » مادة اليد =

اتفق من اللحم ينمو ومن وجه آخر لا يمكن أن يقال أنه كل جزء ينمو .
فبحسب الصورة قد انضم شيء ما لكل جزء كيفما اتفق ولكن لا بحسب
المادة . ومع ذلك فإن الكل صار أعظم لأن شيئاً جاء وانضم إليه . وهذا
الشيء يسمى الغذاء ويسمى أيضاً الضد . ولكن هذا الشيء لا يزيد على أن
يتغير في النوع بعينه كمثال ما يأتي الرطب ينضم إلى اليابس وبانضمامه
إليه يتغير بأن يصير هو نفسه يابساً . وفي الواقع يمكن معاً أن الشبيه
ينمو بالشبيه وبجهة أخرى أن يكون ذلك باللاشبيه .

§ ١٦ - وقد يمكن أيضاً أن يتساءل عما هو بالضبط ذلك الشيء.

- متضاعفة التركيب . جلد أوتار ودم وعظم وأربعة دغضلات الخ - فهي أسهل تميزاً .
- ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - اليد والذراع - (عبارة مشابهة لهذه
في كتاب النفس ك ٢ ب ١ ف ٩ ص ١٧٦ من ترجمتنا) لأن اليد والذراع هما عضوا
معل فتمت تغطلا عن العمل فكانهما غير موجودين . - ولكن لا بحسب المادة - نفس
السبب الذي ذكر فيما سبق في آخر الفقرة ١٤ . - الكل - مركب معاً من صورة
ومادة . - الضد - هذا التعبير ليس واضحاً جداً . - والأولى أن تنمو الاجسام بالمشابهة
كما سيجيء . - يأتي الرطب ينضم إلى اليابس - مثال ذلك أن يسقط الماء على سطح
جاف ويتبخر عليه . - أن الشبيه ينمو بالشبيه - تكاد هذه أن تكون قاعدة في الفلسفة
القديمة . ولكن هذا العموم مبهم قليلاً . ومع أن الاجسام في الحق تنمو بتشاكل العناصر
الجديدة فإن هذا الإيضاح ليس كافياً لتعبير ظاهرة النمو المعقدة .

§ ١٦ - الشيء - تعبير النص هو أيضاً أقل تعييناً من ذلك . وإن ما ينمو
الجسم يجب أن يكون له صفة خاصة بها يمكن أن يتمثل في الجسم وينقلب إلى جوهره .
- هذا العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - الجسم بالقوة -
يعنى بعبارة أخرى أنه يمكن أن يصير الجسم بتمثله فيه . - أذاً كان اللحم هو الذي
ينمو - كالأغذية التي نأخذها فتتحول إلى دم ولحم لتكوين حياتنا وانماء جسمنا . -
بالفعل وبالكمال - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - أن يقصد - أو « يفنى » .
كذلك الحيز الذي نعلمه هو بالقوة دم ولحم . ولكنه في حقيقته الخاصة لم يكن يعد
أحدهما ولا الآخر - يحصل كون - أو « تولد » - في ذلك الشيء - هذه هي عبارة
الأصل بنصها ويظهر أن فيها مبالغة لأنه لا يمكن أن يقال أن اللحم هو في الحيز ولو
أن الحيز بعملية الهضم يتغير جوهرياً ويصير دماً . ومع ذلك زدت كلمة « بالضبط » .
- بهذا العنصر الجديد - عبارة للنص ليست على هذا القدر من الصراحة . - أعاني
اختلاطاً - اضطررت هنا إلى أن أزيد النص بياناً . - يمكن أن يبقى نبذاً - ذلك
ممكن في الواقع إذا كانت كمية الماء المصسوب قليلة بحيث لا تغير طبيعة المزيج تفسيراً
محسوساً . - أم - كلمة النص « و » . - كما أن النار تحرق - المقارنة غاية في
الصحة على أكثر مما كان يعتقده أرسطو . أن الفسيولوجيا في أيامنا هذه قد وجدت في
تمثيل الأغذية نوعاً من الاحتراق فإن القوى الحيوية هي نوع من النار يحول الأغذية التي
تدخل في أجسامنا . - بالفعل وبالكمال - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - الجوهر
الباطن الذي له قوة الانماء - عبارة النص مبهمة جداً وقد اضطررت إلى زيادة ضبطها
في الترجمة - بالفعل وبالكمال - هنا أيضاً ليس في النص إلا كلمة واحدة .

الذى يحدث انمو . واضح ان هذا العنصر الجديد يجب ان يكون الجسم بالقوة . مثلا اذا كان اللحم هو الذى ينمو يجب ان يكون لحما بالقوة مع انه بالفعل وبالكمال شئ آخر . وهذا الشئ الآخر وجب ان يفسد ليصير لحما . على ذلك حينئذ ليس هو ذاته ما يصير اليه . لانه اذا يتخصل كون لا مجرد نمو . ولكن الشئ الذى ينمو هو بالضبط فى ذلك الشئ فماذا لقي الجسم بهذا العنصر الجديد حتى انه نما هكذا ؟ اعانى اختلاطا كما يصب الماء فى النبيذ بحيث ان المزيج كله يمكن ان يبقى نبيذا ؟ ام كما ان النار تحرق متى تلامس شيئا قابلا للاحتراق ، كذلك الامر فى الجسم الذى ينمو والذى هو لحم بالفعل وبالكمال ، الجوهر الباطن الذى له قوة الانماء هل يفعل لحما حقيقيا بالفعل وبالكمال من اللحم بالقوة الذى اقترب منه ؟ يلزم اذا ان يكون هذا العنصر الجديد مع الآخر ومقتربا به فى الوجود لانه لو كان منعزلا لحصل كون حقيقى . وعلى هذا النحو يمكن ايجاد نار من النار الموجودة من قبل بالقاء الحشيش فوقها ؛ وهذا بهذه الطريقة ليس الا نموا فى حين انه متى كان الحشيش نفسه يحترق فهانها كون حقيقى .

g ١٧ - لكن الكم مأخوذا على معناه الكلى لا يكون هاهنا الا كما قد يمكن ان يكون الحيوان الذى لا هو انسان ولا اى حيوان خاص . وبالفعل الحال هاهنا بالنسبة الى الكم كالحال هنالك بالنسبة الى الكلى . فحينئذ اللحم والعظم أو اليد أو الاعصاب والاجزاء المتشابهة من هذه الاعضاء

= هذا العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - مع الآخر ومقتربا به - قد زدت على الاصل بل فصلت الجملة لان النص هنا غاية فى الاجاز . ولكنى لا ارى المعنى جليا تماما . فان « المسح والاقتران » قد يفهم بحسب المكان بل وبحسب الجوهر وعلى هذا المعنى الاخير يكون مجرد تمثيل - كون حقيقى - أضفت هذه الكلمة الأخيرة . - من النار الموجودة من قبل . - ليس النص على هذا القدر من التوسع . - متى كان الحشيش نفسه يحترق - ليس التعبير واضحا قدر الكفاية لان الحشيش لا يحترق بنفسه بل يلزم دائما تقريبه من النار . - فهنا كون حقيقى - زدت أيضا هذه الكلمة الأخيرة . فان هذا الكون انما هو كون ظاهرة جديدة .

g ١٨ - مأخوذا على معناه الكلى - عبارة النص أقل تعيينا . ومن الصعب جدا تحصيل ذلك الفرق الدقيق ويمكن ترجمته أيضا هكذا : ولكن ليس الكلى هو الذى يصير هنا كمية مـ - الحيوان - على طريق العموم لا الخصوص . فان الحيوان بوصف انه مفهوم كلى لا يوجد ولكن الذى يوجد هو هذا الحيوان الفلانى الخاص او ذاك الذى فيه يتحقق المعنى الكلى للحيوان . - الى الكم - بالمعنى الكلى . - الى الكلى - بمعنى « المثال » . فان الكم مفهوما على المعنى الكلى لا يوجد الا كما يوجد الحيوان بالمعنى المجرد . - الاجزاء المتشابهة - أى الاجزاء المنصية التى لا تفرق بعضها عن بعض والتى هى جميعا متشابهة . - كمية ما من مادة - كل هذه التمايز يمكن ان تظهر دقيقة بل غاية فى الدقة ولكنها صحيحة والظواهر نفسها من الدقة بحيث يلزم الا يدعى من صعوبة وصفها وتقديرها - كمية مقدرة - أضفت هذه =

تنمو لأن كمية ما من مادة تأتي فتتضمن إليها بلا شك ولكن بدون أن تكون هذه المادة كمية مقدرة من لحم . فمن جهة أن العنصر الجديد هو الواحد والاخر بالقوة ومثلا كمية معينة من لحم بهذا المعنى فهذا العنصر على هذا الوجه ينمى الجسم لانه يلزم أن يصير من اللحم ، ومن اللحم بكمية معينة . ولكن فقط من جهة أن العنصر المضاف هو من اللحم انه يمكنه تغذية الجسم . وبذلك كان الغذاء والنمو يختلفان أحدهما عن الآخر عقلا . من أجل ذلك أيضا الجسم هو مغذى كل الزمن الذي يعيشه ويمكنه بل الزمن الذي يفناه ولكنه لا ينمو بلا انقطاع . في الحق أن التغذية هي مماثلة للنمو وتشبه به ولكن كونهما مختلف . على ذلك حينئذ بما أن العنصر الذي يأتي فينضم هو بالقوة فكمية ما من اللحم يمكنها أن تنمى اللحم . ولكن فقط من جهة أنه لحم بالقوة يمكنه أن يكون غذاء .

§ ١٨ - وهذه الصورة أو هذا النوع بلا مادة هو في المادة كقوة لا مادية . ولكن اذا تجيء فتتضمن الى الجسم مادة ما هي لا مادية بالقوة

= الكلمة الاخيرة لبيان الفكرة . ويتطبيق هذا على الاغذية التي نغذى بها نجد في الحق أن الحيز هو كمية تأتي فتضاف الى لحمنا . ولكن في الحق أيضا انه لم يكن بعد من اللحم تماما العنصر الجديد - ليس النص على هذا القدر من الضبط . الواحد والاخر بالقوة - معنى أخلا بشرح فيلوبون ، من اللحم بالقوة بطريقة عامة وأيضا كمية ما من اللحم بالقوة أيضا او بمباراة اخرى يلزم ان العنصر الجديد يمكن ان يصير معا لحما وكمية ما من اللحم بانضمامها الى الجسم يمكنها ان تعطيه النمو الذي يأخذه . العنصر المضاف - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . يمكنه تغذية الجسم - عبارة النص هي «انه يغذى» - عقلا وربما «بحديهما» . الذي يفناه - ويمكن ترجمته أيضا هكذا : «بل الى أن يفسد» . في الحق - أضفت هاتين الكلمتين . ولكن كونهما مختلف - تمييز معروف وغالب الاستعمال في مذهب ارسطو . على ذلك حينئذ - تلخيص للنظرية السابقة التي يظهر انها دقيقة جدا وصحيحة جدا مما .

§ ١٨ - هذه الفقرة كلها غامضة جد الغموض . ومن المحتمل ان النص فيها محسوف فيما يظهر . على انه وارد في النسخة التي شرحها فيلوبون فيما يظهر على ما هي عندنا اليوم وانه لم يجد فيها صعوبة ما غير ان شرحه لم يأتنا ببيان خاص يجلو غوامضها . بلا مادة . . . في المادة . . . لا مادية - كل هذه التكاثر موجودة في الاصل . . . الكم . . . هذه النقط التي وضعناها هنا تقليدا لبعض الناشرين من شأنها ان تدل على احتمال وجود يباض في الاصل ولكن الواقع انه ليس لدينا الا مجرد ظن لم يقم عليه دليل ما . لهذه الاجسام اللامادية - في النص استسم اشارات لجمع مذكر يظهر انه لا يتعلق بشئ مذكور ويثير في النفس الظن بوجود النص الذي أشرت اليه . وقد افترض مفسرو جامعة كويمبر وجود رواية أخرى تنص في علامة على حرف متحرك . ولكن هذه الرواية الاخرى لا تكاد تجلو غموض النص . فقل رأيهم ان القصة هنا هو التمثيل بالزمار حيث يمكن تمييز الصورة زيادة على المادة كما في كل آلة اخرى . وهذا الغرض لا يمزق حجاب الظلام عن هذه الجملة ويجب تركها كما هي مع الاعتراف بأنه لا يمكن تصحيحها . -

مع أن لها أيضا بالقوة الكم ٠٠٠ ، فهذه الأجسام اللامادية ستكون إذا أعظم ٠ ولكن إذا كانت هذه المادة المضافة تصل إلى حد ألا تستطيع أن تكون شيئا وإذا كان الماء كذلك بامتزاجه أكثر فأكثر بالنبيذ يصل إلى أن يصيره أكثر فأكثر مائيا وإلى أن يحيله أخيرا تماما إلى ماء فحينئذ يمكنه أن يجر إلى فساد الكمية ولكن الصورة والنوع يبقيان كما كانا ٠

= هذه المادة المضافة - عبارة النص غاية في علم التعمين وقد ظننت أن من الواجب أن يكون أكثر تحميينا وضبطا في الترجمة ٠ - تكون شيئا - هاهنا حافظت على عبارة النص في كل عمومها لأنني خفت أن أحرقها إذا حاولت أن أجعلها أقل عموما ٠ - فإن لا تكون شيئا - تقليد من غير شك أن المادة المضافة لن يمكنها أن تتمثل في جوهر الجسم الذي تضاف إليه - فساد الكمية - يظهر أن الأولى أن يقال «فساد الكيفية» ولكن ليس هنا رواية أخرى ٠ - الصورة والنوع - ليس في النص إلا كلمة واحدة ٠ - يبقيان كما كانا - يظهر على عكس ذلك فلما لنفس المثل الذي أورده المصنف أن الصورة والنوع يفتيان ما دام النبيذ يقلب تهائيا إلى ماء بإضافة السوائل الذي صب فيه ٠

الباب السادس

الفعل المتكافئ للعناصر بعضها في بعض - في اختلاطها - دى ديوجين الابلوني -
لأجل ادراك أن العناصر تفعل أو تنفعل بعضها ببعض يلزم توضيح ما يعنى بتماهيها -
المعاني المختلفة لهذه الكلمة - الفرق بين الحركة والفعل - المحرك غير المتحرك لا حاجة به
غزوة إلى مس الشيء الذى يحركه - الشيء المتحرك يمكن ألا يمس شيئا هو أيضا في
ثبوته - آخر نظرية التماس .

§ ١ - لما أنه يلزم عند دراسة المادة وبالنتيجة العناصر أن يقال بادية
بده ما إذا هى تكون أو لا تكون وإذا كان كل واحد منها أزليا أو إذا كانت
مخلوقة بأى وجه ما . ومع أنها مخلوقة إذا كان يمكنها كلها أن تتكاثر
بطريقة واحدة أو إذا كان أحدها هو أسبق من الآخر فينتج من ذلك أن من
الضرورى أن تعين جيدا بادية الامر الاشياء التى لم يتكلم عنها حتى هذه
الساعة الا بطريقة جد مبهمه وغير كافية جدا .

§ ٢ - وفى الحق كل أولئك الذين يقبلون الخلق للعناصر أنفسهم
كما يقبلونه بالنسبة للمركبات التى تنتج عنها يقتصرون فى اىضاح كل
شئ على الاجتماع والافتراق وعلى الانفعالية وعلى الفعل . ولكن الاجتماع
ليس الا اختلاطا ولم يحد لنا جليا ما يجب علينا أن نعنى باختلاط
الاجسام . ومن جهة أخرى ليس من الممكن كذلك أن تحصل استحالة
ولا افتراق أو اجتماع بدون موضوع يفعل وينفعل . لان أولئك الذين
يقبلون تعدد العناصر يجعلونها تولد من الفعل والانفعال المتكافئين بين
العناصر بعضها والبعض الآخر .

§ ١ - لما أنه يلزم - قد حافظت على اسلوب الجملة فى النص الاغريقى كما هى مع
انها طويلة فى الترجمة فيما يظهر . - إذا كانت مخلوقة - أو «تكون» . - التى لم يتكلم
عنها - يحتمل ان يكون المقصود بهذه العبارة فلاسفتين اسلافهوان ارسطو لم يقصد الكلام
عن نظرياته الخاصة . - جد مبهمه وغير كالية جدا - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

§ ٢ - يقبلون الخلق - عبارة النص هى « الذين يخلقون » الذين يولدون ، الذين
يكونون .

يقتصرون فى اىضاح كل شئ - ليس النص صريحا بهذا القدر . - على الانفعالية لكيلا
أقول «الانفعال» . - ليس الا اختلاطا - ربما لا يكون المعنى محكما . - لم يحد لنا جليا - عبارة
النص اشد ايهاما قليلا . - بدون موضوع يفعل وينفعل - هذا الموضوع هو ذلك الذى من
غير أن ينقطع كونه يمكنه على التوافق أن يقبل الاضداد كما سيجى بيانه فى الفقرة الثالثة .

§ ٣ - ومع ذلك يلزم دائما الوصول الى القول بأن كل فعل يأتي من مبدأ واحد أحد . فانظر كيف أن ديوجين كان عنده الحق اذ يقرر انه اذا كانت كل العناصر لم تكن تأتي من واحد فلا يمكنها أن يكون بينها لافعل ولا قابلية للفعل على طريق التكافؤ وان الحار مثلا قد لا يمكن أن يبرد ولا البارد أن يسخن من جديد . وكان يقول ليست الحرارة ولا البرودة هي التي تتغير احدها في الاخرى بل من البين بذاته أن الموضوع هو الذي يعاني التغيير . وبالنتيجة كان يستنتج ديوجين أن في الاجسام التي فيها يمكن وجود فعل وانفعال يلزم بالضرورة أن يكون لها طبيعة واحدة هي موضوع لهاتين الظاهرتين . ولا شك في أن تقرير أن جميع الاشياء هي في هذه الحالة قد لا يكون تقريراً صحيحاً فان هذا لا يلاحظ في الواقع الا في الاجسام التابعة بعضها لبعض .

§ ٤ - لكن اذا أريد استيضاح الفعل والانفعال والاختلاط بجلاء لزم بالضرورة أيضا دراسة ماهو التماس بين الاشياء . ان الاشياء لا يمكنها حقيقة الفعل والانفعال احدها بالآخر حين لا يمكنها التماس على التبادل . واذا لم تكن قد تلامست سابقاً بأي وجه ما فلا يمكنها أبداً أن تختلط احدها بالآخر . فيلزم اذا اولا حد هذه الظواهر الثلاث التماس والاختلاط والفعل .

§ ٥ - فلنصدر عن هذا المبدأ : وهو أنه بالنسبة لجميع الاشياء

§ ٣ - كل فعل - عبارة النص غير محددة ولكن اضطرت كما فعل المصنف الى أن اكرر الكلمة عنها التي استعملت آنفاً . - ديوجين - على تقدير الابلوني . - كل العناصر لم تكن تأتي من واحد - عبارة النص تستخدم بالبساطة ضير جمع فالتزمت زيادة البيان في الترجمة . - لا فعل ولا قابلية للفعل - يعني فعل بعضها في بعض بالتكافؤ هذه . - تحمل الفعل التي تفعله تلك . - وكان يقول - أضفت هذه الكلمات لأن أسلوب النص يسمح بإضافتها . - الموضوع - يعني الجسم بعينه الذي يكون بالتناوب بارداً أو حاراً والذي مع بقائه يمكن ان تتغير حاله وكيفية وجوده . - كان يستنتج ديوجين - أضفت هذه الكلمات للسبب السابق . - موضوع لهاتين الظاهرتين - ليس النص على هذا التوسيع . - التابعة بعضها لبعض - بمعنى أنها يمكنها ان يفعل بعضها في بعض . وربما يمكن ترجمة العبارة هكذا : « في الاشياء التي يوجد فيها تكافؤ بين بعضها والبعض الآخر » .

§ ٤ - بجلاء أضفت الكلمة المفهومة بالسهولة من السياق والتي تتم الفكرة . - بين الاشياء . - أضفت هاتين الكلمتين .
- هذه الظواهر الثلاث - قد يمكن ترجمتها هكذا : « هذه الكلمات الثلاث » فان عبارة النص غير محددة تماماً .

§ ٥ - بالمعنى الخاص - معنى هذا في شرح فيلوبون أن المقصود منها هو التماس المادى المحض وقد يقال ان نية تمس الذي وجهت اليه ولكن هذا المساس هو معنى محض =

التي فيها الاختلاط يلزم مطلقا انها يمكنها أن تتلامس بينها . وإذا كان الواحد يفعل والآخر يتفعل بالمعنى الخاص فيلزم أيضا أن يكون هذا التماس ممكنا . هذا هو سببنا في الكلام بادى بدء على التماس .

§ ٦ - لكن كما أن أكثر الكلمات الاخرى هي مأخوذة على عدة معان تارة بطريق التواطؤ وتارة بالاشتقاق من كلمات أخرى سابقة عليها كذلك يقع هذا التنوع في الاطلاق اللفظي بالنسبة للفظ التماس . ومع ذلك فإن التماس بالمعنى الخاص لا يمكن أن ينطبق الا على الاشياء التي لها وضع ولا وضع الا للاشياء التي لها مكان لانه يلزم أن يعنى بالتماس وبالمكان كما يعنى الرياضيون سواء أكانا أى المكان والتماس منفصلين عن الاشياء أم كانا يوجدان بأى وجه ما . وحينئذ إذا كان كما بين سابقا أن تماس هو أن تجتمع النهايات فيمكن أن يقال أن هذه الاشياء تتلامس على التي ، وهي ذات أعظام وأوضاع معينة ، نهاياتها مجتمعة معا .

§ ٧ - ولكن لما كان الوضع خاصا بالاشياء التي لها أيضا أين وكان انفصل الاول للابن هو الفوق والتحت مع المقابلات الاخرى من هذا القبيل، ينتج منه أن جميع الاشياء التي تتلامس يجب أن يكون لها ثقل أو خفة

= وليس هذا هو المعنى الذى يقصده ارسطو من التماس : أو التماس اذ يطبقه على الاشياء . ما سيحىء ف١٠٠ - أن يكون هذا التماس ممكنا - عبارة النص بالبساطة هي : وبالنسبة لهذه الاشياء يلزم ان يكون الامر كذلك ، فأنرت زيادة البيان .

§ ٦ - تارة بطريق لتواطؤ - ر . اول المقولات ب١ ف١ ص ٥٣ من ترجمتى - بالاشتقاق هذا هو ما يسمى بالمشقة اسمائها ر . المقولات ب١ ف١ ص ٥٤ - سابقة عليها - يعنى أبسط وأعم وقد يمكن حمل هذا المعنى على مجرد التقدم بالزمان . فان أصل الكلمة متقدم على المشتق الذى يخرج منه - وهذا التنوع في الاطلاق اللفظي - ليس الاصل صريحا هكذا كما يعنى الرياضيون - كان حق هذا ان يوضح وكان يلزم ان يقال بالضبط كيف يفهم الرياضيون التماس والمكان - المكان والتماس - اضيفت هاتين الكلمتين ليكون البيان أجلى أكانا منفصلين عن الاشياء - يرى فيلوبون . أن هذا كان مذموب فيشاغورت الذى الخلف فلاطون مذموبا له اذا صيدقت الانتقادات التى وجهها ارسطو الى نظرية أثيل - أم كالا يوجدان بأى وجه ما - مثلا في الاشياء التى لا تكون منفصلة عنها جوهريا - كما بين سابقا ر . الطبيعة ك٥ ب٥ ف١٤ و١٥ ص ٣٠٠ و٣٠٤ من ترجمتنا - أن تجتمع النهايات - عبارة النص هي : «معها» وهذه الكلمة تطلق على الاجتماع في المكان كما تطلق عليه في الزمان . به نهايتها مجتمعة معا - الشأن في هذه الجملة كما هو في التنبيه السابق .

§ ٧ - الفصل الاول - يعنى الفصل الاظهر والذي يقرع الخواص بادى الامر . ر . الطبيعة ك٥ ب٣ ف٨ ص ١١٤ من ترجمتنا - مع المقابلات الاخرى من هذا القبيل - يعنى البين واليسار والامام والخلف الخ - ينتج منه - هذه النتيجة ليست حتمية فيما يظهر ولكن في نظريات ارسطو لما أن الحركة الى الفوق تستدعى الخفة والحركة الى التحت تستدعى الثقل فالجسم لا يمكن ان يكون له مكان الا اذا كان ثقيل او خفيفا - او هاتان الخاصتان =

أو هاتان الخاصيتان معا أو على الأقل إحدى الإثنتين . وهذه الأشياء من هذا النوع إنما هي القابلة للفعل وللانفعال فبسنين إذا بذاته أنه يجب اعتقنا أن تلك الأشياء تتلامس بالطبع وإنها بما هي أعظم من مفصلة ومتمايزة فنهياتها واقعة طرفا لطرف ويمكنها أحدها أن يحرك والآخر أن يتحرك على التكافؤ أحدهما بالآخر . ولكن لما أن المحرك لا يحرك بالطريقة عينها التي بها الشيء المحرك يحرك في دوره وإن هذا الأخير لا يمكن أن يحرك إلا بما هو واقع في الحركة هو نفسه في حين أن الآخر يمكنه أن يحرك مع بقائه هو نفسه غير متحرك فعن آلبين أنه يمكننا تطبيق هذه التمايز عينها على الجسم الذي يفعل لأنه حتى في اللغة العامة يقال أيضا على السواء أن الذي يحرك يفعل وأن الذي يفعل يحرك .

§ ٨ - ومع ذلك يوجد هنا فصل ما : فيتعين التمييز : ذلك أن كل ما يحرك لا يمكنه دائما أن يفعل كما سنرى بالمقابلة بين ما يفعل وبين .

= مما - هذا غير مفهوم إلا على طريق المقارنة ، فإن جساما هو ثقيل بالنسبة لجسم معين وخفيف بالنسبة لآخر . - إحدى الإثنتين - على هذا في نظريات أرسطو أن الأرض ليس لها إلا الثقل ولها ليس لها إلا الخفة . وأما الهواء والماء فلها في آن واحد الخفة والثقل فيما لمقارنتهما بهذين العنصرين الآخرين اللذين هما طرفان . - طرفا لطرف - عبارة النص . هي «عما» كما سبق . - أحدها أن يحرك والآخر أن يتحرك - عبارة النص على هذا الإيجاز وليست أكثر وضوحا . - مع بقائه هو نفسه غير متحرك . - كل نظرية المحرك الأول غير المتحرك في الطبيعة ٨٧ب ٧٨ب ٧٩ب ٨٠ب وما بعدها من ترجعتنا . - أيضا ما بعد الطبيعة ٨٧ب ٨٨ب ٨٩ب ٩٠ب ترجمة كوزان . - هذه التمايز عينها على الجسم الذي يفعل - ليس النص . خريعا بهذا القدر . - وإن الذي يفعل يحرك - هذا الخلط بين الفعل وبين الحركة لا يفهم . جد الفهم إلا إذا أدركت أنواع الحركة الثلاثة التي قررنا أرسطو وهي الثقل والاستحالة والنمو . وبين أنه يوجد فعل في الثلاثة جميعا . ومع ذلك فإن أرسطو في الفقرة التالية قد عين لونا بين فعل وبين حرك .

§ ٨ - التمييز - وأيضا « أن يكون الحد مع التمييز » هذا هو معنى التعبير الإغريقي في قوله : بالمقابلة - ألمعتي هاهنا ليس واضحا جدا . وماكه أكثر تفصيلا وبيانا : الفعل . والتحريك ليسا حدين متساويين ومتكافئين فيلزم تمييزهما . ولأجل أن يفهم جيدا الفصل الذي يفصلهما يلزم مقارنة حدين آخرين : الفعل والانفعال . - كما سنرى . - فإن جسملا لا يتفعل - عبارة النص غير محددة فلزم أن تكون الترجمة أكثر ضبطا . - تأثرا أو شهوة - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - مجرد استحالة - يعني بنون أن يكون هناك قلة ولا قلة في العظم بالزيادة أو بالنقص . - في حالة ما يصير حارا - النص أقل صراحة . - فإن الجسم يكون في مجرد استحالة متى عتاز حارا بعد أن كان باردا أو أبيض بعد أن كان أسود . - له من السمة أكثر - فإن الحركة يمكن أن تكون بالثقل أو بالاستحالة أو النمو وأما الفعل فلا ينطبق إلا على الاستحالة وحدها . - وحيث من البين - هذه النتيجة ليست من البيان على ما يظن المؤلف فيما يظهر ولا تنتج بوضوح مما تقدم .

ما يفعل فان جسما لا يفعل الا فى الاحوال التى فيها تكون الحركة
تأثرا أو شهوة . ولا توجد شهوة الا فى حالة ما يكون بالجسم مجرد
استحالة ، مثلا فى حالة ما يصير حارا أو يصير أبيض . ولكن معنى
التحرك له من السعة أكثر مما لمعنى الفعل . وحينئذ من البين أن
المحركات أحيانا يجب أن تلامس الاشياء التى تحركها وأحيانا لا تلامسها .

§ ٩ - حد التماس مأخوذا على أعم معناه ينطبق على الاجسام التى
لها وضع بما أن أحد الجسمين فى التماس يمكن أن يحرك وبما أن الآخر
يمكن أن يتحرك وبما أن المحرك والمتحرك ليس بينهما نسبة إلا نسبة
الفعل والانفعال .

§ ١٠ - فى الاحوال الأكثر عادية الشئ الذى لمس يلمس الشئ
الذى لمسه لان كل الاشياء تقريبا التى يمكننا مشاهدتها هى واقعة فى
الحركة قبل أن تحرك أيضا فى دورها . وفى كل الاحوال يظهر أن هناك
ضرورة الى أن الشئ الذى لمس يلمس الشئ الذى لمسه . ولكننا نقول
انه قد يجوز أحيانا أيضا أن المحرك وحده يلمس الشئ الذى يعطيه

§ ٩ - مأخوذا على اعم معناه - وفى الوقت عينه على معناه الاخص - ينطبق على
الاجسام التى لها وضع - وما سبق ف٦ - أحد الجسمين فى التماس - النص ليس
صريحا هكذا - الانسبة الفعل والانفعال - عبارة النص هى : فى الاشياء التى بينها فعل
وانفعال .

§ ١٠ فى الاحوال الأكثر عادية - يظهر ان كل هذه الفقرة استطراد لا يتصل لزوما
بما تقدم . - التى يمكننا مشاهدتها - أو «الذى أمامنا» - قبل أن تحرك أيضا فى دورها -
ليس : النص صريحا هكذا ولكن المعنى لا ريب فيه . - لا يلمس الآخر هذا ممكن معنويا
كما يشجع المتن الوارد فى آخر الفقرة ولكن من الجهة المادية يتلامس الشيئان بالتبادل .
ومن المحال ان شيئا يلمس آخر من غير ان يلمسه هذا الآخر . وإن الفعل قد يأتى من
جهة واحدة دون ان يقابل بمثله ولكن التماس كما يدل عليه لفظه هو دائما متكافئ . وإن
محل : المحرك غير المتحرك ليس قاطعا لان اتصال الحركة يمكن ان يقع على مسافة ومن غير
تماس حقيقى الاجسام المتجانسة - هذا التعبير مبهم قليلا . وقد فسره فيلوبون بأن فهم
أن المقصود هو الاجسام المركبة من مادة واحدة بعينها لانها بذلك تستطيع أن ترد الفعل
الذى تقبله ر . ما سياتى فى الباب السابع ف٥ - فيما يظهر - ربما كان الواجب ان
يكون التعبير أكثر تأكيداً . - فيلزم ان يمس - ان نظرية : المحرك غير المتحرك قد بسطت
باسهوب فى الطبيعة ك٨ وفى ما بعد الطبيعة ك١٢ ب٨ . فان المحرك غير المتحرك يعنى : الله
ينقل الحركة التى يخلقها بطريقة مفارقة لما تنتقل به الحركة للاشياء التى تتركها مشاهدتنا
فى هذه الدنيا وليس من المحتمل بهذا المعنى أن الله يمس الكائنات كما تلمس الكائنات بعضها
بعضا . - يمسنا - هذا التعبير الذى اضطررت الى أن أستعمله لا يظهر أنه مناسب تماما
فى لغتنا وإن كان أكثر مناسبة فى اللغة الاغريقية ١٠ ولكنه ليس الا على طريق المجاز لأن
هذا المس المعنوى لا دخل له فى التماس المادى الذى هو موضوع البحث فى هذا الباب كله .

الحركة ، وإن الشيء الملموس لا يلمس الآخر الذي يلمسه . ولما أن
الاجسام المتجانسة لا تحرك إلا متى حركت هي أنفسها فيلزم فيما يظهر
أن جسما ملموسا يلمس هو أيضا . وبالنتيجة إذا كان محرك ما ، مع
كونه هو نفسه غير متحرك ، يوتى الحركة ، فيلزم أن يمس الشيء الذي
يحركه دورا أن يمس هو نفسه شيء . وعلى ذلك في الواقع نقول أحيانا
على الشخص الذي يؤذينا أنه يمسنا من غير أن نمسه نحن أنفسنا .

§ ١١ - ذلك ما كنا نبغي أن نقول على التماس معتبرا في الأشياء
الطبيعية .

§ ١١ - ذلك ما كنا نبغي أن نقول - يمكن تقريب هذه النظرية كلها بالنظريات التي
ذكرت ولكن باختصار في الطبيعة له به ف١٣ وكتاب ف٢١ فان المذهب في الموضوعين واحد .
- في الأشياء الطبيعية - لافي الأشياء المجردة والرياضية .

الباب السابع

نظرية الفعل والانفعال - آراء الفلاسفة - ديمقريطس هو الذى اجاد فهم هذا الموضوع
سبب خطأ الفلاسفة - التشبيه لا يمكن أن يقبل أى فعل من التشبيه - العلاقة الفروية بين
الفاعل والمنفعل - التشبيه والفرق بينهما - توفيق راين متعارضين في تمييز لفظي-المشابهة
بين الحركة وبين ظاهرتي الفعل والانفعال - المحرك الاول يمكن أن يكون غير متحرك - الفاعل
الاول يمكن أن يكون كذلك لا منفعلا - ختام نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ - تعقيبا لما تقدم نوضح ماذا ينبغي أن يعنى بفعل وانفعال .
ولقد تلقينا من الفلاسفة السابقين لنا نظريات متخالفات بينها في هذا
الموضوع . ومع ذلك فإنهم متفقون باجماع على أن التشبيه لا يمكن أن يقبل
شيئا من التشبيه لان الواحد منهما ليس أشد فاعلية ولا انفعالية من
الآخر . وان الاشباه لها كيفياتها متماثلة مطلقا . ثم يزداد أن الاجسام
غير المتشابهة والاجسام المختلفة انما هي التي لها فعل وانفعال على طريق
التكافؤ بعضها في بعض . مثال ذلك حينما تطفأ نار بنار اكبر منها يزعم
فلاسفتنا أن النار التي هي أقل انفعلت في الواقع بمقتضى مقابلة الاضداد
بما أن كثيرا هو ضد لقليل .

§ ٢ - ديمقريطس هو الوحيد ، خلافا لجميع الآخرين ، الذى قدم

§ ١ - بفعل وانفعال - لم يمكن ان اجمل في لغتنا عبارات تجعل كلمات النص اكثر
وضوحا . وقد يمكن ان يترجم ايضا هكذا : «ان يكون فاعلا وقابلا» . يفعل وينفعل هما
المقولاتان الاخيرتان للمقولات العشر . المقولات بـ ٢ و ٣ من ترجمتنا . - تلقينا من
الفلاسفة السابقين لنا - يلاحظ فيلوبون ان ارسطو يبقى على عهد طريقته العادية من بسط
النظريات السابقة قبل بسط نظريته الخاصة . ان التشبيه لا يمكن ان يقبل شيئا من
التشبيه - ذلك هو أحد المبادئ التي قد يوجد منها عدد عظيم في الفلسفة القديمة لا تستند
الى مشاهدات واقية وليست الا نتائج سابقة لاوانها ومنطقية محضة . - غير المتشابهة
والاجسام المختلفة - هذا التكرير هو في النص . - فعل وانفعال . ام انما هي الفاعلة
والقابلة . - بنار اكبر - يظهر انه ليس هنا اختلاف حقيقي . فان النار الاقل هي تماما
جسامة النار الاقوى من جهة كونها نيرانا فقط احدهما التهمت الاخرى . ولكنه لا ينبغي
التشدد في طلب الضبط الى علم ذلك الزمان . - بما ان كثيرا هو ضد لقليل - هذا حق
ولكنه لا ينتج منه ان نارا صغيرة تكون ضدا لنار كبيرة . ومع ذلك هذا ما كان يجب ان
يكون ليصير المثل صحيحا وحقيقا بالانطباق .

§ ٢ - ديمقريطس هو الوحيد - يظهر ان ارسطو في جميع مؤلفاته يفضل كثيرا
ديمقريطس ونظرياته وهنا يعطيه الحق على الاقل بالجزء ضد جميع الفلاسفة السابقين .
رايا خاصا - كلمة النص ليس لها معنى محدود بهذا المقدار . وربما افادت ان ديمقريطس
قرر رأيا عموما من بعض الوجوه ومعارضنا للنظريات السابقة . - من المشابهة والمتماثلة -
ليس في النص الا كلمة واحدة .

فى هذا رأيا خاصا . فهو يقرر ان هذا الذى يفعل وهذا الذى يقبل هو فى الحقيقة مماثل ومشابه لانه لا يوافق على أن أشياء مختلفة ومتغايرة تماما يمكنها أن تقبل أياها بعضها من بعض . واذا كان بعض الاشياء ، مع كونها متغايرة بينها ، لها بعضها على بعض فعل ما متكافئ فهذه الظاهرة ، على رايه ، تقع فيها لا بما هي متخالفة بل بما هي على الضد من ذلك لها نقطة ما من المشابهة والمماثلة .

§ ٣ - تلك هي اذا الآراء التى قررت قبلنا . ولكن الفلاسفة الذين قرروها قد يظهر أنهم تناقضوا فيما بينهم ، والسبب فى اختلافهم فى هذا الصدد هو انه فى مسألة يلزم فيها اعتبار مجموع الموضوع لم يعتبروا فيه هؤلاء وهؤلاء الا جزءا واحدا .

§ ٤ - وفى الحق أن ما هو شبيه تماما ولا يغاير مطلقا بأى وجه ما لا يمكنه مطلقا أن يحتمل شيئا ولا أن يقبل شيئا من قبل شبيهه . لماذا ، فى الحق ، ان أحد الشئيين يفعل دون الآخر ! فاذا كان ممكنا أن الشئ يقبل بأى طريقة من شبيهه اذا يمكنه أن يقبل ايضا من ذاته . وحينئذ مع التسليم بهذا فينتج منه أن لا شئ فى الدنيا يكون غير قابل

§ ٣ - تلك هي اذا الآراء - قد يرى أن بسط الآراء السابقة موجز بعض الشيء ولكن يجب علينا في هذا الصدد ان نلق صدق وسطو الذى ما سعى البتة فى الخط من اقدار اسلافه على رغم التهمة التى اتهمه بها باكون - مجموع الموضوع - ليس النص على هذا القدر من الضبط . ومع ذلك فان الفكرة التى يعبر عنها أوسطو هي عريضة فى الصمة . وذلك يرجع الى القول بان هذه المذاهب على العموم اولى بها ان تكون غير تامة من ان تكون باطلة .

§ ٤ - أن يحتمل شيئا ولا أن يقبل شيئا - ليس فى النص الا كلمة واحدة . ولكن لما أنه يوجد فيه أداة نفى اردت أن أوليه القوة بالفعلين ولو أن المعنى واحد تقريبا - من قبل شبيهه - معنى ما هو على جهة الإطلاق والتماثل مشابه له - أحد الشئيين - زدت هاتين الكلمتين . - يفعل - او يفعل - يمكنه أن يقبل ايضا من ذاته - معنى يحتمل فعلا يحدثه هو نفسه فى نفسه ، وهذه النظرية دقيقة فيما يظهر - مع التسليم بهذا او بمباراة اخرى اذا افترض ان: لقبه يفعل فى الشبيه وان شيئا يفعل مباشرة فى نفسه - غير قابل للفناء ولا غير متحرك - قد قرر أرسطو دائما انه يوجد فى الدنيا اشياء غير قابلة للفناء والى بالاكل المحرك الاول هو غير متحرك . - يمكنه ان يعطى الحركة لنفسه - ليس للنص على هذا الضبط ويمكن ترجمته ايضا هكذا : ونفسه وان ما هو مغاير له تماما وليس له معه ادنى تماثل يمكنه ان يعطيه لنفسه على السواء . وقد ظهر لى ان المعنى الآخر افضل من جهة النحو - وفى الواقع - لا يظهر ان ارتباط المعانى ههنا واضح - البيضاء الامثلة لا يظهر لها قد احسن اختيارها - من قبل خط - او بالاولى سطح كما يفسره فيلويون . - بالمرحى والواسطة - ليس فى النص الا كلمة واحدة - الخط او السطح عفوا من تلقاء انفسها - ربما صحت ترجمتها ايضا بالتبادل .

للفناء ولا غير متحرك اذا فرض أن الشبيه بما هو شبيه يمكنه أن يفعل ما دام حينئذ كل موجود أيا كان يمكنه أن يعطي الحركة لنفسه ويعطيها أيضا على السواء للموجود المغاير تماما والذي ليس له به تماثل ما . وفى الواقع أن البياض لا يمكنه أن يقبل أى فعل من قبل خط ولا أن خطا يفعل بشيء من قبل البياض الا ما ربما يكون بالعرض والواسطة : مثلا فى حالة ما اذا كان الخط بالمصادفة أبيض أو أسود . لان الاشياء لا يمكنها أن تغير طبيعتها عفوا من تلقاء أنفسها متى لم تكن أضدادا بعضها لبعض أو غير آتية من أضداد .

§ ٥ - ولكن لما أن فعل وانفعل ليسا بالطبع خاصية أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة وانهما لا يكونان الا فى الاشياء الاضداد بعضها لبعض أو التى بينها تضاد ما فينتج من ذلك ضرورة أن الفاعل والقابل يجب أن يكونا شبيهين ومتحددين بجنسهما بالاقبل وأن يكونا غير متشابهين ومتضادين بنوعهما على هذا تريد الطبيعة ان الجسم يقبل فعل الجسم والطعم يقبل فعل الطعم واللون فعل اللون ، وعلى جملة من القول أن شيئا مجانسا يمكن أن يقبل فعلا من قبل الشيء المجانس . والسبب فيه أن جميع الاضداد هى فى جنس واحد ، وان الاضداد تفعل بعضها فى بعض وتقبل بعضها من قبل البعض الآخر . اذا يلزم ضرورة أن ، من وجه ، الفاعل والقابل يكونان متشابهين وفى الحين عينه يلزم أيضا أن يكونا غير متشابهين ومتغايرين بينهما .

§ ٦ - ما دام اذا يلزم أن يكون الفاعل والقابل هما متحددين

§ ٥ - أى جسم اتفق وأخذ بالمصادفة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . تضاد ما ليس النص على هذه الصراحة . بجنسهما . بنوعهما - هذا التمييز سيصلح فيما بعد للتوفيق بين الآراء المتعارضة للفلاسفة السابقين . يقبل فعل - أو بمباراة اخرى مماثلة لعبارة النص : يقبل من الجسم وهذا التعبير مع ذلك مبهم وكان الاولى ايضا - مجانسا - او من الجنس بعينه . ما سبق ب٦٠ - اذا يلزم ضرورة - تكرير لما سبق آنفا بالحرف تقريبا .

§ ٦ - ما دام اذا الفاعل والقابل - تكرير آخر مساعد مع ذلك على ايضاح الفكرة أكثر منه على اطالتها . - نسب الاضداد - ر . المقولات ب ١١ ف ٦ ص ١٢٢ من ترجمتنا . مطلقا - أو على النجوم . ان النار تسخن - ربما كان التعبير عاما جدا وربما كان يلزم ذكر مفعول كان يقال مثلا : « تسخن الجسم الذى تفلل فيه » . وأن البرد يبرد هذا التكرير غير المفيد موجود كذلك بالنص . يحيل الى ذاته - صاهانا ايضا العبارة قليلة الضبط ولو أن المعنى صحيح جدا - تحول الشيء الى ضده - النص غاية فى الاجازة فاضطرت الى بسطه . الذى يفعل يتغير بهذا الذى يفعل - قد يكون فى العبارة بعض التجاوز لان الشيء الذى يسخن لا ينقلب نارا - ملخص الى الضد . النص يستخدم تعبيرا يشعر بنوع من الحركة . وهذا الذى حاولت تحصيله فى ترجمتى .

ومتشابهين في الجنس ولا متشابهين في النوع وان هذه هي نسب الاضداد
فينتج من هذا جليا أن الاضداد والاوساط تفعل وتقبل على طريق التكافؤ
بعضها ازاء البعض الآخر . فان فيها مطلقا يحصل فساد الاشياء وكونها .
لذلك فبسيط جدا أن النار تسخن وأن البرد يبرد وعلى جملة من القول
أن الشيء الذي يفعل يحيل الى ذاته الشيء الذي يقبل فعله . ما دام ان
هذا الذي يفعل وهذا الذي يقبل هما ضدان ، وان الكون هو على التحقيق
تحول الشيء الى ضده . ينتج منه أن بالضرورة الذي ينفلج يتغير بهذا
الذي يفعل . وعلى هذا النحو فقط يحصل كون مفض الى الضد .

٧ - هذا هو الذي يوضح جيدا كيف أن فلاسفتنا من غير أن
يكرروا صراحة الاقوال أعيانها يمكنهم مع ذلك على الوجهين أن يصلوا الى
استكشاف الطبع والحق . وعلى هذا نقول تارة انه الموضوع نفسه هو
الذي ينفلج متى قلنا ان فلانا يبرأ وانه يندفأ وانه يبرد وانه يعانى
انفعالات من هذا القبيل . وتارة أيضا نقول مثلا ان البرودة هي التي
نصير ساخنة أو ان المرض هو الذي يصير الصحة وعلى الوجهين العبارة
صادقة .

٨ § - والامر كذلك أيضا فيما يخص الفاعل فاننا نقول أحيانا
انه هو فلان الذي يسخن الشيء الفلاني ومرة أيضا ان الحرارة هي التي
تسخن . لانه تارة هي المادة التي تقبل الفعل وتارة أيضا الضد هو
الذي يقبل . على ذلك فانه بنظر الاشياء من هذه الجهة زعم بعضهم أن

٧ § - فلاسفتنا - عبارة النص اقل ضبطا - الطبع والحق ليس في النص الاكلمة واحدة
- انه الموضوع - يعنى الموجود الذي له الكيف المعد لان يتغير وكيف مضاد - البرودة
يعنى الكيف ذاته . وقد لا يكون التمايز بينا في النص ولانه على هذا التمايز يعتمد في التحليل
فكان الاكلم ان يكون التعبير اظهر من هذا . وقد اجاد فيلوبون ايضاح هذه الفقرة كلها بولن
انه اخطأ في الايضاح . هي التي نصير ساخنة - في هذا التعبير شيء من الغرابة في
النص وفي ترجمتي أيضا - وعلى الوجهين العبارة صادقة - يعنى سواء قصد الى الموضوع
او قصد الى الكيفية نفسها التي تتغير .

٨ § - والامر كذلك - يعنى انه يمكن ان يجرى هذا التمايز بالنسبة للفاعل والقابل
الذين هما متحدان بالجنس ومختلفان بالنوع . فلان الذي يسخن الشيء الفلاني - ليس
النص على هذا القدر من البيان . ان الحرارة هي التي تسخن - من جهة انه هو الموضوع
ومن جهة أخرى انها هي الكيفية أو كما سيجيء بعد في النص من جهة المادة ومن جهة
أخرى الضد . من هذه الجهة - يعنى بالنظر الى المادة التي هي مقولة بالاشتراك على
الفاعل والقابل معا . - من جهة مخالفة - يعنى بالنظر الى الكيفيات المتضادة التي احدها
تتغير الى الأخرى . ان الامر على الضد من ذلك تماما - ما سبق بيانه في آخر الفقرة
الثالثة حيث يعيب أرسطو على كلتا النظريتين انها لم تعتبر الا جزءا من الموضوع الذي
كان يجب فحصه في مجموعه .

الموجود الذى يفعل والذى ينفعل يجب أن يكون بينهما شيء من التماثل .
وان الآخرين بنظرهم الاشياء من جهة مخالفة زعموا أن الامر على الضد
من ذلك تماما .

§ ٩ - ولكن التدليل الذى يمكن عمله لا يوضح ما هو يفعل وينفعل
هو نفسه الذى به يوضح ما هو يحرك ويتحرك . وعلى ذلك نلفظ المحرك
يحمل أيضا على معنيين . فأولا الشيء الذى فيه يوجد مبدأ الحركة يشبه
أن يكون المحرك ما دام المبدأ هو أول العلل وثانياً إنما هو الحد الاخير
بالإضافة الى الشيء الذى هو محرك والى كون الشيء .

§ ١٠ - وتنطبق الملاحظة نفسها على الفاعل ، وعلى هذا النحو نقول
على السواء ان الطبيب هو الذى يبرىء أو هو النبىذ السذى أمن به
للمريض . وحينئذ لا شيء يمنع من أن المحرك الاول فى الحركة التى
يعطيها يبقى هو نفسه غير متحرك . بل أحيانا قد تكون هناك ضرورة الى
أن يكونه ولكن الحد الاخير يجب دائماً لاجل أن يحرك أن يكون أولاً قد
حرك هو نفسه .

§ ١١ - وفى الفعل أيضا الحد الاول ليس متأثراً ولا قابلاً ولكن

§ ٩ - التدليل الذى يمكن عمله - الجملة قلقة بعض الشيء فى الترجمة كما هى كذلك
فى النص . ولكن المعنى بين . فان يفعل وينفعل يستوضح معناها كما يستوضح معنى
يحرك ويتحرك . لفظ المحرك يحمل أيضا على معنيين - تبعاً لما اذا كان القصد المحرك الاول
والمحرك الابتدائى - أو المحرك التابع الذى يمكن أن يكون الاخير والاخرى بالنسبة للمتحرك
أى الشيء المحرك . - الشيء - اخترت التعبير بهذا اللفظ المهم مجازة للنص . - يشبه
أن يكون المحرك - أو « يشبه أن يحرك » - المبدأ هو أول العلل - بتعريف كلمتى المبدأ
والعلة يتبدى الكتاب الخامس من كتاب ما بعد الطبيعة - الحد الاخير - معنى المحرك
الثانوى الذى هو الاقرب الى المتحرك . - الشيء - زدت هذا المضاف اليه ويمكن أن توضع
بدله « الظاهرة » .

§ ١٠ - الملاحظة نفسها - النص أشد ابهاماً . وبعبارة أخرى « أن لفظ الفاعل يمكن
أن يحمل على معنى مزدوج مثل لفظ المحرك » . - الذى أمن به للمريض - زدت هذه
الكلمات التى طهرتها من الضرورية لتمام الفكرة . فان الطبيب هو المحرك الاول والعلة الاولى للشفاء
والنبىذ الذى أمر به للمريض هو المحرك الثانوى والعلة التبعية للصحة المستردة . - فى
الحركة التى يعطيها - هنا رواية أخرى عديمة الاهمية استجبتها بعض الناصرين ولكنها
لا تماوى الرواية التى أثبتناها فى القيمة . - تكون هناك ضرورة - راجع نظرية المحرك
الاول غير المتحرك فى كتاب الطبيعة ك ٨ ب ٦ و ٧ و ١٥ من ترجمتنا . الحد الاخير -
« المحرك الاخير » .

§ ١١ - وفى الفعل أيضا - كما فى الحركة . - الحد الاول - عبارة النص غير محدودة
أصلاً . ويمكن ترجمتها أيضا « العلة الاولى » . - ليس متأثراً ولا قابلاً - ليس فى النص
الا كلمة واحدة . - ليكنه أن يفعل - زدت هذه الكلمات . - بادىء به - زدتها =

يلزم أن الحد الإخيري ، ليتمكن أن يفعل ، ينفعل أيضا هو ذاته بفعل ما بآدى به . كل الأشياء التي ليست من مادة واحدة بعينها تفعل دون أن تقبل هي أعيانها وأن تظل غير قابلة . مثال ذلك صناعة الطب فانها مع فعلها الصحة لا تقبل أى فعل من قبل الجسم الذى تشفيه . ولكن الغذاء مع فعله الصحة يقبل ويلقى هو نفسه أيضا تأثيرا ما لانه إما أن يسخن أو يبرد أو يعانى انفعالا آخر كيفما اتفق فى حين انه يفعل . ذلك لانه من جهة الطب هو ما هنا ، بنحو ما ، كالمبدأ فى حين أن الغذاء ، بنحو آخر ، هو الحد الإخيري الذى يمس العضو الذى يفعل فيه . على ذلك حينئذ كل الأشياء الفاعلة التى ليس لها صورتها فى المادة تبقى غير قابلة ، وكل التى لها صورتها فى المادة يمكن أن تقبل فعلا ما ، ونقول أيضا ان المادة هى واحدة على السواء بعينها بالنسبة لى واحد ما من الحدين المتقابلين ونعتبرها انها بالنسبة لهما جنسهما المشترك . ولكن ما يمكنه أن يصير سناخنا يجب ضرورة أن يسخن حينما الشيء الذى يسخن يكون حاضرا وقريبا منه . فانظر لماذا أن بين الأشياء التى تفعل بعضها ، كما قلت آنفا ، هو غير قابل والآخر على ضد ذلك يمكن أن يقبل وكيف أن الامر واحد بعينه بالنسبة للفواعل كما هو بالنسبة للحركة ، فان هناك فى الواقع المحرك الاولى هو غير متحرك وهنا بين الفواعل انما الفاعل الاول هو غير القابل وبمعزل عن كل انفعال .

§ ١٢ - ولكن اذا كان الفاعل علة كما هى حال المحرك متواء بسواء

= أيضا . - التى ليست من مادة واحدة بعينها - هى والأشياء التى تفعل فيها . - لا تقبل أى فعل - عبارة النص « لا تقبل شيئا » . - يقبل ويلقى - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - تأثيرا ما - عبارة النص غير محدودة . - يسخن . . . يبرد - فى ظاهرة الهضم التى بها الجهاز الهضمي يتمثله . - كالمبدأ - أو بوجه ما المحرك الاول والمبدئى . - هو الحد الأخير - هنا أيضا ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - التى ليس لها صورتها فى المادة - يعنى التى هى والقابل التى تفعل فيه ليست من مادة واحدة . هذا الاسلوب كثير التكرار عند أرسطو ولكنه هنا غير محل للشك بحسب شرح فيلوبون . فان القرينة تسوغ تفسير الشارح . - يمكن أن تقبل فعلا ما - فى حين أنها تحدث فعلا فى الشيء الواقع تحت تأثيرها . - من الحدين المتقابلين - أو بعبارة أخرى « بالنسبة للفاعل وبالنسبة للقابل » . - جنسهما المشترك - زدت : لكلمة الأخيرة . ر . ما سبق فى الفقرة الخامسة . - الشيء الذى يسخن - عبارة النص غير محددة . - كما قلت آنفا - فى أول الفقرة السابقة . - المحرك الاول - يعنى العلة أيا كانت التى هى أول ما يعين الحركة . وأظن أنه يلزم أن يخص ضمن المحرك الاول بمبدأ الحركة الكلية . فانه لا يراد هنا الا حركة جزئية تقوم بها محركات عديدة بعضهاة توابع بعض - هنا - زدت هذه الكلمة لتكون المقابلة أظهر . - غير القابل وبمعزل عن كل الفاعل - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

§ ١٢ - الفأية التى من أجلها يحدث كل الباقي - أو : واللم - كما هى عبارة النص . - الصحة ليست فاعلا - لانها الفأية التى ينشئها الطبيب والمريض . فالطبيب هو المحرك

عمن اين يجرى ان مبدأ الحركة ، اى الغاية التى من اجلها يحدث كل الباقي ، لا يحدث هو نفسه فعلا ؟ مثال ذلك الصحة ليست فاعلا ولا يمكن تسميتها كذلك الا بالمجاز المحض . ومنذ يوجد الفاعل ينتج منه ان القابل الذى يقبل الفعل يصير شيئا ما ، ولكن متى تكون الكيفيات حاصلة تماما وحاضرة فليس للفاعل أن يصير فانه قد كان كل ما يجب أن يكونه . ان صور الاشياء وغاياتها يمكن أن يقال انها كيفيات وعادات فى حين أن المادة انما هى التى بما هى مادة قابلة تماما . على هذا حينئذ النار لها حرارتها فى المادة واذا كانت الحرارة شيئا ما قابلا للانفصال عن مادة النار فلا يمكنها أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر . ولكنه محال من غير شك أن الحرارة تكون منفصلة عن النار التى تسخن واذا كان ثم أشياء منفصلة بهذه المثابة فان ما قلناه آنفا لا يكون صادقا الا بالنسبة لتلك .

§ ١٣ - وعلى الجملة نقف عند حد الاعتبارات المتقدمة فى ايضا حامية فعل وانفعل لتبين بأى الاشياء يتعلق أحدهما والاخر وبأى طريقة يكون الفعل والانفعال وكيف يكونان .

الاول . والادوية التى يأمر بها تفعل تحت أوامره لبلوغ الغاية التى هى الشفاء والصحة .
- القابل الذى يقبل الفعل - ليس النص على هذه الصراحة . - يصير شيئا ما - يعنى .
يكسب كيانا جديدا يعطيه اياه الفعل الواقع عليه . - حاصلة تماما وحاضرة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - كل ما يجب أن يكونه - أضحت هذه الكلمات انما للمعنى .
- صور - أو « النوع » . فان صور الاشياء هى طبيعتها الخاص والنهائى . - كيفيات وعادات - فى النص كلمة واحدة . لان الكيفيات والعادات لما انها أشياء مكتسبة ودائمة فليست محلا للتغير . فان الشيء هو ما هو . فليس يصير شيئا آخر بأن يكسب كيانا جديدة مخالفة .
- قابلة تماما - من حيث انها هى المادة التى تقبل على التعاقب الاضداد التى تتناوب عليها .
بالصور . - لها حرارتها فى المادة - التعبير مطلق قليلا على رغم الايضاحات التى تقدمت .
- عن مادة النار - أضحت هذه الكلمات تكميلا للمعنى . - أن تقبل شيئا ولا أن تتأثر - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - عن النار التى تسخن - أضحت هذه الكلمات .
- ما قلناه آنفا - أو بعبارة أخرى « هذه الاشياء تكون غير قابلة البتة ولا يمكنها أن تنفصل لفعل أى كان » . ر . هذه النظرية نظرية الجوهر والصورة فى الطبيعة ك (١) ص ٤٧٣ وما بعدها من ترجمتنا .

§ ١٣ - وعلى الجملة - النص ليس صريحا هكذا . ولكن هذه الفترة هى فى الواقع محصل كل ما سبق . وبأى طريقة . . . وكيف - هذا الجزء الخاص من المسألة سيبحث ايضا فى الباب الذى يلى بطريقة أخص وأوسع مما ها هنا .

الباب الثامن

نقض النظرية التي تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان في الجوهر المادية بالمسام -
 رأى الفلاسفة القدماء - استشهد من أمبيدقل - لوكيبيس وديمقريطس هما أقرب إلى الحق -
 وحدة الوجود محال وكذلك ثباته - غرائب ضلالات الفلاسفة القدماء - عرض نظرية
 لوكيبيس - عرض نظرية أمبيدقل - مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما وبين
 نظرية لوكيبيس - استشهد من طيمائوس الفلاطون - مقارنة بين الفلاطون ولوكيبيس -
 اعتراضات على نظرية الفلاطون وعلى نظرية الوحدة ونظرية اللغات - استعالة قبول وجود
 اللغات رافهم من أين جاءت الحركة - الرؤية من خلال الأوساط تصوير غير قابلة للإيضاح -
 خاتمة نقض النظرية التي تفسر بواسطة المسام الفعل والانفعال في الأشياء .

§ ١ - لنعرض مرة أخرى كيف أن ظاهرتي الفعل والانفعال
 ممكنتان . من الفلاسفة من يرى أنه حينما يعاني شيء أثرا ما على جهة
 الانفعال ، فذلك أن الفاعل الذي يفعل الاثر نهائيا وبطريق الاصعية ينفذ
 في ذلك الشيء بواسطة مسام أو قنوات . يقولون أننا كذلك نرى وإنما
 نسمع وإنما ندرك جميع الإدراكات الأخرى للحواس . وفوق ذلك إذا
 أمكن أن ترى الأشياء من خلال ألواء والماء والأجسام الشفافة فذلك بأن
 هذه الأجسام لها مسام غير مدركة بالبصر لسبب صغرها ولكنها مع ذلك
 شديدة الانضمام مرصوفة بنظام وترتيب ، وكلما تكون الأجسام أكثر
 شفافية كان لها من هذه المسام عدد أكثر .

§ ٢ - وعلى هذا النحو استبان بعض الفلاسفة الأشياء كما فعل
 أمبيدقل مثلا . ولكن لم تقصر هذه النظرية على الفعل وعلى الانفعال بل
 زعم أن الأجسام لا تختلط إلا متى كانت متسامها متناسبة المقياس على

§ ب ٨ ف ١ - مرة أخرى - ويمكن أيضا ترجمتها : « من جهة نظر أخرى » .
 - ظاهرتي الفعل والانفعال - ليس النص واضحا هكذا وقد اردت أن أجعله أبين خصوصا
 في ابتداء باب . من الفلاسفة من - يقصد إلى أمبيدقل كما تدل عليه الفقرة التالية .
 - يعاني شيء أثرا ما على جهة الانفعال - النص أكثر إيجازا . - نهائيا - راجع
 ما سبق ب ٧ ف ١٠ و ١١ - وبطريق الأصلية - لأنه يفعل بتماس مباشر وبلا
 واسطة . - مسام أو قنوات - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - ندرك
 - تكرار الكلمات هذا في النص . - هذه الأجسام - أو هذه العناصر لأن عبارة النص
 غير مألوفة . - نظام وترتيب - ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ٢ - كما فعل أمبيدقل مثلا - وهو الذي يلزم أن ينسب إليه : الرأي المعروض
 في الفقرة السابقة دون أن يذكر صاحبه . - على الفعل وعلى الانفعال - عبارة النص
 بالضبط هي « الفاعلات والمنفعلات » أي : الأشياء التي تفعل والتي تقبل الفعل . -

طريق التكافؤ . وقد اختط لوكيبس وديمقريطس بأحسن من غيرهما الطريق الحق ووضحا كلا بكلمة واحدة بأن صدرا عن نقطة الابتداء الحقيقية انتى يعينها الطبع . وفى الواقع ان بعض القدماء قد ظن ان الموجود هو بالضرورة واحد وغير متحرك فعلى رأيهم الخلو لا يوجد . وأنه لا يمكن أن توجد حركة فى العالم مادام انه لا يوجد خلو منفصل عن الاشياء . وكانوا يزيدون على ذلك انه لا يمكن ايضا ان يوجد تعدد مادام أنه لا يوجد خلو يقسم الاشياء ويعزلها . على أن دعوى ان العالم ليس متصلا لكن الموجودات التى تؤلفه متعامة مهما كانت منفصلة فذلك يرجع الى القول بأن الموجود متعدد وليس هو واحدا وأن الخلو موجود . وأنه اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة فى جميع الاتجاهات فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاي ماكان بحيث انه لا يوجد أيضا تعدد . وأن الكل هو خلو كله ، يقولون ، انه اذا فرض أن العالم شطره على نحو وشطره على آخر فذلك ايضا أشبه مايكون بفرض مجازف

= متناسبة المقياس على طريق التكافؤ - يعنى ان الجسمين يمكن أن يدخل أحدهما فى الآخر بحيث يتحصل منهما مزيج حقيقى . وقد مثل فيلوبون بالتبيد والماء فان مساهما متناسبة المقياس فى رايه ما دام أن هذين السائلين يمتزجان . وعلى ضد ذلك مسام النار ومسام الخشب فانها لما كانت غير متناسبة المقياس كانت النار تفسد الخشب ولا تختلط به . - بأحسن من غيرهما - أستخلص هذا المعنى من شرح فيلوبون . - نقطة الابتداء الحقيقية التى يعينها الطبع - ليس للنص على هذا الضبط تماما . - بعض القدماء يقصد برمينيد ومدرسة ايليا كما يقول فيلوبون . - فعل رأيهم - أضفت هذه العبارة التى مضمونها متمشى مع سياق النص واكل ما هو وارد الى آخر هذه الفقرة خاص برأى برمينيد ومدرسة ايليا ذلك الرأى الذى هو مبسوط بطريقة قلقلة وغامضة . راجع مناقشة مشابهة لهذه واباطالا لمذهب برمينيد وميليسوس فى الطبيعة ك ١ ب ٢ وما بعده ص ٤٣٣ من ترجمتنا . - وانه لا يمكن أن توجد حركة - هذه النظرية على علاقات الخلو والحركة هى منسوبة بالصراحة الى ميليسوس فى كتاب الطبيعة ك ٤ ب ٨ ف ٥ ص ١٨٩ من ترجمتنا . - منفصل عن الاشياء - أضفت الكلمتين الاخيرتين . - وكانوا يزيدون على ذلك - هذه الكلمات ليست صراحة فى النص ولكن هذا المعنى يفهم من سياق الجملة . - أنه لا يوجد خلو - ليس النص على هذه الصراحة . - يقسم . . . ويعزلها - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - ليس متصلا - وواحدا كما كانت تزعمه مدرسة ايليا . - مهما كانت منفصلة - ليس النص على هذا الوضوح . - اذا كان الموجود هو مطلقا قابلا للقسمة - واذا يؤول أمره الى لا شيء بالقسمة نفسها التى ذهب بها الى اللانهاية . - فمن ثم لا توجد بعد وحدة لاي ما كان - أو بعبارة أخرى وحدة الاشخاص تنعدم مع الاشخاص أعيانها ولما انه لا يوجد بعد من ثم تعدد ممكن فالكل يكون خلو . - شطره على نحو - يعنى أن الاتصال يكون فى شطر العالم والخلو فى الشطر الآخر . - يقولون أضفت هذه الكلمة للدلالة على أن ذلك بقية معارضات برمينيد وأصحابه . - على رأيهم - أضفتها للنقض المتقدم . - لا يوجد حركة فى العالم - وهذا هو المبدأ الاساسى لمدرسة ايليا وهو أن الموجود واحد وغير متحرك . راجع نقض هذه النظرية فى الطبيعة ك ١ ب ٢ وما يليه ص ٤٣٣ من ترجمتنا .

فيه لانه حينئذ الى أى نقطة ولماذا الجزء الفلانى من العالم يكون كذلك ومليئا فى حين أن الجزء الفلانى الآخر مقسوم ؟ وبهذه الطريقة يوصل أيضا على رأيهم الى تأييد انه بالضرورة لا يوجد حركة فى العالم .

٣ - بالصدور عن هذه النظريات وبمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها بحجة أنه ينبغي اتباع العقل فقط انتهى بعض الفلاسفة الى التصديق بأن العالم واحد غير متحرك وغير متناه لانه ان لم يكن كذلك فان الحد بحسبهم لا يمكن الا أن يحاد الخلو .

٤ - تلك هى اذا نظريات هؤلاء الفلاسفة وتلك هى الاسباب التى دفعتهم الى فهم الحق على هذا النحو ، ولا شك فى أنه اذا استمسك بالتدليل العقلية المحضة فذلك يشبه ان يكونا مقبولا ولكن اذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية فيوشك ان يكون من الجنون تأييد آراء كهذه . لانه لا يوجد مجنون ذهب الى هذه النقطة من الضلال ان يجد أن النار والثلج هما شئ واحد بعينه . ولكن خلط الاشياء الجميلة لذاتها بالتى لا تظهر لنا كذلك الا بالاستعمال من غير أن يرى فيها مع ذلك أى فرق عابيتها ، ذلك لا يمكن أن يكون الا نتيجة التيه حقيقى للعقل .

٥ - فاما لوكيبس فانه كان يظنه محيطا علما بالنظريات التى ، مع كونها متفقة مع الحوادث الواقعية المدركة بالحواس ، لم تكن ، بحسب

٣ § - بمعاندة شهادة الحواس والاستهانة بها - يلزم الانتباه الى هذه العبارات الشديدة التى توصف بقوة باتخاذ نهج المشاهدة دون النظريات المنطقية المحضة . راجع ايضا الفقرة السابقة . بعض الفلاسفة - برمينيد وعلى الصوم مدرسة ايليا - أن لم يكن كذلك . . . بحسبهم - أضفت هذه الكلمات التى ظهر لى انها ضرورية لبيان الفكرة . ومع ذلك فان الفقرة لا تزال غامضة ولم أر فيلوبون يفسرها فى شرحه لانه بلا شك لم يكن ليجد فيها أدنى صعوبة .

٤ § - الحق - ربما كان أحسن أن يقال « الحقيقة » التدليل العقلية المحضة - ليس النص على هذا القدر من التاكيد . - فذلك يشبه أن يكون مقبولا - أو أيضا : « ان الاشياء تشبه أن تمضى على هذا الوجه » . - اذا أريد اعتبار الحوادث الواقعية - راجع مقلمتى لكتابه الميتودولوجيا على نمط المشاهدة عند القنماء وعلى الاخص عند أرسطو ص ٤٦ وما بعدها . - يوشك أن يكون من الجنون - من الصعب أن تصاب نظريات مدرسة ايليا العقلية المحضة بأكثر من هذه الشدة . - الاشياء الجميلة لذاتها - هذه النقطة لم يشرحها أيضا فيلوبون وفيها خفاء . فان كلمة النص التى ترجمتها « الجميلة لذاتها » فيها ابهام وهى تدل على الاشياء الطيبة كما تدل على الجميلة . وقد يكون المعنى أن أرسطو يسمي على مدرسة ايليا انها تقصد قاعدة الاخلاق بخلطها بين الخير والشر . وهذا المعنى هو الذى ارتآه بعض الشراح المتأخرين .

٥ § - فاما لوكيبس - راجع عن آراء لوكيبس وديمقريطس فى الخلو كتاب الطبيعة كدب ٨ ص ٣ وما بعدها ص ١٨٧ من ترجمتنا . ومع ذلك فان أرسطو يبين =

مذهبه ، لتعرض للكون ولا للفساد ولا للحركة ولا للتعدد في الموجودات . ولكن بعد هذا التسامح الذي أسداه الى حقيقة الظواهر قد أسدى غيره الى اولئك الذين يقبلون وحدة الموجود بحجة انه لا يوجد حركه ممكنه بدون الخلو . ويقبل القول بأن الخلو هو اللاموجود وأن اللاموجود ليس هو شيئا مما هو موجود . واذا ، على رايه ، الموجود بالمعنى الخاص هو متعدد للغاية . والموجود على هذا المعنى لا يمكن أن يكون واحدا . وعلى العكس أن هذه العناصر تكون غير متناهية في العدد وتكون فقط غير مرئية بسبب لطافة حجمها للغاية . ويزيد على ذلك لوكييس أن هذه الجزئيات تتحرك في الخلو لانه يقبل الخلو ، وأنها باجتماعها تسبب كون الاشياء وبانحلالها تسبب فسادها ، وأن الاشياء تفعل أو تنفعل تبعاً لما أنها تتماس على طريق التكافؤ . وأنها على ذلك ليست هي شيئا واحدا بعينه ، وأنها بتركيبها واشتباكها بعضها ببعض تكون العالم كله . ويستنتج لوكييس من هذا أن التعدد لم يكن ليخرج البتة من الوحدة الحقة كما أن الوحدة لا يمكن أن تأتي أيضا من التعدد الحق وأن كل هذا هو محال على الاطلاق من جهة ومن أخرى . وأخيرا كما أن أمبيدقل وبعض الفلاسفة الآخرين يزعمون أن في الاشياء الفعل الذي تقبله وتعاليه هو يحصل فيها بواسطة المسام فكذلك يرى لوكييس أيضا أن كل استحالة للاشياء وكل انفعال لها إنما يحصل على هذا النحو نفسه وأن الانحلال والفساد يكونان بواسطة الخلو ، والنمو حاصل كذلك بواسطة الجزئيات الجامدة التي تدخل في الاشياء .

= عليه هنا شدة الاحتمام بلوكييس أكثر منه في كتاب الطبيعة حيث يقول عنه وعن استاده : « انهما لم يطا عتبة المسألة » . - بحسب مذهب - زدت هذه العبارة لاطمأ السكرة - ولا للحركة ولا للتعدد - وبالجملة كل ما تشهد لنا نحواس بأنها حقائق بينة . - الذي أسداه الى حقيقة الظواهر - ليس النص على هذه الصراحة : - الا موجود ليس هو شيئا مما هو موجود - يظهر أن هذا هو تكرير محض ولكنه وارد في النص . على رايه - أضفت هاتين الكلمتين . - متعدد للغاية - أظن ان هذا هو الرواية الحقة وهي متلفة مع سبكه النص وفي بعض النسخ « ملء للغاية » ملء بالتمام « وليس بين الروايتين الا تغيير حرف واحد . - هذه المقاصر - التزمت هنا أن أوضح التعبير الذي جملة النص غير محدد . - لطافة حجمها للغاية - تلك هي اللزوات المقبولة أيضا عند ديموقريطس استاذ لوكييس . - ويزيد على ذلك لوكييس - ليس النص على هذا الضبط ولكن المعنى الذي أعطيه يستفاد من أسلوب الجملة الإغريقية نفسها . - شيئا واحدا بعينه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - العالم كله - أضفت هذه العبارة لكيلا أكون ما قيل آنفا . - ويستنتج لوكييس من هذا - ليس النص على هذه الصراحة . - الذي قبله وتعالاه - ليس في النص الا كلمة واحدة . - بواسطة المسام - و . ما سبق في ١ - بواسطة الخلو - تكرير لما قيل آنفا في هذه الفقرة نفسها . - التي تدخل - أو التي « تتولج »

٦ - وأما أمبيدقل فينبغي ضرورة أن يقول قول لوكيبس تقريباً لأنه يقول بأنه يجب أن يوجد جزئيات جامدة وغير قابلة للتجزئة إذا كانت المسام ليست متصلة مطلقاً . ولما أن هذا الاتصال للمسام محال لأنه حينئذ لا يمكن وجود شيء جامد ، إلا أن يكون هو المسام ، والكل بلا استثناء لا يكون بعد إلا خلوا ، فحينئذ يلزم على رأي أمبيدقل أن الجزئيات التي تنماس تكون غير قابلة للتجزئة وأن المسافات وحدها التي تفصلها تكون خلوات ، وهذا هو ما يسميه المسام . وهذه الآراء هي أيضاً آراء لوكيبس في الفعل والانفعال في الأشياء .

٧ - تلك هي الايضاحات التي أعطوها عن الوجه الذي تكون به الأشياء تارة فاعلة وتارة منفعة . وحينئذ يرى مبلغ ماعليه في الحقيقة هؤلاء الفلاسفة وكيف يعبرون آراءهم في هذا الصدد مؤيدين مذاهب تكاد تكون مطابقة للحوادث .

٨ - ولكن في نظريات فلاسفة آخرين كأمبيدقل يلج ، بجلاء أقل ، كيف يندر كون الاشتياء وفسادها واستحالتها والطريقة التي بها تقع هذه الظواهر . فعلى رأي البعض أن العناصر الأولية للأجسام هي غير

§ ٦ - وأما أمبيدقل - ر . ما سبق ف ٢ حيث يظهر أن أمبيدقل أنزل من أجل هذه النظرية في منزلة أدنى من ديمقريطس ولوكيبس . - جزئيات جامدة وغير قابلة للتجزئة - وفي هذا المعنى يقرب أمبيدقل من مذهب اللوات . - ليست متصلة مطلقاً - يعني تلامس مباشرة بعضها بعضاً . ولكن فكرة المسام عينها تستلزم ضرورة حواجز جامدة تفصلها وتغزلها بعضها عن بعض . - هذا الاتصال للمسام . النص ليس على هذا القدر من الصراحة وعبارة غير محددة . ولكن المعنى مع ذلك لا يمكن أن يكون محالاً للشك إلا أن يكون هو المسام - وربما كان أحسن « بجانب المسام » . - على رأي أمبيدقل - زدت هذه الكلمات . - التي تنماس - وتكون بنوع ما حواجز للمسام . - وحدها هذه الكلمة ليست في النص ولكن ظهرت لي مفيدة في اتمام الفكرة . - هي أيضاً آراء لوكيبس - نتيجة وتكرار لما قيل في أول هذه الفقرة .

§ ٧ - تارة فاعلة وتارة منفعة - أو أيضاً « تفعل وتنفعل » . - هؤلاء الفلاسفة - هذا ينطبق بالأخص على لوكيبس وديمقريطس . - تكاد تكون مطابقة للحوادث - ر . ما سبق ف ٤ .

§ ٨ - كامبيدقل - هذا يشبه أنه مناقض لما قيل في ف ٦ حيث آراء أمبيدقل معتبرة لصيقة بآراء لوكيبس التي ووفق عليها . - فعلى رأي البعض - يعني الفلاسفة الآخرين ما عدا أمبيدقل . - غير قابلة للتجزئة - هي الجواهر الفردة . - تركيب الأجسام في البداية - تكرير لما سبق . - العظم - مهما كان . - يعني غير متناه في الصغر مادام الأمر خاصاً بالذرات . - أن النار ذاتها عنصر . - فيها شيئاً ك ٢ ب ٢ ف ٦ رأي أمبيدقل في النار التي هي على رأيه خليط وبالنتيجة ليست عنصراً حقيقياً . - وقد أيد أفلاطون النظرية عينها - النص أقل صراحة . - في طيماسوس - ر . ترجمة - كوزان ص ١٦١ و ١٦٧ ربما بعدها . - إلا سطوحاً - ربما لم يقل أفلاطون ذلك صراحة =

قابلة للتجزئة ولا تختلف بينها الا بالصور ، ومن هذه العناصر تتركب الاجسام فى البداية وانها تتحلل فى النهاية . ولكن من جهة أمبيدقل فقد يرى على كفاية الوضوح أنه يبلغ بكون الاشياء وفسادها الى العناصر أنفسها . على أنه كيف يمكن أن يكون وأن يفسد العظم الملتك لهذه العناصر ؟ هذا هو ما ليس بينا البتة فى مذهبه . بل زيادة على ذلك أن هذا مالا يستطيع تبينه مادام أنه ينكر أن النار ذاتها عنصر كما ينكر أيضا على السواء وجود جميع العناصر الاخرى . وقد أيد أفلاطون النظرية عينها فى طيمائوس لانه فضلا على أن أفلاطون يعبر فى هذه النقطة مثل لوكييس فان أحدهما يقبل أن التى لا تتجزأ هى جوامد والاخر أنها ليست الا سطوحا ، وأن أحدهما يقرر أن جميع الجوامد التى لا تتجزأ هى محدودة بأشكال عددها غير متناه والاخر أن لها أشكالا متناهية ومضبوطة . والنقطة الواحدة التى فيها يتفق الاثنان جميعا أنهما يقبلان وجود التى لا تتجزأ وتحديدها بأشكال .

٩ - اذا كان حقا أن من ذلك فى الواقع تاتى أكوان الاشياء ، وفساداتها فمن ثم يوجد عند لوكييس لادراكها طريقتان الخلو والتماس . وعلى هذا النحو ، على رأيه ، أن كل شىء قد يكون متميزا ومنقسما . ولكن عند أفلاطون الامر على الضد ليس الا التماس وحده مادام أنه يرفض وجود خلو . وقد تكلمنا فى بحوثنا السابقة على مذهب السطوح التى لا تتجزأ ، وأما الجوامد التى لا تتجزأ فليس هاهنا محل لفحص أطول من ذلك عن نتائج هذه النظرية التى نلعبها الآن الى جانب .

١٠ - ولكن اذا نحن استطرنا بعض الشىء نقول أنه ضرورة فى هذه المذاهب كل مالا يتجزأ فهو يجب أن يكون غير منفعل لانه لا يمكن

= ولكن هذا هو النتيجة الضرورية لنظرياته . - متناهية ومضبوطة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - والنقطة الواحدة التى فيها يتفق الاثنان - ليس النص على هذه الصراحة . - وجود التى لا تتجزأ - لا يظهر أن أفلاطون يقبل مذهب الجواهر الفردة تماما على النحو الذى يظهر أن أرسطو يقوله هنا .

٩ § - فساداتها - أو د انفصالاتها ، وكلمة النص ليست أكثر من ذلك شيئا . على رأيه - زدت هذه العبارة . - قد يكون متميزا ومنقسما - وضعت هاتين الكلمتين لادنى قوة كلمة النص الواحدة . - الا التماس وحده - يعنى أن السطوح بتلاصها تنتهى بأن تتركب الاجسام . ولا أدنى هل هذا هو فى الحق معنى لنظرية أفلاطون . - على بحوثنا السابقة - ر . كتاب السماء ل ٣ ب ١ ف ١٤ وخصوصا ب ٧ و ٨ حيث نظرية أفلاطون مقبوضة بالتطويل . - السطوح لا تتجزأ - هذا هو مذهب أفلاطون . - أما الجوامد التى لا تتجزأ - هذا هو مذهب الجواهر الفردة الذى هو مذهب لوكييس جوديمقريطس . - نتائج هذه النظرية - ليس النص يبين هكذا .

١٠ § - فى هذه المذاهب . - أضفت هذه الكلمات التى ظهرت لى ضرورة لاتمام =

أن يكون منفعلا وقابلا أى فعل ما الا بالخلو الذى هو غير مقبول عندهم .
وهو كذلك لا يمكنه ان يحدث أى فعل ما فى أى شيء اتفق مادام أنه لا
يمكن أن يكون لا صلبا ولا باردا مثلا . وفى الحسب أنه من السخف
الاقتصار على تخصيص الحرارة بالشكل الكرى وحده فقط لانه من ثم
يكون بالضرورة الكيف المضاد ، أعنى البرودة ، يتعلق بشكل آخر غير
الكرة . ولكن اذا كان هذان الكيفان يوجدان فى الاشياء ، أعنى الحرارة
والبرودة ، فيكون من السخف الاعتقاد بأن الحفة والثقل والصلابة والرخاوة
لا يمكن أن تكون فيها أيضا . وانى أعترف بأن ديمقريطس يزعم أن كل
مالا يتجزأ يمكن أن يكون أكثر ثقلا اذا كان أكبر حجما بحيث انه ، بالبين
بذاته أيضا ، يمكن أن يكون أكثر حرارة .

١١ - ولكنه من المحال ، متى كان الامر على ما يقال ، أن تلك التى
لا تتجزأ لا تقبل تأثيرا ما بعضها من قبل البعض الآخر ، وأن ماهو متوسط
الحرارة مثلا لا يقبل تأثيرا من قبل ما له حرارة أكثر منه للغاية . ولكن
اذا كان الصلب يقبل تأثيرا فالرخو أيضا يجب أن يقبل تأثيرا لانه لا يقال
على شيء انه رخو الا مع الاستحضار الذهنى لفعل يمكنه احتماله مادام
الجسم الرخو هو بالضبط هذا الذى يطاوع الضغط بسهولة .

١٢ - ومع ذلك ليس أقل سخفا ألا يقبل فى الاشياء مطلقا شيء الا
الصورة واذا تقبل الصورة فمن السخف ألا يفترض فيها الا واحدة إملا

= الفكرة التى يجيزها تفسير فيلوبون . الذى هو غير مقبول عندهم - أضفتها للسبب
المتقدم . من السخف - هذا التعبير القاسى قد كرر عدة مرات فى هذه الفقرة ولكنه
وأرد فى النص كما هو فى الترجمة . - الشكل الكرى وحده فقط . - ر . طيماس
أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٥٣ و ١٦٧ وما بعدها . وربما لا تكون عبارة طيماس
من التاكيد على ما يزعم أرسطو . - اذا كان أكبر حجما - النص هنا بين الدقة لما
به من الايجاز . ويظهر مع ذلك أن كل الدرات قد يجب أن تكون متساوية بينهما
وأن احدهما لا ينبغي أن تكون أكثر ثقلا من الاخرى .

§ ١١ - على ما يقال - النص أقل بيانا . - لا تقبل تأثيرا - أولا تفعل . -
ما هو متوسط الحرارة - هذا هو الواقع المعلوم الذى هو توازن الحرارة . فان شئت
غير متساويى الحرارة يصيران متساويين . بأن يفعل أحدهما فى الآخر . - ولكن اذا كان
الصلب يقبل - ليس النص على هذه السمة . - يطاوع الضغط بسهولة - ر .
الميتورولوجيا ك ٤ ب ٤ ف ٦ وما بعدها ص ٢٩٨ من ترجمتى .

§ ١٢ - ومع ذلك ليس أقل سخفا - هذا الانتقاد موجه على الإخص بغير شك
الى أفلاطون . - الصورة - هذا التعبير محمول هنا على معنى مهم ما دامت القرينة
تبين أن معنى الصورة أيضا الخاصية . وفى الواقع أن اثار والبارد خاصيتان وليسته
صورتين بالمعنى الخاص . - لهاتين الظاهرتين المتقابلتين - أضفت الكلمة الاخيرة .

مثلا البرودة واما الحرارة لانه لا يمكن أن يوجد طبع واحد بعينه يتبين
الظاهرتين المتقابلتين .

١٣ - وفي الحق اذا من المحال أيضا على سواء أن يفترض أن الموجود
مع بقاءه واحدا يمكن أن تكون له عدة صور لانه بما هو لا يتجزأ قد يعانى
تغايره المختلفة فى النقطة عينها . وبالنتيجة فعينا ينفع ، فيبرد مثلا ،
وبهذا عينه يحدث أيضا فعلا آخر أو بل يقبل أى تأثير آخر اتفق .

١٤ - يمكن استخدام هذه التنبيهات أنفسها بالنسبة لجميع التغيرات
الآخرى لانه سواء قبل القول بجوامد لا تتجزأ أو قبل القول بسطوح
لا تتجزأ فالنتائج تكون هى أنفسها مادام ليس ممكنا أن اللامتجزئة تكون
تارة أكثر تخلخلا وتارة أكثر كثافة اذا لم يوجد خلو فى اللامتجزئة .

١٥ - وكذلك من السخف على السواء تماما افتراض أن أجساما
صغارا هى غير قابلة للتجزئة وأن أجساما كبارا لا تكونه . ففى الحالة
الحاضرة للاشياء يفهم العقل فى الواقع أن الاجسام الكبرى يمكن أن تتفتت
بأسهل جدا من الصغرى مادام أنها تتحلل بدون عناء لانها كبيرة وأنها
تتلامس وتتصادم فى كثير من النقط . ولكن لماذا اللامتجزئة قد توجد
مطلقا فى صغار الاجسام بالاولى من أن توجد فى الكبار ؟ .

§ ١٣ - مع بقاءه واحدا - ليس النص على هذه الصراحة . بتغايره المختلفة -
زدت الكلمة الأخيرة . فى النقطة عينها - الكلمة التى استعملت فى النص غير محددة
فاضطرت الى زيادة الضبط . - يحدث أيضا فعلا آخر - المعنى ليس جليا وكان
يقتضى توسعا فى التعبير . - أى تأثير آخر اتفق - هنا أيضا ترجمتى أكثر ضبطا
من النص .

§ ١٤ - بجوامد لا تتجزأ - هذا هو منهج لوكييس وديقريطس . - بسطوح لا تتجزأ
هذا هو منهج أفلاطون . ر : ما سبق ف٩ . - أن اللامتجزئة - عبارة النص ليست
محدودة تماما . - فى اللامتجزئة - هذه هى عبارة النص بعينها .

§ ١٥ - أجساما صغارا - الجواهر الفردة مفروض أنها على نهاية ما يمكن من
الدقة بحيث تعزب عن مشاهدتنا . وقد استنتج أنها غير قابلة للقسم لانهما أصغر
من أن تقسم .

- ففى الحالة الحاضرة للاشياء - عبارة النص هى : « الآن » . - تتحلل - قد
يكون أولى «تجزأ» . - وانها تتلامس وتتصادم فى كثير من النقط - ليس فى النص
لا كلمة واحدة . - مطلقا - ليس فى النص الاغريقى الا هذه الكلمة وحدها والتعبير
أوجز مما ينبغى وكان يلزم التوسع فيه لجعل المعنى أبين من ذلك . فاذا كانت الجواهر
الفردية غير قابلة للتجزئة بطبيعتها فصغرها وكبرها لا دخل له فسواء كانت كبيرة أم
صغيرة فانها تظل غير قابلة للتجزئة وعلى ما جبلها الطبع .

١٦ - وفوق ذلك كل هذه الجوامد هل هى من طبع واحد بعينه أم هل هى تختلف بعضها عن بعض بما أن بعضها من النار والآخر من الأرض بحسب كتلتها ؟ فإذا لم يكن إلا طبع واحد بعينه لجميعها فماذا عسى أن تكون العلة التى قسمتها ؟ بل لماذا بتماسها لا تجتمع كلها بالتماس فى كتلة واحدة بعينها كالماء حينما يلامس الماء ؟ فإن الماء الاخير المضاف لا يختلف فى شيء عن الماء الذى كان يتقدمه . ولكن اذا كانت هذه التى لا تتجزأ يختلف بعضها عن بعض فحينئذ ماذا تكون ؟ بين بذاته أنه يلزم التسليم أن هذه هى مبادئ الظواهر وظلالها أولى من أن تكون مجرد أشكال لها ، ومن جهة أخرى اذا قيل انها مختلفة الطبع فحينئذ يمكنها يتلانسها المتبادل أن تفعل أو تنفعل بعضها بالآخر .

١٧ - أكثر من ذلك ، ماذا سيكون المحرك الذى يوقعها فى الحركة ؟

١٦ - وفوق ذلك - رد آخر بعد الردود السابقة . - كل هذه الجوامد - المتبررة أنها جواهر فردة أو ذرات غير قابلة للقسمة . - بما أن بعضها من النار - على حسب ما يظهر انه ينتج على الخصوص من النظريات المقررة فى طيماسوس . - التى قسمتها - أو « فصلت بعضها عن بعض » . وهنا القسمة أو الفصل يشبه أنها ترجع أيضا الى مجرد عدم المشابهة . - بتماسها - أو « بعد أن تلامست على طريق التبادل » . - فى كتلة واحدة بعينها - عبارة النص غير محددة . - كالماء - المثل على الأقل واضح جدا لان الماء ينضم الى الماء بلا أدنى عناء . وإن الذرات يجب أن تجتمع بعضها مع بعض على هذا النحو بسبب تماثلها الطبيعى . - الماء الاخير - هذه هى عبارة النص بعينها . - المضاف - هذه الكلمة ليست فى النص فحينئذ ماذا تكون ؟ - هذه سؤال موجه الى مذهب أفلاطون ومذهب لوكيئس الذى يريد أرسطو بلا شك أن يعيب عليه أنه لم يلج فى هذه النقطة قدر الكفاية . - مجرد أشكال لها - المسلم بها فى نظريات أفلاطون ونظريات لوكيئس . - اذا قيل - ليس النص على هذه الصراحة . - تفعل أو تنفعل - فى حين أنه فى المذاهب التى يطن فيها أرسطو تعتبر الجواهر الفردة غير قابلة للانفعال . ر ١٠ ما سبق ف ١٠

١٧ - ماذا سيكون المحرك الذى يوقعها فى الحركة ؟ ليس النص على هذه السعة . - مخالفا لها - معنى اجنبيا منها وخارجا عنها . - ما لا يتجزأ قابلا - وهو فى النص أيضا بصفة المفرد ولكن الجمع ربما كان أولى ما دام المقصود هو الجواهر الفردة . فإن ما لا يتجزأ يصير قابلا بما هو يقبل ويعانى الحركة التى يوصلها اليه المحرك . - اذا كان كل ما لا يتجزأ يحرك نفسه - من غير أن يتلقى الحركة من الخارج . - محرك فى جزء ومحرك فى جزء آخر - قد وضع فى « الطبيعة » أن المحرك الذى يعطى الحركة الذاتية لنفسه يجب أن يفهم على أن له جزأين أحدهما يتلقى الحركة التى يعطىها له الآخر ، مع أنه يبقى بأكمله غير متحرك . ر . الطبيعة ك ٨ ب ٦ ف ٥ ص ٦٠١ من ترجمتنا . - فى الشيء بعينه - وهو محال لان الضدين لا يجتمعان فى آن واحد فى شيء واحد بل يجب أن يتعاقبا عليه . - بالعدد - أو بالشخص . - بل بالقوة أيضا - يعنى أنها يمكن أن تتفعل بالضدين معا . وكلمة بالقوة هنا ليس لها معناها العادى .

إذا كان هذا المحرك مخالفا لها فحينئذ يكون مالا يتجزأ قابلا . وإذا كان كل مالا يتجزأ يحرك نفسه فاما أن يصير قابلا للتجزئة بما هو محرك في جزء ومحرك في جزء آخر واما أن يجتمع النقيضان في الشيء بعينه معا . وحينئذ تكون المادة واحدة لا بالعدد فقط بل بالقوة أيضا .

١٨ - وحينئذ هؤلاء الذين يزعمون أن التغيرات التي تقبلها الاجسام تكون بحركة المسام يجب عليهم أن ينتبهوا ، لانهم اذا سلموا بأن الظاهرة تقع حتى لو كانت المسام مليئة لاستعاروا حينئذ للمسام وظيفة غير مفيدة قطعاً مادام أنه اذا انفصل الجسم في هذه الحالة بالطريقة عينها يمكن افتراض أنه ، بدون أن يكون له مسام وبما هو نفسه متصل ، قد يمكنه أيضا أن يقبل بالتمام كل ما يقبل .

١٩ - ولكن كيف يمكن أن يحصل النظر بالطريقة التي يفسر بها في هذا المذهب ؟ ليس أكثر امكانا في الواقع أن يمر بالتماسات من خلال الاشياء الشفافة منه في خلال المسام اذا كانت المسام كلها مليئة . فإين يكون الفرق اذا بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة مادام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ بل اذا كانت هذه المسام ذاتها مفترضة خالية وإذا كان فيها أجسام فحينئذ تعود الصعوبات أنفسها . ولكن اذا افترض ان المسام ذات امتدادات صغيرة بحيث لا تستطيع بعد أن تقبل

§ ١٨ - يجب عليهم أن ينتبهوا - ليس للنص على هذا القدر من البسيط فظننت واجبا على أن أقسم الجملة والفكرة لاجلها أكثر بيانا . - حتى لو كانت المسام مليئة - أو « مملوءة » بالمواد التي يمكن أن تحتازها لتعمل في الاجسام وتغيرها بأية طريقة كانت . - الفعل «... بالطريقة عينها - ويعني الفعل الذي قد يعاين بدون أن يكون له مسام أو اذا كانت المسام خالية . - كل ما يقبل - أضفنا هذه الكلمات .

§ ١٩ النظر - من خلال الاوساط وكما قيل آنفا « من خلال الاجسام الشفافة » التي هي مفترضة ذات مسام يمر منها الضوء . - بالتماسات - حفظت عبارة النص على حالها مع كونها غامضة . ولم يك شرح فيلويون ليزيل هذا القموض . وقد ينبغي أن يفهم أن الضوء انما يلامس سطوح الاجسام الشفافة وينفذ فيها هكذا . - اذا كانت المسام كلها مليئة - بجسم يكون الضوء مضطرا لطرفه أمامه ليأخذ مكانه ويجاز الجسم الشفاف . - بين أن يكون لها مسام وبين ألا يكون لها البتة - ليس في النص هذا التردد الذي ظهر لي ضروريا لتبيين الفكرة . - ما دام أن الكل سيكون مليئا على السواء ؟ - أما باتصال الجسم نفسه واما بامتلاء المسام . - هذه المسام - النص غير محدود تماما . - الصعوبات أنفسها - التي جرى على بيانها . ويقال في الجزئيات الموجودة في المسام ما كان يقال أولا في المسام أنفسها . - أن الصغير خال - حفظت بساء جملة النص على ما هو عليه . والمراد بالصغير هنا الجسم القليل الامتداد . - أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم - الفكرة غامضة قليلا ولم أجد في شرح فيلويون شيئا يوضحها على قدر الكفاية .

أى جسم اتفق فإن من سفيه الرأي أن يتصور أن الصغير خال وإن الكبير ليس كذلك مهما كانت سعته وأن يتمشى بالاعتقاد إلى أن الخلو هو شيء آخر غير مكان الجسم بحيث أنه ، كما هو بين بذاته ، يلزم أن يكون الخلو دائما على مقدار مساو للجسم نفسه .

٢٠ - وعلى جملة من القول فإنه غير مفيد افتراض مسام . فإذا كان جسم . لا يفعل في آخر بمسه فلن يفعل أيضا بأن يخترق مسام . وإذا كان إنما يفعل بالمس فحينئذ ، حتى بدون مسام ، تفعل الاجسام أو تقبل الفعل كلما وضعها الطبع أحدها تلقاء الآخر في علاقة من هذا القبيل .

٢١ - والحاصل أنه يرى من كل ماتقدم أن تصور مسام على الوجه الذى فهمها به بعض الفلاسفة إنما هو خطأ كامل أو فرض باطل . فإن الاجسام بما هي قابلة للتجزئة مطلقا في كل جهة فمن السخرية افتراض مسام مادام أن الاجسام بما هي قابلة للتجزئة يمكنها دائما أن تنفصل .

§ ٢٠ - وعلى جملة من القول - هذا هو محصل المناقشة السابقة . وقد أستنتج: أرسطو أن نظرية الفعل والانفعال لا حاجة بها إلى فرض المسام الذى تخيله بعض الفلاسفة . في آخر - أضفت هاتين الكلمتين . - وإذا كان إنما يفعل بالمس - يعنى: بأن يلمس مباشرة الشيء الذى يقع عليه فعله . - كلما وضعها الطبع - ليس النص على هذا القدر من الضبط .

§ ٢١ - إنما هو خطأ - ملخص كل هذه المناقشة . - قابلة للتجزئة مطلقا في كل جهة - ليس في النص الا كلمة واحدة . - أن تنفصل - وتعمل لانفسها مسام كما فسره فيلويون .

الباب التاسع

تفاصيل جديدة على نظرية كون الأشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة - الانفعال
التي تحصل عند التماس وعلى بعد - توضيح ديمقريطس لمحى السكزي - تحول اشكال
الاجسام اذ تتغير بالحال دون ان تتغير بالمكان - خاتمة نظرية الفعل والانفعال .

§ ١ - أما نحن فائناً صاعدين الى المبدأ الذي طالما قررناه نعيد
ايضاح الطريقة التي بها الكون والفعل والانفعال تقع في الأجسام . في
الواقع اذا كان شيء له الخاصة الفلانية تارة بالقوة المحضة وتارة بالفعل
وبالكمال واذا كان يمكنه بالطبع ان ينفع في واحد معين من اجزائه ولا
ينفع في الآخر ولكن في مجموعه ينفع بنسبة ماله من هذه الخاصة .
فمن البين انه سينفع أكثر أو أقل تبعاً لما ان هذه الخاصة فيه أكثر شدة
أو أقل . على هذا الوجه على الاخص قد يمكن بكثير سهولة التسليم
بوجود المسام ، وتكون حالها على ذلك في الاجسام كما هو الحال في
المعادن تمتد أحياناً عروق متصلة من المادة القابلة لانفعال ما .

§ ٢ - على ذلك كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً كان غير.

§ ب ١ ف ١ - المبدأ الذي طالما قررناه - وهو التمييز بين ما هو بالقوة وما هو
بالفعل كما سيرد في السطور الآتية . - بالقوة المحضة - أضفت كلمة « المحضة »
- بالفعل وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة . فان التمييز بين ما هو بالقوة
وما هو بالفعل هو أحد المبادئ الأساسية للمذهب المشائي . ولكن قد يرى ان تطبيقه
هنا ليس واضحاً جداً ولا فاعلاً جداً لايضاح نظرية المسام . - واذا كان يمكنه
بالطبع . . . - قد تركت للجملة اليونانية طولها كله لكيلا أغرق تأليفها في النص : -
قد يمكن بكثير سهولة التسليم - عبارة النص ليست عن هذا : القدر من البيان ولو أن
عبادتي في الترجمة ليست على ما كنت أريد أن تكون من الجلاء - وتكون حالها على ذلك
في الاجسام - في الحق أنها لا تكون بعد مسام بل تكون فقط بعض أجزاء من مادة
الجسم أكثر قابلية من غيرها لقبول ثلاث الفلاني أو الفلاني . . . - كما هو الحال في
المعادن - المشاهدة مع ذلك حقة ، وليس ولا واحد الا شاهداً : - القابلة لانفعال ما .
- ليس النص على هذا القدر من البيان .

§ ٢ - كلما كان الشيء متجانساً وكان واحداً - أو بعبارة أخرى الا يكون مستجباً
للمراقبة المطلوبة لينفع أو ليحدث فعلاً ما جذم أن الشيء لا يمكن أن يفعل في نفسه
وكان الشيء لا يفعل في الشيء ولا يقبل منه : - كان غير قابل - بعزل عن كل فعل
وكل انفعال أت من ذاته : - لا تتلامس بينها - بلا واسطة . - أولاً تلامس أغياراً -
تصلح اذا كوسطاء للوصول الى الشيء الذي عليه يقع الفعل . - ان يفعل - بأن ينقله
الى الجسم الحرارة التي للكاما . - وينفع - بأن يقبل مباشرة حرارة النار التي يجبه
أن ينقلها .

قابل . ويجرى هذا المجرى أيضا متى كانت الأشياء لا تتلامس بينها أو لا تلامس أغيارا يمكنها بطبعها أن تفعل أو تنفعل أعني مثلا انه ليس فقط النار تسخن بالتماس ولكنها تسخن أيضا على مسافة لان النار تسخن الهواء والهواء يسخن الجسم لان الهواء بطبعه يمكن أن يفعل وينفعل معا .

§ ٣ - ولكن متى يقال ان شيئا يمكن أن ينفعل في واحد من أجزائه ويمكنه ألا ينفعل في آخر فينبغي ايضاح ماذا يعنى بذلك بعد الحد المعطى في المبدأ ، فاذا كان في الواقع العظم ليس هو مطلقا قابلا للتجزئة في جميع الجهات لكن فيه شيئا ما جسما كان او سطحا يكون غير قابل للتجزئة فيه فقد ينتج من ذلك أنه لا يوجد بعد من عظم يمكن أن يكون يكله قابلا ، بل قد لا يكون بعد من شيء أمكن أن يكون متصلا . وحينئذ اذا كن ذلك خطأ وكان كل جسم قابلا للتجزئة دائما فلا يهم بعد أن يكون الجسم مقسوما فعلا وبهذه الصفة قابلا للتماسات أو يكون بالبساطة قابلا للتجزئة لانه ما دام يمكن أن يكون مقسوما في نقط التماس ، كما هو المدعى ، يمكن اعتباره كأنه مقسوم حتى قبل أن يكون ويكون قابلا للقسمة ما دام أنه لا شيء مما هو محال يكون أبدا .

§ ٣ متى يقال أنه يمكن ترجمتها أيضا « متى أقول » فإن الفرق بينهما غير بين في النص . - بعد الحد المعطى في المبدأ - قربت الترجمة من النص بقدر ما استطعت ولكن الفكرة لا تزال غامضة ولم يشح شرح فيلوبون في جلائها شيئا . فقد ينتج من ذلك - عبارة النص ليست مضبوطة ولكن هذا المعنى يظهر أنه ينتج لزوما مما يلي . - يمكن أن يكون بكله قابلا - ر : الفقرة السابقة . - أمكن أن يكون متصلا - لان النهايات منعزلة بعضها عن بعض وما دامت منفصلة هكذا لا يمكن أن يكون لها الاتصال الذي هو ضروري لتأليف جسم . - وكان كل جسم قابلا للتجزئة - هذه هي نظرية أرسطو المبسوطة مرادا في « الطبيعة » - مقسوما . . . قابلا للتجزئة - هذا هو ما بالفعل وما بالقوة . - في لفظ التماس - عبارة النص هي : « بحسب التماسات » . - لا شيء . - كما هو محال يكون أبدا - هذا المبدأ يديهي للغاية ولكن لا يرى وجه اتصاله بما سبق . وقد أفرغت جهدي في استجلاء هذه الفقرة فلم أنجح ولم أجدهم الشراح بما فيهم سبان توماس قد نجحوا في ذلك أيضا . وهاك تفسيرنا يساعده بالاقبل على تسلسل المعاني : « لكي تفسر ماهية الفعل والافعال في الاشياء يلزم التسليم بأنه من المحال أن شيئا يقبل فعلا ما » . « في واحد من أجزائه ولا يفعله في الجزء الآخر » فالشيء أما أن يكون بكله قابلا وأما أن يكون بكله فاعلا . فاذا سلم بالذرات فحينئذ يمكن ألا يكون الشيء بعد قابلا بكليته ولكن بذلك أيضا ينقطع عن أن يكون متصلا . وإذا فذهب للذرات باطل . وكل عظم هودائعا وعلى الإطلاق قابل للقسمة دون أن يمكن الوصول الى جزئيات لا تتجزأ . ويكاد لا يهم ما اذا كانت القسمة واقعة ماديا أن ممكنة امكانا مجردا على وجه ذهني صرف . ويكفى إمكان حصولها ليكون الجسم الخارج منها له دائما وحدته وأن يكون بالنتيجة في مجموعه اما فاعلا واما قابلا .

§ ٤ - وان ما يجعل سخيلاً تماماً تقرير ان الفعل والانفعال يحصلان على هذا النحو بشق الاجسام هو ان هذه النظرية تمحو الاستحالة وتفسدها . وعلى هذا نحن نرى ان جسماً بعينه دون ان ينقطع عن ان يكون متصلاً هو تارة سائل وتارة متجمد دون ان يقبل هذا التحول لا بقسمة أجزائه ولا بانحادهما ولا بنقلتها ولا بتماسها كما يزعم ديمقريطس . لان الجسم ما كان ليغير وضعه ولا ليغير مكانه ولا ليغير طبعه ليصير متجمداً بعد ان كان سائلاً . وليس يرى أيضاً ان الاشياء المتصلبة والمتجمدة تكون حالاً غير قابلة للتقسمة في كتلتها بل الجسم بأكمله يكون على السواء سائلاً وأحياناً يصير بأكمله صلباً ويتجمد .

§ ٥ - وأخيراً ، في هذا المذهب قد لا يمكن بعد وجود نمو الاشياء ولا اضمحلالها لانه لا جسم يمكن ان يصير أكبر اذا لم يكن هناك الا مجرد اضافة واذا لم يتغير بأكمله على اثر اختلاط بشيء أجنبي او على اثر تغير ما يحصل فيه .

§ ٤ - الفعل والانفعال - النص غير محدد تماماً ولكن أحد المعنى اعطاه على تفسير فيلوپون . على هذا النحو - معنى بواسطة المسام التي اقترعها بعض الفلاسفة . يشق الاجسام - حفظت عبارة النص بمعناها ، فان الاجسام هي نحو ما مشقة بالمسام التي تتخللها . - تمحو . . . وتفسدها - ليس في النص الا كلمة واحدة . - الاستحالة - معنى ان في هذا المذهب لا يمكن ادراك ظاهرة الاستحالة . - دون ان ينقطع عن ان يكون متصلاً - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - تارة متجمد يضرب فيلوپون مثلاً لذلك اللين الذي هو تارة سائل وتارة متجمد . وقد يمكن الظن كمن الشراح ان المقصود أيضاً هو الماء فإنه تارة سائل وتارة جليد . - بتماسها - على تقدير باجسام أخرى . - كما يزعم ديمقريطس سوى الحق حله في كل ما يستبعد ديمقريطس الى الذرات من الجواهر . - متجمداً - او جليداً . - حالاً - اي في النظام الحالي للطبع . - غير قابلة للتقسمة في كتلتها - يفهم سان توماس من هذا انه لا حاجة بان تتجمد الاشياء او تتجلى الى ان تتخللها ذرات غير قابلة للتقسمة بل هي تكايد هذا التغير في جوهرها الذاتي على السواء - اي في جميع أجزائه بدون ان بعضها يعاني التغير الذي تلازمه الاخرى .

§ ٥ - في هذا المذهب - أضفت هذه الكلمات لتبيين الفكرة . - قد لا يمكن بعد وجود - معنى انه لا يمكن توضيح ما هو نمو الاشياء او اضمحلالها . - الا مجرد اضافة - بان تأتي الذرات فتتضم الى الجسم لتتبعه وتزيد حجمه او أنها تتسحب منه لتقصيه او تهلكه - بشيء أجنبي . - أضفت الكلمة الاخيرة . - يحصل فيه - النص ليس على هذا القدر من الغبط .

§ ٦ - ونحن نقصر على ما أتيننا به من القول فيما يتعلق بكون الأشياء
مفعلاً وتناسلها وتحولاتها المتكافئة . وهذا يكفي على سواء ليفهم على أي
النواحي هذه النظريات تكون ممكنة وكيف لا تكونه بحسب الايضاحات
التي أعطيت عنها أحيانا .

§ ٦ - نقصر - هذا ملخص مضبوط لكل هذا الباب والابواب السابقة من أول الباب
السابع . وإن استطعنا بعد ان فصح مكانا لتوضيح المذاهب الاخرى لم يكفد يفسخ المذهب
الحاص من الايضاح . ما كان يستلعيه من البيان والاطناب .

الباب العاشر

نظرية الاختلاط - من الفلاسفة من انكر ان الاشياء امكنها ان تختلط فيما بينها -
ابطال هذه النظرية - المعنى العام لشروط الاختلاط - الطبع المختلف للجسام المختلطة -
الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق - لكي يوجد اختلاط بين الاشياء يلزم ان يوجد
بينها تجانس بل شيء ان التناسب - النقطة من التبدل في كمية من الماء - سهولة الاختلاط
او صعوبة تبعاً للتخالف في طبع الاشياء وصورتها - خاتمة نظرية الاختلاط .

§ ١ - بقي علينا ان ندرس ما هو اختلاط الاشياء . وسنتبع هاهنا
النمط عينه كما فيما سبق لان هذا هو ثالث الموضوعات التي تصدينا
لفحصها في بداية هذه البحوث . يلزم اذا ان ننظر ما هو الاختلاط وما هو
الشيء القابل لان يخلط وما هي الاشياء التي يمكن ان يقع الاختلاط بينها
وكيف تتحقق هذه الظاهرة .

§ ٢ - ومن جهة أخرى يمكن أيضاً ان يتساءل عما اذا كان يوجد
حقيقة بالفعل اختلاط للاشياء او ان هذا ليس الا ضلالاً . لانه يمكن ان
يظن ان شيئاً لا ينبغي البتة ان يختلط بآخر كما يزعم بعض الفلاسفة .
يقولون انه في الواقع حينما الاشياء التي اختلطت تبقى بعد أيضاً ولم تكن
لتستحيل لا يمكن ان يقال انها الآن أكثر اختلاطاً مما كانت من قبل ،
ولكنها دائماً في الحال بعينها . فاذا أخذ أحد الشيئين ان يبيد في الاختلاط
لا يمكن بعد ان يقال انهما اختلطتا ولكن فقط ان احدهما يوجد وأن الآخر لا
يوجد بعد ، في حين ان الاختلاط لا يمكن في الحق ان يقع الا بين شيئين

§ ب ١٠١ - ثالث الموضوعات - أي مع لاكون والفساد ومع الفعل والانفعال . في
بداية هذه البحوث - فيما سبق ب ١٠١ لم يتكلم ارسطو الا على الكون والنمو والاستعالة .
وكان يظهر ان هذه الثلاثة الموضوعات التي عول على الاشتغال بها . ولست ارى انه
قبة في أي موطن آخر على نظرية الاختلاط . - ماهو الاختلاط - الاسئلة الموضوعه هنا على
الاختلاط هي مماثلة للاسئلة التي وضعت فيما سبق على الكون ب ١ وعلى الفعل ب ٧ .
ومن هذه الجهة فان المؤلف مصيب في قوله انه يتبع النمط الذي اتبعه من قبل .

§ ٢ - ومن جهة أخرى - من المذاهب ما ينكر ان اختلاط الاشياء ممكن البتة . وتلك
المذاهب هي على ما يظهر تلك النظريات التي يلزم مناقشتها باديء بدء لانها تذهب الى حد
مؤلاً ، للفلاسفة بالضبط . - يقولون - اختلفت هذه الكلمة التي تفهم من السياق ما دام
انكار المسألة والقضاء عليها . بعض الفلاسفة - لا شيء يبين في هذا الباب من هم
ان الذي سينمى فيما يلي انما هي الادلة على نفي امكان الاختلاط . - يزيدون . . . على ذلك
اختلفت هذه الكلمات للسبب المتقدم .

يوجدان على السواء • ويزيدون ، أخيراً ، على ذلك انه لا يوجد بعدد اختلاط ، بهذا السبب عينه ، اذا كان الشيئان اللذان يجتمعان يستندان كلاهما بالاختلاط لانه من المحال قطعاً ان أشياء لم تكن بعد البتة يمكنها ان تختلط •

§ ٣ - هذه النظرية ، كما يرى ، الغرض منها أن يتعين فيماذا يختلف اختلاط الاشياء عن كونها وعن فسادها • وأيضاً في أى شيء يختلف الشيء المختلط عن الشيء الكائن وعن الشيء الفاسد ، لانه من البين أنه ينبغي أن يكون الاختلاط مغايراً بافتراض انه واقع بالفعل • ومتى وضحت هذه المسائل تحل المسائل التي وضعناها لانفسنا من قبل •

§ ٤ - ذلك هو السبب في أنه لا يمكن أن يقال أن المادة اختلطت بالنار التي أحرقتها حتى ولا انها تختلط بها وقت ما تحرقها ، كما انه قد لا يمكن ان يقال انها تختلط بنفسها في أجزاء النار كما لا تختلط بالنار نفسها • بل يقال ببساطة أن النار تكونت وان المادة القابلة للاحتراق قد فسدت • كما انه لا يمكن أيضاً ان يقال لا عن الغذاء ولا عن صورة الخاتم ان الاولى باختلاطها بالجسم والثانية باختلاطها بالشع قد أعطتا شكلاً ما للكتلة بتمامها • ينبغي الاعتراف أيضاً بأنه لا الجسم ولا البياض ولا بالاختصاص ، كصفات الاجسام وتغايرها يمكنها أن تختلط بالاشياء مادام انه يرى على الضد من ذلك أن الاثنين يبقيان • كذلك أيضاً البياض والعلم

§ ٢ - عن كونها وعن فسادها - ر • مما سبق ب ١ وما يليه • ومتى وضحت هذه المسائل - تلك هي أدلة الفلاسفة الذين ينكرون الاختلاط • تحل المسائل التي وضعناها لانفسنا من قبل - في بداية هذا الباب عينه •:

§ ٤ - ذلك هو السبب • - هذا فرق بين الاختلاط وبين الكون أو الفساد • المادة حصلت كلمة النص بعينها ، ولكن المادة هنا معناها الجسم القابل للاحتراق : الخشب ام أية مادة اخرى تغذى النار • انها تختلط بنفسها - يعنى ان الخشب يختلط بالخشب • - في أجزاء النار أضفت الكلمة الأخيرة • - كما لا تختلط بالنار نفسها - قد أتقيت بقدر ما استطعت التكرير الموجود في النص واعتمدت في ايضاح هذه الفقرة كلها على تفسير فيلوبون تكونت • • فسدت - حصل فيه كون لاحدهما وفساد للآخر ولكنه لم يحصل فيه اختلاط • - كما أنه لا يمكن أيضاً أن يقال - هذا فرق بين الاختلاط وبين الزيادة - صورة الخاتم - أضفت الكلمة الأخيرة التي يدل عليها السياق فيما يلي: • وربما كان اختراع المؤلفين غير حسن لان الغذاء يمكن أن يعتبر كانه مختلط بالجسم الذي ينميه • ولكن بالبدئية طابع الخاتم لا يختلط به • - لا الجسم ولا البياض - حفظت عبارة النص على ايجازها • فان البياض والجسم الذي هو أبيض لا يختلطان ولكن البياض هو في الجسم • - كصفات الاجسام وتغايرها - التي هي في الاشياء ولكن بدون ان تختلط بها • - ان الاثنين يبقيان عبارة للنص أكثر ابهاماً ، ويجب أن يعنى بالاثنيين الجسم والكيفيات التي تكيفه • البياض والعلم - يعنى كيفين عوضاً عن جسم وكيف • - الكيفيات أو الخواص النص غير محدد البتة • - التي ليست قابلة للانفصال - على تقدير • عن الموضوعات التي هي فيها وكل هذه الفقرة منغلقة جداً بل ربما كانت دقيقة فيما يظهر •

فى الواقع لا يمكنها أن يركباً خليطاً ولا أيضاً أى واحد من الكيفيات أو
الحواص التى ليست قابلة للانفصال .

§ ٥ - وأيضاً يخدع نفسه من يقرر ان الاشياء جميعها كانت سابقاً
مندمجة وأن الشكل قد وجد مختلطاً لان كلا لا يمكن البتة ان يختلط بكل
على السواء . يلزم دائماً ان كلا الشيئين اللذين يختلطان يمكن أن يبقى
على حدة . وحينئذ فإن كيفيات الاشياء لا يمكنها ان تكون منفصلة عنها
ابداً . ولكن لما ان من بين الاشياء بعضها تكون بالقوة المحضة والاخر
بالفعل المحض فينتج من ذلك ان الاشياء التى تختلط يمكنها من جهة ان
تبقى بعد ومن جهة اخرى الاتبقى . فاذا كان فى الواقع الخليط الحاصل
من الاختلاط هو شيئاً مخالفاً فانه يكون كذلك دائماً بالقوة للشيئين
اللذين كانا يوجدان قبل أن يختلطاً وقبل أن ينعدم فى الخليط . وهذا
انما هو على التحقيق الجواب على المسألة التى أثارها النظرية التى تكلمنا
عليها آنفاً . ويظهر ان الاختلاط تتألف من اشياء كانت من قبل منفصلة
ويمكن ان تكون أيضاً من جديد . وعلى ذلك الاشياء المختلطة لا تبقى
بالفعل كما يمتكث ويبقى الجسم والبياض الذى يشخصه . وليست هى
كذلك تكون فاسدة ، سيان احد الاثنين على حياله والاثنان جميعاً معا ما
دامت قوتها محفوظة دائماً .

§ ٦ - ولكن لنُدع هذا الى ناحية ولننتقل الى المسألة الآتية التى

§ ٥ - وأيضاً يخدع نفسه - هذا نقد موجه الى الكساغوراس الذى كان يرى أن جميع
الاشياء فى الاصل كانت مختلطة فى السماء قبل أن يأتى العقل ويرتب العالم . الطبيعة
الاربابية حيث تنقضى نظرية الكساغوراس من ٤٥٥ من ترجمتنا . - كليات الاشياء -
٥ . الفقرة السابقة . - بالقوة المحضة . - بالفعل المحض - اختلف الصليين . - شيئاً مخالفاً
للشيئين اللذين يكونان الخليط . - فى الخليط - اختلف هاتين الكلمتين . - الجواب على
المسألة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - التى تكلمنا عليها آنفاً - فى أول هذا
الباب . - ايضاً من جديد - بعد ان حصل الخلط . - الذى يشخصه - اختلف هاتين الكلمتين
قوتها . - يعنى امكان رجوعهما الى ما كان عليهما قبل الاختلاط .

§ ٦ - المسألة الآتية - يعنى التى ترتبط بالمسائل التى تقدمتها والتى هى بقية لها
يمكن حواسنا ان تدركه وربما كانت المسألة على هذا الوجه غير موضوعة وضعا حسناً
الاختلاط هو دائماً قابل لان تدركه حواسنا ولكن حواسنا تارة تميز العناصر التى تتركب
منها الخليط وتارة لا تميزها . - مثال ذلك - ليس النص واضحاً هكذا . - بوجه محسوس
او «بحسبنا» . - هل يوجد فيها حينئذ اختلاط او لا يوجد ؟ - هذا هو أول انواع الاختلاط
فان الحواس لا يمكنها بعد ان تميز العناصر التى ركبته . - ولكن اليس ممكناً أيضاً - اجبت
أن أصوغ هذه الجملة فى صيغة الاستفهام حتى تكون مقابلة للجملة التى سبقتهما . وهذا هو
التعبير الثانى للاختلاط فان الشيئين يبقيان باعتبار أن أجزاءهما اما اجتمعت بعضها الى
بعض . - التبعين مختلط بالمحب - المثل فى غاية الوضوح وهذا المثل ليس البتة كمزج الماء
والنبيذ اذ ان فيه أحد السائلين لا يمكن مطلقاً تمييزه عن الآخر كما كان ذلك مفروضاً فى
الايضاح الأول .

تتخصص في معرفة ما اذا كان الاختلاط هو شيئاً يمكن حراسنا ان تدركه .
مثال ذلك حينما الاشياء المختلطة تكون مقسومة الى اجزاء من الصغر
بمكان وتكون موضوعة على قرب بعضها عند بعض حتى لا يعود احدها
متميزاً من الآخر بوجه محسوس فهل يوجد فيها حينئذ اختلاط أو لا يوجد؟
ولكن ليس ممكناً أيضاً أن في الخلط الاشياء كيفما اتفقت تكون موضوعة
أجزاء أجزاء بعضها بجانب الأخرى ؟ لأن هذا يسمى أيضاً اختلاطاً وعلى هذا
النحو يقال ان التبن مختلط بالحلب حينما يكون موضوعاً بجانب كل حبة
تبنه .

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة وإذا كان جسم متى كان
مختلطاً بجسم آخر يجب أن يكون مجانساً له فقد يلزم أن كل جزء اتفق
من الخليط ينضم الى جزء آخر اتفق . ولكن بما ان الجسم لا يمكن البتة
أن يكون مقسوماً الى أجزائه الصغرى وبما أن الانضمام ليس هو البتة
الاختلاط بل هو شيء آخر تماماً فبالبين لا يمكن أنه يقال بعد ان الاشياء
اختلفت متى حفظت ذواتها على ما كانت في جزئيات صغيرة . حينئذ يكون
الضم ولكن لا يكون لا خلط ولا مزج ، وحد جزء من الخليط لا يمكن بعد
أن يكون هو الحد الذي قد يعطى للخليط بتمامه . أما نحن فنقول انه
لكي يوجد اختلاط حقيقى يلزم أن الشيء الخليط يكون مركباً من أجزاء
متجانسة ، وكما أن جزءاً من الماء هو ماء كذلك أيضاً يجب أن يكون أى
جزء اتفق من الخليط . ولكن اذا لم يكن الاختلاط الا انضمام جزئيات
الى جزئيات فليس يوجد ولا واحد من الاحداث التى أثبتنا على تحليلها .
وانما يكون فقط في نظر الاعين . أنه الشئيين يظهر انهما مختلطان . وكذلك
الشيء عينه يظهر مخلوطاً للرأى فلان الذى ليس له نظر نفاذ في حين ان
« لينسيه » يجد أن ليس هناك لاختلاط .

§ ٨ - ان التجزئة لا تفسر الاختلاط كما لا يفسره اجتماع جزء

§ ٧ - اذا كان جسم هو قابلاً للتجزئة - يظهر ان هذا هو رد من ارسطو على النظرين
السابقين . وعلى هذا الوجه فهم فيلوبون وسنان توماس هذه الفقرة . ولكن المعارضة ليست
بيننا في النص الذى بقى غامضاً على رغم جهدى في استجلائه ولم أستطع أن أجعل الترجمة
أجلى منه بكثير . الى أجزائه الصغرى - يعنى أن القسمة لا يمكن أن تصل الى جواهر فردة
وأنها (أى القسمة) ممكنة دائماً كما يقرره ارسطو بالاقول في الذهن ان لم تكنها في الخارج
- الانضمام - يمكن ترجمتها أيضاً التاليف . - في جزئيات صغيرة - كالحب والتبن اللذين
من الكلمتين اللتين استعملتهما في الترجمة . - اختلاط حقيقى - أضفت كلمة حقيقى زيادة
في بيان الفكرة . - الشيء الخليط - يعنى الناتج المتحصل من الاختلاط . - جزئيات -
الى جزئيات - ليس النص على هذه الصراحة . ولا واحد من الاحداث التى أثبتنا على تحليلها
يسمى النص على هذه الصراحة . - في نظر الاعين - لافى الواقع .

§ ٨ - ان التجزئة لا تفسر الاختلاط ، النص غير محدد ، وقد اخترت المعنى الذى

• تتفق بجزء آخر ما دامت التجزئة لا يستطيع حصولها بهذه الطريقة .
• وحينئذ اما الا يكون اختلاط ممكنا واما انه يلزم اتخاذ نحو آخر
• من النظر لكي يبسط كيف يمكن أن تقع هذه الظاهرة • ولنذكر بديا أن
• من بين الاشياء ، كما قلنا ، بعضها فاعلة والاخرى قابلة لفعل تلك ،
• بعضها نه تأثير مكافئ وهي تلك التي مادتها واحدة بيا هي مستطبعة ان
• تفعل بعضها في الاخرى او تنفعل بعضها بالاخرى على السواء • واخرى
• تفعل مع بقائها غير قابلة للانفعال وتلك هي التي مادتها ليست واحدة •
• وهذه ليس فيها اختلاط ممكن • من هذا يرى كيف ان الطب لا يختلط
• بالاجسام ليفعل الصحة وناذا الصحة لا تختلط به أيضا •

§ ٦ - بل من بين الاشياء التي يمكنها أن تفعل وتنفعل على طريقة
• التكافؤ كل تلك التي تكون سهلة التجزئة ، حينما يختلط منها عدد عظيم
• بعدد قليل من اشياء آخر وكمية عظيمة بكمية اقل عظميا لا تنتج على
• التحقيق اختلاطا بل نموا للعنصر الغالب • وحينئذ أحد الشئيين المختلطين يتغلب
• في الذي هو غالب • على ذلك نقطة من النبيذ لا تمتزج بكمية من الماء تكون
• عشرة آلاف ضعف • لانه في هذه الحالة النوع يتحلل ويتغلب بتلاشييه في
• كتلة الماء كلها • ولكن متى كانت الكميتان متساويتين تقريبا فحينئذ
• كل عنصر يفقد من طبعه لياخذ من طبع العنصر الذي هو أغلب • فالمزيج
• لا يصير واحدا منهما مطلقا بل يصير شيئا وسطا ومشتركا •

§ ١٠ - فبين اذا أنه لا يكون اختلاط الا حينما تكون الاشياء التي
• تفعل لها مقابلة ما بينها لانها اذا يمكن أن تقبل تأثيرا ما بعضها من بعض •
• ومن الاشياء الصغيرة ما يزيد اختلاطها بالاشياء الصغيرة باقترابها منها
• لانها حينئذ تتدخل بأسرع وبأسهل بعضها في بعض • ولكن كمية كبيرة
• تحت فعل كمية كبيرة أيضا لا تنتج هذه النتيجة الا مع الطولي •

= عيبه فيلويون • كما لا يفسره اجتماع - الشأن هنا كما في الملاحظة السابقة - ما دامت
• التجزئة لا يستطيع حصولها - يعني أنها تقف عند حد اللوات أو الاجزاء التي لا تتجزأ
• التي لم يقبلها أرسطو البتة • - اتخاذ نحو آخر من النظر - ليس في النص الا كلمة
• واحدة مبهمه وقد ظننت أنه يجب على تحديد المعنى • - ولنذكر بديا - أضفت هذه الكلمات
• التي تدل القرينة على مفهومها • - كما قلنا - ر • ما سبق في الباب السابع • - الطب
• يظهر لي أن في اختيار المثل شيئا من الغرابة وقد نيه فيلويون مثل هذا التنبيه •
• § ٩ - التي تكون سهلة التجزئة - كنقطة من الماء في كمية من النبيذ • - نموا -
• مهما كان ضعيفا مع ذلك بنسبة الاشياء المختلطة • - للعنصر الغالب - في المزيج النهائي •
• - فالمزيج لا يصير - ليس النص على هذا القدر من الضبط • - مطلقا - أضفت هذه

الكلمة •

§ ١٠ - مقابلة ما - عبارة النص هي « تضاد » • - يمكن أن تقبل تأثيرا ما - في
• حين أنها تحدث فعلا ما • يزيد - أعني بأكثر سهولة وبأسرع ما يكون كما يدل عليه
• الكلام الاتي • - لا تتج هذه النتيجة - أو «الاختلاط» •

١١ - على ذلك بين الأشياء القابلة للتجزئة والمنفصلة الأشياء التي تتحدد بسهولة يمكنها أن تختلط . لأن هذه الأشياء تنقسم بلا عناء الى أجزاء صغيرة . وهذا إنما هو بالتحقيق ما يعنى بقولنا تتحدد بسهولة . مثال ذلك السوائل من بين جميع الأجسام هي الأكثر قابلية للمزج لأن السائل من بين الأشياء القابلة للتجزئة هو الذي يتعين ويتحدد بأجسام ما يكون بشرط ألا يكون دقيقا . فإن الأجسام الدقيقة لا تزيد على أن تصير جملة الحجم اصغى وأعظم ولكن حينما يكون أحد الشئيين المختلطين هو وحده المنفصل أو أنه يكون كثيرا وأن الآخر يكون قليلا جدا فالخليط الناتج من الاثنين إما ألا يكون أعظم البتة أو ألا يكاد يكون . وهذا هو ما يقع بالنسبة للتصدين مختلطين بالنحاس لأنه يوجد بعض أجسام خائفة بعضها بالنسبة للبعض الآخر وهي تكون من طبع مشكل . فيمكن أن يلاحظ أن تلك الأجسام لا تختلط الا اختلاطا ناقصا وإلى حد معين . فقد يقال إن أحدهما هو مجرد ناوى في حين أن الآخر هو الصورة . وهذا على التحقيق هو ما يحصل بالنسبة لهذين الجسمين اللذين سميّا أنفاً ، لأن التصدين الذي هو كمتجرد تغير للنحاس بدون مادة يكاد يتلاشى بالتمام ويتعذر الخلط الذي لا يعطيه الا لونا ما . وتحصل الظاهرة عينها أيضا بالنسبة لأجسام أخرى .

١٢ - القابلة للتجزئة والمنفصلة - يعنى التي يمكن بسهولة أن تنقسم وأن تقبل فعلا مايفضلها من قبل البعض الآخر . وربما كان يلزم أن يقال « فاعلة » بدل « قابلة للنسبة » . ولكن ليس ولا نسخة واحدة تحل هذا التصحيح . - التي تتحدد بسهولة - مثل السائل الذي غريب فيما يلى يوضح تماما ماذا يعنى بهذا . - يتعين وضوح - ليس في النص إلا كلمة واحدة . - الأجسام الدقيقة - عبارة النص غير محددة ولكن المعنى الذي اتخذته هو الذي اتفق عليه فيلويون . وبدل من الأجسام الدقيقة قد يمكن أن يفهم أن المقصود هو السوائل على القسم التي باعتبارها تغير الكمية الكلية أكثر بقلنا . - ولكن حينما يكون أحد الشئيين المختلطين - ليس النص على هذا القدر من البيان . - هو وخطه المنفصل - على تقدير « في المزيج » . ولكن العبارة غير جلية ويجب أن يفهم أن أحد الجسمين المزوجين يعمل بقسمة في الآخر ويخلط بحيث يلاشي . - إلا يكون أعظم البتة - لأن أحدهما يتلاشى بالتمام بوجه التقريب في المزج . - خاتمة - النص هنا يعطى عبارة متخالفة معناه لأنه يقول : « رتى » ولم أجد ما يقابلها في لغتنا . وذلك مجاز جرى . ويظهر أن فيلويون دعس له أيضا ، على أن الخلط المقرب لذلك يفهم معنى هذه النقطة . - الا اختلاطا ناقصا - وحينئذ لا يكون هذا اختلاطا حقيقيا ما دام أن أحد الجسمين يتلاشى بالكلية تقريبا . - هو الصورة - أو النوع . - اللذين سميّا - زدت هاتين الكلمتين لاتمام المعنى . - كمتجرد تغير بدون مادة - يعنى الصورة أو النوع التي تكثف الخليط من غير أن تغير مادته مطلقا وهذا يظهر أنه غاية في الدقة والخفاء . - لونا ما - الذي ليس حولون التصدير والذي لا يحيل لون للنحاس الا بعض الشيء .

§ ١٢ - فيرى اذا بحسب جميع التفاصيل المتقدمة أن الاختلاط ممكن وأنه هو ما هو ويرى كيف يكون وما هي الاشياء التي بينها يمكن أن يحصل وهي تلك التي يمكنها أن تقبل فعلا بعضها من قبل البعض الآخر والتي هي قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة . وأن الجواهر من هذا القبيل ليست تفسد ضرورة في الاختلاط ولكنها لا تبقى فيه بعد مطلقا بأعيانها ، فإن اختلاطها ليس مجرد ضم وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس . ولكن يقال على شيء أنه مختلط متى كان وهو مستطيع أن يتحدد بسهولة يمكنه أن يفعل وينفعل معا وأنه يختلط بشيء له أيضا هذه الخواص أعيانها لأن الشيء المختلط لا يكونه البتة الا بالإضافة الى شيء يكون واياه من المتفقة أسماؤها (هو مونيم) . والحاصل أن الاختلاط هو اجتماع الاشياء المختلطة مع استحالة لها .

§ ١٢ - فيرى اذا - محصل مضبوط لكل نظرية الاختلاط . - أن الاختلاط ممكن - ط . ما سبق ف ٢ . - هو ما هو بحسب النظريات الخصوصية لأرسطو ، هذا هو موضوع كل هذا الباب . - قابلة للتحديد بسهولة وقابلة للتجزئة بسهولة - كالمسائل . - ليست تفسد ضرورة - لأنها تبقى فيه بالقوة . وأن الجسمين لا يكونان بعد مدركين بالحواس - ليس النص على هذا القدر من الضبط . ولكن المعنى الذي اتخذته ينتج مما قبل سابقا في الفقرة السابقة . فإن التبين والحب ليسا مختلطين بالمعنى الخاص ولكنهما منضمان . - يقال على شيء أنه مختلط - هالك التعريف الحقيقي للاختلاط على رأى أرسطو . - يكون واياه من المتفقة أسماؤها (هو مونيم) . وبعض ناشرى الكتاب يقول « مجانساً له » (هو مجين) وهذه ربما كانت أحسن ويظهر أن سان توماس اخذها . - والحاصل - النص ليس عن هذا القدر من الصراحة .

الكتاب الثانى

الباب الأول

نظرية عناصر الاجسام - عندها - شاهد من أميبيل - المادة ليست منفصلة عن
الاجسام كما هو في فيلموس وفلاطون فيما يظهر - نقض هذه النظرية - انها حقة بجزئها
باطلة بالجزء الاخر - شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة - نظرية جديدة على المبادئ -
العنصرية للاجسام - طبعها وهدمها *

§ ف ١ - سبق الكلام على الاختلاط وعلى التماس وعلى الفعل وعلى
الانفعال ووضح كيف ان هذه الظواهر تقع فى الاشياء التى تكابد تغيرات
طبيعية * وقد عولج زيادة على ذلك كون الاشياء وفسادها المطلقان وبين
بأى طريقة وفى اى الاحوال ولماذا هما يحدثان * وقد درست على السواء
الاستحالة وحالة الموجود المستحيل * وفى النهاية قد بينت فصول كل
واحدة من هذه الظواهر * والآن يبقى علينا ان ندرس ما يسمى عناصر
الاجسام لان الكون والفساد فى كل الجواهر التى تركيبها الطبيعة لا
يمكن ان يظهرها بدون الاجسام التى تتركها حواسنا *

§ ٢ - من الفلاسفة من يزعمون ان جميع العناصر مكونة من مادة
واحدة بالحقيقة والعدد ويفترضون انها هى الهواء او النار أو جسم ما

§ ك ٢ ب ١ ف ١ - سبق الكلام على الاختلاط - تلخيص لكل ما سبق فى
الكتاب الاول فان نظرية الاختلاط قد عرضت فى الباب العاشر منه * - وعلى التماس -
لم يكن ذكر التماس الا عرضا لانه لم يفرد للتماس نظرية خاصة * ر ١ ب ٦ *
وعلى الفعل وعلى الانفعال - ر ١ ب ٦ و ٧ وما يليها - التى تكابد تغيرات طبيعية -
بصرف النظر على التغيرات التى تحدثها الصناعة أو ارادة الانسان * ما سبق ك ١ ب
١ ف ١ - كون الاشياء وفسادها المطلقان - ر ١ ب ٦ و ٣ وما بعدها * -
الاستحالة وحالة الموجود المستحيل - ر ١ ب ٤ * - فصول كل واحدة من هذه
الظواهر - فى أثناء بيان كل واحدة من تلك النظريات الخاصة قد بينت الفصول التى
تفصل كل واحدة من الظواهر التى كانت على التقاطع موضع الدرس *
§ ٢ - هى الهواء - كما كان يعتقد ديزجين الابولوى وانكسيمين * - أو النار
كما كان يعتقد هيرقليطس الايفيزوسى وهيباس كما روى فيلوزون * - جسم ما وسط
كان هذا مذهب اكسيندروس الذى كان يفترض عنصرا خامسا آخدا من طمع الاربع
الاخرى وهو مع ذلك متحيز عنها * - جاعلين هذه المادة - ليس النص على هذا القدر من
الصراحة * - هؤلاء النار والارض - كما هو مذهب برميثيد * - وأولئك الهواء ثالثا =

وسط بينهما جاعلين هذه المادة جسما جوهريا متميزا تماما ومنفصلا .
وآخرون يرون انه يوجد أكثر من عنصر واحد ويقبلون حينئذ على السواء :
هؤلاء النار والارض ، وأولئك الهواء ثالثا مع العنصرين المتقدمين . وآخرون
مثل أمبيدقل يزدون الماء كعنصر رابع . وفي هذه المذاهب المختلفة
انما هو باجتماع هذه العناصر وافتراقها أو استحالتها يعزل كون الاشياء
وفسادها .

§ ٣ - فلنسلم بلا أدنى صعوبة أن هذه الاوليات للاشياء يمكن
بغاية الموافقة ان تسمى مبادئ وعناصر وانه انما بتغيرها بتجزئة او تركيب
متكافئ أو أى نوع آخر من التغيير الذى تعانيه يأتى كون الاشياء وفسادها .
ولكن يخدع المرء نفسه بالتسليم بأنه يوجد مادة واحدة بعينها خارج جميع
العناصر وجعلها منفصلة وجسمانية . لان من المحال أن هذا الجسم اذا كان
مدركا بحواسنا يمكن ان يوجد من غير أن يعرض اضدادا . ما - ويلزم
ضرورة أن هذا اللامتناهى الذى اتخذه بعض انفلاسفة مبدأ لهم يكون خفيفا
أو ثقيلًا باردا أو حارا .

§ ٤ - ولكن الطريقة التى شرح بها هذا المبدأ فى « طيماوس » ليس
فيها شيء من الضبط لانه لم يقل على وجه جلى ما اذا كان هذا الاصل
لجميع الاشياء متميزا ومنفصلا عن العناصر . والمحقق هو ان طيماوس لم
يرجع فى واحد منها الى هذا المبدأ ولو انه قال مع ذلك انه الموضوع
السابق لكل ما يسمى بالعناصر كما أن الذهب هو على الاسبقية موضوع

= مع العنصرين - ذلك كان منسوب يون الشيزوى اذا صدق تفسير فيلوبون . - مثل
أمبيدقل - انما هو دائما أمبيدقل الذى ينسب اليه الوسطو نظرية العناصر الاربعة .
ايضا الطبيعة ك ٣ ب ٧ ف ٩ وما بعدها من ترجعنا .

§ ٣ - هذه الاوليات للاشياء - حفظت عبارة النص بلاتها . - أى نوع آخر من
التغيير مثلا لا يمكن الا الاستحالة عند المذاهب التى لا تقبل الا عنصرا واحدا لانه يتغير
هذا العنصر الوحيد الى ما لا نهاية له تتكون جميع الظواهر الاخرى . - وجسمانية -
عنه هي ترجمة الكلمة الواردة فى النص بالضبط . - اذا كان مدركا بحواسنا - ويجب
أن يكونه ما دام أنه جوهري ومنفصل عن جميع الاخر ، - من غير أن يعرض اضدادا
ما - عبارة النص هي « بلا تضاد » . - هذا اللامتناهى - أو « هذا غير المحدود » .
§ ٤ - هذا الاصل لجميع الاشياء - ر . ترجمة طيماوس افلاطون لكوزان ص ١٥٢ .

- متميزا ومنفصلا عن العناصر - النقل حق ان لم يكن مهما جدا . - على الاسبقية
اضفت هاتين الكلمتين . - موضوع المصنوعات الذهبية ن . طيماوس ص ١٥٤ من
ترجمة كوزان . - على الصورة التى القى بها الينا - وفى الواقع ان طيماوس لا يتكلم
الا على التصانير المتعاقبة لسبيكة الذهب ولا يتكلم البتة على كونها الاصل . ان تسمى
الاشياء - التعبير ليس واضح البيان ، وهو بعينه الذى استعمله طيماوس فى هذا =

المصنوعات الذهبية . ومع ذلك فإن هذا الإيضاح ليس حسنا على الصورة التي القى بها الينا . فإنه يجوز تماما انطباقه على الحالات التي يوجد فيها استحالة بسيطة ، ولكن بالنسبة للحالات التي فيها كون وفساد يكون محالا أن تسمى الأشياء بالتي منها تأتي . صدق طيماوس اذ يقول انه لادخل في باب الحق أن يقرر أن كل مصنوع من الذهب هو ذهب لكن مع ان عناصر الأشياء تكون جامدة فإنه يجوز بتحليلها الى حد السطوح . ومحال أن سطوحا تكون المادة الاولية التي يكلموننا عنها § ٥ - نحن أيضا نعترف انه يوجد مادة ما للجسام التي تتركها حواسنا ولكن هذه المادة التي منها يأتي ما يسمى بالعناصر ليست منعزلة البتة بل هي توجد دائما مع اضداد . على أن هذا الموضوع قد درس في موطن آخر بأوسع من ذلك وأضبط § ٦ - على أنه لما أن الاجسام الاول يمكن أيضا بهذه الطريقة أن تأتي من المادة فيلزم التكلم على هذه الاجسام مع التسليم بأن المادة هي المبدأ والمبدأ الاول للأشياء ولكنها غير منفصلة عنها وانها موضوع الاضداد . فإن الحار مثلا ليس هو مادة البارد كما أن البارد ليس مادة الحار . ولكن المادة هي موضوع الاثنين .

= الموضوع . فإنه يمكن أن يقال على الشيء المصنوع من سبيكة الذهب انه ذهب ولكن بالنسبة للشيء الذي يتكون والذي يتولد من لا شيء لا يمكن أن يعطى اسم الشيء الذي خرج منه ما دام أنه لم يأت من شيء آخر . - التي منها تأتي - اذا كان الامر بصدد الكون - والتي اليها تنعدم - اذا كان الامر بصدد الفساد : - صدق طيماوس - ليس النص على هذه الصراحة . لا دخل في باب الحق أن يقرر - ر . طيماوس لأفلاطون من ١٥٤ ترجمة كوزان . - الى حد السطوح - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ وما بعده . فإن أفلاطون لما حلل الاجسام الى سطوح قد نزع منها كل حقيقة . وان التحليل البالغ الى هذا الحد البعيد قد افسدنا - يكلموننا عنها - أضفت هذه الكلمات .

§ ٥ - نحن أيضا نعترف - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - فيها يأتي ما يسمى بالعناصر - هذه الفكرة لا تظهر أنها عريقة في الصحة . - وأن المراد بالمادة هنا انما هو حال منطقية للاجسام أكثر منه حالا حقيقية . فقد يمكن حينئذ أن هذه الجبلية لم تكن إلا تديلا أضافه الى النص بعض المفسرين . ومع ذلك فإن هذه الجبلية موجودة في نص فيلويون . - ليست منعزلة البتة وباقية على طريق الاستقلال عن الاجسام كالمادة التي أخطأ أفلاطون ، على رأى أرسطو ، في قبولها . - مع اضماد - فإن المادة لها دائما كيف يميزها لا انفكاك لها عنه - في موطن آخر - في الطبيعة ك ١ ب ٨ خصوصا ف ٢٠ س ٤٨٤ من ترجمتنا . وفي كتاب السماء ك ٣ . - بأوسع من ذلك وأضبط - ليس في النص إلا كلمة واحدة .

§ ٦ الاجسام الاول - حفظت للنص عبارته بتمامها ، ولكن المراد هنا هو العناصر مع جميع الاجسام الخاصة التي تركيبها على حسب نظريات أرسطو التي هي أيضا مثلا - أضفت هذه الكلمة . - ليس هو مادة - بل هو الضد وتحت الضدين الموضوع الذي يكيفانه على طريق التناوب :

٨ ٧ - حينئذ بادىء بدء الجسم الذى هو مدرك بالقوة باحساسنا هذا هو المبدأ ثم بعد ذلك تأتي الاضداد كالحار والبارد مثلاً • وفى المقام الثالث النار والماء والعناصر الأخرى المشابهة • هذه الأجسام كلها تتغير تغيراً بعضها إلى بعض ولكن لا بالطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون ، لأنه بحسب نظرياتهم قد لا يكون بعد حتى ولا الاستحالة ، وإنما هى المقابلات بالاضداد هى التى لا تتغير بعضها إلى بعض • على أنه لما كانت تلك هى مبادئ الأجسام فلا بد مع ذلك من دراسة كيفياتها وعددها لأن الفلاسفة الآخرين استخدموا ذلك فى مذاهبهم بعد أن قبلوها على طريق الفرض ولكنهم لا يقولون لماذا هذه الاضداد لها الطبع الفلانى وأنها فى العدد الذى نراها عليه •

٨ ٧ - الجسم الذى هو مدرك - هو المادة المفهومة على المعنى المنطوق أى المحسوسة بالقوة ولكنها ليست حركية الا على شكل واحد من الاثنين • - النار والماء - يعنى الاولية العناصر مع جميع الأجسام الخاصة التى تركيبها على حسب نظريات أرسطو التى هى أيضاً نظريات الاقدمين • - الطريقة التى يقول بها أمبيدقل وفلاسفة آخرون - المعنى ليس بينا وقد جعله الايجاز فى التعبير غامضاً : لأن أمبيدقل وفلاسفة آخرين يرون العناصر غير قابلة للتغير مطلقاً ومن ثم لا يمكن أن يفهم مع عدم قابلية التغير نظرية الاستحالة مهما كانت مسلماً بها • - وإنما هى المقابلات - ليس النص على هذا التقدير من الصراحة • فى مذاهبهم • أضفت هاتين الكلمتين •

الباب الثانى

حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس - تعديد الاضداد الاصلية التى يعرضها الجسم المحسوس باللمس - فصول هذه الاضداد - الفعل المتباين للبرد والحر والجفاف والساكن - علاقة جميع الفصول الاخرى بهذه الفصول الاربعة الاصلية .

§ ١ - ما دمنا نبحث فيما هى مبادئ الجسم المدرك بحواسنا اعنى الجسم الذى يستطيع اللمس ان يدركه وما دام ان جميعا يعرفنا اياه اللمس هو الذى يكون حسه الخاص هو اللمس فينتج بالبداية ان جميع المقابلات بالاضداد التى يمكن مشاهدتها فى الجسم لا تؤلف أنواعه ومبادئه ولكنها انما هى فقط أنواع ومبادئ الاضداد التى تخص حاسة اللمس . ان الاجسام تتمايز بأضدادها ، ولكن بأضدادها التى يمكن لللمس ان يبينها لنا . لذلك نرى لماذا انه لا البياض ولا السواد ولا الخلوة ولا المرارة ولا اى واحد من الاضداد المحسوسة ليس عنصرا للاجسام .

§ ٢ - وهذا لا يمنع ان يكون النظر حاسة اسمى من اللمس وبالنتيجة ان موضوع النظر هو اسمى أيضا . ولكن النظر ليس عرضا للجسم الملموس بما هو ملموس بل هو يرجع الى شىء مغاير تماما يمكن من ذلك ان يكون متقدما عليه بطبعه .

§ ب ٢ ف ١ - الجسم المدرك بحواسنا - الجسم المادى والمحسوس . - اعنى الجسم الذى يستطيع اللمس ان يدركه - يلاحظ فيلوبون بحق ان ارسطو يشتغل أولا بحاسة اللمس لان هذه الحاسة اكثر الحواس ادراكا ممكنا . فان من الاجسام التى تخفى على نظرنا ما ندركه بحواسنا . وذلك كالهواء اذ بينما لا يمكننا ان نراه يؤثر فى احساسنا بان يلامسنا . - يعرفنا اياه اللمس - عبارة النص هى : « جسم قابل لللمس » . - التى يمكن مشاهدتها فى الجسم - أضفت هذه العبارة لبيان الفكرة تماما . - لا تؤلف أنواعه ومبادئه - هذا التفوق الذى لحاسة اللمس يتقدم تمييز الكيفيات الاول والثوانى للاجسام ويذكر به . تلك هى النظرية التى قبلتها بعد ذلك المدرسة الايقوسية . - ليس عنصرا للاجسام - عبارة النص : « لا تكون عناصر » .

§ ٢ - ان يكون النظر حاسة اسمى - ر . كتاب النفس ك ٢ ب ٧ ص ٢٠٨ من ترجمتنا فى نظرية الرؤية . - من اللمس - ر . كتاب النفس ب ١١ ص ٢٢٧ . ان موضوع النظر هو اسمى أيضا - ر . اول ما بعد الطبيعة : ك ١٠ ب ١ ص ١٢١ من ترجمة كوزان الطبعة الثانية . فان ارسطو يجعل فيها النظر اعل من ثمة من جميع الحواس كما فعل هنا . - ليس عرضا - او « كيفا » . - الى شىء مغاير تماما . - حفظت عبارة النص على عدم تحدها . - متقدما عليه بطبعه - اى للشىء الخاص بحاسة اللمس .

§ ٣ - حينئذ بالنسبة للملحوسات انفسها يلزم الفصل والتمييز بين الفصول الاولى لها ومقابلاتها الاولى بالاضداد . المقابلات والمضادات التي يبينها لنا اللمس هي الاتية : البارد والحر ، اليابس والرطب ، الثقيل والخفيف ، الصلب واللين ، الدبق والمفريك ، الاملس والخشن ، الكثيف والمتخلخل . من بين هذه الاضداد الثقيل والخفيف ليسا لا فاعلين ولا منفعلين لانه ليس لانهما يفعلان أحدهما في الآخر او لانهما يفعلان أحدهما من الآخر اعطيا الاسم الذي يحملانه . ومع ذلك يلزم أن العناصر يمكن أن تفعل وتنفعل بعضها من بعض على طريق التكافؤ ما دام انها تختلط وتتغير على طريق التكافؤ بعضها الى بعض .

§ ٤ - ولكن الحر والبارد واليابس والرطب هي مسماة كذلك اولاهما لانها تفعل والاخرى لانها تنفعل . فان الحر هو الذي يجمع ما بين الجواهر المتجانسة لان التفريق الذي يقال عن النار انها تفعله انما هو في حقيقة الامر تركيب الاشياء التي من نوع واحد ما دام أن الذي يحصل اذا هو ان النار تخرج الجواهر الغريبة وتنفيها . والبرد على ضد ذلك يجمع ويركب على السواء الاشياء التي من نوع واحد والتي ليست من نوع واحد ويسمى سائلا ما ليس محدودا في صورته الخاصة ولكنه يمكن مع ذلك ان يقبل بسهولة صورة . واليابس على ضد ذلك هو ما كان بماله من صورة محددة تماما في حدودها الخاصة لا يقبل صورة جديدة الا بقاءه .

§ ٣ - بالنسبة للملحوسات انفسها - حفظت كلمة النص بعينها التي لا خفاء في معناها بعد الايضاحات السابقة . فان الملحوسات هي الاجسام التي تعزفها لنا خمسة اللمس فقط . الفصل والتمييز - ليس في النص الا كلمة واحدة . ومقابلاتها الاولى بالاضداد - عبارة النص : « التضاد » . لانها يفعلان أحدهما في الآخر - عبارة النص ليست على هذا الوضوح . اعطيا الاسم الذي يحملانه - عبارة النص أكثر إيجازا .

§ ٤ - اولاهما لانها تفعل - يظهر أن فعل البارد وقفل الحر متكافئان تماما وانهما يفعلان ويقبلان على السواء . ويعني - بالاولاهما الحر والبارد وبأخراهما اليابس والرطب وقد عني فيلوبون بأن يوضح في اطناب لماذا يجعل أرسطو من البارد والحر عنصرين فاعلين ومن اليابس والرطب عنصرين منفعلين . ر . عن هذه النظرية كلها الكتاب الرابع من الميتافيزيقيا ب ١ وما بعده . ص ٢٧٣ من ترجمتنا - هو الذي يجمع - وبهذا المعنى أن الحر يفعل . الجواهر المتجانسة - هذا يقال خصوصا على الجواهر التي تسيح وتلويح تحت فعل النار فيكون قوامها اذا كالمسائل . في حقيقة الامر - زدت حقه الكلمات - تخرج وتنفى - ليس في النص الا كلمة واحدة . - البرد على ضد ذلك يجمع - وعلى هذا المعنى فالبرد هو فاعل كالحرارة . والتي ليست من نوع واحد - فان الثلج يجلد ويجمع غالباً الجواهر الأكثر ثقافرا . ما ليس محدودا في صورته الخاصة - فان المسائل لم يكن البتة الا صورة الحادى له . أما هو نفسه فليس له صورة في كثرته . في حدودها الخاصة - أو « في سطحه الظاهر الخاص » . صورة حدود - النص يستخدم لفظا واحدا للدلالة على صورة أو خلود .

٥ - من هذه الفصول الأول انما يأتي المتخلخل والكثيف واللبق والفريك والصلب واللين والفصول الأخرى المشابهة . اذا كان جسيما له خاصة امكان أن يملأ الاين بسهولة يتصل بالسائل لانه غير محدد هو نفسه وانه يخضع من غير أدنى عناء الى فعل الشيء الذي يلمسه تركا ذاته تأخذ صورة ذلك الشيء . كذلك المتخلخل يمكنه أن يملأ الاين على سواء لانه لما تم يكن له الا اجزاء خفيفة وصغيرة كان يجيد الماء ويلامس تماما وهذه خاصة تميز على الخصوص الجسم المتخلخل . حينئذ بالبدئية المتخلخل يقارب السائل في حين أن الكثيف يقارب اليابس . ومن جهة أخرى الدبق يتعلق ايضا بالسائل لان الدبق ليس الا نوعا من السائل مع بعض كيفيات كالزيت . ولكن الفريك يتعلق باليابس لان الفريك انما هو النام اليابس . ويمكن القول بأنه لم يتجبد الا لخلوه من كل سائل . ويمكن أن يقال أيضا ان اللين جزء من السائل لان اللين هو ما يطاوع عند التوائه على نفسه ودون أن ينتقل كما أن السائل يفعل هذا الفصل بالضبط أيضا . تلك هي العلة في ان السائل لم يسم ليناً في حين ان اللين يتعلق بصنف السائل وأخيرا فالصلب يتعلق باليابس لان الصلب هو شيء من المتجبد واليتجبد يابس .

٦ - على أن يابساً وسائلاً لفظان يجعلان على معان شتى ، فإن السائل والمبتل يمكن ان يعتبرا كقابلين لليابس كما انه اليابس والمتجبد جسيماً مقابلاً للسائل . وكل هذه الخواص المختلفة تتعلق بالسائل واليابس

ليس النص على هذا القدر من الصراحة .
 - لا تكون الا قانونية بالنسبة للفصول الأول للبادد
 - خاصة امكان أن يملأ الاين - ليس في النص الا كلمة
 أيضا ان يفهم من الاين « الإمكية الفارغة أو التجاوب » كما فهم
 بالسائل - عبارة النص بالضبط : « هو من السائل » أي جزء
 - حبيب وصغيرة - هذا غير صحيح تماما وان السطح مهما يكن متخللاً فإنه لا
 جسيم أن يملأ الاين بحسب الوضع الذي يعطى اياه . - يتعلق أيضا بالسائل أو
 « من السائل » كما ذكر في المتخلخل :
 - كالزيت - كان يمكن إيجاد مثل أكثر انطباعاً . - من كل سائل - أو « من كل
 رطوبة » - ودون أن ينتقل - كحال الماء الذي تفصل جزئياته في حين أن الجسم اللين
 تبقى جزئياته متصلة معطوحتها للضغط الواقع عليها - يتعلق بصنف السائل وطوره
 من السائل . - من المتجبد - هذا هو لفظ النص يعينه تركبته على صومه .
 ٦ - يابساً وسائلاً - أو « يابساً ورطباً » وقد آثرت كلمة سائل حتى تكون مقابلته
 أظهر بالمبتل الذي سيأتي ذكره . - اليابس والمتجبد - ربما يمكن أن يقال أيضا (اليابس
 والمتجبد) هذه الخواص المختلفة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - على المعنى
 الأولى لهاتين الكلمتين - ر . الملاحظة في ف ٣ . - المتفتح - أو « المنفوخ » - يحصل
 بالسائل - ر . ملاحظتنا على هذا التنبيه في الفقرة السالفة .

محمولين على المعنى الاولى لهاتين الكلمتين ، لانه من حيث ان اليايس هو مقابل للمبتل وان المبتل هو ما كان به على سطحه سائل غريب في حين ان المتنقع هو ما به السائل الى باطنه . ولما أن اليايس هو على ضد ذلك ما كان خلوا من كل سائل غريب فبين بذاته انه المبتل يتصل بالسائل في حين ان اليايس المقابل له يتصل باليايس الاولى .

§ ٧ - ويجرى هذا المجرى أيضا في السائل والمتجمد فان السائل لما كان ما به رطوبة خاصة والمتجمد ما هو خلوا منها يجب أن يستنتج منه أن هذين الكيفين أحدهما يتعلق بصنف السائل والآخر بصنف اليايس .

§ ٨ - فبين حينئذ أن كل الفصول الاخرى يمكن أن يرجع بها الى الاربع الاولى وان هذه لا يمكن ان ينزل عددها الى أقل من ذلك لان الحار ليس هو والرطب أو اليايس شيئا واحدا كما ان الرطب ليس هو لا الحار ولا البارد . كذلك البارد واليايس ليسا تابعين أحدهما للآخر كما أنهما ليسا تابعين للحار ولا للرطب . والحاصل انه لا يوجد ضرورة الا هذه الاربعة الفصول الاصلية .

§ ٧ - في السائل ٠٠٠ بصنف السائل - يظهر ان هنا تكرارا في الكلمات لا فائدة منه وقد اضطررت ان اتبع الاصل . ولم يفسر فيلوبون هذا العيب الذي ربما لم يظن له .

§ ٨ - في الفصول الاخرى - التي ذكرت ووضعت بعد الفصول الاربعة الاولى والاصلية . - الى الاربعة الاولى - البارد والحار واليايس والرطب . - الى أقل - يعني الى اثنين بدل اربعة . - والرطب - أو « السائل » . - الاصلية - أضفت هذا الوصف . ر . الكتاب الرابع من الميتيورولوجيا ب ١ .

الباب الثالث

تراكيب العناصر بين بعضها والبعض - ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها -
نظريات سابقة على عدد العناصر - برمينيد - افلاطون - أمبيدكل - طبع العناصر المختلفة
الامكنة المختلفة التي يشغلها في الاين .

§ ١ - لما انه يوجد اربعة عناصر وان التراكيب الممكنة لحدود اربعة
هي ستة ، ولكن أيضا لما ان الاضداد لا يمكن أن تزودج بينها ما دام
البارد والحر واليابس والرطب لا يمكن البتة أن تندمج في شيء واحد
بعينه ، فبين أنه لا يبقى الا اربعة تراكيب للعناصر . فمن جهة ، حر
ويابس ، حر ورطب ، ومن جهة أخرى بارد ويابس ، بارد ورطب .

§ ٢ - تلك هي نتيجة طبيعية لوجود الاجسام التي تظهر بأنها
بسيطة : النار والهواء والماء والارض ، فالنار حارة ويابسة والهواء حر
ورطب ما دام ان الهواء نوع من البخار . والماء بارد وسائل واخيرا الارض
باردة ويابسة . ينتج منه أن توزيع هذه الفصول بين الاجسام الاول
يفهم جد الفهم وأن عدد هؤلاء وهؤلاء هو على تمام التناسب .

§ ٣ - وفي الحق ان كل الفلاسفة باعترافهم للاجسام البسيطة بأنها
عناصر قبلوا منها تارة واحدا وتارة اثنين وتارة ثلاثة وتارة اربعة .

§ ٤ - فأما الذين لم يقبلوا منها الا واحدا فمضطرون الى توليد كل
الأخرى من تكثيف هذا العنصر او تخفيفه . وبالتالي يقبلون مبداين

§ ١ - لما انه يوجد اربعة عناصر - هذه هي عبارة :لنص ولكن الحر والبارد ، واليابس
والرطب اولي بها أن تكون خواص للعناصر من أن تكون عناصر بالمعنى الخاص . - أن تزودج
بينها - لانها تتفاسد . - أنه لا يبقى الا اربعة تراكيب - ليس النص على هذه الصراحة .
... رطب - أخذت اللفظ الاكثر استعمالا عادة ولكن اللفظ الاخرى يفيد سائلا كما يفيد رطبا .

§ ٢ التي تظهر بأنها بسيطة - أسلوب هذه العبارة لا يدع محلا لاقول شك في بساطة
العناصر بالاطلاق على حسب نظريات أرسطو . وقوله تظهر بأنها بسيطة يفيد أن بساطة
العناصر يمكن أن تحقق بالمعاينة . - والماء بارد وسائل - اخترت هنا لفظ سائل بدل رطب
لانه أنسب للماء .

§ ٣ - للاجسام البسيطة بأنها عناصر - الظاهر أنه ينتج من هذه الفقرة أنه ولا واحد
من الفلاسفة قد قبل أكثر من اربعة عناصر . ومع ذلك فإن أرسطو نفسه في الميتافيزيقا
قبل فيما يظهر خامسا وهو الاثير . ر . الميتافيزيقا ك ١ ب ٣ ف ٤ ص ٩ من ترجمتنا .
§ ٤ - تكثيف ... او تخفيفه - ر . الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١ ص ٤٦١ من
ترجمتنا . - هذا العنصر - أضفت هاتين الكلمتين لتمام الفكرة . - الفواعل المؤلفة - او

المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد لأنها في هذا المذهب هي الفواعل
المؤلفة والعنصر الوحيد يكون خاضعا لفعالها بما هو مادة .

§ ٥ - وأما الفلاسفة الذين هم كبرمينيد يقبلون عنصرين انوار
والارض ، فيعتبرون العناصر الوسيطة الهواء والماء مزيجا من ذينكم
العنصرين . كذلك الحال عند الذين يقبلون عناصر ثلاثة كما فعل أفلاطون
في تقاسيمه لان عنده العنصر الوسط ليس الا مزيجا . وحينئذ الذين
يقبلون عنصرين والذين يقبلون ثلاثة يوشك أن يكونوا على اتفاق تام لولا
أن بعضهم يقسم العنصر الوسط الى اثنين وأن الآخرين يتركون له
وحدته .

§ ٦ - ومنهم كامبيدقل من يعترفونا جليا بأربعة عناصر غير انه هو
ايضا ينزلها الى اثنين لانه يقابل بالنار كل العناصر الاخرى مجتمعة .
فعلى رأى أمبيدقل يكون لا النار ولا الهواء ولا اى واحد من العناصر
الاخرى بسيطاً بل ممزوجا . فان الاجسام البسيطة هي جميعها بسيطة

• الصانعة • - خاضعا لفعالها - ليس النص على هذه الصراحة • - بما هو مادة - اهل
لأن تقبل الاضداد على التعاقب •

§ ٥ - كبرمينيد - في الطبيعة ك ١ ب ٦ ف ١. أن المبدأين المنسوبين الى برمينيد
هما المتخلخل والكثيف أو الحار والبارد وليس هما النار والارض مع أن النار يمكن أن
تشخص بالحار والارض بالبارد • - في تقاسيمه - قد يظهر أن هذا يدل على عنوان
خاص لمؤلف لأفلاطون ولكن فيلوبون بناء على قول مفسرين سابقين يؤكد أن المؤلف
المنسوب الى أفلاطون تحت هذا الاسم كان منتحلا • ويرى الاسكندر الافروديزي أن
المقصود هنا هو تلك الآراء غير المكتوبة لأفلاطون التي يرويها أرسنطو بالصراحة في
الطبيعة ك ٤ ب ٤ ف ٤ ص ١٥٠ من ترجمتنا • وقد ظن شراح آخرون أن المقصود هو
التقاسيم المبينة في محاوراة أفلاطون المعنونة « السفسطائي » • ويظهر أن تفسير الاسكندر
هو الاقرب للاحتمال • - ليس الا مزيجا - كما يرى برمينيد • - يوشك أن يكونوا
على اتفاق تام - ما دام أنه مزيج في عرف الطرفين • - العنصر الوسط الى اثنين - قد
لا يكون هذا مطابقا تماما لما قبل ألفا فان برمينيد يظهر أنه يقبل عنصرين وسطين لا
واحدا ولا يمكنه أن يدمج الهواء والماء •

§ ٦ كامبيدقل - ر • ما سبق ب ١ ف ٢ • - كل العناصر الاخرى مجتمعة
- ليس النص على هذا الضبط • - فعلى رأى أمبيدقل - أضفت هذه العبارة لانه يظهر
لي أن كل ما سياتي لا يمكن استناده الا الى أمبيدقل • وهذا تفسير بان توماس وجامعة
كوبيدرا • ويظهر أن فيلوبون يظن أن هذه هي فكرة أرسطو الخاصة • - بل ممزوجا -
من الصورة والهيولى كما يقول فيلوبون • - الاجسام البسيطة - عبارة النص غير
محددة وهي « البساط » ومن الجائز أن يكون المراد هنا الاربعة العناصر الخاصة الحار
والبارد واليابس والرطب • وعلى الرغم من الجهد الذى بذلته لا تزال هذه الفقرة قلقة
غامضة • - الجسم المشابه للنار - هو المركب من الحار واليابس • ر • ما سبق ف ٢ •
- ولكنه مع ذلك - ليس النص على هذه الصراحة • - الجسم المشابه للهواء - وهو المركب من

بلا تشك ، ولكنها ليست مع ذلك متماثلة • مثلاً الجسم المشابه للنار هو من نوع النار ولكنه مع ذلك ليس بانضبط نارا • والجسم المشابه للهواء هو من نوع الهواء دون أن يكون هواء • وكذلك الحال في بقية العناصر • ولكن النار هي افراط في الحرارة كما أن الثلج افراط في البرودة لأن التجلد والغليان هما افراطان من جنس ما أحدهما للبارد والثاني للحار • فإذا كان إذا الثلج هو تجلد السائل والبارد ، فالنار تكون أيضاً غليان الحار واليابس • فأنظر لماذا لا يمكن أن يتولد شيء لا من الثلج ولا من النار •

§ ٧ - الاجسام البسيطة بما هي في عدد الاربعة تتعلق اثنين اثنين بكل واحد من مكاني الاين • فالهواء والنار هماً من المكان المائل نحو الحد الاقصى • والارض والماء بالمكان الذي هو نحو المركز وأن العناصر الطرفية والمخالصة أكثر من غيرها هي النار والارض • والعناصر الوسطى والاكثر تمازجة هي الماء والهواء • وفي كل طائفة احد الاثنين هو ضد للآخر لأن الماء ضد النار والارض ضد الهواء ما دام أن لها في تركيبها كيميائيات متضادة •

الحار والرطب • ر • ما سبق ف ٢ • - التجلد والغليان - من الغريب أن ترى هاتان الظاهرتان متقابلتين في نظريات القدماء • وقد لزم أن تمر قرون عديدة حتى ينتج هذا التقابل نتائج العملية فيؤسس عليه ميزان الحرارة (الترمومتر) هذه الآلة العجيبة التي تقيس لعميق درجة حرارة الاجسام • - فأنظر لماذا لا يمكن أن يقول شيء لا يظهر أن المعاني مرتبطة بحد الارهاط ينضجها بعض وقد يمكن أن تكون هذه الجملة ليست ، لا تزيلا •

§ ٧ - الاجسام البسيطة - هذه هي عبارة النص بعينها ويظهر أن أرسطو هنا يرجع الى الكلام على تلخيص الخاص وأن ليس المراد هنا :الكلام على المذاهب الحرة لأبيدقل • - بكل واحد من مكاني - اللوق والتحت • - الاين - أضفت هذه الكلمة • - المكان المائل نحو الحد الاقصى - عبارة النص غير متحدة قليلا ومع أي حدها نوعا ما فلم أبلغ جعلها أجل بياناً • - الذي هو نحو المركز - نلاحظ هنا الملاحظة السابقة • - العناصر الطرفية - معنى التي هي في النقط الأكثر مقابلة من الاين للمركز وللحيط الاقصى • - والمخالصة أكثر من غيرها - هذا يجب أن يعني به حركة هذه العناصر أولى من أن يعني به تركيبها • وقد يمكن أن يقال « الاظهر » في ابتجاعها • - والاكثر تمازجة - هذه هي عبارة النص بعينها ولكنه يلزم أن يفهم أن هذا يتعلق خصوصاً على الحركة • - هو ضد للآخر - في الطائفة الاخرى • - الارض ضد الهواء - التقابل ليس بين الظهور • - كيميائيات متضادة - أنظر ما يل

§ ٨ - ومع ذلك فعلى القول بالاطلاق الاربعة الاجسام البسيطة
لا يتعلق كل واحد منها الا بكيف واحد . على ذلك الارض هي من اليابس
أكثر من أن تكون من البارد والماء هو من البارد أكثر من أن يكون من
السائل . والهواء هو من السائل أكثر من أن يكون من الحار والنار هي
من الحار أكثر من أن تكون من اليابس .

§ ٨ - فعلى القول بالاطلاق - زدت لفظ « القول » . - الا بكيف واحد - عبارة
النص غير محدودة . - أكثر من أن تكون - هذا يناقض قليلا مفهوم قوله « على الاطلاق »
في أول الجملة . - من البارد أكثر من أن يكون من السائل - يظهر أن الامر على ضد
ذلك أن الماء سائل أكثر منا . باردا . فهو سائل قبل كل شيء ولكن المذهب الذي وضع
هنا يقتضى هذا التناظر في الوضع . فقد تركت السيولة للهواء وربما قد يمكن أن يقال
أيضا بدل السيولة السائلة .

الباب الرابع

نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض - فصول العناصر فيما بينها يمكن أن تكون أكثر أو أقل عددا - سهولة التبدل وصعوبته - أمثلة مختلفة بحسب تجاوز العناصر أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب كميات العناصر أو تقابلها - خاتمة الجزء الأول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر *

§ ١ - بعد أن بينا فيما سبق أن الأجسام البسيطة يكون بعضها بعضا على طريق التكافؤ وأن المعاينة الحسية تدلنا على أنها تتكون بهذه الطريقة لأنه إن لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة ، ما دامت الاستحالة لا تنطبق إلا على كميات الأشياء التي يمكن لمسها ، فيلزمنا أن نقول بأى طريقة يحصل تغير العناصر بعضها إلى بعض وما إذا كان ممكنا أن كل عنصر يتولد من كل عنصر أو إذا كان هذا ممكنا فقط بالنسبة للبعض ومحالاً بالنسبة للبعض الآخر *

§ ٢ - فإذا كان ثم أمر بديهي فذلك هو أن كلها يمكن بالطبع أن تتغير بعضها إلى بعض لأن كون الأشياء يروح إلى الاضداد ويجيء من الاضداد . وكل العناصر لها تقابل بعضها بالنسبة إلى البعض الآخر لأن فصولها أضداد وحينئذ في بعض العناصر الفصلان هما ضدان ومثال ذلك في الماء والذرات فإن أحدهما يابس وحار في حين أن الآخر سائل وبارد . وبعض العناصر الأخرى ليس لها إلا واحد من الفصلين كالهواء والماء فإن أحدهما هو سائل وحار والثاني بارد وسائل *

§ ١ - بعد أن بينا فيما سبق - ر . كتاب السماء ك ٣ ب ٧ ف ١ ص ٢٦٥ من ترجمتنا . ويظهر بناء على هذه الفقرة أن كتاب السماء كان في فكرة المؤلف مرتبطاً بهذا الكتاب كما يعتقد المفسرون إذ وضعوا لكتابين أحدهما تلو الآخر . - المعاينة الحسية - عبارة النص « الحس » . - لأنه إن لم يكن كذلك فقد لا توجد استحالة للدليل ليس جيد البيان إذ أن الاستحالة مختلفة عن الكون وإنها تقتضيه . فإنه يلزم أن يوجد الشيء قبل أن يستحيل ولكن وجود العنصر شيء لا ينتج منه أن هذا العنصر يأتي من عنصر آخر . - التي يمكن لمسها - ر . ما سبق ب ٢ ف ١ . - تغير العناصر بعضها إلى بعض - يمكن مراجعة كتاب السماء وكتاب الميتورولوجيا أيضاً ك ١ ب ٣ و من ترجمتنا § ٢ - أمر بديهي - بالتدليل أكثر منه بالمباشرة . - يروح إلى الاضداد - حفظت عبارة النص على فرط إيجازها . ومع ذلك فهي مفهومة بسهولة بعد التفصيل التي تقدمت . فإن الشيء يتكونه يذهب من اللاوجود إلى الوجود وعلى ضد ذلك بفساده يذهب من الوجود إلى اللاوجود فهو يجاوز ضداً ليذهب إلى الضد الآخر . - لها تقابل - اتخذت لفظاً أعم من لفظ النص الذي هو « تضاد » - فصولها أضداد - ر . ما سبق ب ٢ ف ٢ *

٣ - وحينئذ فمن البين أنه على العموم كل عنصر يمكن بالطبع أن يأتي من كل عنصر . وليس من الصعب الاقتناع بهذا بأن يشاهد كيف تحصل الظاهرة بالنسبة لكل عنصر على حدته . لأنه سيبرى أن كلها تأتي من كلها . والفرق الوحيد، إنما هو أن التغير يتكون بكثير أو قليل من السرعة وبكثير أو قليل من السهولة . وكلما كان بين العناصر نقط ارتباط تحولت بعضها إلى بعض سراعاً جداً . وما ليس بينها نقط ارتباط تتغير ببطء . وعلة ذلك أن شيئاً واحداً بمفرده يتغير بأسرع من عدة . وعلى ذلك فالهواء يأتي من النار بتغير أحد الكيفين ليس إلا ، ما دام أن أحدهما يابس وبارد والثاني حار وسائل . وينتج منه أنه إذا كان اليابس مغلوباً بالسائل فيتكون الهواء ثم أنه من الهواء يتكون الماء إذا كان الحار هو المغلوب بالبارد لأن أحدهما كان سائلاً وحاراً والثاني كان بارداً وسائلاً فيكفي إذا أن الحرارة وحدها تتغير لاجل أنه يتكون الماء .

٤ - وبهذه الطريقة عينها أيضاً أن الأرض تأتي من الماء وأن النار تأتي من الأرض لأن هذين العنصرين أيضاً لهما أحدهما قبل الآخر نقطة جمع ووصل فأن الماء سائل وبارد والأرض هي باردة ويابسـة بحيث أنه إذا كان السائل هو المغلوب تتكون الأرض . ومن جهة أخرى بما أن النار يابسـة وحارة والأرض يابسـة وباردة فإذا فسد البارد فمن الأرض تتكون

فان أحدهما هو سائل - قد اضطرت للاحتفاظ بلفظ « سائل » المطبق على الهواء كما هو أيضاً في النص .

٣ - بأن يشاهد - وصية جديدة بنط المشاهد - لفظ ارتباط - ربما كان اضبط أن يقال « تركيب » ممكن . فان الحد المستعمل في النص فيه تفاوت لم أسطع تحصيله مباشرة . ر . الفقرة الآتية . - تحولت - أو « مرت من واحد إلى الآخر » . أحد الكيفين - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - كن - قد حافظت على أسلوب النص وهذا يتعلق بالنظريات التي بسطت آنفاً . - يابس وحار . . . حار وسائل . - أي أن كيفي الحار يجتمعان ما دما متماثلين . فلا يبقى للتغير إلا اليابس والسائل . - كان سائلاً - حفظت صيغة الماضي الناقص كما هي في الأصل .

٤ - نقطة جمع ووصل - ترجمت هنا بوضوح معنى الكلمة الإغريقية التي هي خاصة بالاشياء التي يمكن جمع أجزائها المؤلف كلا بعد أن فصلت .

- هو المغلوب - بالكيف الآخر الذي هو أقوى منه . فان السائل المغلوب يتلاشى ولا يبقى من الكيفين إلا البرودة التي هي الكيف المشخص للأرض . - فمن الأرض تتكون النار - كل هذه النظريات تظهر لنا غريبة في هذه الأيام ولكن يجب الرجوع إلى زمن أرسطو . وقد كانت هذه النظريات مقبولة بلا نزاع إلى القرن السادس عشر . - العناصر التي تتماكب - ليس في النص إلا كلمة واحدة غاية في عدم التحديد ، فان العناصر المتعاقبة هي التي لها كيفيات مشتركة . - جمع ووصل - ر . ما سبق في أول هذه الفقرة .

النار • فيرى حينئذ أن كون الاجسام البسيطة يحصل بالدور وطريقة التغير هذه هي أسهل الطرق لأن العناصر التي تتعاقب لها دائما بينها نقط جمع ووصل •

§ ٥ - والماء يمكن أيضا ان يأتي من النار والارض من الهواء وبالعكس يمكن ان يأتي أيضا الهواء والنار من الماء ومن الارض • ولكن هذا التحول هو أصعب لان موضوع التغير أشياء أكثر عددا • وفي الواقع لاجل أن تأتي النار من الماء يلزم أن يفسد أولا البارد والسائل وكذلك لاجل أن يأتي الهواء من الارض يلزم أن البارد واليابس يفسدان • وهذا اللزوم واجب أيضا لاجل أن الماء والارض يأتیان من النار ومن الهواء لانه يلزم حينئذ أن يكابد الكيفان التغير •

§ ٦ - وأيضا الكون الذي يحصل بهذه الطريقة هو ابطأ • ولكن اذا فسد احد كفي كل واحد من الاثنين فيكون التحول أسهل غير أن هذا التحول لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر على طريق التكافؤ • غير أنه من النار ومن الماء تأتي الارض والهواء ، ومن الهواء ومن الارض تأتي النار والماء • وفي الواقع اذا فسد بارد الماء ويابس النار يتكون الهواء لانه لا يبقى بعد الا حار أحدهما وسائل الآخر • ولكن اذا فسد حار النار وسائل الماء تتكون الارض لانه لا يبقى حينئذ الا يابس أحدهما وبارد الآخر •

§ ٧ - وكما هو الامر في الهواء والارض يكون في تكون النار

§ ٥ - والماء يمكن أيضا أن يأتي من النار - ليس بين الماء والنار نقطة مشتركة ما فلاجل أن يتغير أحدهما الى الآخر لا بد من الوسطاء • اوها هنا الهواء هو الذي له نقط مشتركة بينه وبين الماء من جهة وبينه وبين النار من جهة أخرى • - هذا التحول - عبارة النص أشد ابهاما • - البارد وسائل - اللذان هما كيفا الماء • - البارد واليابس - كيفا لارض الخالصان • - الكيفان - لفظ النص غير محدد •

§ ٦ - الكون - كون العنصر الجديد الناتج من تحول العناصر الاخرى • - لا يحصل بعد حينئذ من الواحد الى الآخر - وحينئذ يوجد جسم ثالث مكون من الكيوف الباقية • ينازع فيلوبون في صحة هذه النظرية التي هي مع ذلك كما يقول هو كانت مقبولة عند الاسكندر الافروديزي •

- غير أنه من النار ومن الماء - لا يظهر أن المعاني متعاقبة تماما • - يتكون الهواء عنصر مخالف للنار والماء اللذين أنتجاء • - تتكون الارض - الملاحظة عينها • - يابس • • • وبارد - اللذان هما كيفا الارض •

§ ٧ - سائل أحدهما - وسائل يظهر أن استعماله خاص بالماء دون سواء • ولكن في هذه النظريات يلزم قبوله أيضا بالنسبة للهواء لان لفظ رطب يظهر أنه أحسن استعمالا =

والماء لانه اذا فسد حار الهواء مع يابس الارض يتكون الماء مادام أنه سيبقى سائل أحدهما وبارد الآخر . ولكن حينما يكون المنعدم هو سائل الماء وبارد الارض تتكون النار لانه يبقى حار أحدهما ويابس الآخر وهما الكيفان الخاصان بالنار .

§ ٨ - وهذا الايضاح لكون النار يتفق جدا مع الحوادث التي يشهد بها الحس لانه انما هو النهب الذي هو على الاخص نار والذهب ليس الا الدخان المحترق والدخان يتركب من هواء وأرض .

§ ٩ - فى العناصر التى تتوالى وتتعاقب ليس ممكنا متى كان أحد الكيفين قد فسد فى واحد أو فى الآخر أن يحصل مرور وتحول للعناصر الى اى جسم آخر لان البواقي التى تبقى فى الاثنين هى اما متماثلة أو متضادة . وحينئذ لا من بعضها ولا من الآخر يمكن أن يحصل جسم . مثال ذلك اذا فسد يابس النار واذا فسد أيضا سائل الهواء لا توجد نتيجة ممكنة مادامت الحرارة هى التى تبقى من طرف ومن آخر . وكذلك الحال فيما اذا كانت هى الحرارة التى تنعدم من الاثنين فانه لا يبقى بعد الاضدان وهما اليابس والسائل ، ويجرى هذا المجرى فى جميع الاحوال الاخرى ما دام أنه فى الاحوال التى من هذا القبيل يبقى دائما تارة الكيف المائل وتارة الكيف المضاد ، وعلى هذا فمن البين حينئذ انه لاجل تكوين العناصر مارة

= فى بعض الاحوال . ويمكن أيضا ان تستعمل كلمة « لطيف » للهواء ولكن هذه الكلمة لا توافق تماما كلمة النص . وهما الكيفان الخاصان بالنار - ر . ما سبق ب ٣ ف ٢ .

§ ٨ - وهذا الايضاح لكون النار - ليس النص على هذه الصراحة - يتفق جدا مع الحوادث - لا يظهر ان هذا الاتفاق تام كما يظن المؤلف ولكن هذا لا يمنع من أن النمط الذى يوصى باتباعه وحق ولو انه لم يحسن تطبيقه . - الدخان يتركب من هواء وأرض - لان الدخان على رأى أرسطو هو تبخر الخشب . ر . الميتورولوجيا ك ٤ به ٩ ف ٤٢ ص ٣٣٩ من ترجمتنا .

§ ٩ التى تتوالى وتتعاقب - مثال ذلك الهواء بعد النار والماء بعد الهواء والارض بعد الماء ما دامت العناصر الاربعة مرتبة على هذا النظم . - مرور وتحول - ليس فى النص الا كلمة واحدة .

- البواقي التى تبقى فى الاثنين - ليس النص على هذه الصراحة . - نتيجة ممكنة - يعنى جسما ثالثا مخالفا للجسمين الذين انتجاه . - الحرارة هى التى تبقى - وفى هذه الحالة هى النار . - ضدان - يترافعان ولا يمكنهما أن يجتمعا ما دام أنهما يتفاسدان على التكافؤ . - مارة ومتغيرة - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - من واحد الى واحد

ومتغيرة من واحد الى واحد يكفي أن كيفاً واحداً يفسد • ولكن بالنسبة
للعناصر التي تمر من اثنين الى واحد فقط • هنالك يحتاج الى فساد
عدة كيفيات •

§ ١٠ - وعلى جملة من القول فإنه قد وضع ان كل عنصر يتولد
من كل عنصر وقد بين بأية طريقة يحصل تحول بعضها الى بعض •

- التعبير ليس بهذا جدا ولم أزد على أن حصلته بعينه • ب كيفاً واحداً - كيف المضاف •
والنص ليس على هذا القدر من الضبط • عدة كيفيات - كلمة النص في غاية الإبهام •
§ ١٠ - وعلى جملة من القول - عبارة النص هي بالبساطة : « سيند » •

الباب الخامس

بقية نظرية تبدل العناصر - من المحال الا يوجد الا عنصر واحد منه تاتى كل العناصر الاخرى - في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيقى للعناصر المختلفة - شاهد من طيموس لافلاطون - عرض جديد للطريقة التى بها تتغير العناصر بعضها الى بعض - يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك - نسبة العناصر الاطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الاوسط - الحدود الضرورية لهذا التحول - لا يمكن التمشى الى اللانهاية فى اى واحدة من الجهتين - البيان الحرفى لهذا المبدأ .

§ ١ - التفاصيل السابقة لاتمنعنا تقدير هذه المسائل على ضوء آخر . فاذا كانت مادة الاجسام الطبيعية هى . كما يرى بعض الفلاسفة الماء والهواء اى عناصر من هذا القبيل فيلزم ان تكون واحدا او اثنين او عدة من هذه العناصر . وفى الحق لا يمكن الا تكون جميع الاشياء الا عنصرا واحدا احدا . مثلا ان الكل لا يكون الا هواء او ماء او نار او ارضا مادام التغير يحصل فى الاضداد . وفى الواقع نفرض ان الكل هو من الهواء وان الهواء يبقى فى جميع التغيرات فسيحصل من ثم مجرد استحالة ولن يحصل بعد كون .

§ ٢ - ولكن فى هذا الافتراض عينه ليس ممكنا ، فيما يظهر ، ان يكون الماء فى آن واحد هواء او اى عنصر آخر مشابه . فسيوجد دائما بين انكيفيات تقابل وخلاف حيث لا يكون للنار الا واحدا من الطرفين الحرارة مثلا . ولكن النار لن يمكنها البتة ان تكون بالبساطة هواء حارا لان هذا انما هو استحالة . ولا يظهر ان الامور تقع على هذا النحو . ومن جهة اخرى اذا فرض على العكس ان الهواء ياتى من النار فهذا التغير لا

§ - التفاصيل السابقة - ليس النص على هذه الصراحة . - على ضوء آخر - عبارة النص بالضبط هى : « هكذا » يعنى « بالطريقة الآتية » . - فاذا كانت مادة الاجسام الطبيعية - يجب ان يعنى ما هنا بالاجسام الطبيعية اولا بعض العناصر ثم بعد ذلك جميع الاجسام التى تؤلفها العناصر الاولى بتركيبتها . كما يرى بعض الفلاسفة وعلى الاخص فلاسفة مدرسة يونيا . - عنصرا واحدا احدا - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - ما دام التغير يحصل فى الاضداد - وان تقبل واقعية التغير المدرك بحواسنا - فى جميع التغيرات أضفت هذه الكلمات لبيان الفكرة .

§ ٢ - ان يكون الماء - بعض الناشرين يثبت النار بدل الماء ، وأظن ان هذه هى الرواية الحق لانها هى وحدها التى تتفق مع كل ما يلى . ويظهر ان فيلوبون ايضا على ذلك . ولكنى لم أجسر على تغيير النص لان هذا التغير لا يستند الى أية نسخة مخطوطة .

- بين الكيفيات - أضفت هاتين الكلمتين لتتام المعنى . =

يمكن حصوله الا بالتغير من الحرارة الى ضدها فهذه الكيفية المضادة ستكون اذا في الهواء وحينئذ سيكون الهواء شيئا باردا وبالنتيجة من المحال أن تكون النار هواء حارا لانه قد ينتج منه أن العنصر الواحد قد يكون حارا وباردا في آن واحد . وسيوجد حينئذ خلاف هذين العنصرين شيء ما آخر سيبقى مماثلا وهو أية مادة أخرى عامة للثنتين .

§ ٣ - قد يكون التدليل عينه منطبقا في حق كل عنصر آخر غير الهواء ولا يمكن أن يوجد منها واحد قد يكون المنبع الوحيد الذي منه تكون قد خرجت الاخرى كلها . وليس يوجد خلاف هذه العناصر عنصر آخر وسيط ، كأن يكون مثلا عنصرا وسطا بين الهواء والماء أو بين الهواء والنار ، أثقل من الهواء والنار وأخف من كل الاخر . لان هذا الوسيط حينئذ يكون بمقابلة الاضداد هواء ونارا معا . ولكن ثاني الضدين هو العدم وبالتبع لا يمكن أن يثبت هذا العنصر الوسيط وحده ، كما يقوله بعض الفلاسفة ، عن اللامتناهي وعن الحاوي . فيلزم اذا ما أن كل واحد من العناصر المعروفة يمكن ان يكون على السواء هو ذلك الوسيط واما الا يمكن ولا واحد منها ان يكونه .

= واحد من الطرفين - هذه هي كلمة النص بعينها أثبتها وربما قد لا تكون الكلمة المختارة . - الحرارة - بافتراض أن الهواء حار ومماثل كما سبق في ف ٢ و ٣ . - الامور تقع على هذا النحو - ليست عبارة النص على هذه الصراحة . - أن الهواء يأتي من النار - كما افترض أفلاطون أن النار هي التي كانت تأتي من الهواء فيلزم أن الهواء يمكن أن يأتي من النار أيضا ما دام أنه لم يفترض الا عنصر واحد أحد . - من الحرارة - التي هي في النار بالبداية . - الى ضدها - الذي هو البرودة . - هذه الكيفية المضادة - ليس في النص الا اسم إشارة غير محدد . - وسيوجد حينئذ - هذه هي النظرية التي سيقف عندها أرسطو فيما يلي . - أية مادة أخرى عامة للثنتين - هي المادة بالقوة المحضة لا بالفعل والتي يمكنها أن تقبل على التناوب صورة كل واحد من الاضداد ونوعه . ر . طيمائوس أفلاطون ترجمة كوزان ص ١٢٢

§ ٣ - في حق كل عنصر آخر غير الهواء - النص مبهم جدا . - قد يكون المنبع الوحيد - النص مبهم جدا أيضا . - عنصر آخر وسيط - كما كان يرى أئتكسيمندروس على رواية فيلوبون . - هو العدم - ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ ف ١٠ ص ٤٨٠ مسن ترجمتنا . فان العدم هو ثاني الضدين بمعنى أن هذا الضد الثاني لا يوجد الا متى انقطع وجود الاخر . - وعن الحاوي - حفظت لفظ النص على إبهامه . ر . على اللامتناهي الطبيعة ل ٣ ب ٦ ف ٤ ص ٩٧ من ترجمتنا . الفلاسفة الذين يشير اليهم هنا أرسطو بلا شك هم أتباع فيثاغورث . ر . كذلك أيضا الطبيعة ف ١٢ ص ١٠٠ . - يمكن أن يكون على السواء هو ذلك الوسيط - ليس النص على هذا القدر من البيان . ولكن المعنى الذي وفيثاغورث ظاهر من شرح فيلوبون .

§ ٤ - ولكنه اذا لم يكن اجسام محسوسة سابقة على تلك
 فالعناصر التي نعرفها هي كل هذه الموجودة ، فيلزم حينئذ اما أن تثبت
 العناصر الى الابد كما هي دون أن يتغير بعضها الى بعض واما أن يتغير
 على الدوام . يمكن أن يسلم ايضا امكان تغيرها جميعا أو أن بعضها
 يمكن ان يتغير وأن الاخرى لا يمكنها ذلك كما قال افلاطون في طيماوس
 ولقد وضح فيما سبق اذا العناصر تتغير بالضرورة بعضها الى بعض
 ولكنه قد بين ايضا انها لا تتغير بسرعة على السواء تحت هذا التأثير المتبادل
 وأن التغير يحصل أسرع بالنسبة لتتغير بينها نقطة صلة أعني كيفامشتركا
 وابطأ بالنسبة لتلك التي ليس لها من ذلك . فاذا لم يكن اذا الامقابلة
 واحدة بالاضداد على حسبها تتغير الاجسام فيلزم بالضرورة حينئذ أن
 يوجد جسمان لان الهيولى انما هي التي تصلح وسطا للضدين غير
 مدرك وغير منفصل ولكن لما انه يوجد بالمعاينة عناصر اكثر فان اقل
 ما يمكن أن يوجد من المقابلات انما هو اثنان ومتى وجد اثنان فلا يمكن
 ان يوجد ثلاثة حدود فقط بل يلزم مطلقا أربعة كما قد تدل عليه
 المشاهدة . وهذا انما هو عدد التراكيب اثنين اثنين لانه ولو أنها
 ستة في المجموع الا أن منها اثنين لا يمكن البتة أن يكونا لانها ضدان
 أحدهما للآخر . ومع ذلك فقد عولجت هذه المسائل فيما سبق .

§ ٥ - مع أن العناصر تتغير بعضها الى بعض فان من المحال ان
 يوجد مبدأ التحول لافي أحد الطرفين ولا في الوسط . واليك ما يشتبه
 فأما الطرفان فانه ليس ممكنا ان تكون كل الاشياء من النار كما انها
 لا تكون كلها من الارض ، لان هذا يرجع الى القول بأن الكل يتولد من
 النار أو ان الكل يتولد من الارض . ولكن لا يمكن ان يقال ايضا ،
 كما يريد بعض الفلاسفة ، ان الوسط هو المبدأ وأن الهواء ينقلب الى

§ ٤ .. اجسام محسوسة - عبارة النص غير محددة . فالعناصر التي نعرفها -
 زدت « التي نعرفها » - كما هي - زدتها ايضا . - كما قال افلاطون في طيماوس
 - ر . طيماوس ترجمة كوزان ص ١٦٦ وما بعدها . - فيما سبق - ر . ما سبق ب ٣
 و ٤ . - أعني كيفا مشتركا - زدت هذه العبارة على جملة التنزيل - مقابلة واحدة
 بالاضداد ليس في النص الا كلمة واحدة . - للضدين - أضفت هذ الجار والمجرور لاتمام
 الفكرة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٨ من ترجمتنا . - عناصر أكثر - ليس النص على هذه
 الصراحة . فيما سبق - ر . ما سبق ب ٣ ف ١

§ ٥ - مبدأ التحول - عبارة النص هي بالبساطة « مبدأ » . - من النار .
 من الارض - بأن النار والارض هما العنصران الطرفان . - الهواء ينقلب الى نار - بما
 أن الهواء عنصر وسيط . - الماء ينقلب الى هواء - الملاحظة عينها . - أكرر - أضفت
 هذه الكلمة . - أن يتغير بعضها الى بعض - لان الاطراف هي اعداد تتفاسد ولكنها
 لا تتبدل على طريق التكافؤ .

نار إلى ماء ولا أن الماء ينقلب إلى هواء وإلى أرض • لأنى أكرر أن الاطراف لا يمكن البتة أن يتغير بعضها إلى بعض •

§ ٦ - على ذلك يلزم إيجاد نقطة وقوف ولا يمكن من جهة ولا من أخرى السير إلى انلانهاية على خط مستقيم لانه يترتب عليه وجود مقابلات واضداد غير متناهية العدد لعنصر واحد أحد • فلنرمز للأرض بحرف ا وللماء بحرف م وللحواء بحرف هـ وللنار بحرف ن • فإذا تغير هـ إلى ن والى م فالتقابل يكون بين هـ ، ن • ولنفرض أن هذين الضدين هما البياض والسود • ومن جهة أخرى إذا تغير هـ إلى م فسيكون تقابل آخر لان م ، ن ليسا متماثلين ولتكن مقابلة السيولة واليبوسة مرموزا لليبوسة بحرف ي وللسيولة بحرف س فإذا كان حينئذ الابيض هو الذى يمكث ويبقى فيكون الماء سائلا وأبيض ، فإذا لم يكن أبيض فيكون أسود مادام أن التغير لا يحصل الا إلى الاضداد • فيلزم حينئذ بالضرورة أن يكون الماء إما ابيض وإما اسود ويمكن افتراض انه فى الحالة الاولى • وبالطريقة عينها أيضا ي البيبوسة يكون لحرف ن وحينئذ ن أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء لانهما الضدان ، والنار كانت سوداء أولا ثم يابسة بعد ذلك كما كان الماء سائلا أولا ثم ابيض •

§ ٧ - فبين إذا أن كل العناصر يمكن أن يتغير بعضها إلى بعض • والكيوف الباقية ستوجد فى (١) الأرض كما يوجد فيها نقطتا الاجتماع والارتباط الاسود والسائل مادام أن هذين الكيفين لم يتربكا معا بعد بآية طريقة كانت •

§ ٦ - يلزم إيجاد نقطة وقوف - التى هى أحد الطرفين • - إلى اللانهاية على خط مستقيم - يعنى من غير أن يرتد على عقبيه لينهب من جديد من الطرف الثانى إلى الطرف الاول كما ذهب أولا من الطرف الاول إلى الطرف الثانى ومع ذلك فإن هذه الفكرة ليست بينة بيانا كافيا • - مقابلات واضداد - ليس فى النص الا كلمة واحدة • - فلنرمز للأرض بحرف T - (بالفرنساوية وقد وضع بدلها فى النص العربى حرف ا) فى النص أخذت حروف الرمز من أوائل أسماء العناصر كما نبه عليه فيلوبون كما فعلت فى الترجمة • ومع ذلك فإن هذا المثل الخفى لم يأت بإيضاح كبير • - البياض والسود • نبه سان توماس بحق إلى أن هذه الامثلة ليست مختارة وإن هذه ليست هى الكيفيات العادية للعناصر م ، ن ليسا متماثلين - بل هما ضدان بالعرف العام ما دام أنهما الماء والنار • - السيولة - يمكن أن تترجم أيضا « الرطوبة » • - أعنى النار تتغير كذلك إلى ماء - كل هذه التناير هى نظرية محضة ولا تطابق حقيقة الواقع فى شئ • والمؤلف ما هنا ليس متمسكا بنهج المشاهدة الذى طالما أوصى به •

§ ٧ - أن كل العناصر - قد يكون من الممكن تخصيص هذه القضية التى هى أهم مما يتنبهى بعض الشئ وقصرها على عنصرى الأرض والنار • - الكيوف الباقية - يعنى =

§ ٨ - وهآك البرهان على أنه لا يمكن هاهنا أن يتمشى الى اللانهاية مبدأ اعتمدنا عليه من قبل ان نقرر الايضاح الذى سبق ، وذلك هو - أنه اذا فرض أن النار المرموز لها بحرف ن تتغير الى عنصر آخر ولا ترجع الى الورا وانها مثلا تتغير الى ر فمن ثم يكون بين النار وبين ر مقابلة بالاضداد مختلفة عن المقابلات المذكورة آنفا مادام أن ر لا يمكن ان تكون مماثلة لاي واحد من العناصر المرموز لها بالحروف ا ، م ، ه ، ن ولنفرض ان الكيف ك هو كيف ن وان الكيف ي هو كيف ر فتكون ك حينئذ لكل العناصر ا ، م ، ه ، ن لان كل هذه العناصر يتغير بعضها الى بعض ولكن مع التسليم بأن هذا لم يوضح بعد فأننا من البين على الأقل انه اذا تغير ر من جديد الى عنصر آخر فمن ثم يكون تقابل آخر بالاضداد ويكون بين ر و بين النار ن . وتكون الحال كذلك دائما بالنسبة للحد المزيـد وأنه يوقع دائما مقابلة مع الحدود السابقة بحيث انه اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد فتكون كذلك مقابلات غير متناهية بالعدد لعنصر واحد أحد . واذا كان هذا ممكنا فمن ثم يكون من المحال ان يعطى أى قول شارح وأن يوضح كون أى عنصر ما مادام انه يلزم ، اذا كان واحد يأتي من الآخر ، أن يجتاز من المقابلات عدد ما ذكرنا بل وأزيد منه

= التى لم يتألف أحدها مع الآخر بعد . - تقطعا الاجتماع والارتباط - يعنى الكيفيات المشتركة للعنصرين والتى بها يمكن أن يجتمعا ويتركبا بحيث أن أحدهما يتغير الى الآخر . § ٨ - مبدأ اعتمدنا عليه - ر . ما سبق ف ٦ . - الايضاح الذى سبق - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - ولا ترجع الى الورا - يعنى اذا توالى التغير على خط مستقيم واذا لم تتغير النار على التعاقب الى هواء وماء وأرض لتتغير الأرض بعد ذلك الى ماء وهواء ونار . - المذكورة آنفا - ر . ب ٥ و ٦ . - لا يمكن أن تكون مماثلة - يعنى أن « ر » تكون مفروضة عنصرا خامسا خارجا عن النار والهواء والماء والأرض . - الكيف « ك » - عبارة النص هى فقط « ك » . - فتكون « ك » حينئذ لكل العناصر - ما دام أنه للعنصر « ن » بواسطة « ر » ولسائر الأخرى بواسطة « ن » - للحد المزيـد - كما زيدت « ر » على أربعة العناصر الأخرى . - اذا كانت هذه الحدود غير متناهية بالعدد - يجب أن يعنى بالحدود العناصر الجديدة التى قد تفترض تلو العنصر الخامس كما افترض الخامس تلوها للاربعة الاول . - لعنصر واحد أحد - ما دام أن جميع العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض على التعاقب . - أى عنصر ما - عبارة النص غير محددة - هـ . ذكرنا - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - بل وأزيد منه - هذا غير مفهوم تماما ما دام قد افترض أن عدد الاوساط غير متناه

- لبعض العناصر - عبارة النص غير محددة ويظهر لى أن هذا يرجع بالضرورة الى العنصر . - اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد - كما افترض سابقا ، فإن الهواء والنار هما مع ذلك عنصران متجاوران كلاهما فاذا لم يكن تغير أحدهما الى الآخر على طريق التكافؤ فمن باب أولى العناصر المتباعدة كالنار والأرض ،

ويستج من ذلك أنه بالنسبة لبعض العناصر لا يكون تغيير ممكن البتة ، مثال ذلك اذا كانت الاوساط غير متناهية بالعدد وهذا لازم اذا كانت العناصر غير متناهية بالعدد هي أنفسها ، وعلى ذلك مثلا لا يكون تغيير من هـ سواء الى ناز اذا كانت المقابلات التى تجتاز هي غير متناهية بالعدد .

§ ٩ - وأخيرا كل العناصر أيضا تنتهى الى عنصر واحد لانه يلزم أن تكون كل هذه المقابلات متعلقة اما بالمقابلات من أعلى بالعناصر التى هي أسفل من ن واما بالمقابلات من أسفل بهذه العناصر نفسها بحيث أن الكل ينتهى الى واحد .

§ ٩ - وأخيرا - أضفت هذه الكلمة لبيان أن هذا هو تمام كل ما سبق . ومع ذلك فلا يرى قوة هذا البرهان المبني على فرض عنصر خامس وسلسلة متناهية من العناصر حتى لو فرض أنه لا يوجد الا أربعة عناصر فما دام أنها يمكن أن يتغير بعضها الى بعض كما يقرره أرسطو فانه يظهر أيضا أنه يمكن أيضا أن تنتهى الى واحد . ومع ذلك فاني لست واثقا بأن يكون المراد هنا هو العناصر ما دام أن عبارة النص غير معينة كما فى بعض الفقرات الأخرى . ومن الممكن أن تكون جميع الاوساط هي التى تنتهى الى واحد . كل العناصر أيضا تنتهى الى عنصر واحد - حفظت عدم التعيين الموجود فى النص . ومازالت هذه الفقرة مغلقة على الرغم من توضيحات فيلويون الذى يستند مع ذلك الى الاسكندر الافروديزى . والظاهر أن هذا الأخير كان لديه نص أرسطو كما وصل الينا ، ومن المحتمل أنه لا محل لافتراض أى تحريف ها هنا . وإن الفكرة العامة لهذا التبدل هي مع ذلك جلية وإن كانت التفاصيل ليست دائما كذلك . فعلى رأى أرسطو أن أربعة العناصر يمكن أن يتغير بعضها الى بعض . ولكن هذا التقير لا يصح أن يكون غير متناه ويلزم الاستمساك بالأربعة العناصر التى تدركها حواسنا . وبالأربع الكيفيات التى تشخصها وتميزها . وقد فسر سان توماس هذه الفقرة بالاختصار الذى ليس من عادته . ولم يكن هذا الإيجاز يساعد على جلاء المعنى .

الباب السادس

ابطال نظرية أمبيدقل على «ثلاثة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم ام بالنسبة الى الاثر والتناسب - في مذهب أمبيدقل فهو الاشياء يرجع الى مجرد جمع - انه لا يفسر أيضا كون الاشياء ، بل إخضاعه لسفطان المصادفة ، ولا علة للحركة الاصلية ولا طبع الخلق - شواهد مختلفة من شعر أمبيدقل .

§ ١ - حينما يرى أن فلاسفة يقبلون تعدد عناصر الاجسام وينكرون في آن واحد أن العناصر تتغير بعضها الى بعض ، كما يفعل أمبيدقل ، قد يمكن أن يسألوا في شيء من الدهش كيف يستطيعون اذا أن يقرروا أن العناصر هي قابلة للمقارنة بعضها ببعض . هذا مع ذلك هو ما يزعمه أمبيدقل اذ يقول :

« لان العناصر كلها كانت متساوية فيما بينها »

فاذا كانت المساواة في الكم لزم أن يوجد بين الاشياء المقارنة شيء مشترك يصلح لقياسها ، مثال ذلك اذا كان من كوتيل (ربع لتر) واحد من الماء يمكن ايجاد عشرة كوتيلات من الهواء فذلك بأن العنصرين كانا من بعض الوجوه شيئاً واحداً ما دام أن قياسهما واحد .

§ ٢ - فاذا كانت الاشياء ليست قابلة للمقارنة هكذا بالنسبة الى الكم أى أن الكمية الفلانية مضاربة الكمية الفلانية فيلزم على الاقل أن تكونه بعلاقة الاثر الذي يمكن أن تحدثه . مثال ذلك : اذا كان كوتيل

§ ٦ ف ١ - حينما يرى - ليس النص على هذه الصراحة . - في آن واحد - أضلت هذه الكلمات حتى تكون المقابلة بين المعاني أظهر " - كما يفعل أمبيدقل - ر . ما سبق ب ٣ ف ٦ - قابلة للمقارنة - التعبير مبهم ولم أضأ أن أزيد عليه ما يعينه . وان الامثلة التي ستذكر فيما بعد ستقلل من ابهامه شيئاً . - كانت متساوية - هاهنا أيضا قد حصلت عبارة النص على ما فيها من عدم التمييز . - فاذا كانت المساواة في الكم - على تقدير المادى ليقابل بكم القوة الذي سيحيى الكلام عليه فيما يل - يمكن ايجاد عشرة كوتيلات من الهواء - أو « اذا كان كوتيل من الماء يقابل عشرة كوتيلات من الهواء » وهذا ليس الا مجرد فرض وليس معناه أن أرسطو يظن أن هذه هي في الواقع النسبة بين الهواء والماء .

§ ٢ - الاشياء - أو « العناصر » - مضاربة - أو « آتية من » . -

من الماء يمكن ان يحدث من البرودة ما تحدثه عشرة كوتيلات من الهواء
فحينئذ تكون العناصر قابلة أيضا للمقارنة بينها بعلاقة الكمية لا من حيث
هى بالضبط كمية مادية ولكن من حيث انه يمكنها أن تحدث فعلا ما .

§ ٣ - قد يمكن أيضا مقارنة القوى أو الطاقات ليس فقط بمقياس
الكمية مباشرة بل أيضا بالتنسيب والتشبيه . على ذلك يمكن أن يقال ان
الشيء الفلاني حار كما أن الشيء الآخر أبيض . فكاف التشبيه تبين علاقة
المشابهة اذا كان المعنى هو الكيف ، فان كان المقصود الكم فهي تقييد
المساواة . ولكن من السخف ، فيما يظهر ، أن الاجسام التي لا يمكن أن
تتبدل بعضها ببعض لا تكون قابلة للمقارنة فيما بينها بعلاقة المشابهة وان
تكون فقط بمقياس قوتها ولان الكمية الفلانية من النار مثلا يمكن أن
تكون أيضا حارة وتحدث الحرارة التي تحدثها الكمية الفلانية من الهواء
التي هي أعظم منها . وفي الواقع أن جوهرنا من هذا الطبع اذا كانت
كميته أعظم يمكنه أن يصير بالتنسيب مكافئا لانه سيكون والاخر من
جنس واحد .

§ ٤ - أزيد على ذلك انه على حسب مذهب أمبيدقل لا يوجد نمو
يمكن الا النمو الذي يحصل بالجمع وهكذا هو يفترض أن النار تنمو
بالتار حين يقول :

« الأرض تنمو الأرض والهواء ذاته ينمو الهواء »

= - الاثر الذي يمكن أن تحدثه - ليس النص على هذا الوضوح . - يمكن أن يحدث
من البرودة - كان من حق هذه العبارة أن تكون اوسع مما هي . - مادية - أضفت
هذا الوصف . - ان تحدث فعلا ما - عبارة النص بالضبط هي : « بما هي مستطيمة
شئنا ما » .

§ ٣ - القول ان الطاقات - ليس في النص الا كلمة واحدة . مباشرة - أضفت
هذه الكلمة لبيان الفكرة . - بالتنسيب والتشبيه - ليس في النص الا كلمة واحدة . -
كاف التشبيه - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - ولكن من السخف فيما
يظهر - الرأي الذي ينتهه أرسطو هنا يجب أن يكون مستندا أيضا الى أمبيدقل على رغم
أن هذا التعيين لم يذكر في النص صراحة . - قابلة للمقارنة فيما بينها - لم يذكر فيما
سبق أن هذا الرأي هو رأي أمبيدقل . - المشابهة - أو « التنسب » - مثلما أضفت هذه
الكلمة . - الكمية الفلانية من الهواء التي هي أعظم منها - في نسبة حرارة الهواء الى
حرارة النار . أما القاعدة فهي مع ذلك صحيحة . فان جسمين مكافئين بكيف واحد يمكن
أن يوازن بينهما بالزيادة على أضعف الاثنين .

§ ٤ - أزيد على ذلك . . . هو يفترض - ليس النص على هذا القدر من الظهور . -
حين يقول - أضفت هاتين الكلمتين . - تنمو الأرض - عبارة النص بالضبط : « تنمو
نوعها الخاص » وقد بين أرسطو فيما سبق أن نمو الاشياء لا يمكن أن يحصل بمجرد
الإضافة ك ١ ب ٥ ف ٨ . - ولا يظهر - يدخل على المرجع السابق .

حينئذ ليس هذا اذا الا مجرد اضافة ولا يظهر أن الاشياء التي تنمو
يمكن أن تنمو هكذا .

§ ٥ - ولكنه أعسر أيضا على أمبيدقل أن يوضح كون الموجودات
في الطبع لان كل الموجودات التي تولد وتتكون بحسب القوانين الطبيعية
أو تولد دائما بطريقة منتظمة أو بالاقبل على الغالب بهذه الطريقة ،
والموجودات التي تتكون على ضد هذا النظام الثابت أزلا أو بالاقبل الأكثر
في العادة هي ثمرة علة اتفاقية وثمره المصادفة . فما هو الفاعل اذا في
أن من انسان يولد انسان أما دائما وعلى حسب قاعدة أزلية وإما بالاقبل
بحكم العادة الغالبة ، كما أن من القمح يأتي دائما قمح لا شجرة زيتون ؟
أم هل العظام لا تتكون أيضا بالطريقة عينها ؟ كلا ان الاشياء لا تكون
بالمصادفة وبالاتفاق كما يقول أمبيدقل بل هي تتكون بنوع ما من العقل .

§ ٦ - فما هي اذا العلة في كل هذه الظواهر ؟ أنها ليست في
الحق لا الارض ولا النار ، وليست كذلك العشق والتنافر لان أحدهما
ليس علة الا لتأليف الاشياء والاخر لتفريقها . تلك العلة انما هي أصل
لكل شيء . وليست فقط كما يقول أمبيدقل :
« اختلاط وتنافر للاشياء المختلطة »

فهى ليست اذا ما يسمى بالمصادفة وليست هذه بعلة . لانه ممكن
تما أن يوجد أحيانا اختلاط اتفاقي ومشوش .

§ ٥ - على أمبيدقل - أضفت هاتين الكلمتين اللتين تفهمان من صوغ النص . -
في الطبع بصرف النظر عن الاشياء التي توجدنا صناعة الانسان . - علة اتفاقية
وثمره المصادفة - أن ابطال نظرية المصادفة هذا هو مطابق تمام المطابقة ، حتى في لفظه
أحيانا للنظرية الواردة في الطبيعة ك ٢ ب ٤ ف ٦ و ٨ ص ٣١ و ٣٢ من ترجمتي وأيضاً
في الباب الخامس وما يليه . - أم هل العظام لا تتكون أيضاً - لا يرى جيداً لماذا مثل
بالعظام هنا . وان كان أمبيدقل في الحق يستعمل هذا المثل غالباً . - كما يقول أمبيدقل
- ر . ٥ الطبعة ك ٢ ب ٨ ف ٣ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتنا . - بنوع من العقل -
أو « بنوع ما من الفطنة » .

§ ٦ - انها ليست في الحق لا الارض ولا النار - هذه الجملة واردة على صيغة
تهكمية . - العشق والتنافر - المبدأان العظيمان عند أمبيدقل . ر . ٥ الطبيعة ك ٧ ب ١
ف ٤ ص ٥٥ من ترجمتنا . - انما هي أصل لكل شيء - يعني صورته الجوهرية .
وكان يمكن أرسطو أن يترقى أيضاً الى أعلى من ذلك ويتساءل الام يجب أن يرجع في
أصل كل شيء . - وليست هذه بعلة - أو نوعاً من التناسب والنظام . وان اللفظ
المستعمل في النص هو في غاية السعة . - لانه ممكن تماماً - يظهر أن فيلوبون لم
يفهم هذه الجملة الصغيرة لانه لم يفسرها . - اتفاقي ومشوش - ليس في النص إلا
كلمة واحدة .

§ ٧ - إذا ما هو علة لكل واحد من الموجودات الطبيعية انما هو تركيبها ، انما هو الطبع الخاص لكل واحد منها مما لا يقول عنه أمبيدقل كلمة واحدة . بل يمكن التأكيد بأنه لم يدرس الطبع حقيقة ولو ان الطبع هو بالضبط النظام والخير لجميع الاشياء . ولكن أمبيدقل لا يشهد مطلقا الا بذكر الامتزاج والاختلاط ومع ذلك فليس هو التنافر بل هو العشق الذى فصل العناصر وهما على رأيه متقدمان على الله ذاته لان عناصر أمبيدقل هي أيضا آلهة .

§ ٨ - انه لا يتكلم كذلك على الحركة الا بطريقة غاية فى العموم لانه لا يكفى أن يقال ان التنافر والعشق هما اللذان يعطيان الحركة اذا لم يعين أن العشق ينحصر فى ان يسبب النوع الفلانى من الحركة والتنافر فى ان يسبب النوع الفلانى منها . وحينئذ كان يجب على أمبيدقل هاهنا اما ان يحد الاشياء بالضبط ، او ان يتصور فرضا ما ، او أن يوضح توضيحا قويا او ضعيفا مع ذلك ، او ان يخلص منه بأية طريقة اخرى .

§ ٩ - رد آخر . ان الاجسام هي تارة متحركة بالقسر وضد الطبع وتارة هي ذات حركة طبيعية . مثال ذلك النار تتجه الى فوق من غير أن يكون ذلك بالقسر ولا تتجه الى تحت الا بالقسر فالحركة الطبيعية هي ضد الحركة القسرية فبالنتيجة كما انه يوجد حركة قسرية يوجد أيضا حركة طبيعية . فهل هو اذا العشق او ليس هو العشق الذى يكون هذه الحركة الأخيرة ؟ متى كان للارض حركة تحملها الى تحت فانما هي حركة

§ ٧ - انما هو تركيبها - والترجمة الحرفية هي : « كونها على ما هي عليه » . ومع ذلك فان هذا غير صحيح جدا فانه لا يمكن أن يقال ان تركيب الموجودات هو علتها الحقيقية . النظام والخير لجميع الاشياء - على هذا المعنى يمكن القول بان هذا هو علتها الفائية . الامتزاج والاختلاط - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - العشق الذى فصل - لا يظهر ان هذا مطابق تماما لآراء أمبيدقل . وفى الحق أنه لاجل الجمع يلزم أولا التفريق ولكن أمبيدقل انما يسند التفريق الى التنافر . - على رأيه - أضفت هاتين الكلمتين لبيان الفكرة . - الله ذاته - اله أمبيدقل هو « السفوروس » الذى يحيط بكل شئ فتارة ينسبط بالتنافر وتارة ينقبض بالعشق . ر . الطبيعة ك ١ ب ٥ ف ٤ فى التعليقات ص ٤٥٥ من ترجمتنا .

§ ٨ - غاية فى العموم - ويمكن أن يترجم أيضا - : « أبسط مما ينبغى » فان عبارة النص تؤدى المنيين . - اذا لم يعين - ليس النص على هذه الصراحة . - بالضبط - زدت هذا القيد لتمام المعنى . - يخلص منه بأية طريقة اخرى - عبارة النص فيها من طابع المؤلف العرفى نحو ما فى العبارة التى ترجمناها بها .

مضادة للائتلاف وتشبه الانفصال . اذا يكون التنافر هو اولى من العشق
فى ان يكون علة الحركة الطبيعية وبالنتيجة يكون العشق اولى من التنافر
فى انه مضاد للطبع . فاذا لم يكن لا التنافر ولا العشق يكونان الحركة
فلا يكون للاجسام أعينها لا حركة ولا سكون . ولكن هذا انما هو نتيجة
باطلة .

§ ١٠ - يعترف أمبيدقل ان الاجسام بالبدئية فى حال حركة لان التنافر
هو الذى فصلها . والا يثير قد ارتفع فى الملاء الأعلى لا بواسطة التنافر
ولكن كما يقول أحيانا أمبيدقل بضرب من المصادفة :

« الهواء حينئذ يطير هكذا ولكن فى الغالب على خلاف ذلك »

وأحيانا يقول أمبيدقل أيضا ان النار اضطرت ان تتجه بالطبع الى فوق
وان الاثير قد جاء .

« يتكبد بقوة على قواعد الارض »

وأخيرا يعلمنا أمبيدقل أن العالم هو مسير الآن بالتنافر كما كان
سابقا مسيرا بالعشق سواء بسواء .

§ ٩ - رد آخر - ليس النص على هذا القدر من التعيين . - بالقسر وضد الطبع -
ر . الطبيعة ك ٨ ب ٤ ف ٢ ص ٤٨١ من ترجمتنا وما بعدها . - كما أنه يوجد حركة
فسرية على تقدير « بحسب نظريات أمبيدقل » . - هذه الحركة الأخيرة - زدت وصف
« الأخيرة » ليتعين المعنى . - تحولها الى تحت - وفى نسخ أخرى ربما كانت هي الاكثر
عددا « الى فوق » بدلا من « الى تحت » . ولكن هذا لا يتفق مع تقارن النص . فان
أرسطو يرد بأنه حتى لو كانت الارض محبولة الى تحت بحركتها الطبيعية فان الحركة
أشبه بالتفريق منها بالجمع . ما طاشت الارض أو بعض أجزائها على الأقل تتجه الى
المركز حيث النار يجب أن تلقاها بحركة قسرية لتنضم اليها . - فانما هي حركة
مضادة - ليس النص مثل الترجمة فى الوضوح . وفى كل هذه الفقرة شيء من
الحفاء . - للائتلاف - زدت هذه الكلمة . - الحركة الطبيعية - التى تفرق بين الأشياء
بدلا من أن تجمعها والتى توجه النار الى فوق فى حين أنها توجه الارض الى تحت . -
لا التنافر ولا العشق - فى مذهب أمبيدقل . - نتيجة باطلة يقبل أرسطو كقاعدة لا
تحتل الجدل أن الحركة موجودة . ر . الطبيعة ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ٤٣٦ من ترجمتنا .

§ ١٠ - يعترف أمبيدقل - النص لا يذكر هنا أمبيدقل وعبارته هي : « الاجسام
يظهر أنها فى حركة » . ولكن هذا بالبدئية يرجع الى مذهب أمبيدقل كما تميته
لقرينة . - الهواء حينئذ يطير هكذا - هذا البيت يعينه قد استشهد به فى الطبيعة
ك ٢ ب ٤ ف ٦ ص ٣٢ من ترجمتنا . - وأخيرا يعلمنا أمبيدقل - هذا الاسلوب
التهكمى موجود فى النص .

§ ١١ فماذا هو اذا على رايه المتحرك الاول والعلة الاولى للحركة؟ حقا ليس هو العشق والتنافر ولو ان كليهما مع ذلك يستعيب نوعا ما من الحركة واذا كانا هما المحرك الاول الذى يوجد فيكونان المبدأ الحقيقى للاشياء .

§ ١٢ - وأخيرا فليس أقل سخفا أن يفترض ان النفس تأتي من العناصر أو أنها واحد من العناصر لانه كيف تتكون اذا الاستحالات الخاصة للنفس .! مثال ذلك كيف يفهم أن يكون لها أو لا يكون لها صنعة الموسيقى! كيف يفهم الذكر والنسيان ! من البين أنه اذا كانت النفس من النار يكون لها بما هي نار جميع الكيفيات التى تتعلق بالنار . واذا كانت النفس مزيجا من العناصر كان لها كيفيات الاجسام وليس ولا واحد من كيفيات النفس بجسمانى . على أن هذه المناقشة تتعلق بدراسة غير هذه قطعا .

§ ١١ - على رايه - زدت هاتين الكلمتين لانه يظهر لى أن الكلام لا يزال مسوقا الى ابطال مذهب أمبيدقل . - نوعا ما من الحركة - فان العشق يجمع العناصر والتنافر يفرقها وفى هذا نوع مزدوج من الحركة . - واذا كانا هما المحرك الاول - النص ملتبس ويمكن أن يفهم على عدة معان . فاما فيلوبون فلم يوضحه وأما سان توماس فإنه أعطى المعنى الذى اخترته تقريبا .

§ ١٢ - وأخيرا - أضفت هذه الكلمة لأبين فى آن واحد أن هذا هو آخر الانتقادات الموجهة الى نظرية أمبيدقل ولأبين أن هذا الدليل الاخير مغاير للدلالة السابقة . - الاستحالات - أو « الكيفيات » ولكنى حصلت لفظ النص بذاته . - الخاصة للنفس - يعنى كل التأثيرات الاخلاقية أو العقلية . - من النار . . . بما هي نار . . . بالنار - هذا التكرير هو فى النص . فالفرض الاول انما هو أن النفس هي عنصر النار مثلا . والفرض الثانى انما هو انها مزيج من العناصر . - بدراسة غير هذه قطعا - وفى الحق أن هذه المناقشة موجودة فى كتاب النفس ك ١ ب ٢ ف ٦ ص ١١٢ من ترجمتنا . حيث يعرب أرسطو كما يعيب هنا نظرية أمبيدقل التى استشهد لها بمدة أبيات من الشعر تشتمل عليها .

الباب السابع

بقية إبطال مذهب أمبيدل - متى انكر ان العناصر يمكن ان تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العضوية المختلفة - شاهد من أمبيدل - صعوبة فرضية تكون الجواهر المختلفة ليست أقل عقداً متى سلم باحادية المادة - تعين نظرية جديدة فيها تكون الاعتماد هي التي بفعلها التكافؤ تكون جميع جواهر الطبيعة .

§ ١ - نأتى الى ما يختص بالعناصر التي منها الاجسام مركبة . جميع الفلاسفة الذين يقبلون عنصراً مشتركاً أو الذين يقبلون أن العناصر تتغير بعضها الى بعض يجب عليهم بالضرورة أن يعترفوا أيضاً بأنه اذا تحقق أحد هذين الفرضين تحقق الثاني على السواء . ولكن هؤلاء الذين لا يريدون أن العناصر يمكن ان يتوالد بعضها من بعض ولا ان يأتى كل واحد من كل واحد الا أن يكون كما يجىء اللبن من حائط ، هؤلاء أنما يقرون نظرية باطللة لانه حينئذ كيف يجعل من هذه العناصر العظام أو اللحوم أو أى جواهر آخر مشابه .

§ ٢ - فى الحق أنا هذه الصعوبة تبقى . وإلى هؤلاء الذين يقبلون أن العناصر تتوالد يمكن أن توجه اليهم مسألة كيف تبلغ هذه العناصر أن تكون شيئاً مغايراً لها أنفسها ؟ - مثال ذلك اذا كان من النار يأتى الماء واذا كان من الماء تأتى النار فذلك لان بينهما موضوعاً مشتركاً . ولكن

§ ٧ ب ١ - التي منها الاجسام مركبة - ليس المقصود هنا بعد كون العناصر بعضها من بعض بل تركيبها لتؤلف جميع الاجسام الموجودة فى الطبيعة . - عنصراً مشتركاً - يعنى المادة التي بالقوة وهي العنصر المشترك لجميع الاجسام . - أحد هذين الفرضين - يعنى ان العناصر لها مادة مشتركة اذا تغير بعضها الى بعض . وانها اذا تغيرت هكذا فذلك ان لها مادة مشتركة يجىء اللبن من حائط - فان اللبن يكون الحائط بما هي مضاف بعضها الى بعض وليست مركبة ومتحدة بعضهما مع بعض . كذلك العناصر تكون مجموعة ولا تتحد لتكون الاجسام التي تدخل هي فى تركيب . ان المقارنة صحيحة ولكن العبارة ليست من السعة على ما ينبغي وهذا المثل الحشون المضروب لا يخلو من بعض الشذوذ . - أو أى جواهر آخر مشابه - يعنى متجانس تماماً . وفى المذهب الذى ينتقده أرسطو لا تكون العناصر الا مجموعة بعضهما مع بعض وليست مركبة حقيقة .

§ ٢ ان العناصر تتوالد - هذه هي النظرية المضادة لنظرية أمبيدل الذى كان يعتقد أن العناصر غير قابلة للتغير . - شيئاً مغايراً لها أنفسها - بإفترض أن أربعة العناصر هي اصل لجميع الاجسام التي نشاهدها ون الاجسام هي شديدة التميز عن العناصر

من العناصر يخرج في الحق أيضا اللحم والنخاع فكيف تتكون هذه الجواهر ؟

§ ٣ - بأى وجه يمكنها أن تتكون على حسب نظريات هؤلاء الذين يتبعون مذهب أمبيدقل ؟ بالضرورة ليس بين هذه العناصر الا جمع كما تجمع مواد حائط يتكون من آجر واحجار . فى خليط من هذا القليل تبقى العناصر هى ما هى وتوضع أجزاء أجزاء بعضها الى جانب البعض الآخر . وحينئذ على هذا المنوال ، بناء على هذه النظريات ، انما يتكون اللحم وسائر الاشياء المشابهة له .

§ ٤ - ولكنه ينتج منه أن النار والماء لا يخرجان البتة من جسره كيفما اتفق من أجزاء اللحم ، كما فى تصاوير الشمع من هذا الجزء . يمكن أن تخرج كرة ومن ذاك يخرج هرم . فكل ما يرى هو ان الواحد والآخر من هذين الشكلين يمكن أن يأتى أيضا على السواء من كل واحد من جزأى الشمع . وعلى هذا النحو حينئذ أن من اللحم يخرج عنصرا النار والماء وانه قد يكونان معا من اى جزء اتفق ولكن مع مبادئ أمبيدقل لا يكون تعبير هذا ممكنا ويلزم أن كل عنصر يأتى من مكان آخر أو من جزء آخر كما فى الحائط فانه من مكان مختلف تاتى الآجرة والحجر .

التي تكونها . وانها لمشكلة أن يعرف كيف يمكنها أن تاتى منها . - اذا كان من النار يأتى الماء - ر . ما سبق به ف٦ - من العناصر - عبارة النص غير معينة .

§ ٣ - الذين يتبعون مذهب أمبيدقل - والذين يعتقدون أن العنصر غير قابلة للتغير دون ان يمكن ان تتغير بعضها الى بعض . - كما تجمع مواد حائط - النص اقل صراحة من آجر واحجار - فان المواد مجموعة بعضها الى بعض مجرد جمع وليست متحدة معا . - بناء على هذه النظريات - زدت هذه الكلمات لاتمام الفكرة . - وسائر الاشياء المشابهة له يعنى كل الاشياء التي لتجانسها المطلق لا يمكن أن تميز فيها العناصر التي دخلت فى تأليفها . ويمكن أن تصاغ هذه القضية فى صيغة الاستفهام .

§ ٤ - ولكنه ينتج منه - حافظت على لفظ الاصل على ترده . - لا يخرجان البتة - على تقدير «معاه» يعنى أن النار والماء ، مجتمعين مجرد اجتماع ، ليسا البتة مطلقا متحدتين فى التراكيب التي يركبانه . - من جزء كيفما اتفق من أجزاء اللحم - حيث تكون متماثلة تمام التماثل . - فى تصاوير الشمع - ليس لنص على هذا القدر من الصراحة . - من كل واحد من جزأى الشمع . - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

- أمبيدقل - زدت هذا الاسم الذى تعينه القرينة . - تعبير هذا ممكنا - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - من مكان آخر - التعبير بالمكان معناه هنا الجزء ، والمثل الآتى يفهم المعنى تماما ، فان الآجرة موضوعة بجانب الحجر ، وذلك انما هو فى موضع آخر أى فى محل آخر من الحائط .

§ ٥ - كذلك الحال أيضاً بالنسبة لنفلاسة الذين لا يقبلون الا مادة وحيدة لجميع العناصر فان شأنهم لا يخلو من الحيرة في ايضاح كيفان جوهرها يمكن ان يتألف من عنصرين مثلاً من الحار والبارد او من النار والارض فاذا كان اللحم يتكون من الاثنين وهو ليس مع ذلك لا احدهما ولا الآخر ولا مجرد جمع لهذين العنصرين حافظ لطبعهما الخاص فماذا يبقى اذا ليقبل الا أن يكون المركب الذي تكون منهما بهذه الطريقة هو المادة المحضة ؟ لأن فساد أحد العنصرين يكون اما العنصر الآخر واما المادة .

§ ٦ - ولكن من حيث ان الحار والبارد يمكن ان يكونا اقوى او اضعف فيجب أن يقال انه متى كان احدهما بالفعل مطلقا وبالكمال فلا يكون الثاني بعد الا بالقوة . ومتى كان الموضوع ليس له مطلقا أحد الكيفين وكان البارد مثلاً هو نصف حار والحار نصف بارد ، لان الافراطين الى جهة او الى أخرى يتماحيان على طريق التكافؤ بانزج ، فحينئذ لا يوجد بالضبط لا مادة محضة ولا واحد او الآخر من هذين الضدين الموجودين مطلقا بالفعل وبالكمال ولا يوجد الا وسيط . ولكن على حسب ما أن أحد الاثنين يمكن أن يكون بالقوة حاراً أكثر منه بارداً او العكس يكون الجسم في هذه النسبة عينها بالقوة أكثر حرارة او برودة مرتين او ثلاث مرات او على اية نسبة أخرى .

§ ٧ - على ذلك كل الاشياء الأخرى تأتي من مزج الاضداد او العناصر . والعناصر أنفسها تأتي من هذه الاضداد التي هي بوجه ما العناصر بالقوة لا كما تكونه المادة بل بالطريقة التي ذكرت آنفاً . وبهذه

§ ٥ - الذين لا يقبلون الا مادة وحيدة - يظهر ان هذه نظرية ارسطو الخاصة ، لانه يقبل أن جميع العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض ولكنه لا يعتقد أن هذه النظرية نفسها بمعزل عن كل انتقاد . - جوهرها - عبارة النص هي « شيئاً ما » - المادة المحضة - أضلت كلمة « المحضة » مع انها ليست في النص ولكن القرينة كلها تعين هذا المعنى ، فان المادة المحضة هي هنا الهيولى أي المادة بالقوة . - أحد العنصرين - النص أقل صراحة . - واما المادة - على تقدير « بالقوة المحضة » فان العنصرين يتماحيان في المركب الذي يؤلفانه ولا يبقى الا مادة الاثنين في حالة اللاوجود .

§ ٦ - فيجب أن يقال - من الممكن أن تكون الجملة استلهامية او تقريرية على السواء - بالفعل . . . وبالكمال - ليس في النص الا كلمة واحدة - مثلاً - زدت هذه الكلمة - الى جهة او الى أخرى - ليس بالنص على هذا القدر من الصراحة .

- مادة محضة - زدت الصفة كما في الفقرة السابقة . - الا وسيط - ومع ذلك فان تعيين هذا الوسيط صعب لانه يتعلق بحساسية كل مشاهد . - أحد الاثنين - ليس النص أكثر تعييناً في العبارة .

الطريقة تكون النتيجة التي تتحصل مزيجا في حين أنها بالطريقة الأخرى
انما هي المادة المحضة .

§ ٨ - ومع ذلك فلاضداد أيضا هي قابلة على معنى الحد الذي أعطى
في بحثنا الأولى . مثال ذلك الحار بالفعل هو بارد بالقوة والبارد بالفعل
هو حار بالقوة أيضا بحيث انهما لولا موازنة تامة لتغير أحدهما إلى الآخر .
ويجرى هذا المجرى في جميع الاضداد الأخرى التي يراد ذكرها . وعلى هذا
انحو أن العناصر بديا تتغير ثم أن منها بعد ذلك تأتي اللحوم والعظام
وسائر الجواهر المشابهة فيصير الحار باردا والبارد حارا بمقدار ما تقترب
من الحد الأوسط . فهناك لا يوجد بعد لا أحد الضدين ولا الآخر .
فالأوسط متعدد وليس قابلا للتجزئة . كذلك الأمر أيضا في السائل
واليابس ، وإذ العناصر الأخرى من هذا القبيل حينما تكون قد وصلت
إلى الوسط تكون اللحم والعظام والجواهر المشار إليها .

§ ٧ - كل الأشياء الأخرى - يعني كل الأجسام المركبة والمختلطة كما نشاهد على
الطبيعة كلها . - بوجه ما العناصر - زدت كلمة « العناصر » أخذا بشرح فيلوبون . - كما
تكونه المادة - التي هي ليست شيئا إلا بالقوة وليس لها حقيقة فعلية في حين أن الاضداد
لها تلك الحقيقة الفعلية . - التي ذكرت آنفا - في الفقرة السابقة . - مزيجا من جوهرين
بالفعل يؤلفان جوهرًا جديدًا بامتزاجهما . - المادة المحضة . - زدت كلمة المحضة . -
§ ٨ - في بحثنا الأولى - ر . ما سبق ف٦ . ويظهر فيلوبون أن المقصود هنا نظرية
الفعل والانفعال المبسطة في الكتاب الأول . ر . ما سبق ف١٦ ب٧ ف٥ . الحار بالفعل
يمكن ترجمتها أيضا : « الجسم الذي هو حار بالفعل » . الخ - البارد بالفعل - أو « الجسم
الذي هو بالفعل وبالحال بارد » .

- لولا موازنة تامة - عبارة النص هي « أن لم يكونا متساويين » . - لتغير أحدهما إلى الآخر
يعني أن أحدهما يمكن أن يحل محل الآخر على التعاقب بما أن أحد الضدين قد صار كأننا
وأحال الآخر إلى ألا يكون إلا بالقوة . - التي يراد ذكرها - زدت هذه الكلمات . - تتغير -
بعضها إلى بعض . - تأتي اللحوم والعظام - في هذه الأيام تعترف الكيمياء العضوية كذلك
بأن المركبات تأتي من اتحاد الأجسام البسيطة . غير أن الأجسام البسيطة ليست هي التي
كان يقبلها القدماء . والعلم يمكنه أن يبين بالتحاليل المضبوطة كيف تتألف التراكيب . -
بمقدار - لفظ النص هو « حينما » الخ . - الضدين - أضفت هذا اللفظ . - الوسط متعدد
- ر . في هذه النظرية الطبيعية ٨ ب١٢ ف٩ ص ٥٣٢ من ترجمتنا وأيضاً ١٢ ف١٢
ص ٢٨٠ . - وليس قابلاً للتجزئة - وذلك ما لا يسمح له بأن يتكيف على التعاقب بكيفيات
متضادة . - كذلك الأمر أيضا في السائل واليابس - يظهر أن هذا تكرير لما سبق بيانه
آنفا على جميع الاضداد الأخرى .

الباب الثامن

التركييب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما هذا العنصرين الأولين - قاهرة التغذية التي يستشهد بها سندا لهذه النظرية - كيف أن النار هي العنصر الوحيد ، من العناصر البسيطة ، الذي يلقى نفسه .

§ ١ - كل العناصر المختلطة المنتشرة حول المكان المركزي هي مركبة من جميع العناصر البسيطة . وعلى هذا فإن فيها جميعها من الأرض لأن كل واحد من هذه الأجسام هو الأحسن ، وعلى الغالب ، في المكان الخاص به . ويوجد أيضا من الماء في كل المختلطة لأنه يلزم أن تكون المركبة محددة وأن الماء من بين الأجسام البسيطة هو الوحيد الذي يتحدد بسهولة . ومن جهة أخرى فإن الأرض لا يمكنها البقاء بدون الرطب الذي يمسها بمجموعة . وإذا خلت تماما من الرطب سقطت ترابا .

§ ٢ - تلك هي العلل في وجود الماء والأرض في جميع الأجسام المختلطة . ولكنه يوجد فيها أيضا هواء ونار . لأن هذين العنصرين هما صدان للأرض وللماء فإن الأرض ضد للهواء والماء ضد للنار بمقدار ما يكون جوهر ضدًا لجوهر آخر .

§ ٨ ب ١ - حول المكان المركزي - يعنى حول الأرض التي هي في نظريات أرسطو مركز العلم ونحوها تتجه الأجسام ذات الثقل . - فإن فيها جميعها من الأرض - لأن كل الأجسام المختلطة التي تذكر هنا هي ذات ثقل . - هو الأحسن وعلى الغالب - حفظت عبارة النص على ما هي عليه من عدم التبيين ومعنى ذلك أن ذات الثقل تتجه نحو الأرض وتقف بها في سقوطها . - الخاص به - هذا يمكن أن يعنى به الأرض أو أى واحد من الأجسام المختلطة . - كان توماس وأهل جامعة كويمبرا يفهمون أن المقصود هو الأرض . وأما أفلوطين فإنه يفهم على العكس أن المقصود هو المختلطة التي يتحد مكانها الخاص بمكان الأرض التي هي المركز على السواء . - محددة - أو وإن يكون لها شكل محدود تماما . - الرطب الذي يمسها مجتمعة - وهذا إنما هو ما يسميه العلم الآن بقوة التماسك . - سقطت ترابا - زدت هذه الكلمة الأخيرة لتسام الفكرة .

§ ٢ - الماء والأرض في جميع أجسام المختلطة - ليس النص على هذه الصراحة تماما - الأرض ضد للهواء - بوزنها وبكيفية الخاصة بها . - باعتبار ما يكون جوهر - ر - المقولات بـ ١٨ ص ٦٨ من ترجمتنا .

§ ٣ - على هذا حينئذ مادامت أكوان الاشياء تأتي من الاضداد فيلزم ضرورة أنه متى وجد طرفا الضدين في الاشياء فان الآخر من- الضدين يوجد فيها على السواء . وبالتالي فكل مركب تلغى جميع الاجسام البسيطة .

§ ٤ - يظهر ان ظاهرة التغذية معتبرة في كل واحد من الموجودات تشهد بصحة هذه النظرية . فان كل الموجودات تتغذى بعناصر مماثلة للعناصر التي تركيبها فكلها تتغذى من عدة عناصر بل ان تلك التي يظهر عليها انها تتغذى من عنصر وحيد كالنباتات التي تتغذى بالماء هي تتغذى في الواقع بعناصر عديدة على السواء ذلك بان الأرض هي دائما ممترجة بالماء فتري كيف ان الزراع في ريههم الزراعى لا يزيدون على ان يمزجوا الماء بالارض .

§ ٥ - ولكن من حيث ان التغذية تتعلق بالمادة ومن حيث ان الموجود المتغذى على هذا النحو مع أنه مشمول ومظروف في المادة هو الصورة والنوع فطبيعى أن يظن أنه من بين الاجسام البسيطة النار هي وحدها التي تتغذى . أما سائر الاخرى فهي لا تزيد على أن يكون بعضها بعضا على

§ ٣ - اكوان الاشياء تأتي من الاضداد . ما سبق كتاب ٣ وما يليه . طرفا الضدين او بعبارة اظهر «الضدان المتطرفان يعنى الارض والماء» . الآخر من الضدين - الهواء بما انه ضد الارض والنار بما انها ضد الماء . ومع ذلك فتلك فروض منطقية محضة . ولكن في الفقرة التالية سيستشهد أرسطو بما هو واقع . وبالتالي فنتيجة لا يبين على النتيجة انها مضبوطة الى حد التحرج . جميع الاجسام البسيطة - يعنى العناصر الاربعة الارض والماء والهواء والنار مع اربعة الكيفيات البارد والرطب واليابس والحار .

§ ٤ - ظاهرة التغذية - عبارة النص هي بالبساطة : «التغذية» . تشهد بصحة هذه النظرية - النص أوجز من ذلك . تتغذى بعناصر مماثلة - القضية عامة ولكنها مع ذلك غير كاذبة . تتغذى . . . تتغذى . . . كل هذا التكرار هو في الاصل . في ريههم الزراعى - أضفت هذه الكلمة الأخيرة التي تدل عليها القرينة . ان يمزجوا الماء بالارض - عبارة النص ليست على هذه الصراحة .

§ ٥ - تتعلق بالمادة - حفظت نظم النص ولكنه كان اوضح ان يقال ان التغذية هي مادة الموجود المتغذى . الموجود المتغذى . . . هو الصورة والنوع - او بعبارة اخرى «الذات» في حين أن الغذاء الذي يقوم «ليس الا المادة» . مشمول ومظروف - ليس في النص الا كلمة واحدة . - فطبيعى او «مطابق للعقل» . من بين الاجسام البسيطة - يعنى العناصر الاربعة . - وحدها التي تتغذى - ثبه فيلوبون على أن هذا على الاخص اما هو تعبير شعري . لا تزيد على ان - النص ليس على هذا القدر من الصراحة . - القدماء - وهذا هو ايضا رأى أرسطو . التي تمثل الصورة - أو «التي تتعلق بالصورة» . - نحو الحد - يعنى نحو طرف الجهة العليا . من حيث ان الحد يعين نوع الاشياء وصورتها فعلى ذلك النار ، فيما يظهر ، تتعلق بالصورة اكثر . ومع ذلك يمكن ان يقال ان كل هذه النظريات على جانب عظيم من الدقة . التي تعينها - زدت هذه العبارة .

طريق التكافؤ كما زعم القدماء وذلك بأن النار وحدها هي على الاخص
التي تمثل الصورة مادام أنها دائماً بطبيعتها الخاص متجهة نحو الحد . وكل
شيء هو بالطبع مسوق نحو المكان الخاص به . ولكن صورة كل الاشياء
ونوعها توجد دائماً في الحدود التي تعينها .

§ ٦ - فيرى اذا بما تقدم ان جميع الاجسام تتركب من جميع العناصر
ال بسيطة .

§ ٦ - فيرى اذا - ملخص الباب - بما تقدم - زدت هذه العبارة - جميع
الاجسام - على تقدير « المختلطة » - من جميع العناصر البسيطة يفتى الارض والماء والهواء
والنار . ولا حاجة للإلحاح في بيان الفرق بين هذه النظريات وبين النظريات التي قبلها
العلم في الوقت الحاضر واقرها .

الباب التاسع

الهيولى والصورة - المبادئ الاولى للاشياء - ضرورية مبدأ ثالث وهو انه سلة المتحركة
ابطال نظرية المثل على نحو ما عرضها الفلاطون في الفيدون - ان المثل لا يمكن ان تفسر كون
الاشياء - انها لا تكون - يرى ان طائفة من الاشياء تتكون تحت اعيننا بعلى اخرى - ابطال
النظرية التى تفسر كون الاشياء بحركة المادة - المادة قابلة لا فاعلة - امثلة، مختلفة، مستخرجة
من طرائق الفن

§ ١ - لما انه توجد اشياء كائنة وقابلة للذئور وأن كسل ما يتولد
ويكون يوجده، فى المكان الذى يحيط بالمركز فيلزم بديا الكلام على كون
الاشياء مأخوذا فى كل عمومه وبيان عدد مبادئه ومن أى طبع هى . وبهذه
الطريقة ندرس بطريقة أسهل الحوادث الجزئية بعد أن نكون قد حصلنا
على معرفة الحوادث العامة . § ٢ - وتلك المبادئ هى هاهنا من حيث
العدد والجنس على ما هى عليه المبادئ التى تكتشف فى الموجودات الازلية
والاول . واحد هذه المبادئ هو كهيولى والاخر هو كصورة ولكنه يلزم
منها زيادة على ذلك ثالث ينضم الى هذين الاثنين الاخرين . لان هذين
الاثنين ليسا أقدر على تكوين شىء هاهنا منها فى الاول . § ٣ - وعلى هذا
اذا انما هى الهيولى التى فيما يتعلق بالموجودات الكائنة هى العلة فى انها
يمكن أن توجد وألا توجد . فمن بين الاشياء ما توجد بالواجب ، مثال

§ ٩ ب ١ - كل ما يتولد ويكون - النص يقول بمباراة أكثر عموما ايضا : «التولد»
- يوجد فى المكان الذى يحيط بالمركز - هذا التعبير على جانب من الغرابة . فانه يدل
لفظ على أن الاجسام المختلطة التى يمكن مشاهدتها توجد على سطح الارض لمعتبرة مركز
العالم . ومع ذلك فان هذه المباراة لم تظهر لميلويون على شىء من الصعوبة فلم يشأ
أن يفسرها . على كون الاشياء - الملاحظات السابقة . الحوادث الجزئية . الحوادث
العامة - هذا ليس هو النمط العادى لارسطو وانه ليشتمل من الحوادث الجزئية الى الحوادث
العامة لا من هذه الى تلك . وليس النص من الضبط بقدر ما عليه ترجمتى اياه .
§ ٢ - فى الموجودات الازلية والاول - انما الاجرام السماوية هى المعبرة اذلية وغير
قابلة للتغير وانها أوائل كل الاجسام - هو كهيول - حفظت نظم النص ولكن يمكن ترجمته
هكذا : «يقوم مقام الهيولى . . . مقام الصورة » . ينضم الى هذين الاثنين - زدت هذه
الكلمات لأحصل كل قوة العبارة الاغريقية . وهذا المبدأ الثالث انما هو العلة المحركة او
بالاولى العلة الفاعلة . ويلزم ان يقارن بهذه النظريات نظريات اكتساب الاول من الطبيعة
ب ٨ ص ٤٧٣ من ترجمتنا .

ذلك الجواهر الازلية ، ومنها ما يجب ألا توجد فبالنسبة للاولى من المحال
ألا توجد ، وبالنسبة للآخرى من المحال أن توجد لانه لا يمكن أن شيئا
يكون على خلاف ما يقضى به الواجب . ولكن هناك أشياء أخرى يمكن أن
توجد والا توجد على السواء . وهذه هي على التحقيق كل ما هو كائن
وهناك . لان هذه الأشياء تارة توجد وتارة لا توجد . فحينئذ الكون
والفساد لا يتعلقان الا بما يمكن أن يوجد والا يوجد .

§ ٤ - وذلك بما هو هيوولى انما هو علة الأشياء الكائنة . ولكن بما
هو غرض غائى فآلة انما هي الصورة والنوع . وهذا هو حد الماهية
لكل شيء . § ٥ - ولكنه يجب أن يضاف الى هذين المبدأين مبدأ ثالث .
هذا المبدأ لا يظهر على الفلاسفة انهم لم يحوه الا كساً فى الحلم ولم يتكلم
عنه ولا واحد منهم بنوع من الضبط فقد ظن بعضهم كسقراط فى
«الفيدون» أن طبع المثل قد يكفى لتعبير كون الأشياء . لان سقراط وهو
يعيب على الآخرين انهم لم يقولوا شيئا فى هذا الصدد يفترض ان من
الأشياء التى توجد بعضها هي المثل والآخرى تتلقى هذه المثل التى تشاركها
وأن كون كل شيء هو مسمى بحسب مثاله ، وان الأشياء تتكون متى تتلقى
هذا المثال وانها تفسد متى تعدمه . وبالنتيجة اذا كان كل هذا حقا
فيكون سقراط يرى ان المثل هي بالضرورة علة كون الأشياء وفسادها .

- ليس أقدر - الهيوولى والصورة كلاهما عقيم بدون المبدأ الثالث الذى يجىء فيمطيها
الفعلية بأن يجمعهما . § ٣ - هي العلة فى انها يمكن أن توجد والا توجد - وقد يمكن
عكس القضية فيقال : « ان إمكان الوجود وعدم الوجود هو من حيث المادة علة الموجودات
الكائنة - فمن بين الأشياء - أو « من بين الجواهر » أو « من بين الموجودات - الجواهر
الازلية معنى « الأجرم السماوية » - يمكن أن توجد والا توجد على السواء - أو بمباداة
أخرى كل الموجودات الممكنات - كل ما هو كائن - أو « ما هو مخلوق » - وهالك كما هو
أكثر الموجودات الخاصة لمشاهدتنا .»

§ ٤ - الأشياء الكائنة - والهالكة - بما هو غرض غائى - عبارة النص هي بالضبط
من حيث هو «ماذا» - انما هي الصورة والنوع - النوع يتحد مع «المثال» كما سبى بعد
- حد الماهية - أو «علة الماهية» .

§ ٥ - ان يضاف . . . مبدأ ثالث هو العلة الفاعلة - الا كما فى الحلم - الانتقاد
على جانب من الشدة والاستهانة . ر . الكتاب الاول ما بعد الطبعة ترجمة كوزان . ب : وه
- فى «الفيدون» - ر . فيدون أفلاطون ترجمة كوزان ص ٢٨٣ - طبع المثل - أو والانواع
لان الكلمة هي بعينها انهم لم يقولوا أشياء - هذه العبارة قد تدل على «السواء أفعالاً»
الفلاسفة الذين يظن عليهم سقراط قد لزموا الصمت أو انهم لم يقولوا شيئا يعتد به .
بعضها هي المثل . . . الخ - تلخيص صحيح للفيدون - كون كل شيء هذا هو نظم النص
بعينه . اذا كان كل هذا حقا - فى هذا التقليد نوع من النفى ومن الانتقاد - وآخرون -
لم يقل فيلوبون من هم هؤلاء الفلاسفة الآخرون ولكن من المحتمل أن يكون المقصود
ديقريطس ومدرسته - على رأيهم زدت هاتين الكلمتين .

وآخرين على الضد قد ظنوا أنهم يرون هذه العلة في المادة نفسها لانه منها على رأيهم تصدر الحركة .

§ ٦ - ولكن ليس الاولون ولا الآخرون على حق ، لانه اذا كانت المثل هي في الحق عللا فلماذا لا تكون دائما بطريقة مستمرة ؟ ولماذا هي تكون تارة ولا تكون تارة أخرى مع أن المثل تبقى دائما هي والاشياء التي يمكن أن تشرکہا ؟ زد على هذا انه يوجد أشياء يرى جليا ان العلة فيها انما هي شيء آخر غير المثل . فانما الطبيب هو الذي يعمل الصحة ، وانما العالم هو الذي يعمل العلم مع أن الصحة ذاتها والعلم ذاته موجودان هما والكائنات التي يقومان بها . كذلك الحال أيضا في جميع الاشياء المصنوعة بحسب الفن الذي يمكن ان يتمها .

§ ٧ - ومن جهة أخرى حينما يدعى ان المادة هي التي تكون الاشياء بالحركة التي تعطيها ايها فلا شك في ان هذا الرأي هو أكثر موافقة للطبع من نظرية المثل لان ما يحيل الاشياء ويغير أشكالها يمكن ان يظهر أكثر من غيره بمظهر العلة في كونها . وعلى العموم في كل كائنات الطبيعة كما في كل كائنات الفن ينظر عادة الى كل ما يعطيها الحركة كأنه هو الفاعل لها .

§ ٨ - ومع ذلك فان هؤلاء الفلاسفة الاخيرين ليسوا على حق لان الانفعال والتحريك انما هما الخاصتان اللتان تتعلقان بالمادة في حين التحريك والفعل يختصان بقوة مغايرة تمام المغايرة . وهذا هو ما يمكن مشاهدته أيضا في كل ما يعمل الفن كما في كل ما يعمل الطبع . اذا فليس الماء نفسه هو الذي يوجد الحيوان الذي يخرج من باطنه (بل هو الطبع) .

§ ٦ - ليس الاولون ولا الآخرون - يعني لا افلاطون ولا الماديين - عللا - كذلك عبارة النص مبہمة أيضا - غير المثال - زدت هاتين الكلمتين - الذي يعمل الصحة - ربما كان يلزم أن يزداد «في الجسم» لتوفيه قوة العبارة الاخرية - الصحة ذاتها - يعني مثال الصحة - العلم ذاته - يعني مثال العلم - هما والكائنات التي يقومان بها - على ذلك يلزم خلاف مثال الصحة ومثال المريض وجود الطبيب وخلاف مثال العلم والتلميذ يلزم المعلم الكفاء لتلقين ما يعلم - بحسب الفن الذي يمكن أن يتمها - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٧ - ومن جهة أخرى - الى انصار المادة يوجه ارسطو القول هنا بعد ان اجاب على افلاطون - من نظرية المثل - ليس النص على هذا القدر من التعمين - ما يحيل الاشياء - ربما يلزم أن يحمل هذا التعبير على معنى أوسع قليلا من المعنى الذي يعبر به ارسطو عادة .

§ ٨ - الانفعال - او «القبول» - بقوة مغايرة تمام المغايرة - هذه هي الفاظ النص بعينها . ويمكن ترجمتها أيضا بقدرة مغايرة - الذي يخرج من باطنه - ليس النص على

كذلك ليس الخشب هو الذى يصنع السرير بل هى الصناعة • ومن ثم يمكن استنتاج أن هؤلاء الفلاسفة لم يحسنوا هم ايضا التعبير • وخطوهم آت من أنهم اغفلوا العلة الاهم من جميع انعلل بحذفهم الماهية والصورة •

§ ٩ - وينتج منه فوق ذلك أنهم ينسبون الى الاجسام قوى يجعلونها بها تتوالد بحالة ميكانيكية أكثر مما ينبغي بتركهم الى ناحية العلة التى ترجع الى النوع • ولما انه تبعا لقوانين الطبيعة كما يقولون الحار يفرق والبارد يجمد ولما ان كل واحد من العناصر الاخرى يفعل وينفعل على طريقته فان ذلك كاف عندهم فى التقرير بأنه ايضا من هذا او بهذا يكون سائر الاشياء ويفسد • ويظهر لهم أن الأيار نفسها تقبل الحركة وتنفعل •

§ ١٠ - يوشك أن يكون هذا الخطأ هو عينه خطأ من يذهب الى اعتبار المنشار وما أشبهه من الآلات الاخرى العلة الحقة لكل ماتصنع ويرجعه اليها بحجة انه بمجرد ما ينشر يلزم ضرورة أن يقطع الخشب وبمجرد ما يصفق بالفارعة فهناك ضرورة أيضا أن ينصفق اللوح وهلم جرا • وبالنسبة مع أن النار هى أفعّل العناصر وأنها توصل الحركة الاقوى فانهم لا يرون كيف أنها تفعل وأنها أردا من الآلات العادية •

§ ١١ - أما نحن فلما أننا تكلمنا فيما سبق على العال على العموم لم نتصد هاهنا الا لدرس الهيولى والصورة •

= هذا القدر من الضبط • (بل هو الطبع) - وضعت هذه العبارة بين قوسين لانها لا توجد الا فى بعض المخطوطات وليس ضرورية • وشرح فيلوبون يدل عليها بالاقتضاء - الماهية والصورة قد يكون لازما أن يقال « الماهية الدائمة » •

§ ٩ - ميكانيكية أكثر مما ينبغي - هذه عبارة الاصل بحرفها وليست غاية فى البيان •. الفقرة التالية • ويظهر ان هذا الرد يكاد يدخل بتمامه فى غضون الرد المتقدم كما نبه اليه أهل جامعة كويمبرا • أما فيلوبون فانه بناء على رأى اسكندر الافرويرى يظن أن هذا الانتقاد موجه على الخصوص الى برمينيد - الحار يفرق - مثلا حينما يصهر بعض الجواهر - والبارد يجمد - هذا حق فى بعض الاحوال ولكنه ليس حقا فى جميعها • من العناصر :لاخرى - ليس النص على هذا القدر من التعيين - النار نفسها - التى تعتبر الفعل العناصر تصير منفعة فى هذا المذهب • - تقبل الحركة - او «تتحرك» •

§ ١٠ - يذهب الى اعتبار المنشار - ر • ما سبق فى اول الفقرة التاسعة • فذلك هى المبادئ الميكانيكية التى اليها ينسب الفلاسفة كون الاشياء - ويرجعه اليها - ليس النص على هذا القدر من الصراحة • - فهناك ضرورة أيضا ليس النص على هذا القدر من الصراحة أردا - أى بنظام أقل - العادية - زدت هذه الكلمة •

§ ١١ - فما سبق - يظن فيلوبون أن المراد هنا كتاب الطبيعة ولكن الاون بالمراد هو الكتاب الاول من ما بعد الطبيعة الذى فيه أرسطو قد درس الملل - لم ننص. هاهنا الا لدرس - ليست عبارة النص على هذا القدر من الصراحة •

الباب العاشر

كون الاشياء وفسادها هما متصلان بالحركة وتملكان بالنقلة الدائرية للعالم - ضرورة حركتين - النقطة الدائرية المائلة تسد هذه الفروقة - انتظام الكون والفساد الطبيعيين - المدة الدورية للكائنات - فعل الله - القوانين الثابتة التي وضعها في ابدية الاشياء - النظام العجيب للعالم - تغير الاجسام العا هو الذي يحفظ مدتها - الحركة الاول غير المتحرك هو البدأ الوحيد للحركة العالمية - اتصال الحركة بتعلق بانفعال المتحرك .

§ ١ - يلزم ان يزداد على ذلك اعتبار آخر وهو انه بما ان حركة النقلة اذلية كما سبق بيانه فينتج منه بالضرورة انه بهذه المثابة يجب أن يكون كون الاشياء متصلا ايضا على السواء . لان هذه الحركة تسبب الى ما لا نهاية كون الاشياء بأن تأتي بالعلة التي يمكنها ان تكون الاشياء ثم تأتي بها ثانية . وهذا يبرهن لنا في آن واحد على ان ما قدمناه صحيح وعلى انه كان لنا الحق في أن نجعل النقلة لا الكون هي اول التغيرات . وفي الحق أنه أدخل في باب المقول أن يجعل ما هو موجود علة لتكوين ما لم يوجد من ان نجعل ما لم يوجد العلة الفاعلة لتكوين ما هو موجود . وان ما هو خاضع للنقلة موجود في حين أن الشيء الذي يكون ويصير هو غير موجود . وذلك ما يجعل أن النقلة متقدمة على الكون .

§ ٢ - بعد أن فرضنا وبيننا أن في الاشياء كونا وفسادا متصلين وان حركة النقلة هي علة تولد الاشياء يجب أن يكون من البين لدينا انه

§ ١ يلزم أن يزداد على ذلك اعتبار آخر - قد اضطرت الى التوسع في عبارة النص حتى يبتدأ هذا الباب على وجه اليق . - كما سبق بيانه - في الكتاب الثامن من الطبيعة ب ١٠ ص ٥١٨ وما يليها من ترجمتي . - كون الاشياء - عبارة النص والتولده . - هذه الحركة تسبب الى ما لا نهاية - تلك هي فكرة عظمى في ربط كون الاشياء وفسادها بالعلة العامة التي تحرك العالم . - تأتي ٠٠٠ ثم تأتي بها ثانية - هذه المقابلة هي في النص . - ما قدمناه - ر . الطبيعة ك ٨ ب ١٠ ص ٥١٨ وما بعدها . حيث ارسطو قد فصل الكلام تفصيلا لاثبات أن الحركة الدائرية هي الاولى والاصلية لجميع الحركات . - ما هو موجود ٠٠٠ ما لم يوجد - عبارة النص : والموجود ٠٠٠ واللاموجود . - يكون ويصير - ليس في النص الا كلمة واحدة . - متقدمة - او أعلى .

§ ٢ - فرضنا وبيننا واقع الكون والفساد المتصلين للاشياء تشهد لنا به الحواس ، ولا محل لفرضه ولا لتبينانه . ولكن فلاسفة معاصرين لارسطو كانوا يذهبون الى حد اكثر الحركة . ر . الكتاب الاول من الطبيعة ب ٣ وما يليه . في آن واحد - أضفت هذا القيد لأحصل =

مادامت حركة النقلة وحيدة فمن المحال ان الكون والفساد يوجدان جميعا في آن واحد مادام أنهما ضدان لان علة موجودة وباقية هي بعينها وفي الظروف بعينها لا يمكن البتة أن تعمل الا المعمول بعينه على حسب نظام الطبيعة . وبالنسبة فاما ان الكون هو الازلي واما ان الفساد هو الازلي

§ ٣ - وعلى ذلك يلزم ان يوجد عدة حركات وحركات متضادات اماماتجاهها واما يتفاوتها لان علل الاضداد هي اضداد كذلك . وليست النقلة الاولى اذا على التحقيق هي التي يمكن ان تكون علة كون الاشياء وفسادها . بل النقلة على حسب الدائرة المائلة . فان في هذه النقلة حقا يوجد في آن واحد اتصال لحركة واحدة وامكان لحركتين ، لانه يلزم بالضرورة من اجل ان الكون والفساد يمكن ان يكونا متصلين ان تكون الحركة سرمدية حتى لا تتخلف هذه التغاير نفسها ابدا . ومن جهة اخرى يلزم ان يكون عدد الحركات اثنين لا تكون احدي هاتين الظاهرتين هي التي تبقى وحدها على الدوام .

§ ٤ - وعلى ذلك اذا انما نقلة العالم هي علة الابدية وان ميا الدائرة انما هو الذي ينتج التقريب أو التباعد لانه قد يمكن أن تكون العلة ثارة بعدة وتارة قربية . وبما ان المسافة غير متساوية والحركة تكون غير متساوية كذلك . وعلى ذلك اذا كانت الحركة بشهادتها وقربها تسبب كون الاشياء فان هذه الحركة نفسها بغناها وابتعادها تسبب فساد الاشياء . وفوق ذلك فانها اذا كونت باقترابها عدة مرات فانها تقسّد بابتعادها عدة مرات ايضا لان علل الاضداد هي اضداد بعضها لبعض .

= كل قوة عبارة النص . فاما ان يكون هو الازلي واما ان الفساد هو الازلي - أو
عبارة اخرى أحد الاثنين لا الاثنان جميعا .

§ ٣ - حركات متضادات - . حركات المضادة في الطبيعة له ٧ ص ٣٢٠ وما بعدها من ترجمتنا - على حسب الدائرة المائلة - بناء على ماسياتي وبناء على شرح فيلويون يلزم ان معنى بالدائرة المائلة دائرة فلك البروج او دائرة سمت الشمس . وبحسب ما تكون الشمس اقرب منا أو أبعد يحصل كون الاشياء أو فسادها . قد لا تكون نظرية أرسطو صحيحة ولكنها في الحق كيسة للغاية . ان الحركة اللا متغيرة المتعاقبة منذ الازل تبقى منعلقة على السماء ولكن الحركة المتفاوتة الخاضع لولا العالم الارضي هي في الشمس والسبارات التي تسرعها اتصال الحركة واحدة وامكان لحركتين - من هنا علنا الكون والفساد المتعاقبين الابديين للاشياء احدي هاتين الظاهرتين - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٤ - نقلة العالم - معنى حركة النقلة الازلية التي تتسلط على السماء والكواكب الثابتة على مذهب أرسطو . ميل الدائرة - زدت المضاف اليه . ان تكون العلة - عبارة النص غير معينة بالمرّة فاضطرت الى تعيينها . - بشهادتها وقربها - هذا يمكن ان ينطبق على الشمس التي هي ليست فقط اكثر او اقل بعدا من الارض بحسب الفصول بل ان نورها هو ثارة شاهد وقارة غائب بحسب النهار والليل . =

§ ٥ - يلزم ان يزداد على هذا ان الفساد والكون الطبيعيين يتحققان في زمان متساو . وهذا هو الفاعل في ان زمن منة كل كائن وزمن حياته يمكن ان تعبر بالعدد وتتعين بهذه الطريقة . وفي هذا ترتيب ينتظم جميع الكائنات فان المكث والحياة هما دائما مقيسان بمدة ما تمضي . غير ان هذه المدة ليست واحدة بالنسبة للجميع على السواء . بل هي أقصر بالنسبة للبعض واطول بالنسبة للبعض الآخر . وان المدة التي يقاس بها وجود الكائنات هي بالنسبة لهؤلاء سنة وبالنسبة لهؤلاء هي اكثر في حين انه بالنسبة لموجودات اخرى المقدار هو أقل . § ٦ - ان الظواهر المحسوسة لشاهدة بصدق ما نقوله هنا . متى تطلع الشمس يحصل كون . ومتى تغرب يحصل فساد . وهاتان الظاهرتان تتحققان في ازمان متساوية لان زمن الفساد الطبيعي هو مساو لزمن الكون . ولكنه يقع غالبا ان الفساد اسرع بعله تفاعل العناصر بينها . وفي الحق متى كانت المادة غير منظمة ولا واحدة بعينها في كل مكان لزم ايضا ان الاكوان التي تخرج منها تكون غير منظمة مثلها وان يكون بعضها اسرع والاخر ابطا . وحينئذ يمكن ان يصير كون البعض فسادا للبعض الآخر .^{٢٥}

§ ٧ - على ان الكون والفساد كما قلنا يجب ان يكونا دائما متصلين ولا ينبغي البتة ان يتخلفا للاسباب التي ذكرناها . ومع ذلك فان هذا

= باقتراحها عدة مرات - حفظت عبارة النص على ما بهلا من تردد . ومعنى ذلك انه يلزم ان تقترب الشمس او تبعد عدة مرات متوالية لتحدث بعض الآثار . - على الاضداد - او الاضداد هي علل للاضداد .

§ ٥ - يتحققان في زمان متساو - لا يلزم ان يؤخذ هذا بخرج اكثر مما ينبغي . لان ارسطو يريد ان يقول ان الزمان الذي فيه يمكن للشمس ان تفسد هو مساو للزمان الذي فيه يمكنها ان تكون . فان دورية الفصول متساوية دائما . - وزمن حياته - لان مدة الحياة لكل كائن متغيرة بحسب الاوضاع التي وضعها فيها الطبيعة كما سيقال بعد . ترتيب ينتظم جميع الكائنات - معلوم ان ارسطو كان يهيم دائما منهج المصادفة والاتفاق .^{٢٥} ما سبق ب٦ فـه والطبيعة ل٢ ب٤ وما بعده .

§ ٦ - الظواهر المحسوسة - كذلك يوصي ارسطو هنا كما في كل موطن آخر بنمط المشاهدة .^{٢٥}

- متى تطلع الشمس - هذا ليس حقا الا بمقدار ما . وانها لمبالغة في فعل الشمس ان يسند اليها كون جميع الاشياء .^{٢٥} - في ازمان متساوية - معنى انه في آخر العام يكون الزمن الذي فيه غابت الشمس مساويا للزمن الذي فيه طلعت . - الفساد الطبيعي - الراجع الى شهادة الشمس او غيبتها . - الفساد اسرع - المدة عينها يمكن ان تفعل في الكون ايضا . - العناصر النص : قل صراحة وقد اضطررت الى جعل الترجمة اضبط .

§ ٧ - كما قلنا - سواء في هذا الباب ٣٢ او في الطبيعة ٣٢ ب ٤ ص ٩٤ في ترجمتي =

مفهوم جدا لان الطبيعة كما نقرر تبحث دائما عن الاحسن في كل الاشياء .
والوجود هو احسن من العلم ، وقد عددنا في موضع آخر المعاني المختلفة
للمعد « وجود » . ولكنه لا يمكن ان الوجود يبقى في كل الاشياء مادام
ان بعضها هي اكثر ابتعادا جدا عن المبدأ . وأخذا بالطريق الوحيد انذى
يقى نقول ان الله قد كمل الكل بأن جعل التولد متصلا وابديا . فالوجود
هو اذا ملتك ومتصل بقدر ما يمكن لان كونا ابديا وصيرورة مستمرة
هما أقرب ما يمكن من الوجود ذاته . وحينئذ فعلة هذا الكون ، كما
طلما قد قيل ، انما هي النقلة الدائرية لانها هي وحدها التى تكون متصلة .
§ ٨ - فانظر كيف ان جميع الاشياء التى تتغير بعضها الى بعض ، بحسب
خواصها القابلة والفاعلة ، كالأجسام البسيطة مثلا ، لا تزيد ايضا على
ان تقلد هذه النقلة الدائرية التى هذه الاشياء تكررهما . وفي الحق
انه متى كان الهواء يجيء من الماء والنار تجيء من الهواء ثم الماء يجيء في
دوره من النار فيمكن القول بأن الكون قد حصل دوريا ما دام أنه رجع
على نفسه . وعلى هذا اذا فان حركة هذه الظواهر بامتدادها على خط
مستقيم تقلد الحركة الدائرية وتصير متصلة .

- كما نقرر - هذا هو أحد المبادئ التى أحسن أرسطو في تقريرها وحسن استعمالها
٥٠. الطبيعة ك ٨ ب ٧ ف ٦ ص ٥١٠ من ترجمتى . في موضع آخر - خصوصا في المقولات
٢ ب ٢ ف ٢ ص ٥٤ من ترجمتى . وفي الطبيعة ك ١ ب ٣ ف ١ ص ٤٢٨ من ترجمتى . وفيما
بعد الطبيعة ك ٤ ب ٧ ص ١٠١٧ طبعة برلين . - الوجود يبقى في كل الاشياء . - على تقدير
الوجود «لازلى» ولكنى اضطررت لاستيفاء التردد الواقع في النص - عن المبدأ - الذى
كونها الذى يحفظها -أخذ ايا الطريق الوحيد الذى يقى - ربما كان في ذلك تضيق لقوة
الله - الله قد كمل الكل - هذه الفقرة تذكر بعض الشيء بنظريات طيمائوس التى ربما
كانت هي التى أوجتها متصلا وابديا - ليس في النص الا كلمة واحدة - ملتك ومتصل . . .
كونا ابديا وصيرورة مستمرة - التنبيه السابق عينه . - من الوجود ذاته - على تقديره «لازلى»
كما طلما قد قيل - في هذا الباب ذاته وفي الطبيعة ك ٨ ب ١٢ ف ٦ ص ٤٦٠ وب ١٣ ف ٥ ص ٥٥٠
و ٥٥٢ من ترجمتى .

§ ٨ - كالأجسام البسيطة - يعنى العناصر العادية الأرض والماء والهواء والنار . - لا
تزيد ايضا على ان تقلد - ليس النص على هذه الصراحة . - هذه الاشياء تكررهما - أضفت
هذه الكلمات . ومع ذلك يمكن ان يرى ان هذه المشابهة بين التغير المتكافئ للعناصر وبين
الحركة الازلية التى تحرك السماء هي مشابهة قسرية . ولكنه يلزم تذكر ذلك المركز العظيم
المستند الى أربعة العناصر في نظريات أرسطو ٥٠. على :الخص الميترولوجيا ك ١ ب ٢ و ٣
ص ٤ وما بعدها من ترجمتنا - وفي الحق انه متى كان الهواء يجيء من الماء - على رأى
أرسطو أن الماء يتغيره يصير هواء - ثم الماء يجيء في دوره من النار لان النار تتغير الى
هواء وانتهاء في دوره الى ماء - تقلد هذا التكرير موجود في الاصل .

٩ - وهذا يسمح لنا في آن واحد باستجلاء مسألة - يثار ثاثيرها أحيانا وهي كيف يمكن ، مع أن كل جسم متمكن في المحل الخاص به - ألا تكون الأجسام المركبة منفصلة ومنحلة أثناء المدة غير المتناهية للآزمان - والسبب في ذلك بسيط وهو أنها تتغير وتتحوّل بعضها إلى بعض - فإذا كان كل واحد منها يبقى في محله الخاص ولم يعدله جاره فتكون زمن زمان طويل قد انفصلت وانعزلت ، فهذه الأجسام تتغير إذا على أثر حركة نقلية مزدوجة ومن أجل أنها تتغير لا يوجد ولا واحد منها يمكن أن يبقى البيت في مكان ثابت ومعين .

١٠ - فيمكن أن يترى إذا بناء على ما تقدم أنه يوجد على الحقيقة كون للأشياء فساد وما هي العلة فيها كما أنه يرى ماهو المخلوق والقابل للفساد . ولكن مادام أنه يوجد حركة فيلزم أن يوجد محرك كما بين ذلك في مؤلفات أخرى . وإذا كانت الحركة أزلية يلزم أن يكون موجودا شيء ما أزلي أيضا . ولما أن الحركة متصلة فهذا الشيء الذي هو أحد يجب أن يكون هو عينه أبدا غير متحرك ولا مخلوق ولا قابل للاستحالة . حتى مع افتراض أن الحركات الدائرية أمكن أن تكون كثيرة بالعدد فقد يمكن أن تكون عديدة ولكنها جميعها مادامت فأنها يجب بالضرورة أن تكون خاضعة لمبدأ واحد أحد . ومن جهة أخرى مادام الزمان متصلا وجب أن تكون الحركة متصلة مثله لانه من المحال أن يوجد زمان بدون حركة . فان الزمان هو إذا العدد لشيء ما متصل أعنى للنقطة الدائرية كما قلنا ذلك بديا .

٩ - يثار ثاثيرها أحيانا - أو «يثيرها بعض الفلاسفة» - منفصلة ومنحلة ليس في النص الا كلمة واحدة - ويلزم أن يفهم ان المراد هو تحليل الاجسام المختلطة حيث كل واحد من العناصر التي تؤلفها يتجه الى المكان الخاص به فالأرض الى تحت والدار الى فوق والهواء والماء الى الاماكن المتوسطة - أثناء المدة غير المتناهية للآزمان - لان هنم التغيرات بطيئة للغاية ويستعدي ازمانا طويلا جدا - وهو أنها تتغير وتتحوّل - ليس في النص الا كلمة واحدة - قد انفصلت وانعزلت - التثنية السابق عينه .

- حركة نقلية مزدوجة - ر - ما سبق في هذه الحركة المزدوجة هي التي يحدثها ميل الدائرة التي هو قارة يبعد الشمس هنا وقارة يقربها منا . وبحسب شرح فيلويون إنما هي الحركة التي تذهب من الشرق الى الغرب والتي ترجع من الغرب الى الشرق - ومن أجل أنها تتغير - وتختلط بعضها ببعض .

١٠ - المخلوق والقابل للفساد - حفظت قصدا عبارة النص على قلة تعيينها - في مؤلفات أخرى - هي الطبيعة . كد ٨ ب ١٥٨ وما بعدها من ترجمتي ، وما بعد الطبيعة كد ٧ ب ٦ وما بعده من ١٩٢ من ترجمة كوزان الطبيعة الثانية - أن يكون موجودا شيء ما - قد يكون أكثر بيانا أن يقال : محرك ما أزلي - كثيرة بالعدد - عديدة - هذا التكرار موجود في النص .

§ ١١ - ولكن هل الحركة متصلة لان المتحرك الذى يقبلها هو متصل أيضا ؟ أم هل هى كذلك بعلّة اتصال المكان الذى تقع فيه ، أريد أن أقول الآن ، أوبعلّة اتصال الكيف الذى يكيف الشيء ؟ من البين ان الحركة هى متصلة بسبب أن المتحرك متصل لانه كيف يمكن أن يكون كيف شيء متصلا الا اذا كان ذلك باتصال الشيء نفسه الذى فيه يظهر هذا الكيف ؟ اذا كانت الحركة ليست متصلة الا بسبب المكان الذى هى فيه فهذا لا يمكن حينئذ الا بالايين الذى له وحده خاصية الاحاطة بها لان له عظما ما . ولا يوجد عظم متصل الاعطل الدائرة لان هذا العظم هو دائما متصل بنفسه . وعلى ذلك فالعامل فى اتصال الحركة انما هو الجسم الذى له النقلة الدائرية وانما الحركة فى نوبتها هى العاملة فى أن الزمان يكون متصلا .

— مادام الزمان متصلا — ر . على علاقات الزمان بالحركة الكتاب الرابع من الطبيعة ب١٤ وما بعده ص ٢٢٤ من ترجمتى . — بديا — يرى فيلوبون ان المقصود بهذا كتاب الطبيعة الذى هو يتقدم فى ترتيب الدراسة كتاب السماء وهذا الكتاب ويلزم الرجوع الى الكتاب الرابع والكتاب السابع من الطبيعة .

§ ١١ ولكن هل الحركة متصلة — هذه المسألة المهمة قد طرحت على البحث وحلت فى الكتاب الثامن من الطبيعة ب١٥ وما يليه ، وفى الكتاب الثانى عشر من ما بعد الطبيعة ب٦ وما يليه على وجه فيه بعض المغايرة لما قرر هنا . — اتصال المكان . . . اتصال الكيف ليس النص على هذا القدر من الصراحة — الذى يكيف الشيء ؟ — زدت هذه الكليات لتكوين الفكرة أكثر بيانا . — المتحرك متصل — هذا غير مفهوم تماما . — فان الاتصال يمكن ان يكون اما اتصال الزمان او اتصال المادة . — الا بالمكان — عبارة النص اقل ضبطا . — الذى له وحده خاصية الاحاطة بها — وسعت عبارة النص لجعلها أبين . — الاعظم الدائرية . ر . الطبيعة ك٨ ب١٢ ف١٤ ص ٥٤٧ من ترجمتى وب١٤ ف١ ص ٥٥٣ . — دائما متصل بنفسه — لان المحيط يرجع على ذاته — الجسم الذى له النقلة الدائرية — والازلية ، معنى السماء .

الباب الحادى عشر

نظرية تعاقب الاشياء الابدى المنتظم - على اى مقدار يكون تدخل الوجوب - الاشياء الواجبة والاشياء الممكنة - الوجوب المطلق - الوجوب الإضافى - علاقة الواجب واللازم - كون الاشياء لا يمكن أن يكون أبدى الا اذا كان دائما - ترتيب الاشياء المعجب - الحركة الدائرية للملك الامل تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الاخرى - ابدية الانواع - فناء الاشخاص المتعاقب - اقلية بعض الجواهر - خاتمة الكتاب .

§ ١ - لما أننا فى جميع الاشياء التى تتحرك بحركة متصلة امد لتكون واما لتستحيل واما بالاختصار لتتغير ، نرى دائما حادثا يوجد بعد آخر وظاهرة تتكون على اثر اخرى بحيث لا يقع لا خلو ولا تخلف فيلزمنا ان نفحص ما اذا كان يوجد شيء ما بالواجب أو أنه ممكن فى حق جميع الاشياء ألا تكون اذا لم يكن شيء موجودا بالواجب . وبديهي أن بعض الاشياء هى واجبة وهذا هو الحامل على أن القول على شيء بالتعيين انه سيوجد هو مفاير تماما للقول بأنه يجب أن يوجد . لانه مادام قد حق القول على شيء بأنه سيوجد فيلزم ايضا ان يحق القول ذات يوم على شيء أنه موجود فى حين أنه متى صدق القول بالبساطة على شيء أنه يجب انه يوجد فلا شيء يمنع من ألا يوجد : مثال ذلك قد يمكن جدا ان انسانا كان يجب ان يتنزه الا يتنزه .

§ ٢ - ولكن لما أن من بين الاشياء التى هى موجودة ما يمكن أيضا ألا توجد فبديهي أن يكون الامن كذلك أيضا بالنسبة للاشياء التى تصير

§ ١ - لاخلو ولا تخلف - ليس فى النص الا كلمة واحدة - اذا كان يوجد شيء ما واجب - على نظرية الوجوب . ر . الطبيعة ك ٢ ب ٩ ص ٦٦ من ترجمتى .
- بعض الاشياء هى واجبة - تلك هى النتائج الضرورية لفرس ما ولكن الفرص لنفسه ليس واجبا . - بالتعيين - زدت هذه الكلمة زيادة فى تحديد الفكرة . - بأنه يجب ان يكون يوجد فى عبارة النص نحو من الاحتمال ليس موجودا فى التعبير الفرنسي . - بالبساطة - . زدت هذه الكلمة ايضا . وربما كان من الاحسن ان يستعاض فى الترجمة عن عبارة « يجب ان يكون » بعبارة « يمكن ان يكون » فان هذه الصورة الدقيقة من الصواب نقلها من لغة الى لغة اخرى .

§ ٢ - التى تصير وتكون - ليس فى النص الا كلمة واحدة ويلزم الالتفات الى التمييز بين الوجود وبين الصورة . فان أحصلنا ازل او على الال بال فى حين ان الآخر حادث ومؤقت . - بالنسبة الى الصورة - جئت بهذا التعبير الذى هو اول ما يولى عبارة النص لا يمكن الا تكون - يعنى انها واجبة . - المقلبات الدورية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

تكون وأنه ليس هناك أيضا وجوب . فهل جميع الأشياء التي تكون هي هي هذه الحالة أم هل هي ليست فيها ؟ أو ليس يوجد منها ما يجب بالضرورة أن يكون ؟ أو لا يكون الأمر بالنسبة إلى الضرورة كما هو الحال بالنسبة للوجود ؟ أو ليس يوجد أيضا أشياء لا يمكن ألا تكون في حين أن أخرى يمكن أن تكون ؟ مثال ذلك وجوب أن توجد المنقلبات الدورية وليس ممكنا أنها لم تكن أصلا .

§ ٣ - والحق هو أنه إنما يلزم بالضرورة أن المتقدم يكون لاجل أن المتأخر يكون أيضا في دوره . مثال ذلك لكي يوجد بيت يلزم بديا أن يوجد أساس . ولأجل أن يوجد أساس البيت يلزم ملاط . ولكن هل لأن الأساس قد عمل يكون واجبا أن البيت يقام أيضا ؟ أم هل ليس هذا واجبا إلا إذا كان البيت نفسه واجبا على الإطلاق ؟ وعلى هذا الوجه إذا من الضروري في الواقع أنه مادام الأساس قد عمل فالبيت يكون أيضا لأن هذا هو في الحقيقة علاقة المتقدم بالتأخر أنه إذا كان المتأخر يجب أن يكون فيلزم وجوبا أيضا أن يكون المتقدم قد كان من قبله .

§ ٤ - وإذا كان حينئذ المتأخر واجبا لزم أن يكون المتقدم واجبا كذلك . وإذا كان المتقدم واجبا وكان المتأخر واجبا مثله فذلك ليس بسببه بأية طريقة ما بل فقط لأنه كان المفترض وجوب المتأخر نفسه . وعلى هذا فإنه حيثما كان المتأخر واجبا كان التكافؤ . ودائما حينئذ متى كان المتقدم فواجب أن المتأخر يكون في دوره . § ٥ - إذا سار التعاقب إلى اللانهاية نازلا من درجة إلى درجة فمن ثم لا يكون واجبا أن المتأخر يكون مطلقا . ولكن حتى هذا لا يكون واجبا بحسب الفرض

§ ٣ - المقدم ... المتأخر - الأمثلة التالية تبين معنى هاتين الكلمتين - بيت ... أساس - يكاد يكون هذا المثل هو عين المثل الذي ضرب في الطبيعة في ٩ ف ٢ ص ٦٢ من ترجمتي لتبيان الفكرة حينها - ملاط - عبارة النص بالضبط والمثل - لا إذا كان البيت نفسه - ليس النص هل هذه الصراحة - فالبيت يكون أيضا - ولكن فقط لأنه هو نفسه واجب وليس البتة لأنه يجب ضرورة أن يكون النتيجة للأساس - المتأخر كما هو هنا البيت المتقدم - إنما هو الأساس الموضوع ليحل البناء - الأساس ضروري للبيت ولكن البيت ليس ضروري يا للأساس .

§ ٤ - مثله - زدت هذا اللفظ بسببه - فالبيت ليس واجبا أصلا بالنظر إلى الأساس في حين أن الأساس واجب بالنظر إلى البيت - كان المفترض - إنما هو بالفرض والصرف أن البيت واجب ولكنه ليس كذلك بالنظر إلى المواد التي تأسس عليها - كان التكافؤ - يعني أن الأول ضروري للثاني بغير ما يكون الثاني للأول .

§ ٥ - التعاقب - العبارة الانشائية غير محددة - إلى اللانهاية - يفترض الشراح أن المقصود التعاقب على خط مستقيم متناهيا أو غير متناه عوفا عن كفاصل دائري راجع على نفسه كتولد العناصر - نازلا من درجة إلى درجة - عبارة النص هي بالبساطة :

الموضوع ألفا لأنه متبوع دائما شيء آخر. يتقدم بالضرورة على المتأخر. وهذا الشيء الآخر يجب أن يكون بالضرورة أيضا. وبالنتيجة كما أنه لا يوجد مبدأ ممكن للانهاية قلن. يوجد كذلك حد أول عامل على أن الأخير يجب أن يكون بالضرورة. g ٦ - ولكن حتى في الاشياء التي لها حد منته لا يصدق القول بأنه يوجد وجوب لأن تكون الكائنات على الإطلاق. مثال ذلك أن البيت قد كان لأن الأساس قد كان. لأنه إذا البيت كان من غير وجوب وجود دائم بالضرورة فينتج منه أن ما يمكن ألا يكون دائما يكون دائما. ولكن شيئا لا يمكن أن يكون دائما من حيث كونه. إلا إذا كان هذا الكون واجبا لأن الواجب والأزلي يتمشيان معا. فما يكون وجوبا لا يمكن ألا يكون. وعلى هذا إذا كان وجوبا فهو بذلك نفسه أزلي. وإذا كان أزليا فهو واجب الوجود وكذلك الحال أيضا إذا كان كون الشيء واجبا. فهذه الكون هو أزلي أيضا وما دام أزليا فهو واجب الوجود على سواء.

g ٧ - وإذا كان إذا الكون المطلق لشيء هو واجبا لزم ضرورة أن يكون هذا الكون دائريا ويرجع على نفسه لأنه يلزم مطلقا أما أن للكون حدا أو أن ليس له حد. فإن لم يكن له لزم أن يقع على خط مستقيم أو على دائرة. ولكنه ليكون أزليا محال أن يكون على خط مستقيم لأنه حينئذ لا يكون له ابتداء لا من تحت كما نرى اخذا بالاشياء التي يتكون ولا من

« وهو التحدث - بحسب القرض الموضوع ألفا - ليس النص على هذا القدر من التحديد ويمكن ترجمته هكذا: "هذا لا يكون واجبا حتى على طريق القرض". لأنه سيوجد دائما معنى قبل هذا الأخير المروض. أنه واجب توجد سلسلة حدود متتالية وهي لأنها غير متناهية لا يمكنها أن تنفذ. ومع ذلك فإن كل هذه الفقرة غامضة قليلا ويظهر أن فيلويون يشكو من غموضها. عامل على أن الأخير - النص ليس على هذا القدر من الضبط. ففي الانهاية لا يوجد حد أول ولا حد آخر إذ لا أول لها. كما لا آخر لها.

g ٦. التي لها حد منته - أو آخر - لأن الكائنات - عبارة النص غير محددة. - لأنه إذا البيت كان - ثابت بالضبط أسلوب النص - ولكن ليس جيد البيان وفيه معان وسطاء مختلفة سبب الغموض. وإليك شرحا يجلو غموض هذه الفقرة. وحتى في الأشياء التي لها آخر معين ليس من الضروري دائما أن يتبع المتأخر المتقدم مثال ذلك أساس البيت يمكن أن يعمل دون أن يعمل البيت ضرورة بعده مع أن الأساس ضروري للبيت. لأنه إذا كون البيت من غير أن يكون مع ذلك واجبا فينتج منه أن شيئا ممكنا انقطع عن أن يكون ممكنا ليصير واجبا. ما يمكن ألا يكون دائما - معنى ما هو ممكن الواجب والأزلي يتمشيان معا - أو الواجب هو في آن واحد أزلي أيضا.

g ٧. - دائريا ويرجع على نفسه - هذا أحد المبادئ المهمة المقررة في كتاب الطبيعة ٨٥٩. ١٢٥. ص ٥٥٩. وما بعدها. فإن الحركة الدائرية هي الوحيدة التي يمكن أن تكون أزلية - للسكون - أو التنازل - لا من تحت. ولا من فوق. ما سبقه فـه من تحته يدل على السلسلة النازلة فانه يسار مما هو كائن لأجل افتراض كل -

فوق إذا أخذنا بالإشياء التي قد كانت • ولكنه يلزم ضرورة ابتداء نكون من غير أن يكون محدودا وأنه يجب أن يكون أزليا • فيوجد اذا ضرورة لأن يكون الكون دائريا • وعلى هذا النحو ان التكافؤ او الرجوع يكون واجبا • ومثلا لو أن شيئا كائن بالواجب لكان المتقدم على هذا الشيء هو واجبا ايضا واذا كان هذا المتقدم واجبا يلزم وجوبا أيضا أن المتأخر يكون • • وهالك اذا اتصلا أزليا حقيقيا لانه لا يهم ان يقع الاتصال بين وسيطين او عدة وسطاء • على هذا فالوجوب المطلق لا يوجد الا في الحركة وفي الكون الدائري • ومتى وجدت الدائرة فكل شيء يكون او كان بالواجب • وكذلك اذا وجد وجوب فالكون يقع دائريا •

§ ٨ - كل هذا الترتيب هو غاية في المعقول • وما دام قد بين ايضا في موطن آخر ان الحركة الدائرية هي أزلية كما هي الحال في حركة السماء فبديهي ان كل ذلك يقع وسبق بالواجب وان كل الحركات التي تتصل بتلك والتي تلك تنتجها هي واجبة مثلها لانه اذا كان الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية يوصلها الى جسم آخر فينتج منه ان حركة هذه الاجسام الاخر يجب أن تكون دائرية أيضا ومثلا لما ان النقلة تحصل بطريقة ما في الافلاك العليا فيلزم ان الشمس تتحرك بالطريقة عينها • ومتى كان هذا هكذا بالنسبة الى الشمس فللفصول بهذه العلة مجرى دائري وترجع دوريا • وما دامت كل هذه الظواهر العظمى تقع بهذه الطريقة فكل الظواهر السفلى تحصل بالانتظام عينه •

= تماقبات الكائنات • فمن فوق يدل على السلسلة الصاعدة ما دام انه يسلم ما هو كائن للصعود الى ما قد كان • فلا يوجد اذا ابتداء لا من احدى الجهتين ولا من الاخرى والسلسلة غير متناهية في الجهتين لأن الخط المستقيم يمتد على امتداد غير متناه • يلزم ضرورة ابتداء • هذا يظهر انه يناقض آراء ارسطو المعروفة على أزلية العالم وزد على ذلك انه ليس للفترة ابتداء بالمعنى الخاص • للكون • الكون • النص ليس على هذا القدر من الضبط •

- التكافؤ او الرجوع - ليس في الاصل الا كلمة واحدة • اتصلا أزليا حقيقيا - ليس في الاصل الا وصف واحد • وسطاء • التعبير الاغريقي غير محدد بالمرّة لذلك لم أكن أكثر منه ضبطا •

§ ٩ - هو غاية في المعقول • اعترف دائما ارسطو بنظام الطبيعة العجيب من غير أن يجعل مع ذلك لمشيئة الله وعنايته الالهية دخلا مباشرا • قد بين ايضا في موطن آخر في الكتاب الثامن من الطبيعة كما يقول فيلوبيون - الجسم الذي يقبل أزليا الحركة الدائرية هذا هو المتحرك الاول • يعني السماء او جزء العالم الابلد عن الارض • - بطريقة ما - زدت هذه العبارة لتنام الفكرة • هذه الظواهر العظمى - ليس النص على هذا القدر من الضبط بالانتظام عينه • - ليس النص على هذا القدر من الضبط •

§ ٩ - ولكن حينما توجد أشياء تتحقق بالفعل على هذا النحو ومثلاً حينما الماء والهواء يكون لهما هذه الحركة الدائرية ما دام انه لاجل تكوين السحاب يلزم أن تكون قد أمطرت ولاجل أن تمطر يجب أن يوجد السحاب فكيف يحصل أن الناس والحيوانات لا تعود هي أيضاً على نفسها بحيث أن الشخص نفسه يظهر مرة أخرى ؟ لانه من أن أباك قد كان ، لا ينتج ضرورة أنك كان يجب أن تكون . والذي هو ضروري فقط إنما هو انه اذا كنت فيلزم أن أباك قد كان . والعلة في ذلك هي انه إنما هذا تناسل يقع على خط مستقيم .

§ ١٠ - غير ان مبدأ البحث الذي نتصدى اليه هنا سيكون أيضاً أن نتساءل عما اذا كانت كل الاشياء تعود أيضاً الى أعيانها أو لا تعود . وعما اذا كان حقاً ان بعضها يعود بالعدد وبالشخص في حين أن الآخر لا تعود الا بالنوع . بالنسبة لجميع الاشياء التي يمكث جوهرها غير قابل للتفاسد في الحركة التي يلقاها من البين أنها تبقى دائماً عددياً متماثلة ما دام أن الحركة تطابق حينئذ المتحرك . ولكن كل الاشياء التي على ضد

§ ٩ - لهامذه الحركة الدائرية - والمتكافئة بحيث ان اجدها تولد الاخرى - لاجل تكوين السحاب يلزم ان تكون قد أمطرت - الميتورولوجيا ١ ب ٦ ص ٥٤ وما بعدها من ترجمتي . - والعلة في ذلك هي - ليس النص على هذا القدر من التحديد - تناسل أو كون .

§ ١٠ - مبدأ - يظهر ان هذا أولى به أن يكون الملخص والمتمم ما دام أن هذه المناقشة هي آخر هذا الكتاب . - بالعدد وبالشخص - ليس في النص الا كلمة واحدة لا تعود الا بالنوع - يعنى أن الشخص يتغير كمن الابن الى الابن وان النوع يبقى هو عينه في الكائنات اللذين يخلف احدهما الآخر . بالنسبة لجميع الاشياء - جوابي على السؤال الموضوع آنفا . - عددياً متماثلة - وعلى ذلك فالشمس هي دائماً بعينها كما ليه اليه فيلوبون . فان جوهرها غير قابل للفساد ولا تتغير في الحركات القائمة بها . - الحركة تطابق - عبارة النص بالضبط هي : « الحركة تتبع المتحرك » . وهذه العبارة ليست جلية وفيلوبون لم يفسرها . واطن أنه يريد أن يقول أن الحركة هي اذلية وغير قابلة للفساد كالجسم الذي تحمل به .

- لا عددياً - يعنى لان الشخص يبقى هو ما هو . - بالنوع - كما يرى هذا من الابن الى الابن . فان الابن يهلك ولكن النوع يبقى منقولا منه الى الكائن الذي ولده - ذاته عددياً وشخصياً فان الهواء بالنوع مشابه للهواء المتقدم الذي دثر . ولكنه ليس هو هو عينه . - هو بحيث انه يمكن ألا يكون - يعنى انه ممكن وليس واجباً . - ويلاحظ أن نظرية الابد الازل لبعض الاجسام وللاتواع ارتقاء وعظمة جديرة بالكتاب السابع من ما وراء الطبيعة والكتاب الثامن من الطبيعة . وهذا إنما هو أيضاً نقص جديد للذهب المصادفة والاتفاق الذي طمن فيه أرسطو دائماً . ر . مقممتنا للطبيعة لارسطو ص ٩٣ و ١٠٣ وما بعدها من المجلد الاول . ومقدمة كتاب السماء ص ٩٤ وما بعدها .

ذلك جوهرها قابل للفساد فانها يجب ضرورة أن تتم هذه الرجعى لا عدديا بل فقط بالنوع وعلى هذا النحو أن الماء يأتي من الهواء وأن الهواء يأتي من الماء ، يأتي هو فى نوعه لكن لا هو ذاته عدديا . غير انه اذا كان من الاشياء ما ترجع عدديا أيضا بأعيانها فليست البتة هى التى جوهرها هو بحيث انه يمكن ألا يكون .

تم كتاب كون الاشياء وفسادها

تحقيق

على

الكتاب الموصوم

« في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غرغياس »

لترجمة هذا الكتاب الصغير اعتمدت على طبعة ف. ج. ١٠. ملانخ المنشورة سنة ١٨٤٦. والمنقولة في مجموعة فيرمين ديدو الاغريقية (١) . وهذه الطبعة جيدة قد اعادت الى سيرته الاولى بطريقة توشك ان تكون نهائية كتابا مهما جدا على ما فيه من نقص . وقد استعان ملانخ لاصلاح النص فوق اعمال من تقدمه نسخة مخطوطة من مكتبة ليبزج، العمومية يظهر أنها اضبط النسخ التي وصلت اليها . وهذه المخطوطة كان قد استعانها بعض الشيء أوليساريوس وهو يعمل لمجموعة فيريسيوس الاغريقية (طبعة هارلس ج ٣ ص ٢٨٤) . ولم تبتدىء البحوث الادخل في باب الجدة والنفع الا على يد فلبورن الذي نشر سنة ١٧٠٩ شرحه المسمى:

"Liber de Xenophane, Zenone et Gorgia, Aristoteli vulgu tributus, passim illustratus".

وبعد أربع سنين هذا ج. ل. اسبلدنغ حذر فلبورن في بحثه مدرسة ميغار فأبرز الجزء الاول من الكتاب « في اكسينوفان وزينون وغرغياس » (٢) وكان بين يدي اسبلدنغ مخطوطة ليبزج استخرج منها عدة اصطلاحات وبهذه المساعدة تسنى له ان نشر نصا محسنا جدا وقرن به تعليقات ممتعة

(1) Aristotelis de Melisso, Xenophane et Gorgia disputationes, cum Eleaticorum philosophorum Fragmentis et Ocelli Lucani qui fertur de universal naturâ libello, conjunctim edidit, recensuit, interpretatus est Frid. Guil. Aug. Müllach, Berolini, 1846, XXX — 210. Bibliothèque grecque de Firmu Didot. Fragmenta philosophorum Graecorum. Pages 270 et suiv.

(2) "Commentarius in primam partem libelli de Xenophane, Zenone et Gorgia, praemissis Vidicis philosophorum Megaricorum, Berolini, 1793, 8°. XIV — 83.

• وكان اسبلدنغ يبيع طبعة اسلبورج في أكثر كتابه •

على الفقرات الأشد غموضاً ، ولكنه لم يقرن به ترجمة . وإنما كان الجديد في هذا التحقيق هو أن إسبلدنج كان يجعل الجزء الأول من الكتاب مخصوصاً بمذهب ميليسوس وكان يثبت ببراهين قاطعة أنه اسم ميليسوس كان يجب أن يستبدل باسم زينون . وقد قبل من يومئذ رأى إسبلدنج هذا واني لذاكر الآن السبب الذي يوجب قبوله .

ولم يستطع إسبلدنج مع فحصه مخطوطة ليبزج مقابلتها بطريقة مضبوطة تماماً واعتمد على الاختص على الاصلاح الحقيق الذي عمله فيها أولياريوس . غير أن كر . دان . بك معين جامعة ليبزج الشهير الذي كان قد يسر بحوث إسبلدنج قد اخذ على عاتقه اتمام تلك البحوث فنشر في السنة عينها كل الروايات المختلفة في تلك المخطوطة الثمينة على هذا الكتاب وعلى بعض مؤلفات اخرى لارسطو (١) . وهذه النسخة المطبوعة التي اعتد بها ملاح فضل اعتداد لم تكن ، فيما يظهر ، لتقدر بل لم تكن لتعرف عند علماء اللغة الذين اشتغلوا بعد ذلك اما بأمر مدرسة ايليا على العموم واما على الخصوص بالكتاب الخاص الذي فيه فحصت مذاهب اكسيثوفان وميليسوس . فالمجمع العلمي ببرلين مثلاً لم ينتفع بها في طبعته حق الانتفاع حتى ان ملاح قد اظهر الاسفل لهذا الاهمال الذي كان اتقاؤه ميسورا (٢) .

في سنة ١٨٤٣ أي بعد اثنتي عشرة سنة قد سد تيودور برج بعض هذا النقص فاعتمد على روايات بك ووضع شرحاً أمتع من كله ما تقدمه من الشروح (٣) . ومع ان هذا العمل قد كان موضع المدح والاستحسان فإنه لم يشن ملاح عن إعادة النظر من جديد فنشر ، بعد عمل برج بثلاث سنين ، الطبعة والشرح اللذين ذكرتهما آنفاً . غير أن ملاح وإسبلدنج لم

(1) *Solemnia Doctorum philosophiae et magistrorum artium a. d. XIV febr. M D CCXIII antiquo ritu creandorum indicit Chr. Dan. Beckius. Praemissa est varietas lectionis libellorum Aristotelicorum e codice Lipsiensis diligenter enotata.*

وان داليل بك من الرجال الذين قد اعطوا في الثلث الاول من هذا القرن التاسع عشر في الدراسات الفلسفية في ألمانيا نهضتها القوية .
(٢) ظهرت طبعة أرسطو الفسامة التي أنجزها بركو برانديس تحت رعاية المجمع العلمي ببرلين سنة ١٨٣١ .

(2) *Regiae universitati litterarum Frederico — Alexandrinae D. XXIII mensis Augusti MDCCCXLIII sacra saecularia prima agenti gratulatur academia Marburgensis. Praemissa est Theodori Bergkii commentatio de Aristotelis libello Xenophane, Zenone, et Gorgia, Marburgi, 1843.*

يترجما الكتاب مع أن ترجمة كتاب مثل هذا مخروم أشد ضرورة من ترجمة غيره . فظلت خير ترجمة لاتينية هي ترجمة جان برناردان فيليشيانو المعلم في البندقية سنة ١٥٥٢ . ولكن مع أن هذه المخطوطة التي ترجمت قليلة التحريف فانه كان من الممكن أيضا بل من النافع تصحيحها وضبطها وقد تقلت في طبعة المجمع العلمي في برلين .

تلك هي الاعمال التي تناولت الكتاب على ميليسوس واكسينوفان وغريغياس حتى الآن . وانه لينبغي أن يضم إليها تحقيق «م. هنسرى (دواردفوس)» على غريغياس الليونتينيومي (١) إذ انه نشر فيه ، من غير ترجمة النص ، الجزء الذي يتعلق على الاخص بغريغياس ، أى الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب الذي نترجمه ، وذيله بتفسير .

وبعد هذه التفاصيل اللغوية يلزمنا الكلام على الكتاب ذاته : فى أية حال وصل الينا) ومن هو مؤلفه على المشهور؟ وما هى قيمته الذاتية؟

فأولا ما هو العنوان الذى يجب أن يعنون به هذا الكتاب الصغير ؟ عند القدماء جميعا تقريبا وعند المتأخرين الى بحوث اسبلدنج كان عنوانه المجمع عليه على العموم هو : « فى اكسينوفان وفى زينون وفى غريغياس » . أو بحسب مخطوطة ليبزج فى زينون وفى اكسينوفان وفى غريغياس ، فان اسبلدنج بتقريبه شواهد « سمبليسيوس » العديتة من تحاليل هذا الكتاب أبان بطريقة لا تحتمل النقض ان المقصود فى الجزء الاول هو ميليسوس لا اكسينوفان فانه فى شرحه الممتع على كتاب الطبيعة لارسطو قد نقل فقرات تامة من ميليسوس على الموجود أو الطبيعة . وهى مشابهة حتى فى الفاظها فى بعض المواطن كل المشابهة للتفاصيل المسطورة فى هذا الكتاب الذى نترجمه . فلما وضع اسبلدنج هذه الموافقات بعضها قبالة البعض الآخر وقارن بينها وجها لوجه لم يعد بعد فى الامكان انكار أن ميليسوس هو الفيلسوف المتكلم عنه فى البابين الاولين .

الى هذا الدليل الذى يكفى وحده فى اثبات المطلوب ينضم دليل آخر وهو أنه فى فهرس « ديوجين اللايرتى » (ك ٥ و ١٥) طبعة فرمين (ديندو ص ١١٦) ذكر صريح لكتاب ارسطو على مذاهب ميليسوس . وهذا الذكر ليس مفردا بل يؤكد ديوجين أن ارسطو قد نقد أيضا آراء زينون

(1) De gorgia leontino commentatio, interpositus est Aristotelis de Gorgia liber emendatus editus ab. H. Ed. Foss, Halis Saxonum, 1828, 8°. IV — 186. Le traité sur Gorgias et le commentaire sont pages 110 et suivantes.

وكذلك قد بحث بحثا خاصا في مذاهب اتباع فيثاغورث وأرخيتاس
وسبوسيب واكرينوقراط . . . الخ .

وفهرس ميناش المجهول واضعه يؤيد شهادة ديوجين الانايرتى وأنه
ليذكر أيضا بحوث أرسطو في منهجى ميليسوس وقرغياس . وما من
شئ أقرب الى الاحتمال من أن يكون أرسطو قد اشتغل بمذاهب ميليسوس
اذ ان ما بين ايدينا من كتبه يدلنا على شدة اضطراره بجميع الفلسفات
المتقدمة على فلسفته . وهو يذكر ميليسوس غالبا . واننا ذاكرون اكثر
من مرة ماذا قاله عنه وعن اكسينوفان سواء في علم الطبيعة او في علم
ما بعد الطبيعة او في غيرهما .

وعلى هذا فالحق في جانب «اسبلدنج» في ان الجزء الاول من هذا
الكتاب يتعلق بميليسوس .

ربما نتساءل كيف كان لهذا الشك سبيل الى هذه النسبة . اذ
كان أرسطو ينقد ميليسوس أو فيلسوفا آخر بعينه فيكون واجبا عليه
فيما يظهر ان يسميه باسمه اذ لا مسوغ لهذا الاتهام الذى لا يفسر . ولكنه
لسوء الطالع لم يفعل ، بل قنع في هذه الكتب بأن يقول دائما : « هو »
دون ان يعين أنسبا مرجعا لهذا الضمير . ولا سبيل الى معرفة من هو
المعنى بالنقد الا تعرف صاحب المنهج المتقود من مذهبه نفسه . وعلى ذلك
فان هذا الكتاب انما كتب بغير عناية في شكله الظاهر على الاقل وأن
مؤلفه أيا كان قد أخطأ في أنه لم يكن مبينا حتى لقد احتيج الى فطنة
الفلاسفة المتأخرين لسد هذا النقص الذى ربما لا يكون منشؤه الا خطأ
ناسخ .

وان ما أقوله هنا عن ميليسوس يوشك أن يكون منطبقا على اكسينوفان
أيضا . فانه ليس مسمى كذلك في الجزء الثانى من الكتاب ولكنه منع ذلك
لا سبيل الى الشك في امره لأن مذهباه معروفه اكثر من مذاهب
ميليسوس . فنسبة ما يقال هنا اليه لا يتطرق اليها الخطأ .

ان هذا اليقين يتسحب من باب اولى على قرغياس الذى هو غير مسمى
أيضا في أول الجزء الثالث (ب ٥ و ٦) الذى يخصه ولكن براهينه قد نقلت
الىنا على يد سكستوس أمبيريكوس (adversus mathematicos exlogicos)
ك ٧ ج ٢ ص ٢٨٥ طبعة سنة ١٨٤٢ ج ١ ص ١٣٤) وانها تماثل على
الاطلاق البراهن التى تراها في هذا الكتاب .

من هذا استنتج ان العنوان النهائى الذى يجب أن يحمله هذا الكتاب
هو « في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي قرغياس » فان هذا العنوان يتفق

رغمهما وما يحويه الكتاب ، وقد أحسن ملاح في اتخاذه . ومنسذه الآن لا يمكن الا اتخاذ هذه الصيغة عنوانا لهذا الكتاب كما فعل ملاح . اما انا فاني لم اتردد لحظة في اتخاذه . وفي الحق انه ليقبى ان تعيين « زينون » في عناونات النسخ المخطوطة لا مسوغ له . غير اننى سأحاول فيما يلى مقتفيا اثر ملاح اكتشاف المصدر الذى يمكن أن يكون صدر عنه هذا التعيين . والآن أسوق القول الى ما كنا بصددده ، من حيث العنوان لنفرغ منه .

قد راجع بيكر مخطوطتين معنوتين بعنوانين يخالفان العنوان العادى مغفلا فيهما ذكر الاسماء الاعلام . فالعنوان فيهما بالبساطة هو : « كتاب أرسطو على المذاهب » أو : « كتاب أرسطو على مذاهب الفلاسفة » فالعنوان الاول هو لمخطوطة في مكتبة سنت مرك في البندقية q والثانى لمخطوطة في الفاتيكان Bg بحسب تعريف بيكر . واختلاف هاتين الروايتين مهم من حيث افتراض أن الشكوك كانت متسلسلة حتى فى الازمان القديمة الى صحة العنوان المشهور . ومن المحتمل أنهم لم يكونوا ليتعرفوا أكسينوفان وزينون في الجزء الاول والثانى (ب ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) . وتلقاه هذا الغموض استحبوا عدم التعيين . فقد كان وسهم الكتاب بأنه على المذاهب الفلسفية ، لامتثولية فيه لانه هو منع ذلك على صغته صحيح ان لم يكن مضبوطا . وما كنت لاتخذ هذا الوسم دون غيره ولكنه يلزم ان يقام له وزن ولذلك ذكرته .

اما وقد تحدد العنوان وبين على هذه الصورة فمن هو مؤلف الكتاب؟ أرسطو هو أم هو آخر ؟

مخطوطة في الفاتيكان مرقومة Bg طبعة برلين تنسب هذا الكتاب الى تيوفراسط او على الاقل الى تدرجه ضمن كتب أخرى كلها لتلميذ أرسطو وخليفته . وان ما يجرى لهذا الفرض محلا من الشبهة والحق والثقة هو أن ستمبليسوس في شرحه على كتاب الطبيعة (الورقة 5A) يستشهد بفقرة من تيوفراسط فيها ينقل هذا المؤلف عن أكسينوفان آراء مطابقة تمام المطابقة لما نقرؤه في هذا الكتاب . ولا شك فى أن هذين السببين هما الحاملان . برنديس فى « تاريخه للفلسفة الاغريقية واللاتينية » (جزء ١ ص ٣٥٨) على أن يسحب هذا الكتاب من أرسطو ليرده الى تيوفراسط . ولكن هذا التغيير لم يحل محل القبول من ذوق علماء اللغة ولو أنه صادر عن حكم لا يقل عنهم فى العلم ولا فى الحنق ، فقد صرح م تيودور برج أن هذا الكتاب على رايه ليس احق بتيوفراسط منه بأستاذة .

وانى هنا على رأى ملاح وارى كما يرى ان ذلك تجاوز ابعاد جدا مما ينبغي . وقد نبهت اسنائه ان هذا الكتاب لم يكن ليكتب بالعناية المطلوبة مادام الفلاسفة الذين تنقد فيه مذاهبهم ليسوا معينين باسمائهم ولكن فى مجموع تأليف ارسطو لما نقلته اليها القرون كم من غلطات من هذا النوع ، وكم من اجمال فى التحرير ، وكم من قطع لم تتم ؛ وكم من صحف مشوشة حتى فى أجل كتبه مثل « ما بعد الطبيعة » مثلا ؛ على ان الاسباب التى حملت ارسطو على ان يترك كل مخطوطاته فى حالة نقص معروفة . فانه لم يكده ينشر شيئا مدة حياته . ولم يكن الا حين ناهزت سنه للخمسين عول على اظهار شيء من تعاليه . فلما فوجيء بالحرقة الموجهة ضده المقدونيين بعد وفاة الاسكندر واضطر الى هجرة آتينا على عجل مشردا منفيا لم يسكن الى محل طمانينة ان عاجلته المنون لا تعرف كيف كانت ولكن المعروف انها كانت ميتة عنيفة فى سن الثانية والستين . فجمع تيوفراسط كل ما كان تركه استاذه من الاعمال والاوراق ، ولم ينشر منها شيئا هو نفسه أيضا فيما يظهر . وبقية الحكاية معروفة فان العالم الغربى لم يكده يعرف مؤلفات ارسطو الا حينما جى بها من آتينا بعناية «سلا» فرتب بطريقة حسنة او شئت بعناية «أندرونيكوس الرودى» .

وقد يكون من الغريب ان مخطوطات اهلها المؤلف بحكم الضرورة وأهمها خليفته الاول هى احسن نظاما فى الترتيب من غيرها . فان التشويش او بالاولى النقص فى كتيبنا هذا لا يطعن فيه . بل انى قائل ان هذا الكتاب على ما وجدناه عليه ليس فيه من عدم النظام والحزم مثل وفى مؤلفات ارسطو التى لاشك فى صحة نسبتها اليه . بل قد يكون هذا الكتاب أبعد عن سوء التأليف فان الاجزاء الثلاثة التى يتألف منها متميز بعضها عن بعض ومتتابعة من غير خلط ، وعرض المذاهب المنتقدة فيه هو من الوضوح والتنسيق بمكان . واذا كان لم يتقبل على العموم بقبول حسن فذلك لان طابعه الاول قد شوهه باغلاط شق تلافتها من بعد ذلك عناية المتأخرين وحذقهم حتى لم يبق منها شيء . وانى ألقت الى هذا نظر القارئ الفطن الذى يريد فحص هذا الكتاب الصغير لان يأخذ بالطبعة التى أصلها ملاح وبترجمى هذه .

ومهما يكن هذا الكتاب « فى ميليسوس واكسينوفان وغرياس » ظنينا فى نسبتته الى ارسطو فانه لا شيء فيه يبعده عن مدرسة المشائين الملاصقة عهدا بارسطو . وانى لا لقي القياد الى رأى ملاح الذى يميل الى اعتبار هذا الكتاب خلاصة من مؤلفات ارسطو التى ذكرها ديوجين اللايرتى كما ذكرناه آنفا . وقد تكون هذه الخلاصة من وضع بعض المشائين ، كما يحتمل ان يكون تيوفراسط قد اقتبس كذلك من مؤلفات

أرسطو ما رواه عن أكسينوفان كما يذكره لنا سمبليسيوس . وأنه في مؤلفات أرسطو خلاصات من هذا القبيل . والشاهد على ذلك أسلوب « علم الاخلاق الكبير » وأسلوب « علم الاخلاق الى أوديم » فانهما ليسا الا تحاليل ممتعة كثيرا أو قليلا لكتابه « علم الاخلاق الى نيقوماخوس » . ولقد أستطيع أن أستنتج انه ان كان هذا الكتاب ليس من عمل أرسطو ولا من عمل تيوفراست فهو على أقل ما يكون من زمان لا يبعد كثيرا عن زمانهما . وهذا وحده يكفي أن يجعل له أهمية انكارها محال .

ولقد تأخذ بى القيمة العالية لما يحويه هذا الكتاب بالنظر الى تحريره فضلا عن أن ميليسوس وأكسينوفان وغرغياس رجال ثلاثة كبار لا يمكن لتاريخ الفلسفة أن يهمل تذكراهم . ولو انهم هنا لم يرتبوا على مقتضى الترتيب الزماني فان هذا لا ينقص قيمة القول فيهم . ولن تجد فى أى كتاب آخر قولا على ثلاثة الفلاسفة المذكورين مستفيضا كما فى هذا الكتاب ولا شك فى انه يرغب فى أزيد من ذلك ، ولكن هذه المقاطيع هى كل ما لدينا عن مجموع مذاهبهم ، والشكر علينا واجب لمن حفظ الكتاب على هذه الصورة . فان مدرسة ايليا على رغم أغلاطها بالغة غاية المجد وانه الى جانب آرائها الدقيقة الخافية فى وحدة الوجود ولا تحركه فمن المشوق الاستماع الى نظرياتها السامية العميقة على وجود الله وقدرته الكلية . وبهذه المثابة فان أكسينوفان الذى يعتبر مؤسس مدرسة ايليا رجل كبير المقام وانه قد تنبأ قبل سقراط وأفلاطون بنبوءات خليقة بهما . وميليسوس وان لم يكن فى مستوى أكسينوفان يستحق على الأقل ألا ينسى . وأما غرغياس فمهما كان سفسطائيا فهو لا يحط مطلقا قدر الطائفة التى يضعونه فيها ، وفى الحق حسبنا أن نذكر أن أفلاطون وضع تحت هذا الاسم الشهير واحدة من أجمل محاوراته .

ولكن كيف فى النقد الموجه للمدرسة ايليا ومذاهب أهلها يغفل المؤلف أمر زينون ؟ كان اسم زينون فى عنوان الكتاب فى أكثر النسخ المخطوطة فلماذا لم يكن له وجود فى صلب الكتاب ؟ من اين هذا الاغفال وهذا النقص ؟ يرى مللاخ بحق أن هذا الكتاب الذى ليس له الآن الا ثلاثة أجزاء كان يجب أن يكون فيما سبق مؤلفا من أربعة أجزاء ، وأن نقد زينون كان يجب أن يتلو نقد أكسينوفان . وهذا الفرض مقبول وقد يستنتج طبعاً من أن أرسطو قد فحص مذاهب زينون كما فحص مذاهب الفلاسفة الثلاثة الآخرين . ويؤيد مللاخ هذه القرينة بفقرة فى هذا الكتاب (ب ٥ ف ٣) حيث ذكر فيها اسم زينون عقب احسن ميليسوس بالصراحة . وإلى هذه الفقرة يمكن أن يضاف أيضا فقرتان تكادان تكونان فى المعنى عينه (ب ٦ ف ٦ و ٦٩) وهكذا دون أن نخرج من هذا الكتاب الصغير يمكننا أن نجد براهين تكفى للقول بأنه كان لهذا الكتاب جزء رابع

أثرد القول فيه على زينون ولكنه غير موجود الآن . وهذا الجزء كان يأتي في الترتيب عقب الجزء الخاص باكسينوفان .

وفوق ذلك فإن في الفقرة الأولى من الباب الثاني يرى أن ميليسوس مسمى ومقربا من اكسينوفان الذي لا يجيء فحصى مذهبه الا بعد فحصى مذهب ميليسوس . فيظهر من المحقق اذا أن غرض مؤلف هذا الكتاب الصغير أن يدرس ميليسوس قبل اكسينوفان . كذلك يوجد هذا الترتيب في فهرس ديوجين اللايرثي . فإن كتاب أرسطو على ميليسوس ، يقدم على كتبه على غريغياس واكسينوفان وزينون . ولكنه لو روى الترتيب الزمني كما كان يجب أن يعمل لكان اكسينوفان هو الاول وزينون الثاني وميليسوس الثالث وغريغياس الأخير . لا ينبغي أن يعلق على هذه المسائل من حيث الترتيب الزمني أهمية كبرى . ولكن تعاقب المذاهب لا يوجد فهمه اذا خلطت العصور من غير ترتيب وانما ينفع الفلسفة ذاتها أن يتخرج في ترتيب عصورها بالتسلسل على قدر الامكان .

يوشك ألا يكون من الاهمية بمكان ذكر أن يكون أرسطو هو الذي أخطأ في الترتيب اذا كان هو مؤلف الكتاب أو أن مختصره هو الذي ارتكب هذا الخطأ فأني تارك الى جانب مسألة الترتيب التي هي مادة محضة لا قول بعض كلمات على الفلاسفة الثلاثة المذكورين في كتابنا هذا .

اشتهر اكسينوفان بأنه كان رئيسا لمدرسة ايليا وهذا هو المجد الذي يسند عادة اليه وان كان أفلاطون في الفقرة الوحيدة التي ذكر فيها اكسينوفان يشير ، فيما يظهر ، الى أن مدرسة ايليا أقدم منه (السنسطنائي ص ٢٤١ من ترجمة كوزان - و ص ١١٩ ب ٤٤ من الطبعة الاغريقية في طورينو سنة ١٨٣٩) . لما نفى اكسينوفان من وطنه كولوفون الى يونيا آسيا الصغرى يظهر انه هاجر الى صقلية واحتفى فيها بمدينة زنكل ثم بقطننة ، ثم ذهب الى ايليا التي كان قد أسسها حديثا الفوكيون سنة ٥٣٦ قبل الميلاد على شواطئ اغريقا الكبرى وعلى بحر طرهينيا ، وأنشأ فيها هو نفسه هذه المدرسة التي اشتهرت بها تلك المدينة الجديدة . ولا يدري امات بها ام رجع الى كولوفون . والظاهر انه عمر طويلا مقى سلم بصحة ما نقل الينا من بعض أبيات يقول فيها (١) : ان سنة أربت على الثانية والتسعين . وفي الحق أن هذه الابيات يمكن أن تفسر بمعنى آخر تدل به على أن اكسينوفان كانت سنة وقتئذ سبعة وستين عاما وأن الحوادث التي قيل فيها الشعر حصلت حين لم يبلغ عمره الا خمسة وعشرين ، فانه يقول : « اذا صح اني أستطيع الكلام على هذه الاشياء »

(١) ديوجين اللايرثي ك ٩ ب ٢ ص ٢٣٤ طبعة فيرمين ديدو .

بصورة مضبوطة ، • يقول ديوجين اللايرثى : انه ظهرت آثاره نحو السادسة والستين أولمبية يعنى نحو السنة ٥٤٠ وبفرض انه كانت سنه فى هذا الحين ٤٥ أو ٥٠ سنة فيكون ميلاده متأخرا قليلا عما يفترض له اذ يقال : انه ولد سنة ٦١٧ قبل الميلاد •

وان ما يحتمل على الظن بأن ميلاد اكسينوفان يجب أن يكون أقرب من ذلك هو أنه استشهد بفيثاغورث (١) الذى ربما قبل آراءه فى التناسخ • ونقد نعلم بشهادة شيشيرون الصريحة (الجمهورية ك ب ١٥) أن فيثاغورث لم يأت سياريس وقروطون الا فى سنة ٦٢ أولمبية أى السنة الرابعة من حكم طرخان العظيم أعنى سنة ٥٣٠ أفيكون من المحتمل أن اكسينوفان تكلم عن فيثاغورث وهو حى بما تكلم به • وحينئذ ألا يلزم عليه أن ينزل بالعصر الذى عاش فيه وبميلاده الى أنزل من ذلك • واليك هذه الايات :

« لما رأى ذات يوم كلباً يضربه بالسوط صاحبه »

« أخذته الشفقة بهذا الكائن الشقى »

« فقال : لا تضرب تلك هى روح صديق »

« تعرفته بسماع صراخه »

وقد زاد ديوجين اللايرثى الذى روى هذه الايات فى ترجمة فيثاغورث - فى موضع آخر (٢) أن اكسينوفان كان يحارب مذهب حكيم ساموس ومذاهب طاليس وايبيمينيد كما أنه كان ينقد بحدة ما كان يصور به هيزيود وهوميروس والآلهة وشهواتهم ونقائصهم • وقد كان اكسينوفان يودع أفكاره القصائد والحماسيات التى كان يقرضها • بل قد يكون محتملا أنه كان يرتزق على دأب «رهبسون» بأشاد قصائده ليطرب السامعين ويستجدى سخاءهم •

واذا كان اكسينوفان قد طعن فى آراء طاليس وفيثاغورث وايبيمينيد فيجب أن يكون متأخرا عنهم وليس محالا أن يكون قد عاش الى زمن الحرب الاولى الميادية (سنة ٤٩٠ قبل المسيح) •

وهناك واقعة قد لا يستطيع الشك فيها ما دام أرسطو يشهد لها (الميتافيزيقا ك ١ ص ١٤٦ ترجمة كوزان) • وهى أن برمينيد كان تلميذ اكسينوفان • وعلى هذه النقطة كل القماء على وفاق • غير أننا نعلم يقينا

(١) ديوجين اللايرثى ك ٨ ب ٨ ص ٢١٣ طبعة ديدو •

(٢) ديوجين اللايرثى ك ١١ ب ٢ ص ٢٣١ طبعة ديدو •

من أفلاطون (تيمستيت ص ١٥٤ - والسفسطائي ص ١٦٤ ترجمة كوزان) انه حينما جاء برمينيد آتينا مع زينون كانت سنة ٦٥ سنة (البرمينيد ص ٦ ترجمة كوزان و ص ٧٥١ طبعة طورينو ١٨٣٩) . وبفرض أن سقراط كان حديث السن عند حوار برمينيد المنقول لنا في المحاوره المشهوره بهذا الاسم ولم يكن عمره الا عشرين سنة ، فان هذا ينقلنا الى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد . وعلى هذا الفرض يكون برمينيد قد ولد فى سنة ٥١٥ وليتلقى العلم على اكسينوفان يلزم أن يكون هذا الاخير قد مات فى نحو العهد الذى ذكرناه آنفا .

غير أنى تارك مرة أخرى هذه المجادلات التاريخية (٦) لاقف برهة عند آراء اكسينوفان الفلسفية التى لها فى نظرى أهمية أخرى . ولئن كان فيما يتعلق به نقطة مجمع عليها فانما هى أن أفكاره فى الآلهة ، بل يمكن أن يقال أفكاره فى الله ، كانت أصح وأرقى من أفكار معاصريه . وهذا الكتاب الذى نترجمه يكفى وحده فى اثبات هذه الدعوى ، غير أن الشواهد على ذلك متواترة أكثرها جوهرية شاهد اكسينوفان نفسه . ولم تنخدع المسيحية فى أمره فان كليمان السكندرى (استروماتس ك ٥ ص ٦٠١) يثنى على فيلسوف كولوفون بأنه نزه الله تعالى عن التجسد وبأنه قال :

« واحد قدير على كل شيء ملك الاشددين قوة الله لا يشبهنا لبالعقل »
« ولا بالجسم وان الناس بتصويرهم الآلهة على صورتهم يسندون اليهم أفكارهم » « وأصواتهم ووجوههم » .

ويروى كليمان السكندرى فوق ذلك أبياتا أخرى تكرر هذه الفكرة عينها فى قالب آخر ، وفيها يقول اكسينوفان :

« اذا كان للثيران والاسود أيد تصور كما يصور الناس لا غطت الآلهة التى » « تصورها أجساما أشبه بأجسامها ، ولكانت الخيل تصورهم بصور خيل والثيران » « تصورهم بصورة ثيران »

منذ اكسينوفان قدت هذه الابيات التى هى غاية فى الحق ألف مرة . ولكيلا يصور الناس الله على صورتهم حين يحاولون تصويره اضطروا أن يكفوا على الاطلاق عن تمثيله كما يهدى اليه بعض الديانات المتشددة الى الغاية .

بعد أبيات اكسينوفان يمكن الاستظهار بشهادة أرسطو فى مؤلفاته الاخرى غير هذا الكتاب الذى نترجمه مثل ما فى الخطابة : (ك ٢ ب ٢٣)

(١) ر . التحقيق الخاص لكتود كوزان فى الجزء الاول من القطع الفلسفية .

حيث ينقل انه على رأى اكسينوفان أن « من الالحاد الاعتقاد بولادة الالهة ونموهم لانه على كل واحد من الوجهين تقع برهة لا يكون للالهة وجود » .
وفي موضع آخر بعد هذا بقليل يروى أرسطو جواب اكسينوفان على أهل ايليا الذين كانوا يسألونه : أيجب عليهم أن يقربوا قربانا الى «لوقوتوا» ويجاروا بالنواح عليها ؟ فقال لهم : « اذا صح فى نظركم انها آلهة فلا ينبغى أن تبكوها » فان لم تكن الا هالكة فلا ينبغى أن تقرب لها القرابين» .
يسند بلوطرخس أيضا الى اكسينوفان فكرة مماثلة لهذه فيها أن المخاطبين هم المصريون عوضا عن أهل ايليا ، وأوزيريس عوضا عن عفراء لوقوتوا ص ٤٦٣ وأما طريوس ص ٩٣٣ طبعة فرمين ديدو « ايزيد وأوزيريد » .

من هذه الافكار السامية الحققة فى حق الله تفهم علة حنق اكسينوفان على الشعراء الذين كانوا يحطون من الجلالة القدسية والذين هم كهوميروس وهيزيود لا يحجمون عن أن يسندوا الى الالهة كل ما يحط من الشرف فى نظر الناس كالسرقة والزنا والكذب والفساد (سكستون امبيديكوس *Adversus Mathem. Physicos* ٩٩ ص ٣٣ ك اب ٩٩ طبعة ١٨٤٢ ك ٩ ص ٦١٢ . *Grammaticos* ك ١ ص ١١٢) .

وفي موضع آخر تكلم أرسطو أيضا على آراء اكسينوفان هذه . وفي كتابه « الشعر » ذكر أن الفيلسوف كان يطعن فى المعانى التى يتصورها العامة فى حق الالهة (ر « الشعر ب ٢٥ ف ١١ ص ١٤٢ من ترجمتى) .
وأخيرا ذكر أرسطو اكسينوفان أيضا فيما بعد الطبيعة (ك اب ٤ ص ١٤٦ ترجمة كوزان سنة ١٨٣٨) .

وفي هذا الموضع الأخير لم يحفل أرسطو بنظريات اكسينوفان على الوحدة التى خلطها بالله فلم ير فى هذه النظريات ما ينبغى من الضبط من حيث ان هذه الوحدة ليست عقلية كوحدة برمينينا ولا مادية كوحدة ميليسوس . بل يزيد على ذلك أيضا أن افكار اكسينوفان فى هذه النقطة افكار جافية كافكار ميليسوس الذى لا يفرق بينه وبينه .

ها نحن أولاء قد أتينا على كل ما وجد فى أرسطو تقريبا على اكسينوفان . ولكن تلك الفقرة المذكورة فى « ما بعد الطبيعة » عظيمة الاهمية من حيث انها ترينا رأى أرسطو فى أن مذاهب ميليسوس ليست بعيدة عن مذاهب اكسينوفان . وذلك يدلنا على حكمة الجمع بينهما فى كتاب واحد اذا كان أرسطو هو مؤلف هذا الكتاب وان لم يكن فكيف تسنى لمؤلف آخر أن يجمع بينهما دون أن يقرب بينهما قسرا . غير أنه كان يلزم مراعاة للترتيب الزمانى أن يتكلم على ميليسوس بعد اكسينوفان . ولكن ربما كان هذا مجرد خطأ مآدى فى الوضع سببه اهمال نسخا . ولما

أنه ليس بين الجزأين الخاصين باكسينوفان وميليسوس ارتباط ضروري،
فليس في التشويش مستنكر ولا مستعصى عن الفهم .

أما ميليسوس الذي نضعه في الصف الثاني سواء في الأهمية
والترتيب الزمني فانه رجل يسترعى الاهتمام وإن كان أقل رفعة من
سابقه . قد ولد في ساموس كفيثاغورث وتبوأ فيها مركزاً عظيماً ودافع
عن وطنه بمهارة وشجاعة عند ما حاصره الاتينيون قبل حرب بينوبونيز
بخمسة عشرة سنة . ولقد نجح ميليسوس في كسر الحصار واتخذ لقومه
منه مخرجاً قادهم به حتى أتلّف أعمال الحصار ووصل إلى أسطول الإعداء
وخر به كله تقريباً . كل ذلك في غيبة بيريكليس الذي كان قد غادر
الحصار للملاقات السفن الفينيقية الاتينية لنصرة مدينة ساموس . فأمكن
المدينة أن تحصل على ما نقصها بالحصار من التموين وذلك بفضل النصر
الذي أحرزه ميليسوس . ولكن الدائرة قد دارت على أهل ساموس حين
رجع بيريكليس من غيبته فانهزم ميليسوس في حرب برية واضطرت
المدينة إلى التسليم على شروط أقسى ما تكون . لم يذكر طوسيديد الذي
روى هذه الوقائع (ك اب ١١٦) ميليسوس ، غير أن بلوطرخس ذكره في
ترجمة بيريكليس (ب ٢٦ ف ٣ ص ١٩٩ من طبعة فيرمين ديدو) على
صورة لا تحتمل الشك ، لأنه يقول بالصراحة : أن ميليسوس بن ايتاجين
كان فيلسوفاً . وزاد على ذلك بلوطرخس نقلاً عن أرسطو من غير أن يبين
موضع النقل : أن ميليسوس كان قد هزم قبل ذلك بيريكليس في واقعة
بحرية أخرى . وذلك إنما يعطى من مقسدة ميليسوس الحربية فكرة
أسمى .

ومهما يكن من الأمر فإن من المحقق أن ميليسوس كان به تحت
ثياب الفيلسوف وطنى وسياسى وقائد بحرى ورجل حرب . وذلك من
النبرة في تاريخ الفلسفة بحيث يجب علينا التنبيه إليه كما فعل
بلوطرخس (باب ٣٢ ص ١٣٧٧ طبعة فيرمين ديدو) (Adversus Coloten)
ولما أن ساموس قد ساءماها الاتينيون صنوف القسوة فمن المظنون أن
ميليسوس ذلك الوطنى الغيور والذي كان له حظ عظيم في مقاومة الغاتحين
لم يشأ أن يبقى تحت الحكم الاتينى وأنه هاجر في هذا الظرف العسير .
وكان ذلك في الأولمبية الرابعة والثمانين أى السنة ٤٤١ قبل الميلاد .
وهذا التاريخ مضبوط ومتفق تماماً مع شهادة إبلودور التي نقلها إلينا
ديوجين اللايرثى (ك ٩ ب ٤ ص ٢٣٣ طبعة فيرمين ديدو) .

كذلك لا يرى لماذا لم يمكن أن يكون ميليسوس تلميذا لبرمينيد كما
يقوله أيضاً ديوجين اللايرثى . فإن التواريخ لا تقف دون ذلك . ولما أن
ميليسوس هو من أتباع مدرسة إيليا فيمكن بسهولة أن يكون تلقى مذهبها

من خليفة اكسينوفان . ولقد قرن أرسطو مرات عديدة ذكر برمينيد بذكر ميليسوس في كتاب الطبيعة (ك اب ٢ ف ١ و ٥ ص ٤٣٣ و ٤٣٦ من ترجمتي) ليفندهما جميعا في نظرية وحدة الوجود ولا تحركه . كذلك فعل أفلاطون في كتابه «تيمست» (ترجمة كوزان ص ١٤٤) . وأن هذا على التأكيد لا يكفي لاثبات أنه كان بين الفلاسوفين علاقة أستاذ وتلميذ ، غير أن هذه التقاريب لا تنفي هذا الظن الكثير الاحتمال في شيء (ر) . أيضا الطبيعة (ك اب ٣ ف ٩ و ب ٤ ف ١) . وفي ما بعد الطبيعة في الفقرة التي استشهدنا بها آنفا اسم ميليسوس مقترن باسم برمينيد . وكذلك في كتاب السماء (ك اب ١ ف ٢ ص ٢٢٣ من ترجمتي) . ومن ذلك أستنتج أن دعوى ديوجين اللايرثي مهما كانت فريدة لا ترفض بهذا الإزدراء الذي لاقت من بعض مؤرخي الفلسفة . فإن ميليسوس لما هاجر الى ايليا في اغبريقا الكبرى يمكن جيدا أنه قد سمع دروس برمينيد الذي استمر يلقى دروس اكسينوفان .

وعلى جملة من القول لا يعرف شيء عن حياته ، ولكن من العدل أن يفترض أن نهايتها كانت مطابقة لبدايتها .

كان كتاب ميليسوس موسوما « في الوجود » بل ربما كان موسوما « في الطبيعة » عنوان شائع جد الشيوخ عند أكثر فلاسفة تلك الأزمان القديمة واذا الطبيعة في مجموعها هي موضوع درسهم حتى يتبها لهم تحليل مفصل ما كان ليؤسس الا على مشاهدات أكثر عددا . نحن نعرف مؤلف ميليسوس هذا بالمختصر الموجود في هذا الكتاب الذي نترجمه وبالشواهد التي نقلها سمبليسيوس في شرحه على الطبيعة لارسطو اما لانه كان بين يديه النسخة الاصلية لكتاب ميليسوس واما ، وهو الأرجح ، لانه لم يكن لديه الا ملخصات تيوفراست الذي يستشهد به . لا اريد أن اختصر أنا أيضا تلك المختصرات المختلفة ولكني أقنع بأن أحيل على قطع ميليسوس التي سوف نذكرها بعد أخذنا عن اسبلدنج وملاخ . وفيها يرى مذهب الفيلسوف السموسي ، على ما وصل اليها بالقل . وزيادة على ذلك يرى لماذا كان كتابنا الصغير أمينا على المؤلف الذي يعرفه للناس في حين أنه ينقض مذهبه ! .

بعد اكسينوفان وميليسوس لا أقول شيئا عن زينون ما دام كتابنا لا يتكلم عنه وإن ذكره الوارد في عناوين بعض المخطوطات يجب أن يعتبر كسهو . فيبقى غريغياس الذي يجب أن يكون كلامنا عليه موجزا جدا لانه معروف أكثر ولانه لا يكاد يكون الا سفسطائيا (١) .

(H.E. Hoss, Halls Saxonum. in 8°, 1828)

(١) ر . . التحقيق الخاص

ولد غرغياس في ليونتيوم بصقلية نحو الواحدة والسبعين أولمبيية وبنح من اكبر مبلغا عظيما حتى لقد بلخ على ما يظهر الثامنة والتسعين اولمبيه أعنى أنه لم يمض الا في سن الثامنة أو التاسعة بعد المائة كما يقول كل كتاب الزمن القديم بالاجماع . ولا يعرف عن حياته العملية تفاصيل طويلة . أما عائلته فانظروا أنها كانت ، فيما يظهر ، عائلة ممتازة وكن أخوه « هيروديكوس » ، الذى لا ينبغي أن ينتسب بهيروديكوس السلمبرى ، طبيبا حاذقا (ر . غرغياس لافلاطون ص ١٨٥ و ٢٠٩ ترجمة كوزان) . وهذا يدل فيما يظهر على أنه كان في سعة من العيش وعلى جانب عظيم من الثقافة العقلية . وأما غرغياس فانه اجتهد على الاخص في الخطابة وكانت فنا مخترعا حديثا وقتئذ حصل منه على اسم كبير في صقلية وأناد من تعليمه ايام فوائد اكبر . ولا شك في أن قدرته الخطابية هي انتى اكسبته ثقة مواطنيه اذ استنجدوا آتينا ضد مبراقوزة والمدائن الاخرى الدورية . فبعثوا غرغياس يطلب مساعدة الجمهورية ويظهر أن التاريخ المضبوط لسفاراته هذه هو السنة الثانية للاولبياد الثامنة والثمانين أى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد . ويظهر أن سقراط الذى رآه بلا شك لم يكن ليستهن بفصاحته التى كثر اللفظ بشأنها فى آتينا وصارت مصدر ثروة لهذا المعلم الحسن البيان (ر . هيباس لافلاطون ص ١٠٠ ترجمة كوزان) . ولقد ظن أن أرسطوفان فى روايته المضحكة عن الطيور كان يريد أن يستهزئ بفرغياس لانه كان يرى أسلوبه متفخا وغير طبيعى . منذ هذه السفارة المشهورة التى ربما أتبعها غرغياس بالعودة ثانية الى آتينا بل بالاقامة فيها لم يعرف لحياته العملية أثر آخر . وكل مايعلم عنه انه فى آخر حياته أقام فى تساليا حيث استمع اليه «إيزوقراط» وأنه عاش زمنا طويلا فى لارسا أثرى مدن تلك الجهة بسبب نفوذ عائلة الالويين . ولئن رجعنا الى كلمة طيبة رواها أرسطو (السياسة ك ٣ ب ٩ ص ١٢٧ من ترجمتى طبعة ثانية) لوجدنا أن غرغياس لم يكن عظيم الاحترام لوطنية اللارسيين ولا يعلم أن هذا السفسطالى الشهير قد مات بين طهرانى هؤلاء . ومع أنه صار من الثروة على جانب عظيم ومن الزهو بحيث انه وضع لنفسه تمثالا من الذهب فى معبد دلفوس فانه كما يقال كان على بقية من قناعة تضرب بها الامثال . ويقال : ان نقشفه المتناهى هو الذى أطال عمره الى ذلك الحد . ويزعم لوسيان خبثا منه بلا شك أن غرغياس لما مل الحياة ترك نفسه يموت جوعا (Macrobior) ب ٢٣ ص ٦٤٣ طبعة فيرمين ديدو) .

ولم يكن مشرفا مركز غرغياس فى المحاوراة التى وضعها افلاطون وسنماها باسمه . ففيها يبين له سقراط أن فن الخطابة الذى يزعمه ليس

فنا كما يزعم وضيق عليه فى المناقشة حتى بهت بأن جعله يقـع فى التناقض المبين وألجأه الى تبرير الظلم والقسوة . وساء دفاع غرغياس عن دعواه الخاسرة غير أنه كان يسبغ عليه من القصد وحسن الذوق ما لم يكن لبولوس وعلى الاخص قليقليس اللذين يسوقان المعانى التى لا يجيدان فهمها سوفا الى النهاية . وينصبان نفسيهما أشياء عينا للقوة على الحق وللشر على الخير وللضلال على الهدى . ولقد يتعرف من دهاء غرغياس خلقه العام الذى يسند اليه بل ربما كان الى هذا الدهاء أيضا ينسب تأثير مركزه السياسى أيضا فانه لم يكن فى بلده ويجب عليه أن يدارى الاتيين الذين كان ينتظر منهم نصرته ووطنه ، يداريهم حتى فى المداقشات النظرية البحتة .

وأما كتاب غرغياس فكان عنوانه « فى اللاموجود أو فى الطبيعة » ولا يعلم ماذا كان يحوى على العموم ولكنه يرى على قدر الكفاية من كتيبنا هذا ماذا كانت فكرته العامة . فى الواقع انما هى لا أدريه مطلقة . وفى هذه النقطة لا محل للتردد فى الحكم فان سكستوس أمبيريكرس الذى يظهر أنه كان بين يديه نسخة غرغياس نفسها قد نقل آتينا كما بيناه آنفا تحليلا مطابقا تمام المطابقة لما سنجد هنا (ك ٧ ص ٢٨٥ - ٢٩٠ طبعة ١٨٤٢ Adversus Mathematicos, Logicos). . وانه ليضع غرغياس فى صف الفلاسفة الذين يأبون على الانسان أية ملكة للحكم على حقيقة الاشياء وينكرون امكان الاهتداء لذلك . وما ذلك الا مذهب فقير يحوى فى نفسه كما فى كل لا أدريه مطلقة تناقضا ليس منه محيص . ولما تززع الايمان بالمنطق تززع بالاخلاق على السواء فلا عجب أن يكون سقراط قد أقام حربا عوانا على السفسطائيين الذين يفسدون العقول والاخلاق .

يظهر أن كتاب غرغياس الذى فى عنوانه وحده ازدراء بالذوق العام قد ألف أو ظهر فى الاولوية الرابعة والتسعين أعنى سنة ٤٠٣ قبل الميلاد وكان ذلك فى آخر حرب بيلوبونيز وكان الظرف سيئا للتنازع فى حقيقة الاشياء اذ كانت اغريقا كلها تعاني من الشرور ما لا شبهة فيه . ومتى يمكن أن تكون اللا أدريه فى وقت مناسب ؟ لقد كان ذلك لاربع سنين قبل الحكم على سقراط اذ نشأت ضلالة أخرى كان يمكن للادري أن يسخر منها كما يسخر من هزيمة آتينا فى نزاعها مع هذا الحكيم جزاء له على ما كاله لها من صنوف التهكم . ومع ذلك فان غرغياس فى شيوخوخته الطويلة قد عاش بعد سقراط وهجر أيضا آتينا الى بلاد أقل منها قرى فيها لم تكن لا ادريته لتعزيه بعض الشيء عن نفيه .

ولكى تقدر فكرة غرغياس تقديرا تاما قد أثبت قطعة سكستوس امبيريكرس . فمن السهل مقارنتها بكتيبنا هذا الذى لها به ارتباط بين .

يجب أن يرى بناء على كل ما تقدم أن كتابنا الصغير مهما كان فيه من النقص والعيوب والغموض حتى بعد البحوث التي تناولته لا يزال على جانب من الأهمية . وحين كان النص مملوءا بالأغلاط كان يمكن إهماله واعتباره غير معقول تقريبا فأما منذ ملأه فقد أصبح هذا الزدراء لا محل له وأنا من جهتي دون أن أكون مرتاحا تماما لا أجد أن هذا الكتاب أكثر غموضا من كثير من الكتب الأخرى في مؤلفات أرسطو . مع الإصلاحات التي تناولته والتي هي مقبولة جسد القبول لأن أكثرها قام الدليل على صحته من المخطوطات التي درست خير دراسة ، مع هذه الإصلاحات يقف انقاري جيدا على ما أراده المؤلف وإن أسلوبه لمن البيان على قدر المطلوب . فإن لم تكن هذه الرسالة التي ليست بعد كل شيء إلا مجموع مذكرات أن لم تكن من قلم أرسطو فإنها ليست غير خليقة بأن تنسب إليه كما قد طن ذلك زمانا طويلا . وعلى الأخص فليست قليلة الفائدة من حيث تاريخ الفلسفة . وبهذا العنوان وعلى هذا الاعتبار يستوصى بها كل أصدقاء الفلسفة القديمة .

أما فيما يتعلق بموضوع المذاهب وبمركز مدرسة إيليا فقد قلت بعض كلمات في مقدمتي على هذا المجلد . وتصديت لأن أبين في هذا البحث أن الفلسفة الإغريقية جدت في المحترمة كانت نشأت باجتماع ظروف سعيدة قبل الميلاد بستة قرون في المستعمرات التي أنست على شطوط آسيا الصغرى . وقد أعلنت هذا الحادث كواحد من أعظم تواريخ العقل البشرى . وعينت الحوادث السياسية الكبرى التي في وسطها نتجت هذه النتيجة . واستخلصت من هذه اللوحة مهما كان موضعها من قلة الكمال نتائج قد تكون أوسع من إطارها . ألا إنما في تلك البيئة يجب أن نحل فلاسفتنا لفهمهم جد الفهم ولنقدر حق قدرها تلك القيمة السامية لهؤلاء الاساتذة معلمى الحكمة القديمة والذين مهدوا لنا فلسفتنا الحالية والذين لا يزالون يشجعوننا حتى على هذا البعد الشاسع .

في ميليسوس وفي إكسينوفان وفي غرغياس

مذاهب ميليسوس

الباب الأول

الموجود هو أئلى غير متناه واحد ولا متحرك - أركنن الوحدة وثنائجها - الاختلاط -
ظاهر الاشياء هو ضد الوحدة - الحذر الذى ينبغى أخذه من شهادة الخواس - ردود على
نظرية الوحدة وعمل الادارية - الآراء المضادة لهذا المذهب - شواهد من هيزيود
لبعض فلاسفة آخرين .

§ ١ - هو يقرر أنه ان يكن من شىء فذلك الشىء يجب أن يكون
أزليا ما دام أنه - على رأيه - من المحال أبدا أن يتولد شىء من لا شىء .
وسواء أكان فى الواقع أن الكل قد خلق أم أن الكل لم يكن يخلق فيلزم
على ذلك فى الفرضين أن الاشياء التى خلقت تكون أخرجت من لا شىء
ما دام أنه ما من واحد من جميع الاشياء التى تكونت على هذا النحو كان
يوجد من قبل .

ب ١ - مذاهب ميليسوس - زدت هذا العنوان الذى ليس فى الاصل الاغريقى .
ر : ما سبق فى التحقيق الذى أجريناه على هذا العنوان وعلى نسبة المذاهب التى يشملها
البابان الاولان الى ميليسوس .

§ ١ - هو يقرر - حفظت عبارة النص على ابهامها . وقد كان يحسن أن يسمى
الفيلسوف بالتصريح . ومع العنوان الذى سمحت لنفسى بوضعه لهذا الباب يذهب الشك
فى الشخص المقصود . ولكنى لم أسمح لنفسى بأن أدخل هذه الزيادة على النص نفسه
فى أول جملة وفى بدء هذه الرسالة . وأما فى غضون الابواب فقد زدت اسم ميليسوس
مرات عدة كما فعلت بالنسبة لأكسينوفان وغرغياس ، وفيما يتعلق بالاسناد الى ميليسوس
ر : ما سياتى بـ ١ - ان يكن من شىء - ر : ما سوف يلى من قطع ميليسوس
القطعة الاولى - على رأيه زدت هذه العبارة لأزدي قوة النص الاغريقى . - أم أن الكل
لم يكن يخلق - وأنه لم يكن الا عدد ما من الاشياء كان قد خلق - فى الفرضين النص
ليس على هذا القدر من الصراحة .

§ ٢ - وأنه اذا قيل ان من الاشياء ما كان موجودا من قبل ومنها ما جاء بعد ذلك لينضم اليه نتج من ذلك أن الكل الذى هو واحد قد زاد بالعدد وبالكَم . وهذا نفسه الذى به يصير أكثر عددا وأكبر يجب أن يأتى أولا من لا شيء لان الأكثر لا يمكن أن يكون فى الأقل ولا الأكبر فى الأصغر .

§ ٣ - ومتى كان الكل أزليا يجب أن يكون بهذا عينه لا متناهيا لانه لا يكون هناك مبدا يأتى منه كما انه لا يكون له آخر متى بلغه انتهى . وكل لا متناه يجب ضرورة أن يكون واحدا لانه اذا وجد عدة لا متناهيات بل لا متناهيات اثنان حدد بعضها بعضا على التكافؤ .

§ ٤ - ولما كان واحدا وجب أن يكون متشابهها فى جميع أجزائه لانه اذا كان غير متشابه فهذا وحده لا يكون بعد واحدا . ولما لم يكن واحدا كان كثرة . ولما كان الواحد أزليا لا قابلا لأن يقاس متشابهها فى جميع أجزائه وجب أن يكون غير متحرك لانه لا يمكن أن يتحرك الا فى شيء ينطلق أمامه ولكن الانطلاق لا يمكن أن يكون الا للذهاب فى الملاء أو فى الخلو . فمن جهة الملاء لا يمكن بعد أن يقبل شيئا ومن جهة أخرى الخلو نفسه ليس شيئا .

٥ - لما كان الواحد هو ما قلنا آنفا ينتج من ذلك انه لا يمكن ان يلحقه تعب ولا ألم . ويجب أن يكون سليما وبغير مرض . كما انه لا يمكن أن يغير وضعه ليتخذ أحسن منه ولا أن يتحول لياخذ نوعا آخر ولا أن يختلط بشيء آخر . وفى كل هذه الاوضاع الواحد يصير كثرة واذا يكون اللاموجود هو المتولد . والموجود يكون هو الذى قد فسد بالضرورة .

- التى تكونت على هذا النحو - . والتى هى بالنتيجة ليست أزلية .
§ ٢ - أن الكل الذى هو واحد - عبارة النص هى بالبساطة « الواحد » بالعدد وبالكَم - عبارة النص : « يصير متعددا وأعظم » .
§ ٣ - كان الكل أزليا - ر - ما سوف يجرى فى قطع ميليسوس القطعتين ٣ و ٢ . بهذا عينه لا متناهيا - يكاد يكون ذلك تكرارا لان الازلى ليس الا اللامتناهى فى المدة . - حدد بعضها بعضا على التكافؤ - تلك هى العبارات عينها التى ينقلها سمبليسيوس .
ر - ما سوف يجرى من قطع ميليسوس القطعتين ١ و ٣

§ ٤ - وجب أن يكون متشابهها فى جميع أجزائه - راجع قطع ميليسوس القطعة ٤ - وجب أن يكون غير متحرك - راجع القطعة ٤ - فى شيء ينطلق أمامه راجع القطعة ٥ من قطع ميليسوس - الخلو نفسه ليس شيئا - راجع القطعة الآتفة الذكر .
§ ٥ - لا يمكن أن يلحقه تعب ولا ألم - يمكن أو تحمل هذه العبارة على المادى أو على المستوى على السواء ر - القطعة ٤ من قطع ميليسوس - سليما وبغير مرض - ربما كانت هذه المعانى أضيق مما ينبغى وفيها يعتبر الواحد كما لو كان جسدا انسانيا ر - القطعة ١١ - هو المتولد - هذه هى عبارة النص الاغريقى بالضبط .

٦ - وكل هذا محال مطلقا . وفى الحق اذا كان الواحد مقولا على الخليط لانه تألف من عدة اشياء فيلزم حينئذ ان يكون مسبوقا بوجود عدة أشياء وأن هذه الاشياء تكون قد تحركت بعضها نحو الاخرى . وليس الاختلاط فى الواقع الا تركيب عدة أشياء فى شيء واحد أو انما هو كجمع بين الاشياء المختلطة عن طريق التصنيف . وعلى هذا النحو قد تختلط الاشياء لانها تنفصل بعضها عن الاخرى . ولما أن هذا الجمع يحصل فى سحق الاشياء فقد يجب أن يوجد جليا كل واحد منها برفع الاشياء الاولى التى اختلطت باقترابها بعضها من بعض . وليس توجد واحدة من هاتين الحالتين .

٧ - وهكذا على هذه الطريقة تكون الاشياء ، على رأى ميليسوس ، متكررة ولا تظهر لنا البتة بوحدة ، وبالنتيجة لما أنه ليس ممكنا أن يكون الحال هكذا على هذا الوجه وأنه لا يمكن أن تكون الاشياء متكررة فيلزم القول بأن هذا ليس الا ظاهرا خداعا كما أنه مع ذلك يوجد كثير من الاشياء تخدع حواسنا وتغرها ولكن العقل يؤكد لنا ان تلك الاشياء ليست موجودة ، بل هو يؤكد لنا أن الموجود لا يمكن أن يكون كثرة وأنه واحد أزلى لا متناه متشابه فى جميع أجزائه .

٨ - وحينئذ هل تكون عنايتنا الاولى بعدم قبول كل ظاهر والا نشق منه الا بما هو الاحق ؟ ولكن اذا كان كل ما يظهر لنا أنه حق ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقنا فقد نحسن صنعا بعدم قبول

§ ٦ - اذا كان الواحد مقولا على الخليط - ر . على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ . - التصنيف - يظهر أن الكلمة التى يستخدمها النص هنا كانت خاصة بلهجة الابديانيين . ر . تفسير سبليسيوس على كتاب السماء الورقة ١٥١ . - لانها تنفصل - أو يمكن أن تنفصل . ومن المحتمل أن يكون لفظ فصل ها هنا مأخوذا على معنى تمييز - فى سحق الاشياء - هذه هى عبارة النص وان لم تكن مضبوطة تماما .

§ ٧ - على رأى ميليسوس - زدت هذه العبارة لاحصل النص فى كل قوته . - ليس الا ظاهرا خداعا - تلك هى لا أدوية مدرسة يليا التى بايثانها العقل أكثر مما ينبغي لم تبق للحواس ما يتناسب معها ر . فيما سوف يجى شيئا من هذه المعانى فى القطعة ١٧ من قطع ميليسوس . - العقل يؤكد لنا - اذ طبق هذا فى حق الله فالنظرية لا جدال فيها فوجدانيته بدئية فى حكم العقل كلا نهايته وكامل قدرته . ولكن ذلك لا يمنع تكرر الكائنات بأشخاصها ويلزم العقل التسليم به من غير أن يستطيع مع ذلك أن يفسره .

§ ٨ - هل تكون عنايتنا - صيغة الاثبات هنا أولى فيما يظهر ولكنى اضطرت الى اتباع النص . وهذا المر هو أتم ما تركه لنا الاقدمون على نمط مدرسة ايليا ومنطقها - كل ظاهر - أو كل ما يظهر لعقلنا لان المراد هنا ليس هو الظاهر الحسى =

هذه القاعدة أيضا : أنه لا شيء البتة يمكن أن يأتي من لا شيء لأنه ربما كان هذا أيضا واحدا من تلك الآراء القليلة الصديق والكثيرة العدد التي نحن جميعا قد تصورناها بواسطة ادراكات قليلة الصديق أو كثيرته .

٩ - ولكن إذا كانت كل ادراكاتنا ليست فاسدة وإذا كان بعض أحادها صحيحا فيلزم أن يختار اما الرأي الذي قام الدليل على صحته واما الآراء التي تظهر أنها أحق . لأن هذه الأخيرة تكون دائما أمتن من الآراء التي يجب أن يدلل عليها من بعد بمساعدة تلك المبادئ الأولى .

١٠ - فلنسلم ، إذا شئت ، بأن هذين الرأيين مضادان أحدهما للآخر كما يفترض ميليسوس : باديء بدء أنه عند تأييد الكثرة يضطر الى استخراجها من اللاموجود . ثم لما كان هذا محالا وجب أن يستنتج من ذلك أن الموجودات ليست متكررة والموجود بما هو موجود فقط هو لا متناه وبما هو لا متناه هو واحد .

١١ - نزع أن هذين الرأيين لا يثبتان لاحدهما ولا الآخر أن الموجود هو واحد وأنه كثرة . ولكن إذا كان أحد الاثنين أحق وأمتن

= ليس صحيحا ولا يستحق على ذلك تصديقا - ليس النص على هذا القدر من السمة . - بعدم قبول هذه القاعدة أيضا - الأمر على القدر من ذلك فإن مدرسة ايليا قد قبلت هذه القاعدة كل القبول واتخذتها أساسا لنظرياتهما على الازلية ووحدة الموجود . - قليلة الصديق - ليس النص على هذا القدر من التعمين ، ولكنه على التحديق يشمل هذا المعنى .

٩ - كل ادراكاتنا ليست فاسدة - في هذا التحفظ شرف عظيم لمدرسة ايليا ويجب اعتباره والاعتداد به . فإن السفسطائيين وعلى الخصوص فروطاغوراس قد ذهبوا بعيدا في المعنى المضاد بأن قرروا أن الانسان هو مقياس الكل وقد جرحهم هذا الاطراف إلى لا أدوية غريغياس المطلقة . ر . فيما يلي الباب الخامس والسادس من هذا الكتاب وتحليل مذهب غريغياس الذي قام به سكستوس أمبريكوس . - اما الرأي الذي قام الدليل على صحته - مبدأ جميل قد كرره فيما بعد أفلاطون وديكارت بصورة أخرى ليست أشد جزما . - التي تظهر أنها أحق - والتي هي غير قابلة للايضاح وصناعة ، من ثم ، لايضاح سائر البقية . هذا هو المذهب العظيم لارسطوطاليس في الانالوطيقا الثانية . وهذا هو الأساس الذي اليه يستند كل برهان سواء كان هذا الأساس مكتسوبا أو مغبا . ر . ترجمتنا للانالوطيقا الثانية ، منطق أرسطو ج ٣ ك ١ ب ٢ ص ٩ .

- بمساعدة تلك المبادئ الأولى - التي هي في ذاتها غير قابلة للبرهان لانها بديهية .

١٠ - كما يفترض ميليسوس - عبارة النص هي فقط « كما يفترضه » ر . ما سبق ف ١ والتحقيق . وهذه الجملة كلها قلقة في ترجمتنا كما هي كذلك في النص الاغريقي . - يضطر الى استخراجها من اللاموجود - ر . ما سبق ألفا ف ١ .

١١ - نزع - قد لا تكون عبارة النص على هذه الصراحة . - فتكون النتائج التي تستنتج - أو النتائج التي تستخرج منها . على أن من البين أن المبدأ الذي يسار =

فتكون النتائج التي تستنتج منه هي أيضا أجلى وضوحاً • فإن كان لنا هذان الاعتقادان معا أن لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء وأن الموجودات هي متحركة ومتحركة فلما أن هذا الأخير يظهر لنا حقيقاً بالثقة فهو أولى من الآخر بتصديق الناس • وبالنتيجة إذا كان هذان الرأيان هما متضادين في الواقع وإذا كان من المحال أن شيئاً يأتي من لاشيء وأن الموجودات متعددة فإن هاتين النظريتين تتباطلان وتتفاسدان على التكافؤ

١٢ - لكن لماذا إذا يكون رأى ميليسوس أحق ! انه يمكن أيضاً تأييد الرأى المضاد مادام أن ميليسوس قد وضع استدلاله من غير أن يكون قد دّل على أن الرأى الذي يصدر عنه هو الحق أو على الأقل أنه أمتن من الرأى الذي يقصد الى أن يبرهن على فساده • وهذا من جانبه ليس الا فرضاً محضاً أن يرى أن مجيء الأشياء من لاشيء أشبه بالحق من أن تكون متعددة •

١٣ - ولقد أصاب من قال على ضد ذلك هاهنا ان أشياء لم تكن قد كانت وإن كثيراً من الأشياء أخرج من العدم • وليس هؤلاء الذين افترضوا هذه الأفكار من أناس كيفما اتفق • بل هم مشهورون بأنهم أعقل الناس • مثال ذلك قال هينزود :

« كان العماء موجودا قبل كل الأشياء »

منه بما أنه هو ذاته أمتن فالبرهان الذي ينتج منه هو أمتن أيضا • هذان الاعتقادان - العبارة الاغريقية تدل مباشرة على « فرضين وهميين » • - لاشيء يمكن أن يأتي من لاشيء - هذا حق متى طبق على موجودات الطبيعة ولكنه ليس حقا بهذا المقدار متى طبق في حق الله • وحينما يكون الامر متعلقاً بالله فيلزم أن يوصل الى خلق حقيقي • - الموجودات هي متحركة ومتحركة - كما تشهد لنا به حواسنا شهادة غير مبرجة • - هاتين النظريتين تتباطلان - وحينئذ يمكن أن شيئاً ما يأتي من العدم وإن الموجودات هي متحركة •

§ ١٢ - رأى ميليسوس - عبارة النص غير معينة ولا تسمى ميليسوس ر • ماسبق ف ١ • - ما دام أن ملسوس - التنبيه السابق • - الذي يقصد الى أن يبرهن على فساده - عبارة للنص ببساطة « التي عليه يبرهن » • - ليس الا فرضاً محضاً • - الحد الذي يستعمله النص ما هنا هو بعينه من جهة الاشتقاق الذي في الفقرة السابقة - أشبه بالحق - أو بعبارة أخرى أن الخلق من العدم أكثر احتمالاً من وحدانية الموجود • فانه يمكن أن يفهم على وجه أحسن أن الأشياء أتت بها من لاشيء من أن يفهم أنها متعددة • والسبب في ذلك أن التعدد يدعى فيما يظهر في حين أن الحلقة تختفي في ظلمات الماضي والبدائية •

§ ١٣ - قد كانت - هذه الجملة في المخطوطات واردة على صيغة لا على صيغة : لا ثبات كما ينبه اليه م • مللاخ • وقد اقترح اسبلدنج محوها • وإنى أرى كما يرى م • مللاخ أنها ضرورية لتتابع المعاني - من أقاس كيفما اتفق - من العوام هينزود راجع =

» ثم ظهرت الارض ذات الصدر الفسيح

» وهى الاساس الازلى لكل ما تحمل

»

» ثم بعد ذلك العشق الذى هو أقدر الآلهة » .

فعلى رأى هيزيود سائر الاشياء تولد من هذا ولكن المبادئ الاول لم تتولد من شيء .

١٤ - ومن الفلاسفة من يقولون بأن لشيء يكون وأن الكل يصير وهم يؤكدون كذلك أن كل الاشياء التى تصير تولد من أشياء غير موجودة .
وبالنتيجة يمكن أن يقال ان عند بعض الفلاسفة الصيرورة يمكن أن تنتج حتى من اللاموجود .

= التيوغوني : البيت ١١٦ وما بعده ص ٣ من طبعة فرمين ديدو . وان هذه الابيات التى لم يستشهد بها ها هنا بالنص موجودة فى الطبيعة لارسطو . ك ١ ب ٢ ف ٧ ص ١٤٢ من ترجمتنا وفى ما بعد الطبيعة ك ١ ب ٣ ص ١٣٨ من ترجمة كوزان .
- لم تتولد من شيء - أولى بهذا أن يكون نتيجة مستخرجة من أفكار هيزيود لا فكرة من أفكاره الخاصة .

§ ١٤ - ومن الفلاسفة - كان من الحسن أن يسمى هؤلاء : الفلاسفة الآخرين - بأن لا شيء يكون أو يوجد - وأن الكل يصير - قد يكون هذا هو رأى هيرقليطس إذ يظن أن كل الأشياء هى فى مد أبدي - تولد من أشياء غير موجودة - :لنتيجة بيئة بذاتها فيما يظهر وان ما يصير لم يكن قبل أن يصير . الصيرورة يمكن أن تخرج حتى من :اللاموجود - أو أن الاشياء التى تتولد تخرج من أشياء ليست موجودة .

الباب الثاني

تتمة تفنيد ميليسوس - ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من لا شيء - تولد الاشياء وكونها بعضها من بعض على التكافؤ - نظريات أميدقل وانكسيغوراس وديمقريطس وبرمينيد وزينون - شواهد من شعر أميدقل وهيزيود - الوجود ليس ضرورة واحدة أزليا ولا متناهيا .

١ - نحن لا نشتغل ببحث ما إذا كان مايقوله ممكنا أو ممتنعا . لكن هنا نقطة يجب علينا أن نعيها بعض الالتفات وهي ما إذا كانت مثل تلك النتائج تنتج بلا تخلف من فروضه أو إذا كانت الاشياء يمكن أن تكون ضد ما يعتقد لانه يمكن في الحق أن يكون الواقع مخالفا تمام المخالفة .

٢ - فهو يقرر باديء بدء أنه ليس شيء يمكن ان يأتي مما هو ليس موجودا . ولكن يرد عليه هذا السؤال : أمن الضروري اذا أن تكون جميع الاشياء بلا استثناء غير مخلوقة ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تأتي الاشياء بعضها من بعض وأن هذه السلسلة يمكن أن تتمشى الى مالا نهاية ؟ أو ليس من الممكن أيضا أن تتكون رجعي دائرية بحيث ان الواحد يأتي من الآخر وأنه على ذلك يوجد دائما موجود ما وأن كل واحد قد أمكن أن يخرج على هذا النحو من جميع الآخر على التكافؤ في عدد غير متناه من المرات ؟ على هذا المعنى لا شيء يمنع أن الكل قد خلق وأصبر حتى مع التسليم بذلك الغرض أنه ليس شيء يمكن البتة أن يأتي من لا شيء . وبما أن الموجودات على ذلك غير متناهية فيمكن اذا ، كما يشاؤه ، أن تسمى بجميع الاسماء التي لا تناسب الا الوحدة لانه يطبق هو أيضا على اللامتناهي كيفية انه كل وانه يسمى كلا .

١ - ما إذا كان ما يقوله - ميليسوس وقد حفظت النص على ما فيه من عدم التمين الشخصي . - بعض الالتفات - وربما يمكن أن يقال « التفاتا جديا » . - من فروضة - أو « المبادئ التي يسلم بها »

٢ - فهو يقرر باديء بدء - ليس النص على هذا القدر من الضبط وعبارته عامة وهي ما دام قد تقرر الخ . - بلا استثناء - زدت هذا القيد لاجنب كل قوة العبارة الاغريقية . - غير مخلوقة - ر . ما سبق في الفقرة الاولى حيث هذا التحفظ بعض الاشياء هي أزلية وغير مخلوقة والبعض الآخر ليس كذلك . - أن تأتي الاشياء بعضها من بعض - هذا ممكن بلا شك ولكن لا بد باديء بدء من الفراض وجود بعض اشياء تكون أزلية بالنتيجة . وهذا الاعتراض لا يرد مباشرة على نظرية ميليسوس . - رجعي دائرية - هذا هو ما ذكر آنفا بعبارة أخرى . ولكن الكون ليكون على التكافؤ يلزم ضرورة أن يكون مسبقا بوجود ما قد لا يكون أزليا وباقيا . - يوجد دائما موجود ما - مؤقت ووسيط ولكن التعاقب مع ذلك هوائي اذ لم تكن الموجودات أزلية =

٣ - حتى من غير أن يقرض أن غلدد الموجودات غير متناه يمكن أن يفهم أن كونها دائري . فإذا كان كل بصير وان لا شيء يوجد كما يزعم بعضهم فكيف يوجد اذا أشياء أزلية ؟ ولكن ميليسوس يتكلم عن الموجود كأنه كائن وكأنه مسلم به على الإطلاق . فانه يقول : « اذا الموجود لم يصير واذا هو يكون فيلزم أن يكون أزليا » . وهذا انما هو تسليم بأن الوجود يتعلق بضرورة بالاشياء .

٤ - وأكثر من ذلك أنه مع الافتراض ، بقدر ما يراد من الافتراض ، بأن اللاموجود لا يمكن أن يصير وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم البتة كما الذى ينم أيضا أن من الاشياء ماتولد ومنها ما تكون أزلية ؟ تلك انما هي نظرية أمبيدقل نفسه . فانه مع أنه مسلم وفقا لرأى ميليسوس بأن من الممتنع أن أى شيء اتفق بخروج مما لم يكن وأنه لا سبيل مطلقا لأن شيئا وجد مرة يمكن أن ينعدم البتة « مادام أن الموجود يبقى دائما حيث أمكن وضعه » مع كل هذا لا يزال هذا الفيلسوف يؤيد أن من الاشياء ماهو أزلى كالنار والماء والارض والهاء وأنه انما من هذه الاشياء أنت وتاثير حميم الآخر . وعلم رأيه ليس للموجودات كون آخر غير هذا . وأن الكون ليس فى الحقيقة الا اختلاطا وتحللا . وهذا ما يسمى عاميا كون الاشياء وطبعاها .

= ان الكل قد خلق - فى التعاقب لا فى البدء . - انه كل وأنه يسمى كلا - وبعبارة أخرى : للامتنا هي هو كل وهذا هو ما يسمى بالكل .

٣ - كونها - بعضها بواسطة البعض الآخر . - دائري - وبالنتيجة على التكافؤ ، فان الثانى يكون الاول كما أن الاول قد كون الثام . - كما يزعم بعضهم - هرقليطس وفروطاغوراس مثلا . - ولكن ميليسوس - عبارة النص : - ولكنه « ز » ما سوف بجىء القطعة الاولى وما يليها من قطع ميليسوس . فانه يقول - هذه الصيغة تدل على أن القول المروى هو من كلام ميليسوس .

٤ - بأن اللاموجود لا يمكن أن يصير - يعنى أن ما لم يكن لا يمكن أن يكون أبدا . - وأن الموجود لا يمكن أن ينعدم - وأنه أزلى . - من الاشياء - التى هي موجودة أو التى وجدت فيما سبق . - نظرية أمبيدقل - لم يذكر آيات أمبيدقل بنصها ولكن المعنى قد حصل بالضبط . ر . قطع أمبيدقل البيتين ١٠٢ و ١٠٣ طبعة فيرمين ديدو ص ٣ . - وفقا لرأى ميليسوس - ليس الاسم فى النص الاغريقى ولكنه يستنتج من العبارة نفسها التى استخدمها المؤلف . - ما دام أن الموجود يبقى دائما - هذا الشاهد بيت من آيات أمبيدقل روى بمعناه بالضبط دون لفظه . ر . البيت ١٠٤ فى المرجع السابق . - كالنار والماء . الخ - الاربعة العناصر التى يسلم بها أمبيدقل أيضا . - الا اختلاطا وتحللا - تلك هي عبارة أمبيدقل بالنص . ر . قطع أمبيدقل البيتين ١٠٠ و ١٠١ فى المرجع السابق . وان أرسطو يذكر أيضا هذا البيت فى كتاب الكون والفساد ك ٢ ب ٦ ف ٦ . - عاميا - عبارة لنص عند الإناس . - قطع أمبيدقل البيت ١٠١

٥ - ومع ذلك فإن أمبيدقل يزعم أن الصيرورة لا تنطبق على الأشياء الأزلية وأن ماهو موجود لا يصير . فتلك في نظره محالات واضحة إذ يقول: « كيف يمكن في الحق أن يقال : ان شيئاً يزيد الكل ؟ ومن أين يأتي ذلك الشيء ؟ » إنما هو من اختلاط النار وتركيبها ومن جميع العناصر التي تصحبها أن خرج تكثر « الأشياء » وبانفصال هذه العناصر وتباعد بعضها عن بعض تنعدم الأشياء من جديد . والتكثر يأتي من الاختلاط والتفرق ولو أنه بالطبع لا يوجد الا أربعة عناصر بصرف النظر عن العلل بل عنصر واحد أحد » .

٦ - حتى مع افتراض أن العناصر لامتناهية منذ الاصل لتكون الأشياء بتركيبها وتفسدها بافتراقها كما يدعى أحياناً أنه كذلك كان يفكر أنكساغورس الذي كان يعتبر هذه العناصر الأزلية غير المتناهية كمصدر لجميع الأشياء التي تتكون . وقد لا ينتج من هذا أيضاً أن الكل هو أزلي بلا استثناء . بل يوجد دائماً بعض أشياء قد تأتي وتكون أتت من موجودات متقدمة وتفتنى في جواهر أخرى .

٧ - بل يمكن أيضاً ألا يكون الا صورة واحدة للكل كما كان يؤكد أنكسيمندروس وأنكسيمين إذ يؤيدان أحدهما أن الكل هو من الماء والآخر وهو أنكسيمين أن الكل إنما هو من الهواء .

٨ - وإنما هذه هي أيضاً نظرية جميع من يفهمون على هذا النحو

§ ٥ - ومع ذلك فإن أمبيدقل - النص لا يسمى ها هنا أمبيدقل . ولكن كل مايلي ثبت تماماً أن القول إنما هو بصدده . - الصيرورة - أو التولد . - كيف يمكن في الحق - ليست هذه تعابير أمبيدقل بالضبط ولكن المعنى هو معناه . ر . قطعه البيتين ٩٤ و ٩٥ في المرجع السابق ذكره . ور . أيضاً الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . - بصرف النظر عن العلل - عبارة النص : دون العلل ، ومن المحتمل أن أمبيدقل يعنى ها هنا بالعلل العشق والتنافر اللذين يجمعان أو يخللان الأشياء بأن يكونا ويفسدا دوريا السفيروس . ر . الطبيعة لارسطو ك ٣ ب ٤ ف ١٣ ص ٩٤ من ترجمتنا .

§ ٦ - بتركيبها . . . بافتراقها - على حسب نظريات أمبيدقل . - أنكساغوراس - ر . الطبيعة لارسطو ك ٣ ب ٤ ف ٨ ص ٩٠ من ترجمتنا . - بلا استثناء - أضفت هذه الكلمات . - في جواهر أخرى - هذا التعبير يكاد لا يكون أرسطو طاليا . وليس من عادته أن يستعمل لفظ الجوهر في مثل هذا المعنى .

§ ٧ - ألا يكون الا صورة واحدة - هذه الجملة هي الترجمة المحبوبة للنص . لاغريق ولكن ما يلي ثبت أن المعنى بلفظه « الصورة » هو « العنصر » وأن آراء أنكسيمندروس وأنكسيمين هي معروفة حق المعرفة فإن أحدهما يريد أن يستخرج كل العالم من الماء كما كان يزعم طاليس والآخر يريد أن يستخرج العالم من الهواء . § ٨ - كوحدة - أو كواحد . ولقد حفظت أسلوب النص وربما كان أجلى من ذلك أن يتكلم على اتحاد المادة وحيث أنه يرجع إلى مذهب «الذات كما سنبين فيما بعد بمناسبة =

« الكل » كوحدة • وذلك انما هو تبعاً لان « الواحد » يتغير بالصور أو بعدد أكبر أو أصغر وتبعاً لانه رقيق قليلاً أو كثيراً أو لانه سميك أن الاشياء مهما كانت متعددة ولا متناهية تتوالد • وحينئذ « الواحد » مع بقائه هو هو يكون بقية الاشياء ويشكلها •

٩ - أما ديمقريطس فانه من ناحيته يقول على السواء ان الماء والهواء وكل واحد من الاشياء المختلفة هكذا هي متحدة وانه لا فرق بينها الا في المجرى والتماس والاتجاه • وما المانع أيضاً ، في هذا الفرض ، من أن الاشياء المتكثرة تتولد وتنعدم مادام « الواحد » يتغير أبداً من الموجود الى الموجود بالفروق التي ذكرت من غير أن « الكل » في مجموعه يصير بذلك أبداً لا أصغر ولا أكبر ؟

١٠ - وفوق هذا ماذا يمنع أن أجساماً متعددة كما يشاء تتولد من أجسام آخر وتحلل الى أجسام آخر أيضاً بحيث تكون دائماً على كمية متساوية في تحللها وبحيث انها تنعدم من جديدة •

١١ - لكن حتى مع التسليم بهذا والتسليم بأنه يوجد شيء غير مخلوق فماذا يزيد هذا في اثبات أن الموجود هو لامتناه ؟ على رأى ميليسوس الموجود لا متناه اذا هو يوجد والا يكون قد ولد البتة • لان الحدود على رايه هي هنا بداية الكون ونهايته • غير أن الموجود مع أنه غير مخلوق ألا يمكن أن يكون له حدود أخرى غير المذكورة آنفاً ؟ فاذا كان للامتناهية

ديمقريطس • - تبعاً لان الواحد يتغير بالصور - الجملة طويلة بعض الشيء ولكنها كذلك أيضاً في النص الاغريقي فوجب علينا الاحتفاظ بأسلوبها • - يكون ... ويشكلها - ليس في النص الا فعل واحد •

٩ § - ديمقريطس - هو في طريقته أيضاً نصير للوحدة لان ذراته هي على الاطلاق متعائلة ولا تختلف الا بالعدد والصوره وبالتماس وبالحركة • - الاشياء المختلفة هكذا - كان الاحسن أن يقول يظهر لنا أنها مختلفة بهذا القدر لانها في الواقع هي بعينها على حسب ديمقريطس • - في المجرى والتماس والاتجاه - هذه الكلمات الثلاثة مستعارة من ديمقريطس والظاهر أنه واضعها أو على الأقل هو الذي في المجموعة نقلها من معناها العادى • على أنى لا أجد هذا المبر من هذا الكتاب موجوداً في قطع ديمقريطس الاغريقية لفرميني دينغ • فان المجرى والتماس والاتجاه متمثلة بالذرات اذ تتركب في الحلو بعضها مع بعض • من الموجود الى الموجود - دون أن شيئاً ما يمكن أن يتولد من العدم وذلك بان الذرات مقصورة اذلية ر • كتاب السحاب ك ٣ ب ٤ ف ٥ ص ٢٥٠ من ترجمتنا •

١٠ § - وفوق هذا - هذا يظهر أنه تبع للافتكار المنسوبة لها هنا الى ديمقريطس وهذه الفقرة لا تكاد تكون الا تكريراً لما سبق • - على كمية متساوية - الكمية والعدد الكلى للذرات لا ينقصان ، ولفقط المركبات التي تركبها تلك الاجزاء التي لا تتجزأ هي التي تحتوى منها على عدد أكبر أو أصغر •

١١ § - أن الموجود هو لا متناه - ليس النص على هذا القدر من الضبط واللفظ الذي استعمله هو غير محدد • - على رأى ميليسوس - هذا يتعلق بميليسوس لا =

قد خلق فلا بد من أن يكون له على رأى ميليسوس هذه البداية التى منها يخرج ليكون .

٦٢ - فماذا يمنع اذا - حتى بدون أن يكون قد كون - أن يكون له بالاقبل بداية ؟ لا البداية التى منها اتى - اذا شئت - بل بداية اخرى . وأن الأشياء مع كونها أزلية يتحدد بعضها ببعض على طريق التكافؤ

٦٣ بل ماذا يمنع أن « الكل » الذى يكون غير مخلوق أن يكون لامتناهيا وأن جميع الأشياء التى هى فيه تكون متناهية باعتبار أن لها باليساطة بداية ونهاية فى كونها .

٦٤ - ألا يمكن أيضا كما ينبغي برمينيد أن « الكل » مع أنه واحد وغير مخلوق يكون متناهيا « بأن يكون من جميع الجهات مشابها لكتلة كرة مضبوطة الشكل وأن يكون متساوى الأبعاد من المركز من غير حاجة أصلا الى أن يكون فى الجزء الفلانى أو الفلانى أكبر أو أجمل مما هو ؟ » .

٦٥ - ولما أن له وسطا وأطرافا فله خذا مهما كان غير مخلوق مادام أن « الكل » مع أنه واحد كما يعترف به ميليسوس نقسه قاعة ، من حيث كونه جسما ، كل أجزائه بلا استثناء متشابهة بعضها لبعض . ومن هذه

= بديمقريطس ولكن النص قد وضع الفعل مطابقا لضمير الغالب من غير أن يعنى بالاسم الفيلسوف الذى يقصد تعيينه . - اذا هو يوجد - ر . ما سبق ف ١ - - والا يكون قد ولد البتة - ان لا نهاية الموجود - تلجج ، على رأى ميليسوس ، من أزليته .

بداية الكون - أو عبارة اخرى « بداية نفس الموجود » . لان الموجود بما هو أول يمكن أن يصير غير ما هو متحدا ، ولكنه ٧ . وقد على الحقيقة . - حدود أخرى - فى المذكورة آنفا - يعنى ابتداء التغيرات التى يمكن أن يخالها ونهايتها . - على رأى ميليسوس - أضفت هذه الكلمات التى تستنتج من سياق الكلام ومن التعبير الذى يستعمله المؤلف ر . فما سوف فى القطعة ٢ من قطع ميليسوس .

§ ١٢ - حتى يدعى أن يكون قد كون - أعنى مع بقائه أزليا . - بل بداية اخرى - هذا لا ينطبق الا على التغير الذى يصير الموجود غير ما هو ويحاله من غير أن ينزع شيئا من أزليته . - يتحدد بعضها ببعض - بأن تتوالد على طريقة التكافؤ .

§ ١٣ - متناهية - بالكه دون أن تكونه بالعدد وأن يكون بعضها بعضا بتسلسل مؤبد . - باليساطة - زدت هذه الكلمة التى تفهم من القرينة فيما يظهر لى .

§ ١٤ - كما ينبغي برمينيد - يظهر على حسب هذه الفقرة أن رسالتنا الصغيرة هذه مع انطباقها على ميليسوس واكسينوفان على وجه الخصوص قد تكون انعقادا عاما لدرسة ايليا . ر . قطع برمينيد البيت ١٠٢ وما بعده فى القطع الفلسفية الاغريقية لفرمين ديدو ص ١٢٤ .

§ ١٥ - ميليسوس نفسه - ليس فى النص الاسم الظاهر بل هو استخدم ضمير الغالب كما هو الحال فى كل موطن . - هو يقرن - أى ميليسوس ولكن هذا يمكن على =

الجهة إنما هو يقرر التشابه المطلق « لكل » ولا يقول كما يقول فلاسفة آخرون ان « الكل » مشابه لشيء آخر غير ذاته . تلك هي النظرية التي يبطلها أنكساغوراس بقوله : اذا كان اللا متناهي مشابها من جهة أن يكون مشابها للآخر له فمن ثم هما اثنان بل أكثر . وحينئذ لا يوجد بعد لا « واحد » ولا لامتناه .

١٦ - ولكن قد يمكن أن ميليسوس يعنى هو أيضا أن اللا متناهي مشابه اضافيا لذاته أو يقول بعبارة أخرى ان « الكل » هو متشابه لان أجزائه متشابهة بما أن هذا « الكل » هو مع ذلك من الماء أو من الأرض أو من شيء آخر .

١٧ - من البين أن ميليسوس مع تسليمه هكذا بالوحدة يرى أن كل جزء من الأجزاء هو نفسه جسم لا يمكن ان يكون لا متناهي . لان « الكل » هو وحده لامتناه . وبالنتيجة أن هذه الأجزاء التي ليست مخلوقة أيضا يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ .

١٨ - ولكن اذا كان « الكل » أزليا ولا متناهي فكيف يمكن أن يكون « واحدا » مع كونه جسما ؟ ثم اذا كان مركبا من أجزاء متغايرة فاذا يعترف ميليسوس نفسه بأن « الكل » هو كثير ومتعدد . ومع التسليم بأنه من

= سواء أيضا أن يطبق على مذهب برمينيد كما يرى في الايات التي ذكرت آنفا . - التي يبطلها أنكساغوراس - قد يمكن أن يفهم منه أيضا كما فهم م . ملاخ « التي يؤيدها أنكساغوراس » . وعلى ذلك يكون أنكساغوراس من رأى ميليسوس وبرمينيد ، عوضا عن أنه يبطل رأى الفلاسفة الذين يقررون أن الكل هو مشابه لآخر غيره وهذا في الواقع شيء واحد . ر . قطع أنكساغوراس لساويخ ص ١٠١ . ولكن نظرية أنكساغوراس يظهر أنها ترجع فقط الى العقل لا الى العالم . فان العقل الاعلى لا يمكن في الحق أن يتغير فانه دائما مشابه لذاته ولا يمكن أن يكون شبيها لاي ما كان .

١٦ § - ميليسوس - التنبيه السابق . أى أن ميليسوس ليس مسمى هاهنا أيضا - اضافيا لذاته - النص أقل ضبطا : « هل يعنى الشبيه نسبيا اليه » .

١٧ § - ميليسوس - كررت ها هنا أيضا اسم ميليسوس كما فعلت فيما سبق ولو لم يكن مذكورا في النص . - كل جزء من الأجزاء هو نفسه جسم . ر . ماسوف .
يل من قطع ميليسوس القطعة ١٦ .

- هو وحده لا متناه - زدت كلمة « وحده » لبيان الفكرة . - يصلح بعضها حدودا لبعض على التكافؤ . ر . ما سبق ف ١٢ .

١٨ § - مع كونه جسما - أى أنه بالنتيجة ذو أجزاء مختلفة . - ميليسوس نفسه - اسم ميليسوس ليس مذكورا في النص الذي ليس فيه دائما الا ضمير غائب . - كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت - أن ذكر زينون هذا يسمح لنا أن نقدر رسالتنا الصغيرة هذه كان ينبغي أن تعرض أيضا للمدح على حدة . ر . التحقيق الذي سبق .

الماء أو من الارض أو من أى عنصر آخر فحينئذ يكون للموجود عدة أجزاء كما أن زينون يحاول أيضا أن يثبت أن « الكل » يجب أن يكون له أجزاء كثيرة إذا كان هو واحدا على الوجه الذى يدعون .

١٩ - ومتى كانت أجزاؤه متعددة لزم أن يكون بعضها أصغر وبعضها أكبر اعنى مختلفة جد الاختلاف حتى بدون أن يأتى التخالف من زيادة جسم ما أو فقد جسم ما . ولكن إذا كان « الكل » ليس له جسم ولا طول ولا عرض فكيفه يكون لامتناهيا ؟ وما المانع إذا أن يكون بمجموعه كثرة واحد بالعدد ؟ بل ما المانع أن الاشياء مع كونها هكذا متكثرة وأكثر من واحد أن تكون على عظم غير متناه ؟

٢٠ - قد يزعم أكسينوفان أن عمق الارض وعمق الهواء غير متناه . ولكن أمبيدقل يبطل هذه النظرية اذ يبين فى انتقاده المحكم أنه إذا كانت الاشياء كما يزعمون فمن المحال مطلقا ان تكون البتة .

« ان أسس الكرة والاثير غير الملموس التى كثر مايكلمونفا عنها ليست الا كلمات فارغات يكررها لسان الحمقى بلا داع » .

٢١ - لكن العالم يمكن أن يكون واحدا من غير أن يكون هناك سخف فى افتراض أنه ليس متشابهها فى جميع أجزائه . وفى الحق إذا كان العالم كله ماء أو كله نارا أو أى عنصر آخر من هذا القليل فيمكن جيذا أن يقال بوجود عدة أشياء ولو أن الموجود يبقى واحدا وأنه يلزم دائما

§ ١٩ - بعضها أصغر - حتى من غير اختلاف الامتدادات يكفى أن توجد عدة أجزاء لتكون متميزة ولو كانت مع ذلك متساوية تمام التساوى . - من زيادة جسم ما - لا يمكن أن تكون زيادة ولا نقص لأى ما ما دام أن المقصود هو « الكل » . - متكثرة وأكثر من واحد - ليس فى النص الا كلمة واحدة . - على عظم غير متناه - عبارة النص بالضبط « غير متناهية فى العظم »

§ ٢٠ - قد يزعم أكسينوفان - رأى أكسينوفان هذا مذكور فى كتابه السهماء ك ٢ ب ١٣ ف ٧ ص ١٩٤ من ترجمتنا . فى تلك الفقرة أيضا يذكر أرسطو التقاد أمبيدقل ويستشهد بالبيت عينه الذى استشهد به هنا .

§ ٢١ - أنه ليس متشابهها فى جميع أجزائه - ان تخالف الاجزاء لا يمنع الوحدة بل قد يكون شرطها . - بوجود عدة أشياء - أو بعبارة أخرى أن الموجودات متكثرة بما هى موجودات خاصة ، وان هذا غير مانع وحدة المجموع . - لانه لا يمكن - يقدر ملاخ ان هذه هى نظرية ميليسوس التى يطلها المؤلف ولا شئى فى النص يعز أو يرفض هذا التقدير . - خلل فى باطن المتخلخل - اضطرت لاستخدام هذه الصيغة لتحصيل كل قوة النص الاخرى . - باقى هو ما هو - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - لا أن « الكل » ملى - يمكن أن تقدر هنا هذه العبارة « على رأى ميليسوس » على حسب تقدير ملاخ . ر . القطعة ه من قطع ميليسوس .

أن يكون كل واحد من هذه العناصر مشابها لذاته • لانه لا يمكن أن يكون الجزء الفلاني متخلخلا والآخر كثيفا الا ان يوجد خلو في باطن المتخلخل • ولكن لاشئ يمنع انه بالنسبة لبعض الاجزاء يوجد في المتخلخل خلو منفصل تماما بحيث ان جزءا بعينه من « الكل » يكون كثيفا وآخر بعينه يكون متخلخلا مع ان الكل مع ذلك باق هو ماهر • ولكن لما ان « الكل » مليء فالتخلخل حينئذ لا يكون أقل امتلاء من الكثيف •

٢٢ - واذا كان « الكل » غير مخلوق فكيف يمكن ان يستنتج من هذا وحده انه لامتناه وأنه لا يمكن أن يوجد أيضا واحد بعينه أو احسر يكون متناهيا مثله ؟ ولماذا يستلزم كونه غير مخلوق التسليم فوق ذلك بأنه واحد وأنه لامتناه بهذا السبب وحده ؟ وكيف حينئذ يكون اللامتناهي هو ذلك « الكل » الذي يتوهمونه ؟ •

٢٣ - يقول ميليسوس ان الموجود لا يتحرك اذا كان ليس ثم من خلو • لان الاشياء لا تتحرك البتة الا بأن تتغير بالايين • غير انه باديء به كثير من الناس من لا يوافقون على هذه النقطة ومع تسليمهم بوجود الخلو فانهم لا يقبلون أن يكون جسما • يمكن أن يعنى بالاشياء هنا نحو مايعنيه بها هيزيود حين يقول في الحلقة « انما هو انعماء الذي ظهر باديء الامر » مفترضا بذلك أنه كان ينزم قبل كل شيء أن يوجد محل للموجودات هذا هو مايعنى بالخلو الذي يعتبر كنوع آنية تكون خالية من وسطها •

٢٤ - على انه حتى مع عدم وجود خلو فان العالم يمكن ان يتحرك أيضا على السواء • وان انكساغوراس الذي اشتغل أيضا بهذه المسألة

§ ٢٢ - من هذا وحده - يظهر لي أن الرد واضح للغاية وما دام العالم واحدا فيظهر أن من الضروري أن يكون لا متناهيا • لانه من المحال على عقائنا أن يفترض له حدودا •

- ولماذا يستلزم - هذا ليس في معظمه الا تكريرا لما سبق • - يتوهمونه - صيغة اللحن صيغة جمع يمكن أن تعود على ميليسوس واكسينوفان وهرمينيد وزيتون •

§ ٢٣ - يقول ميليسوس - • وهنا أيضا ليس ميليسوس مذكورا بالاسم • - بأن تفسر بالايين - تلك هي حركة النقلة • ولكن حركة الاستحالة يمكن ان تحصل من غير تفسير في الاين • هيزيود - ر • ما سبق • ب ١ ف ١٣ في الحلقة - وأحسن من هذا « في كون الاشياء » • - العماء الذي ظهر في باديء الامر - العماء لا يشتهى بالخلو • انه ، اذا شئت ، عدم النظام ولكن الاشياء • موجودة ما دام تدخل العقل ضروريا لتنظيمها • - هذا هو ما يعنى بالخلو - هذا متنازع فيه جدا فان العماء لم يكن ليفهم قط على هذا المعنى •

§ ٢٤ - فان العالم يمكن أن يتحرك أيضا على السواء - او د أن ذلك لا يمنع حصول الحركة • - انكساغوراس الذي اشتغل أيضا بهذه المسألة - وفي رواية بعض المخطوطات =

لم يقنع بأثبات أنه لا يوجد خلو بل أثبتت فوق ذلك أن الموجودات تتحرك على سواء من غير أن يكون الخلو ضروريا .

٢٥ - وفي هذا المعنى عينه قال أمبيدقل ان الاشياء متى تم تركيبها تحركت طوال الزمان من غير أن يوجد ، على رأيه ، مالا يفيد في « الكل » ولا أن يوجد خلو كذلك . وفي الحق من أين يمكن أن يحدث الخلو ؟ يقول أمبيدقل لان الاشياء متى تركبت في صورة واحدة بطريقة أنها تؤلف الوحدة :

« فلا شيء يكون خلوا ولا شيء زائد »

ليس يمكن في الواقع أن الاشياء تتحرك بعضها في بعض وأن الكل يكون دائريا مادام أن الشيء يتغير الى آخر وهذا الآخر الى ثالث . ومادام أن شيئا بعينه يتغير دائما آخر الامر الى الاول ؟

٢٦ - وفوق ذلك لا ينبغي نسيان تغير الصورة هذا الذي يغير الشيء ولو أنه يبقى في انحيز عينه ، تغير يسميه فلاسفة آخرون وميليسوس نفسه الاستحالة وإذا لا شيء مما قال يدفع ان هذا النوع من الحركة يوجد في الاشياء حينما تمر من الابيض الى الاسود أو من المر الى الخلو لانه ليكن الخلو غير موجود وليكن الميء لا يمكن أن يقبل شيئا فذلك لا يمنع الاستحالة أن تكون ممكنة .

= « الذي اشتغل بهذه المسألة من قبله » - أنه لا يوجد خلو - ر . الطبيعة لارسطو ك ٤ ب ٨ ف ٣ ص ١٩٤ من ترجمتنا حيث لا يظهر على ارسطو أنه قدر تقديرا حسنا نظريات انكساغوراس على الخلو كما فعل هنا .

§ ٢٥ - متى تم تركيبها - بواسطة العشق على حسب أمبيدقل وتم الفراقها بعد ذلك بالتنافر . ر . الطبيعة لارسطو ك ٨ ب ١ ف ٤ ص ٤٥٥ من ترجمتنا . طول الزمان - ليس معنى ذلك أبديا ولكن المقصود هنا هو في مسافة من الزمان فيها السفيرس ينسبط أو ينقبض في ذاته (ر . تعليقات كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١ ف ١٠) - يقول أمبيدقل - ر . قطع أمبيدقل البيتين ٩٤ و ١٦٦ من القطع الفلسفية الاغريقية طبعة فيرمين ديدو . - في صورة واحدة - هذه عبارة النص بعينها . - فلا شيء يكون خلوا البيت ليس مذكورا بتمامه في النص . - وأن الكل يكون دائريا - يظهر جليا أن هذا هو رأى أمبيدقل فان العشق والتنافر بفعلهما على التناوب يؤلفان تماما شكل دائرة .

§ ٢٦ - وميليسوس نفسه - وليس اسم ميليسوس مذكورا في هذه الفقرة أيضا . ر . ما سبق ب ١ ف ١ . الاستحالة - ر . في الطبيعة ما يخصم بحركة الاستحالة ك ٢ ب ١ ف ٨ ص ٧١ من ترجمتنا وكذلك الكون والفساد ك ١ ب ٤ . - الاستحالة أن تكون ممكنة - حركة الاستحالة بما أنها تقع في الشيء ذاته لا حاجة لها بحدوث جديد كحركة النقلة بل ولا كحركة النمو ذاتها .

٢٧ - وبالتبع فلا ضرورة لان كلا يكون أزليا وأن كلا يكون واحدا أو لان « النكل » يكون لامتناهيا . ولا ضرورة أيضا لان يوجد عدة لامتناهيات ولا وحدة متماثلة في كل مكان ولا وحدة غير متحركة سواء مع ذلك وجدت الوحدة أو الكثرة .

٢٨ - ومتى سلّم هذا لا يرى شيء في نظريات ميليسوس يدفع ان الموجودات لتعبر ترتيبا وليسا مادامت الحركة هي حكما في الوحدة انى تخلف حينئذ بلائثر وبلاقل واتى تستحيل بطرائق شتى بدون ان ينضم اليها شيء او اذا انضم اليها شيء فيدون انه يكون هذا الشيء جسما واذا كانت عدة اشياء هي التي تنضم فيدون الا تزيد على ان تمتزج بعضها ببعض وتنفصل على التكافؤ .

٢٩ - ولكن الاختلاط ليس فيما يظهر هو الجمع أو التركيب المذيين يتكلم عنهما ميليسوس والذين بدونهما ربما تنعزل الاشياء في الحال بل بدونهما لا تظهر الاشياء باستقلالها التام الا بعد ان يباعد بين بعضها وبين البعض الآخر اذ هي تحتاج ، في حين أنه يلزم لوجود اختلاط حقيقي أن كل أجزاء الشيء المختلط تكون بحيث لا يمكن حل تركيبها

§ ٢٧ - وبالتبع - يظهر ان هذا هو ملخص الاعتراضات السابقة كلها ولكن النتيجة لا يظهر انها لازمة . - كلا يكون أزليا - كما يزعم ميليسوس . وهذه الجملة التي هي معرفة في أكثر المخطوطات هي كما أؤيدها الآن في مخطوطة ليبزج وكذلك في ترجمة فليسبانو كما نبه اليه مللاخ .

§ ٢٨ - في نظريات ميليسوس - بدلا من الاسم الظاهر ليس في النص الا ضمير غير معين والظاهر أنه يكفي قبول حركة الاستحالة لينهم دفعة واحدة مذهب ميليسوس في وحدة الوجود ولا تحركه . ترتيبا وكيفا - عبارة للنص بالضبط (أن تكون الموجودات مرتبة على وجه آخر ولا تكون مستحيلة) . - بلائثر وبلاقل - مثال ذلك أن تكون أكثر أو أقل بياضا ، أكثر أو أقل سواد لان الكلام هنا هو يصدد استحالة بسيطة ونيس مقصودا غيرها حتى ولا النمو . - فيدون أن يكون هذا الشيء جسما - الواقع أن في الاستحالة ليست هنا اضافة ما من أي نوع كان . فان الاستحالة تقع بحركة للموجود داخلية بحيث . أن تمتزج بعضها ببعض - كما يمكن الكيف أن تختلط وأن تنفصل على التكافؤ في موجود واحد أحد بعينه .

§ ٢٩ - اللذين يتكلم عنهما ميليسوس - الملاحظة ها هنا كالملاحظة السابقة فيما يتعلق بذكر اسم ميليسوس الذي لم يذكر اسمه هنا أيضا . والظاهر أن العبارة المذكورتين في هذا المر هي من خصائص لغة ميليسوس الفلسفية . - بدونها - جملة النص فيها من التحير والتردد ما في الترجمة وهاك شرحا يمكن أن يثير الفكرة : « لا يفهم ميليسوس حق الفهم ما هو الاختلاط اذ يسميه جمعا وتركيبا . وهو يظن أنه في الخليط يمكن عند الارادة عزل الاشياء من جديد في الحال أو على الأقل عزلها تماما بعد تنقية بها يظهر كل واحد منها على الحالة الخاصة به . وليس الاختلاط هو ذلك أبدا . ولاجل أن يكون حقيقيا يلزم أن تكون الأجزاء فيه مرتبة تماما بحيث لا يمكن حل ذلك التركيب »

بعد . لكن بشرط أن كل واحد من الأجزاء المخلوطة يكون على وفاق تام مع مجموع الخليط لانه بما أنه لا يوجد جواهر فردة فينتج من ذلك أن كل جزء هو مختلط مع كل جزء كيفما اتفق مشابه مطلقاً لكل *

= وان كل جزء يكون مشابها مطلقاً لكل الذي هو منه . لا يوجد جواهر فردة ومن ثم كل جزء من الخليط هو بالضرورة مشابه لكل الذي هو منه جزء كيفما اتفق « . = لوجود اختلاط حقيقى - ر . على نظرية الاختلاط ما سبق فى كتاب الكون والفساد ك ١ ب ١٠ . بما أنه لا يوجد جواهر فردة - قد أبطل دائماً أرسطو مذهب الجزء الذى لا يتجزأ لديمقريطس . ر . الطبيعة المرجع المذكور قبل .

مذاهب إكسينوفان

الباب الثالث

نظرية إكسينوفان في حق الله - الأزلية - القدرة - احدية الله - يجب ان يتصور
كانه فلك الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزّه عن أن يكون متناهيا ولا لا متناهيا .

١ - هو يقول ان يوجد من شيء فمحال ان هذا الشيء كان مخلوقا
مطبعا هذا في حق الله مادام أنه يلزم بالضرورة أن كل ماهو كائن يتكون
من الشبيه او من اللاشبيه . وكلا الامرين غير ممكن ، فإنه باديء بدء
ليس تولد الشبيه من الشبيه اولى من أن يلد الشبيه نفسه لان هذا يخالف
التضاييف المتكافئ الذي بين المتساوين والاشباه . وثانيا ليس من الممكن
أن غير الشبيه يخرج من غير الشبيه . فاذا كان ، في الحق ، الاقوى
يخرج من الاضعف واذا كان الاكبر يأتي من الاصغر والاحسن من الاقبح
او بالعكس الاقبح من الاحسن فيكون حينئذ الموجود يأتي من اللاموجود
وهذا محال قطعاً .

٢ - اذا يلزم أن يستنتج من كل هذا أن الله أزلي . اذا كان الله
هو سيد الموجودات فيلزم ، على رأى إكسينوفان ، أن يكون أيضا أحدا لانه

§ ب ٣ مذاهب إكسينوفان - لا ريب في صحة هذا العنوان فان اربعة المخطوطات
مخطوطة سان مارك ومخطوطة الفاتيكان ومخطوطة أوزبين ومخطوطة باريس تذكره بداية
الوضوح - وبعض مخطوطات أخرى فيها هذا العنوان الخطأ : « في زينون » . وان بحث
النظريات مثبت قطعاً أن الكلام إنما هو بصدد إكسينوفان ر . ما سبق في « التحقيق » .

§ ١ - هو يقول ليس إكسينوفان مذكورا بالاسم هنا كما كان الامر في
ميليسوس ر . ما سبق ب ١ ف ١ . ولم أشأ أن أذكر اسمه في الجملة الاولى من هذه
الرسالة ولكني سأفعل فيما بعد حتى تكون الفكرة أشد جلاء . - أن يوجد من شيء - هنا
الشك ، فيما يرى « برنديس » مضاد لآراء إكسينوفان (Commentationes Elladicae)
ص ٢٧ ف ١ فهو يرى خطأ أن بداية هذا الباب تكرير لبداية الباب الاول على ميليسوس .
مطبعا هذا في حق الله - لا على العالم كما يفعل ميليسوس فيما يظهر . - تولد ...
يلد - هذا التكرير هو في النص . - بين المتساوين - بالكه - والاشباه . - بالكيف .
- وثانيا - أضفت هذه الكلمة لزيادة البيان .

§ ٢ - أن الله أزلي - أن اسم الأزلي هو الاسم الخاص لله في كثير من الاحوال فان
الله هو الوجود بذاته والذي كان موجودا دائما كما انه يوجد دائما . جاء في التوراة «انا
الموجود » . وان فكرة إكسينوفان هي ما هنا تلك الفكرة بعينها . - على رأى إكسينوفان =

لو كان فيه اثنان أو عدة فمن ثم لا يكون اذا سيد جميع الموجودات ولا أكبرها مادام من ثم أن كل واحد من هذه الموجودات المتكثرة قد يكون مطلقا مشابها له تماما . ان ما يحقق الله في الواقع والقدرة الالهية انما هو أن يتسلط على وجه السيادة ولا يكون مسلطا عليه . أن يكون سيد الجميع وأقربهم . وبالنتيجة مادام أنه ليس الاقدر فانه يفقد بنسبة ذلك شيئا من ألوهيته . وان كانوا عدة وكان بعضهم أعلى أو أدنى من الآخرين من بعض الوجوه فأولئك ليسوا آلهة بعد . لان ماهية الاله ألا يعلو عليه أحد . وان كانوا عدة متساوين فمن ثم ليس هذا بعد طبع الاله الذي هو أن يكون الاحسن لان المساوى ليس بالبداهة أقبح ولا أحسن من مساويه .

٣ - ولما كان الله هو حينئذ كما ذكر آنفا لزم ضرورة أن يكون واحدا والا لا يمكن أن ينفذ كل مايشاء . لا يمكنه ذلك مادام فيه آلهة آخر . فيلزم حينئذ أن يكون أحدا

٤ - ولانه أحد فهو مشابه لذاته على الاطلاق . يرى من كل جهة ويسمع من كل جهة وعنده جميع الجهات على مقياس واحد . والا لزم أن بعض اجزاء الاله تكون حاكمه ومحكومة على التناوب . وهذا ممتنع بين الامتناع .

٥ - ولما كان الله مشابها لذاته مطلقا ومن كل وجه لزم أن يكون فلكيا لانه ليس كذلك في جزء بعينه دون أن يكونه في أى جزء آخر لكنه كذلك في جميع الاجزاء بلا استثناء .

= لم يذكر النص اسم اكسينوفان وليس هنا الا اسم اشارة غير معين . ر . ماسبق
 ف ١ - أكبرها - عبارة النص بالضبط « أحسنها » . ويلزم أن يلاحظ أن تدليل اكسينوفان هذا متين متانة وجلي جلاء . وقد تقسم بنحو قرن مذاهب سقراط وأفلاطون ويجب الاعتقاد بأنه رشح لتلك المذاهب . وكثيرا ما اتهم اكسينوفان بالشرك ولكن هذا الشرك لا اثر له ما هنا . لذا كان الله مدمجا في العالم فلا محل للقول بأنه المولى والقادر على كل شيء . - لان ماهية الاله - كما يستطيع عقل الانسان أن يفهمها .

§ ٣ - لزم ضرورة أن يكون واحدا - الادلة اللاحقة ليست أقل في قوتها من السابقة . فان قدرة الله الكاملة تستتبع وحدانيته . وان الذي حصل هنا هو فكرة اكسينوفان دون عبارته . وقد حاول ملأخ أن يقوم الابيات في هذا الوطن وقد قوم ثلاث منها ولم يذكرها طبعا في قطع اكسينوفان .

§ ٤ - يرى من كل جهة - كان يمكن المؤلف أن يذكر بيت اكسينوفان بنصه الذي حفظه لما أيضا « سكتوس امبيريكوس » . Adversus mathenoticog Physicog .
 ك ٩ ف ١١٤ ص ٥٩٦ طبعة ١٨٤٢ ينتقد سكتوس امبيريكوس وصف الاله هذا ويرى أنه لا ينبغي أن يسند اليه الا حاسة واحدة البصر مثلا .
 § ٥ - أن يكون فلكيا - تلك هي استعارة جاء بها اكسينوفان بعد أن عاب هو نفسه الصور الباطلة التي بها يحاول الضعف الانساني أن يتمثل بها الله . الله هو الفلك الذي =

٦ - وما دام الله أزليا أحداً فليكن فينتج منه أنه لا يمكن أن يكون لا متناهياً ولا أن يكون متناهياً . فأنما الوجود هو اللامتناهي ما دام ليس له أول ولا وسط ولا آخر ولا أى جزء آخر . وهذا هو اللامتناهي . ولكن الموجود ليس كاللاوجود والموجودات مدامت متكررة فأنها يحده بعضها بعضاً على التبادل . فالأحد لا يمكن أن يشبه لا باللاوجود ولا بالموجودات المتكررة مادام الواحد لا يحده شيء .

٧ - الأحد - الذى أكسينوفان يسميه الله - لما كان كذلك لا يمكن أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركاً . فإن الوجود هو فى الحق لا متحرك لانه لا موجود يأتى فيه ولا هو يمكن أن يذهب فى موجود آخر . ولا حركة الا متى كانت الموجودات أكثر من واحد لأن من الضروري للحركة أن واحد يتحرك فى الآخر . ولا يمكن أن يتحرك شيء فى الوجود مادام أن الوجود لا يجد مطلقاً فى أية جهة . وإذا كانت الأشياء تتغير بعضها الى بعض فحينئذ يكون الموجود أكثر من واحد .

« مذهبهم كان مكان الذى يحاط به فى أى مكان . أفكار باسكال طبعة م . دى . م . ص ٣ سنة ١٨٥٢ » - « لا استثناء - قد أضفت هذا القيد . وذلك ملائم بحق القوة مشابهة لهذه تماماً فى كتاب السماء ك ١ ب ١ ف ٥ ص ٥ من ترجمتنا »

٨ - لا متناهياً . . . متناهياً - يظهر على الضد أن معنى اللانهاية يتمشى تماماً مع معنى الله فإن الأولى معناه غير المتناهي فى الزمان . والقدير معناه غير المتناهي فى القدرة الخ . فأنما الوجود هو اللامتناهي - إنما يكون بمجرد سوء الاستعمال للألفاظ أن نخلط بين الوجود واللامتناهي فإن الوجود ليس إلا الوجود المتناهي . وفى اللغة الدائرة المعنىان متساويان فى كلمة واحدة . - ولا أى جزء آخر - كل هذا هو من البهانة . فمكان ما دام أن الوجود غير موجود . - يحده بعضها بعضاً على التبادل - أو « هى متناهية بعضها بالنسبة للآخر » - « الأحد لا يمكن أن يشبه - إلا بنفسه . »
« الله الموجود ما دام أنه الكلى وليس هو فى الكثرة ما دام أنه الوحدة » فيها .

٩ - الذى أكسينوفان يسميه الله - ليس أكسينوفان مذكوراً هنا كما أنه ليس مذكوراً فى الفقرة الأولى . وقد يكون هذا الراى هو سبب اتهام أكسينوفان بالشك . لكن الله يمكن أن يكون أحداً مع تميزه عن العالم . - أن يتحرك ولا أن يكون لا متحركاً فى الواقع أن من العسير تصور أن الله لا يتحرك كما هو من العسير أن يتصور فى حركة . أما عند أرسطو فإنه المحرك غير المتحرك الذى يعطى الحركة للطبيعة بأسرها التى يجذبها اليه وهو باق هو نفسه فى سكون أبدى غير متجزئ ، ليس له أجزاء لا جسمانى الخ ر . ك ٨ من الطبيعة الباب الأخير وما بعد الطبيعة ك ١٢ ب ٥ وراجع أيضاً قطع أكسينوفان المقطوعة الرابعة التى حفظها « سمبليسيوس » و « تفسير الطبيعة لارسطو » الورقة ٦ Fragmenta a philosophorum grecorum طبعة فيرمين

ديديو ص ١٠١ . - فإن الوجود هو فى الحق لا متحرك - هذا هو تابع لنظريات أكسينوفان كما يدل عليه صوغ الجملة الاغريقية . - لانه لا موجود يأتى فيه - ما دام أن الوجود هو غير موجود . - ولا حركة - عبارة النص ليست على هذا القدر من الضبط . - لأن من الضروري للحركة - أضفت هذه الكلمات اذ ظهر لى أنها ضرورية . =

- ٨ - فانظر كيف يزعم اكسينوفان انه يلزم شيثان على الاقل أو أكثر من واحد لكى توجد الحركة ، وأن اللاشئ هو فى سكون ولا متحرك ، وأن الاحد على ضد ذلك لا يمكن أن يكون فى سكون ولا أن يكون فى حركة لانه لا يشبه الالاموجود ولا الموجودات المتكثرة .
- ٩ - ومن كل هذه الوجوه فهذا - على رأى اكسينوفان - هو الله أزل أحد متشابه من كل جهة وفلكي لا لا متناه ولا متناه لا هو فى سكون ولا هو فى حركة .

= فى الالاموجود - عبارة النص بالضبط « نحو الالاموجود » . وهو ما يظهر لى قليل الضبط .

§ ٨ - فانظر كيف يزعم اكسينوفان - عبارة النص غير معينة وليس هنا اسم اشارة ولكن صوغ الجملة بصيغة الحال يستتبع أن العبارة هى تحصيل فكرة اكسينوفان . - على الاقل -- أضفت هاتين الكلمتين - اللاشئ - هذا هو لفظ النص بعينه . - لانه لا يشبه ... - قد يكون الدليل غير قوى فيما يظهر بل يمكن أن يعلو الموجودات الى الالانهاية من غير أن يشبهها بوجه ما .

§ ٩ - على رأى اكسينوفان - الملاحظة عينها التى أبدت فى الفقرة السابقة . فان اكسينوفان لم يسم هنا أيضا ولكن لا شك فى أن الامر بصدده .

الباب الرابع

إبطال نظريات أكسينوفان - استشهاد من ميليسوس - كيف يلزم أن يعنى بقدره الله - الله ليس فلكيا - أنه لا مقتاه - وحدانية الله ليست متافية لكونه متناهية - فى نفى الحركة عن الله فى الحركة التى يمكن أن تصورها فى حق الله استشهاد من زينون .

١ - ننبه تنبيها أولا ، وهو أن أكسينوفان كميليسوس يفترض أن كل مايولد ويصير يتولد من الموجود . ومع ذلك فماذا يمنع من أن مايولد لا يولد لا من الشبيه ولا من اللاشبيه بل يولد من اللاوجود ؟ ولكن الله ليس لا مخلوقا أكثر من الباقي إذا كانت كل الاشياء آتية من الشبيه أو من اللاشبيه . ذلك هو مالا يمكن . وبالنتيجة اما أنه لا شيء خارج عن الله واما أن يكون سائر الاشياء هى أيضا اِزلية .

٢ - ولكن أكسينوفان يقبل فوق ذلك أن الله هو المولى . يريد بذلك أن يقول انه الاقدر والاحسن . ليس هذا مايعتقده العامة وانهم ليقبلون أن الالهة فى كثير من الاشياء أعلى بعضها من بعض . على ذلك لم يستعز أكسينوفان هذا الرأى الجرىء من اجماع العامة . ولكن متى قبل ان الله هو القادر على كل شيء فليس معناه أن هذا هو طبع الله بالنسبة لواحد آخر بل هذا هو شأنه الخاص بالنسبة لذاته . أما فى علاقته مع الغير فمن الجائز تماما أن الله لا يقدر عليه بعلوه وقوته التى ليس لها من شبيهة بل بضعف الاغيار . وأنه لا أحد يعنى على هذا الوجه قدرة الله بل

§ ١ - كميليسوس - ها هنا ميليسوس مذكور بالاسم وهذا دليل آخر على أن الجزء الاول من هذه الرسالة خاص به . ما سبق به ١ ف ١ والتحقيق . يفترض - عبارة النص هى على هذا المقدار من القوة . يولد ويصير - ليس فى النص الا كلمة واحدة . ولا من اللا شبيهة - هذه الكلمات التى ليست فى المخطوطات قد وضعها ملاحظ تبعا لترجمة فيليسيانو . ولكن الله ليس لا مخلوقا - يظهر أن هذا هو رد من أرسطو على مذهب أكسينوفان . ولكن من الجائز أيضا أن يكون ردا من أكسينوفان موجها للنظريات المضادة لنظرياته . لا شيء خارج عن الله - هذا الرأى هو من الآراء التى يمكن انها سببت اهتمام أكسينوفان بالشرك . « خارج عن الله » هى رواية مخطوطة ليجز وقد كانت موجودة فى ترجمة فيليسيانو كما نبه اليه ملاحظ بحق .

§ ٢ - أكسينوفان يقبل - كذلك ليس هنا اسم أكسينوفان أيضا . ما يعتقده العامة - أو « ما يجب أن يكون معتقدا طبقا للقانون » . أعلى بعضها من بعض - كذلك الاله « مارس » هو أشد الالهة حربا وأشجعهم و « زهرة » أجمل الالهات و « ميثرة » أحكمهم و « إبللون » أعلمهم . الخ . لم يستعز أكسينوفان - لم يذكر هنا أيضا اسم أكسينوفان ولكن هذا مدح جميل لمذهبه وللمحتة . فانه كان ضد الآراء الشائعة فى زمانه . =

يقفهم الناس أن الله له بذاته كل ما يوجد من الأحسن وأنه منزّه عن النقص
أيا كان ، وإن له كل ما هو طيب وجميل . وبهذه الكلمات كلها فله أيضا
كمال القدرة الكاملة .

٣ - حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم بوجود آلهة متعددة موصوفة
بالصفات عينها جامعة بين أكبر الكلمات الممكنة مادام أنها أكبر قدرة من
سائر الموجودات دون أن يكون بعضها أقوى من البعض الآخر ولكنه يوجد
أيضا على ما يظهر موجودات أخرى غيره .

٤ - قى الحق هو يزعم أن الله هو التقدير ، ويلزم ضرورة أن يكون
أقدر من بعض الموجودات . ولكن بهذا السبب وهو أن الله هو الاحد
لا يليق أن يقال أنه يبصر من كل ناحية ويسمع من كل ناحية لأنه ليس
لأنه قد لا يبصر من الجزء الفلاني أو الفلاني أنه لا يحسن البصر به فقط
أنه لا يبصر من ذلك الجزء بعينه . بل ربما أيضا حسنا يقرر أن الله يحسن
من كل جهة كان معنى ذلك بالبساطة أنه بهذه الطريقة يكون أيضا أكمل
مادام أنه متشابهة في جميع أجزائه .

٥ - إذا كان الأمر كما قرر آنفا فلماذا يعطى صورة ذلك ؟ لماذا لا
يكون أولى به شكلا آخر مادام أنه يسمع من كل جهة ويرى من كل جهة ؟
لأنه كما أننا حين نقول أن الأسبيداج أبيض قى كل نواحية لا نريد أن

= - بالنسبة لواحد آخر - كل هذا التدليل غاية في التعمق ويعطى فكرة ساطعة عن
عظمة أكسيتوفان . - التي ليس لها من شدة أضحت هذه الكلمات . - فله أيضا
كمال القدرة الكاملة - ليس النص على هذا القدر من الضبط . فإن عبارته فيها ما فيها
من الإيهام . ولكن المعنى لا ريب فيه .

٦ - حقا أنه قد يمكن أيضا التسليم - هذه هي بالتحديد كل ملحمة هومروس
ولو أن آلهة ذلك الشاعر إنما يعطى التبعة فإن المشتري هو الأكبر والأقوى بينهم جميعا .
- معجزة أخرى غيره - أو « معجزة أخرى غيرهم » وقد أثبت تلقاء تردد النص أن
أرجح الضمير إلى الله عوضا عن الآلهة .

٧ - هو يزعم - حافظت على صيغة النص عوضا عن أن أكرر اسم أكسيتوفان .
- من بعض الموجودات - هذا هو إصلاح من عند ملاخ وهذا الإصلاح ضروري ، فيما
يظهر ، ولو أنه لا تجزيه أية مخطوطات . ولكن فيليسيانو في ترجمته كان لديه رواية من
هذا القبيل فيما يظهر . أن الله هو الاحد - كما يدعى أكسيتوفان . - من الجزء الفلاني
أو الفلاني - ليس النص على هذا القدر من الضبط .
- متشابهة في جميع أجزائه - لا شك في أن أكسيتوفان يريد أن يقول بالبساطة
أن الله شاهد في كل مكان .

٨ - كما قرر آنفا - على حسب نظرية أكسيتوفان . - صورة فلك - هذا في
الحق مذهب مضاد لآراء الفيلسوف الذي يعيب الصفات والصور التي يستند عليها العالم إلى

نعنى شيئاً آخر الا أن يكون البياض منتشراً في جميع أجزائه ، كذلك ما الذى يمنع حينما يقال ان الله يرى ويسمع ويتسلط من كل مكان أن يفهم أن أى جزء من الله كيفما اتفق ، له دائماً هذه الصفات ؟ ولا يلزم لذلك بعد أن يكون الله فلكياً كما لا يلزم أن يكونه الاسبيداج .

٦ - وفوق ذلك كيف يمكن أن الله من حيث هو جسم ومن حيث ان له عظماً لا يكوناً متناهياً ولا لامتناهياً مادام اللامتناهى انما يقع على ما ليس له حد مع قابليته لان يكون له حد ؟ فان الحد يجب أن يقع على العظم وعلى العدد وعلى كل كمية . ايا كانت بحيث ان عظماً لآخر له هو يسمى لامتناهياً .

٧ - ومتى جعل الله فلكياً فمن الضروري أن يكون له حد لان له نهايات مادام أن له مركزاً على أبعد مسافة ممكنة من الحد . وإذا لابد له من مركز مادام فلكياً ، اذ أنه يعنى بفلكى ماله مركز على مسافة متساوية من النهايات . ولا فرق بين أن يقال ان للجسم حداً وأن له نهايات .

٨ - اذا كان الالاموجود لا متناهياً فإما لا يكون الوجود لامتناهياً كذلك ؟ ما المانع أن يكون للموجود وللالموجود بعض كيوف مشتركة

= الالهة . ذلك هو أيضا قليل الشبه بالمعقول كمذهب المشبهة المعروف . - يسمع من كل جهة - الفلك هو الوحدة وهذا التصوير لا يتفق ومعنى أن الله لا متناه . - ان الاسبيداج أبيض في كل نواحيه - هذا التشبيه بالاسبيداج ليس متقاداً ويظهر عليه نوع من الشطط . - أى جزء من الله كيفما اتفق - هذه النظريات ينبغي أن تظهر اشد ارتقاء عن الزمان الذى كان يقررها فيه اكسينوفان . ولا يمكن الشك في انها نظريات مع الشهادات التى نقلها لنا الزمن القديم أجمع . - أن يكونه الاسبيداج - راجع ملاحظتنا على التشبيه بالاسبيداج . ومع ذلك فان الفكرة صحيحة في موضوعها ولو كان في شكلها شيء من الشذوذ .

§ ٦ - وفوق ذلك - رد جديد من المؤلف على نظريات اكسينوفان . - متناهياً ولا لا متناهياً - في الحق من المحال على عقلاً أن يفهم الله الا على جهة الالامتناهى . - ما ليس له حد - هذا حق ولكن ماسبيل ليس كذلك حقا فان ما هو قابل لان يكون له حدود لا يمكن أن يكون أبدا لا متناهياً حتى ولو لم يكن له حدود . وهذا ليس الا الالامحدد واللامعين . - عظماً لا حد له هو يسمى لا متناهياً - وربما كان الاولى أن يقال « كما » وحينئذ يكون التعبير أعم .

§ ٧ - ومتى جعل الله فلكياً - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . - فمن الضروري أن يكون له حد - هذا يناقض فكرة لا نهاية الله ، والرد شديد القوة . - اذ أنه يعنى بفلكى - هذا في الواقع هو تعريف الفلك كما هو تعريف الدائرة على السواء بفارق واحد هو ما بين الجسم وبين السطح . - حداً . . . نهايات - هذا التماثل موجود في اللغة الفرنسية كما هو في اللغة الاغريقية لانه في ذهن دون أن يكون في اللفظ فقط .

§ ٨ - اذا كان الالاموجود لا متناهياً - هذه الرواية هي التى كانت عند فيليسيانو كما تدل عليه ترجمته وهي الوحيدة التى يمكن قبولها بالنظر الى سياق النص وان كانت =

ومتماثلة ؟ فانه لا يمكن فعلا أن يحس الالموجود . وكيف يحس ما ليس موجودا . وكذلك يمكن تماما ألا يحس فعلا ماهو موجود . يمكن قول الاثنين معا ونصورهما معا الالموجود ليس ابيض ولكن هل ينتج من ذلك وجوب القول بأن كل الموجودات بيض حتى لايسند شيء واحد الى الموجود وإلى الالموجود ؟ أو لا يمكن أن يوجد بين الموجودات واحد لا يكون ابيض ؟ وإذا كان الامر هكذا على نقيض القاعدة العتيقة أن الموجود لا ينحصر في أن يكون له أكثر منه في ألا يكون له فاللامتناهى قد يقبل أيضا سلبا ثانيا . وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لامتناهيا أو أن يكون له حد .

٩ - ولكن ربما يكون من غير المعقول أن تلزق اللانهاية بالالموجود . فانه لا يمكن أن يقال على كل شيء انه لامتناه لا شيء الا لانه ليس له حد ، كما أنه لا يقال مثلا على الالموجود انه غير متساو .

١٠ - ولكن بما أن الله واحد فلماذا لا يكون له حد ؟ لا شك في

= لا توجد في المخطوطات . - بعض كيوف - « أو حالات » عبارة النص غير محرة . - يحس ما ليس موجودا - ظننت واجبا على أن أضيف هذه الجملة . فان هذا التكرير ليس في النص . - الاثنين - اللذين ينطبقان على السواء على الموجود وعلى الالموجود . وفي الحق أن مالا يحس ومالا يدرك بوجه ما هو بالنسبة لنا كأنه لا موجود ولو كان موجودا انه بالنسبة لنا هو الالموجود ولو لم يكن في الواقع . - وجوب القول - ليس النص على هذا القدر من السعة .

- لا يكون ابيض - كما أن الالموجود لا يكون كذلك . - سلبا ثانيا - ليس المعنى بين الظهور لأن الالمتناهى ليس هو ذاته سلبا . فانه لا سلب الا في الالمحدود واللامعنى . وقد يمكن التدليل من جهات نظر شتى على أن الالمتناهى أقصى وجودا من المتناهى أو بالأولى هو الموجود الحقيقي الوحيد . من هذا ترى كيف أن الله هو لا متناه من أية ناحية يعتبره عقلنا الضعيف سواء في الزمان وفي المكان وفي القدرة وفي العدل وفي الرحمة ... الخ . - القاعدة العتيقة - لا أعرف مؤلفا آخر قد ذكر هذه القاعدة . وربما كان لهذا المعنى آخر غير المعنى الذي اخترته وقد يعنى به بالبساطة « على ضد ما ذكر ألفا » . وكنت أختار هذا المعنى اذا كانت هذه العبارة كررت ولو بجزئها فيما تقدم . ولكني لا أراها جلية فيه . - وبالنتيجة فالموجود أيضا يمكن أن يكون لا متناهيا - لا يظهر أن هذه النتيجة لازمة ولكن الفكرة صادقة . فالما الموجود في الواقع هو الالمتناهى في حين أن الالموجود لا يمكن أن يسمى بهذا الاسم الا بالنسبة للموجود الذي هو سلب له .

§ ٩ - أن تلزق - يظهر لي أن هذا النوع من الابتذال موجود أيضا في النص . - الالمتناهى - والاحسن : « معنى الالمتناهى » . - لا شيء الا لانه ليس له حد - بين أن الفرق كبير جدا بين الالمتناهى والالمحدود . - مثلا - أضفت هذه الكلمة .

§ ١٠ - لا شك في ذلك ولكن لا يمكن أن يكون له حد . - ليست عبارة النص على هذا المقدار من البيان ولكن الفكرة بينة فيما يظهر ولو أن المخطوطات ليست متفقة =

ذلك ولكن لا يمكن ان يكون له حد. تلقاء اله آخر . اذا كان الله واحدا كله
فيانزم أن تكون جميع أجزاء الله لا تكون أيضا الا وحدة محضة . لانه
لا يفهم ، اذا كانت الاشياء المتكثرة يحد بعضها بعضا بالتبادل ، أنه يلزم
على ذلك أن الاجد يكون لا حد له . لان الكثرة والوحدة لهما عدة محمولات
متشابهة تماما والموجود مشترك بين احدهما وبين الاخرى . فقد يكون
من الغريب ان يذهب الى انكار وجود الله ، مادام وجود الكثرة امرا مسلما
حتى لا يشبه الله الاشياء في هذا المعنى .

١٢ - لماذا الله مع كونه واحدا لا يكون متناهيا ولا يكون له حدود
كما يقوله برمينيد وهو يعترف لله بالوحدانية حين يشبهه
«بالفلك المستدير تماما والمتساوي في جميع النقط ابتداء من المركز...»
في الواقع أن شيئا يمكن أن يكون له بالضرورة حد من غير أن
يكون ذلك بالاضافة الى شيء ما . كما انه ليس من الضروري أن
ماله حد يكون له حد اضافي كالمتناهي بالنسبة لغير المتناهي الذي يليه .
أن يكون متناهيا انما هو أن يكون له نهايات ، ولكن ماله نهايات ليست
له بالضرورة بالنسبة الى شيء ما . بل يوجد بعض اشياء تكون معا متناهية
وملامسة شيئا ما ، ولكن من الاشياء أيضا ماهي متناهية وليست كذلك
بالاضافة الى شيء ما .

= الرواية . - تلقاء له آخر - عبارة النص « تلقاء اله » ومع ذلك فان كل هذا الموطن قد
اصحح تبعا لما ارتأى « برانديز » وتبرره ترجمة فيليسيانو .

— وحدة محضة - في هذا ما في الملاحظة السابقة . - الاحد يكون لا حد له -
ليس ها هنا رواية أخرى ولكن الفكرة ليست جلية البيان ولو أن العبارة ذاتها جلية
فان الموجود مفهوما على جهة الوحدة التي تشمل الكل هو بالضرورة لا متناه . - الكثرة
والوحدة - ن : ما سبق ب ٨ حيث الموجود واللا موجود مقارنان أيضا في هذا المعنى .
- وجود الله . وجود الكثرة - هذا التكرار هو في النص . - في هذا المعنى - عبارة
النص هي كذلك مبهمة . والتناقض المشار اليه ها هنا قد تكرر في نظريات الاسكندريرين
وقد ذهبوا فيه الى حد انكار الوجود على الاحد كما كانوا يتصورونه مع اثباتهم الوجود
للأشياء الجزئية .

١١ - كما يقوله برمينيد - هذا البيت قد ذكره أرسطو بجزئه في الطبيعة
ك ٣ ف ٩ ص ٤ من ١٢٦ من ترجمتنا . ر . أيضا مقطوعات برمينيد البيت ١٠٣
و ١٠٤ طبعة فيرمين ديدو . - ابتداء من المركز - أو « من مركزه » هذا هو تعريف
الفلك كما تعطيه الهندسة - من غير أن يكون ذلك بالاضافة الى شيء ما - الظاهر على
حد ذلك أن معنى الحد يستتبع ضرورة معنى الاضافة . - حد اضافي - أو بالاضافة الى
شيء ما . - ولامسة شيء ما - هذا هو معنى المتناهي بعينه . - وليست كذلك بالاضافة
الى شيء ما - كان ينبغي أن يذكر المؤلف هذه الاشياء على نحو اضبط من هذا .

§ ١٢ - ومن جهة نظر أخرى القول بأن الوجود والاحد ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك بحجة ان الوجود لا يتحرك انما هو قول من الغرابة بمكان ماسبقه على الأقل . انه لا تماثل قطعا ، كما قد يمكن ان يظن ، بين ان يقال ان شيئا لا يتحرك وبين ان يقال انه لا متحرك . فمن جهة انما هذا هو سلب للحركة على جهة ما يقال على شيء انه لا يكون مساويا وهذا يمكن ان يصدق حتى على الوجود ، في حين انه من جهة أخرى يقال على شيء انه لا يتحرك لانه فعلا على حال ما ، كما انه يقال على شيء انه لا مساو ، فهنا السكون هو ضد الحركة كما ان على العموم جميع السلوب المكونة من همزة الازالة تنطبق على اضداد . حتى ان يقال على الوجود انه لا يتحرك ولكنه ليس حقا ان يقال على الوجود انه في سكون . كما انه لا ينبغي ان يقال انه لا متحرك وهذا ماله المدلول بعينه . ولكن اكسينوفان يستعمل في حق الوجود لفظ السكون ويقول ان الوجود هو في سكون لانه لا نقلة له .

§ ١٣ - وكما قلنا آنفا قد يكون من الخطأ الجزم - لا لشيء سوى ان محمولا يصلح حمله على المعلوم - بأن هذا القول لا يكون صالحا بعد التحمل على الوجود خصوصا اذا كانت الكلمة التي تستعمل لذلك ليست اسلبا نحو قولهم : لا يتحرك ولا ينتقل ؛ فاني اكرر ان كثيرا من

§ ١٢ - ليسا لا متحركين ولا يتحركان مع ذلك - ر . ما سبق ب ٣ ف ٧ وربما كان يلزم وضع صيغة المفرد موضع صيغة المثني فان الوجود والواحد متحدان كلاهما . ان شيئا لا يتحرك وبين ان يقال انه لا متحرك - في اللغة العادية لا فرق بين هذين التعبيرين . ولكنه يمكن أيضا تمييزهما كما قد كان ها هنا . فمتى يقال على شيء انه لا يتحرك فذلك بان في طبيعته امكان التحرك ومتى يقال على ضد ذلك : انه لا متحرك فذلك بما انه ممتنع الحركة على الإطلاق . وهذا يمكن ان يصدق حتى على اللا موجود - ولو ان اللا موجود بكونه لا شيئا يمكن ان يوصف بكل كيف او ان يسلب كل كيف على السواء . لانه فعلا على حال ما - العبارة مبہة ولم أشأ ان أحررها . كما ان على العموم جميع السلوب المكونة - ربما لم يكن هذا الا تذييلا أضافه بعض المفسرين . انه لا يتحرك - يعنى انه دائما ينبغي ان يتكلم على الوجود بالصيغة السلبية . ومتى يقال على الضد من ذلك «موجود ساكن» «موجود لا متحرك» فتلكم ايجابات لا يحتملها اللا موجود . وكل ذلك غمض دقيق . وهذا ماله المدلول بعينه - باعتبار ان لا فرق الا في شكل العبارة بعض الشيء . - اكسينوفان - عبارة النص هي «هذه ر . ب ٣ ف ١ وبه اف ا»

§ ١٣ - وكما قلنا آنفا - ر . ما سبق ف ٨ وف ١٢ - ليست الا سلبا - سلبا له بالنتيجة علاقة باللا موجود أكثر منها بالوجود - أكرر . - ر . ما سبق ف ٧ و ٨ . أيضا على الموجودات التي يمكن حملها على اللا موجود . - ليست آحادا - أى لا تكون وحدة . وكل الأشياء الشخصية هي في هذه الحالة . تنتج الاضداد فيما يظهر - قد كان ينبغي ان يقال « الاضداد أعينها » كما يظهر ان ذلك ينتج من الامثلة المضروبة . اما حركة واما

المحمولات فما يجوز حمله أيضاً على الموجودات لأنه يوجد أشياء كثيرة لا يصدق عليها القول بأنها ليست أحاداً بحجة أن المعلوم ليس واحداً . ثم انه يوجد أشياء فيها السلب بعينها تنتج الاضداد فيما يظهر . فمثلاً من الضروري أن يوجد اما مساواة واما لا مساواة ما دام هناك كم ؛ وانه كذلك يوجد اما زوج واما فرد مادام هناك عدد . وكذلك ايضا يلزم ان يوجد اما حركة واما سكون ما دام هناك جسم .

§ ١٤ - غير أنه اذا قيل ان الله والاحد لا يتحرك البتة لان الاشياء المتحركة تتحرك بعضها نحو البعض الآخر ، فما الذي يمنع أيضاً أن الله يتحرك بأن يسعى نحو شيء آخر ؟ هذا قطعاً ليس لأنه ليس الا الله بل لأنه لا واحد احد الا الله . واذا لم يتحرك هو ذاته فما المانع ان اجزاء الله تتحركها بعضها نحو بعض أن يكون الله هو أيضاً له حركة دائرية ؟

§ ١٥ - لكن على هذا لا يكون بعد واحداً كما يعني زينون انما هو متعدد كما قد نبه اليه ، لان زينوناً يقرر أن الله جسم سواء جعله هو الكل الذي نرى أو سماه باسم آخر . واذا كان الله لا جسمانياً فكيف يكون في الواقع فلكياً ؟ ويلزم أن يكون لا جسمانياً اعني لم يكن أصلاً لكي لا يكون له حركة ولا سكون . واذا كان جسمانياً فما المانع أن يتحرك كما قد قيل ؟

= سكون - هذه النتيجة ليست أقل ضرورة من الاثنتين الاخرين . غير أن المقابلة الصريحة لا توجد الا في المثل الاول حيث المساواة واللا مساواة معبر عنهما بكلمتين أصلهما واحد ولا تختلفان الا بالسلب وفي المثل الثاني والثالث والكلمات مختلفة ولها جميعاً صورة الايجاب ولم أستطع في لغتنا « الفرنسية » أن أحصل هذه الفروق مع شدة رغبتى فيها .

§ ١٤ - لا يتحرك البتة - قد حفظت صيغة المفرد لأن الله والاحد متحدان . - بأن يسعى نحو شيء آخر - قد حافظت على تردد النص ولكن الفكرة ليست صحيحة لأن الله بأنه في كل مكان لا يمكن أن يتحرك كالموجودات الجزئية نحو مكان لم يكن فيه . ليس الا الله - الفكرة تبقى غامضة كالعبارة خصوصاً متى اذكر ان اكسينوفان فيما سبق قد جعل الله على كل شيء قديراً .

اجزاء الله - هذا فيما يظهر ادماج الله والعالم كما قد اتهم به اكسينوفان . - له حركة دائرية - باعتبار ان الحركة الدائرية هي وحدها التي يمكن ان تكون لا متناهية وأزلية . - الطبيعة كـ ٨ ب ١٢ ص ٥٢٩ من ترجمتنا .

§ ١٥ - زينون - ان ذكر زينون بالصرحة يجيز الاعتقاد ، فيما يظهر ، بأن هذه الرسالة يجب ان يكون لها جزء رابع فيه الكلام على زينون كما ان الكلام في الثلاثة الاخر على مبلينوس واكسينوفان وقرغباس ر . ما سبق في التحقيق - انما هو متعدد - الترجمة الحرفية للنص هي « كثير من الاشياء » - الذي نرى - ليس النص على هذا القدر من الضبط يكون في الواقع فلكياً - كما فيما سبق فـ ١١ في بيت برمينيد . - ان يكون لا جسمانياً - هذا هو بالضبط ما يؤيده ارسطو في الباب الاخير من الطبيعة فـ ٢٦ ص ٥٦٩ من ترجمتنا . كما قد قيل - او « كما قد قلت آنفاً » .

مذاهب غرغياس

الباب الخامس

النظريات الثلاث الاصلية لفرغياس : عل الوجود وعل امتناع العلم وعل لقل العلم
- عل النظرية الاول يجمع فرغياس بين الآراء السابقة - ميليسوس وزيونون - بسط
مذهب فرغياس في امتناع الوجود والمعدم عل السواء .

§ ١ - هو يقرر ان لا شيء بموجود حقيقة ، وانه ان يوجد من شيء فهذا
الشيء يبقى مجهولا عندنا ، وانه ان يوجد شيء ويمكن لامرئ العلم به
فانه لا يمكن التعبير عنه للاغيار .

§ ٢ - فيما يتعلق بهذا القول الاول الذى هو ان لا شيء بموجود
حقيقة يؤلف فرغياس بين نظريات فلاسفة آخرين ، اذ يقررون افكارا
متناقضة فى امر الحقيقة كما تظهر لنا . اعتقدوا : هؤلاء انه لا شيء الا
الوحدة وان الكثرة ممنوعة ؛ وأولئك ، على ضد ذلك ، ان الكثرة وحدها
هى الحقيقية وان الوحدة ليست حقيقية . ذلك بان بعضهم يرون الاشياء
غير مخلوقة والآخرين يرونها مخلوقة .

§ ٣ - يؤلف فرغياس بين هذين الرايين ليدلل هكذا ، « يقول انه
يلزم ضرورة ان كان شيء موجودا أن يكون هذا الشيء لا واحدا ولا كثرة،
وأن تكون الاشياء لا غير مخلوقة ولا مخلوقة . وحينئذ لا شيء بموجود .
وإذا كان فى الواقع شيء فيلزم أن يكون اما احدهما واما الآخر » ، فاما

§ ١ - هو يقرر - ر . ما سبق ب ١ ف ٣ وب ٣ ف ١ . فرغياس ليس مذكورا
هنا وشانه فى ذلك شان ميليسوس وباكسينوفان . ولكن بمخطوطة ليبزج عنوان هذا الجزء
من الكتاب : « فى أرسطو طاليس عل فرغياس » ولا يمكن أن يكون ها هنا أقل شك فى
امر الفيلسوف الذى يخصه هذا التحليل ر . لا شيء بموجود حقيقة - ر . فيما سبق ب ١
ما يتعلق بميليسوس وقما بعد تحليل سكستوس امبريكوس المذهب فرغياس .

§ ٢ - فرغياس - فى هذه الفقرة ايضا لم يسم فرغياس وليس بها الا فعل مستدال
بضمير الغائب . كما تظهر لنا - او « كما تظهر لهم » . يرونها مخلوقة - ر . كتابه
السما ١٥ ب ١٠ ص ٨٣ من ترجمتنا .

§ ٣ - يؤلف فرغياس - كذلك هنا لم يسم فرغياس . يقول ٠٠٠ لا واحدا ولا
كثرة - ر . ما سبق . تحليل سكستوس امبريكوس فى اوله . ان يكون اما احدهما واما
الآخر قد حفظت عبارة النص فى ترددها كله . وبعبارة أخرى يلزم ان يكون ما كان

انه لا وحدة ولا كثرة وان الاشياء ليست لا مخلوقة ولا غير مخلوقة فانه يحاول ايضاح ذلك اما كميلىسوس واما كزينون بعد برهانه الخاص به اذ ثبت على طريقته ان الموجود واللاموجود لا يوجدان لأحدهما ولا الآخر .

§ ٤ - فعنده أنه اذا كان ممكنا ان اللاموجود يكون اللاموجود فيكون اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود . لان هذا اللاموجود يكون اللاموجود ، كما أن الموجود يكون الموجود ، بحيث انه لا يمكن أن يقال على الاشياء انها تكون بأقوى من أن يقال عليها انها لا تكون .

§ ٥ - يقول غريغياس : « اذا كان اللاموجود موجودا فمن ثم لا يكون الموجود بعدد مقابلة لانه اذا اللاموجود يكون فيلزم ان الموجود لا يكون . وبالنتيجة أنه لا شيء بموجود ؛ الا أن يكون الموجود واللاموجود شيئا واحدا بعينه . ولكن انما هما في الواقع شيء واحد ومن ثم لا يوجد شيء . لان اللاموجود ليس يكون ، فالموجود ليس يكون كذلك ما دام أنه مماثل للاموجود » . هذا هو تدليل غريغياس حرفيا بحرف .

اما واحد او كثرة . ويلزم ان يكون اما مخلوقا واما لا مخلوقا . اما كميلىسوس واما زينون - من هذه الفقرة التي قد ذكر فيها ميلسوس وزينون بالاسم يمكن استنتاج هاتين النتيجتين : اولا ان الجزء الاول من هذا الكتاب يتعلق تماما بميليسوس ، وثانيا ان هذا الكتاب ناقص منه جزء كان فيه تحليل آراء زينون كما حللت آراء ميليسوس واكسينوفان وغريغياس . التحقيق . ان الموجود واللاموجود - عبارة النص حرفيا هي « ان الموجود واللاموجود لا يكونان » .

§ ٤ - ان اللاموجود يكون اللاموجود - كل السفسطة تعتمد على فعل «الكون» مسندا الى اللاموجود . وما دام أنه يقال على اللاموجود أنه كائن فيمكن أن يستنتج منه أنه هو الموجود سيان . وتلك هي دقائق غير جدية . وقد احسن افلاطون وسقراط في انها سخرا بهذه السفسطة . ان يقال على - ليس النص على هذا القدر من الصراحة .

§ ٥ - يقول غريغياس - ليس في النص الا ان الفعل مسند الى ضمير الغائب ولم يسم غريغياس ولكن اضطرت لاثهاره لبيان الفكرة في الترجمة . مقابلة لفظة المقابلة أعم من التضاد - ر - المقولات ب ١٠ ص ١٠٩ من ترجمتنا . شيئا واحدا بعينه . ويظن غريغياس أنه قد برهن على أنهما متماثلان . - ومن ثم لا يوجد شيء - قد يمكن أيضا أن يستنتج منه أن الكل موجود الموجود واللاموجود على السواء . وتكون هذه النتيجة صحيحة كالأخرى . - حرفا بحرف - أضفت هذا القيد لاحصل قوة النص الاغريقي .

الباب السادس

نقض نظرية غريغياس الاولى - شاهد من ميليسوس وزيثون - الموجود واللا موجود لا يشتهان . والحركة هي ممكنة - شاهد من مقالات لوكييس - نقض نظرية غريغياس الثانية على امتناع العلم . ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل العلم بعد كسبه - ايدان بان نظريات الفلاسفة القدماء ستلوس بعد دراسة خاصة .

١ - لا ينتج البتة من ادلة غريغياس ان لا شيء يوجد . لانك ترى كيف يدل على الاشياء التي يحاول اثباتها . اذا كان اللاموجود يوجد او بعبارة اعم لو ان الاشياء يوجد فالموجود هو كذلك اللاموجود على السواء .

٢ - ولكن لا يظهر انبته ان الامر هكذا ولا ان هناك ادنى ضرورة لان يوجد اللاموجود . كما يكون الحال في شيئين أحدهما يكون حقيقة والاخر لا يزيد على ان يظهر . فيلزم بالضرورة ان يكون احدهما حقا والاخر ليس كذلك . كذلك من ان اللاموجود لا يوجد، لا ينتج ان الاثنين او احدهما يجب ان يكونا او ألا يكونا . يقول غريغياس : لان اللاموجود ليس بأقل وجودا من الموجود اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئاً ما . لذلك لا يقال البتة انه اللاموجود يكون البتة بأي وجه كان فاذا كان اللاموجود هو في حالة اللوجود فحينئذ لا يكون اللاموجود على النحو الذي يكون عليه الموجود لانه ليس الا في حالة اللوجود بخلاف الموجود فانه موجود فعلا .

١ - أدلة غريغياس - هنا أيضا ليس غريغياس مسمى . وليس في النص كما قد سبق الافعل مسند الى ضمير الغائب . يحاول اثباتها - عبارة النص بالضببط : « التي يبرهن عليها » . وقد ظهر لي ان أسلوب عبارتي أفضل . - لو ان الاشياء يوجد - هذه عبارة النص نفسها وربما كان الاحسن ان يقال « اذا لم يوجد شيء » . - فالموجود هو كذلك اللاموجود على السواء - يعني ان الموجود هو اللاموجود كما هو الموجود على السواء .

٢ - أدنى ضرورة - أدنى ضرورة للبرهان الذي يلجئ الى الاستنتاج الموجه لجهة او لاخرى . - لا يزيد على ان يظهر - عبارة النص هي فقط « يظهر » . - من ان اللاموجود لا يوجد - عبارة النص ليست على هذا القدر من الصراحة . - يقول غريغياس - اسم غريغياس ليس مذكورا . - اذا كان « ليس يكون » هو أيضا شيئاً ما - التناقض بين بياننا حتى في الالفاظ ولكن السفسطائي ما كان لينظر في الامر عن كتب هكذا . - لا يقال البتة لا أحد الا السفسطائيين كغريغياس والاخرين يعنى البتة بان يؤتى اللاموجود اقل حقيقة ولا ادنى وجود . - في حالة اللوجود - انما يدور الابهام على صيغة المصدر مادام ان اللاموجود هو اللوجود فانه موجود في الحقيقة كالوجود سواء بسواء . - على النحو الذي يكون عليه الموجود الجواب ليس قاطعا .

§ ٣ - إذا كان حقا أن الالموجود قد وجد بطريقة مطلقة فيكون على الأقل عجيبا ان يقال ان الالموجود موجود . ولكن اذا كان هذا . هكذا بالمصادفة فكيف اذا يكون الحال ابدا بالنسبة للاشياء التي يرجح في امرها ان تكون على الا تكون ؟ لانه يظهر ان النقيض نفسه قد يمكن ان يكون حقيقيا أيضا .

§ ٤ - اذا كان الالموجود يكون وكان الموجود يكون ايضا ، اذا فالكمل موجود مادام أن كل ما هو موجود وكل ما ليس بموجود كلاهما كائن من غير فرق ، وانه ليس من الضروري البتة اذا كان الموجود كائنا أن يكون الموجود غير كائن . عبثا يقال ان الالموجود يكون والموجود لا يكون فان ذلك لم يؤثر شيئا في أن جميع الاشياء موجودة ما دام اننا لو صدقنا ذلك القول لاصبحت الاشياء التي لا تكون كائنة

§ ٥ - ولكن اذا كان « يكون ولا يكون » شيئا واحدا فمن ثم لا يمكن أن يقال بعد على شيء انه يكون كما لا يمكن كذلك ان يقال عليه انه لا يكون لانه كما أن غريغاس يقرر انه اذا كان الالموجود والموجود هما شيئا واحدا ، فالموجود ليس يكون بأشده وجودا من الالموجود بحيث ينتج أن لا شيء بموجود . كذلك يمكن ان يؤيد العكس أن الكل موجود لانه لما ان الالموجود هو كالموجود تماما فيستنتج منه ان الكل موجود بالحقيقة .

§ ٣ - قد وجد بطريقة مطلقة - اي على حد سواء هو والموجود ذاته - عجيبا ربما كان في الاسلوب الاغريقي نوع من التهكم يناسب في الواقع كل المناسبة الرد على هذه الدقائق في امرها ان تكون على الا تكون - هذا بين بذاته ولكن غريغاس اذا ينال الظفر وقد استنتج منه أن لا شيء بموجود . فالدليل حينئذ مزدوج للغاية فانه يمكن أن يستنتج منه الوجود كما يستنتج منه الوجود سواء بسواء - النقيض نفسه - يعني « نقيض ما يقال هو أيضا حقيقي كالذي يقال » .

§ ٤ - الالموجود يكون - كما يزعم غريغاس - كلاهما كائن - احتفظت بعبارة النص ان لم تكن قطعية فان الالموجود حقيقة كالموجود فان السلب صادق كالايجاب سواء بسواء . - من غير فوق - أضفت هذه العبارة التي تؤخذ من أسلوب النص . ليس من الضروري البتة - من حيث أن في نظريات غريغاس ، المتناقضات صادقة على السواء وان الامر وضده يمكن اقامة الدليل عليهما أحدهما كالأخر - لو صدقنا ذلك القول عبارة النص هي «على حسب تدليل هذا» يعني غريغاس .

§ ٥ - شيئا واحدا - يعني في النظرية التي يعنى المؤلف بإبطالها - أن يقال بعد- ليس النص على هذا القدر من الصراحة - كما ان غريغاس يقرر - عبارة النص هي «هذا» اذا كان الالموجود والموجود هما شيئا واحدا بعينه - هذا هو أساس سفسطة غريغاس . - ان لا شيء . بموجود - وبعبارة أخرى أن لا شيء موجود لا صادقا ولا كاذبا - العكس - او بعبارة أخرى «بعكس القضية» - ان الكل موجود بالحقيقة - النص ليس على هذا القدر من السعة . ر . ما سيلي في تحليل سكستوس امبريكوس .

§ ٦ - بعد هذا الدليل هو يقيم دليلا آخر يقول : ان يوجد فن شيء ، فاما ان يكون هذا الشيء لا مخلوقا واما ان يكون مخلوقا . فاذا كان لا مخلوقا فهو لامتناهى ، على ما يفترض غريغياس بحسب مبادئ ميليسوس ولكن اللامتناهى ليس فى مكان ما ، ما دام انه ليس فى نفسه ولا فى غيره . وحينئذ يكون اذا لا متناهيان أو عدة لا متناهيات هذا الذى فى الآخر وذلك الذى الآخر فيه . ولما لم يكن فى مكان ما فهو لا شيء ، على حسب أدلة زينون على حيز الموجودات . وبهذه الأدلة يستنتج غريغياس أن الموجود لا مخلوق .

§ ٧ - ولكن الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فانه لا يمكن فى الواقع ان يكون قد خرج من الموجود ولا من المعدوم . لانه اذا كان الموجود يسقط وهو مخلوق فلم يكن اذا التواجد ، كما ان اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود من وقت ان يصير شيئا ما . ومن جهة أخرى الموجود لا يمكن أيضا ان يأتي من اللاموجود ، لانه اذا كان اللاموجود لا يكون فممتنع من ثم ان ايا كان يتولد من لا شيء . واذا كان بالمصادفة اللاموجود يوجد فان الاسباب التى تجعل الموجود لا يأتي من الموجود هي عينها تجعله لا يأتي أيضا من اللاموجود الذى هو كائن .

§ ٨ - فاذا كان حينئذ من الضروري ، ما دام ان شيئا ما موجود ، ان هذا الشيء يكون لامخلوقا أو مخلوقا وأن كلا الأمرين ممتنع ، فينتج منه أنه ممتنع أيضا ان يوجد أى شيء ما .

§ ٦ - عل ما يفترض غريغياس - كذلك هاهنا ليس غريغياس مذكورا بالاسم . - ميليسوس - ميليسوس مذكور بالاسم صراحة . ما سبق بـ ٢٠ والتحقيق السابق . - ولكن اللامتناهى ليس فى محل ما - وبما هو ليس فى مكان فيستنتج منه انه ليس موجودا البته كما سيذكر فيما سيل . زينون - ما سبق بـ ٢٠ . على حيز الموجودات - زدت المضاف اليه الاخير . راجع فيما يتعلق بنظرية زينون الطبيعة لارسطو ٢٤ بـ ٢٦ ص ١٤٦ من ترجمتنا وبـ ١٠ ص ١٦١ - يستنتج غريغياس - ليس غريغياس مذكورا بالاسم والنص ليس على هذا القدر من البيان . ما سيل تحليل سكستوس امپيريكوس حيث هذا الدليل على بسطة من البيان .

§ ٧ - لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق - أو « أنه قد صار » هذا هو الجزء الثانى من دليل غريغياس - فانه لا يمكن فى الواقع - على حسب دليل غريغياس . - يسقط - هذه هي عبارة النص بعينها ، فان الموجود ليصير يجب ان يفقد كرامة الوجود ويبتدىء فى ألا يكون بعد ليصير شيئا ما . - اللاموجود لا يكون بعد اللاموجود - ولكن يظهر هاهنا ان اللاموجود عوضا عن ان يسقط فهو يسو بوجه ما ليصير شيئا ما . وذلك دقائق للفظ . ايا كان يتولد من لا شيء - هذا هو مبدأ ميليسوس . بـ ١ فـ ١ - بالمصادفة - أخذت هذه الكلمة .

§ ٨ - لا مخلوقا أو مخلوقا - ما سبق فـ ٦ وقد اضطررت الى استعمال لا مخلوق ومخلوق لأنى لم اجد خيرا منهما فى لغتنا (الفرنسية) ولكنهما لا تحصلان بالضمط معنى الكلمات اليونانية . فان شيئا اذا صار فذلك بأنه ليس أزليا وبالأقل من جهة ان يصير وأن

§ ٩ - يقول غرغياس : رُد على هذا انه اذا شيء يوجد فليعزم ان يكون هذا الشيء واحدا او كثرة . فاذا لم يكن لا واحداً ولا كثرة فينتج منه الا يوجد شيء . ذلك الشيء لا يمكن ان يكون واحداً ، لان « الواحد » يجب ان يكن لا جسمانياً ولا جسمىً هو لا شيء ، كما يقول غرغياس متبعاً في ذلك رأياً يقرب كثيراً من رأى زينون . وبما ان الموجود لا واحداً ؛ فانه ليس ايضاً كثرة من باب اولي . ولكن الموجود بما هو لا واحد ولا كثرة فهو غير موجود البتة . وبالنتيجة يقول غرغياس ايضاً : اذا كان كذلك فما هو الا لا شيء . وفي الواقع اذا لم يكن لا واحداً ولا كثرة فانما هو ليس اياً كان .

§ ١٠ - يزيد على ذلك : لكن لا شيء ليس في حركة ، لانه اذا كان الموجود في حركة فلا يكون بعد هو ما هو . وحينئذ الموجود لا يكون بعد واللاموجود يصير شيئاً . وفوق ذلك بما أن الموجود يتحرك وينقطع عن ان يكون متصلاً بانتقاله فعلى هذا المعنى هو لا يكون بعد . وبالنتيجة اذا كان متحركاً في جميع اجزائه فهو منقسم في جميعها على الاطلاق ، واذا كان هكذا فليس موجوداً البتة . وفي هذا الصدد يقول غرغياس : أن الموجود هو

يتغير بالنتيجة . فاذا كان على الضد اذلياً لما كان ليصير بل يبقى هو ما هو . - ممنوع .
ممنوع - هذا التكرير هو في النص . ر . فلياً سيلي هذا التدليل مبسوطاً بأكثر من ذلك في تحليل سكستوس امبريوكوس .

§ ٩ - يقول غرغياس - النص لا يذكر غرغياس بالاسم وليس به الا فعل مسند الى ضمير الغائب . ر . فيما يتعلق بها الدليل الجديد تحليل سكستوس امبريوكوس . - يقول غرغياس - ليس في النص اسم غرغياس . رأى زينون . ر . ما سبق ألفا ٦ وبه ٣ في . - يقول غرغياس ايضاً - لم يسم هنا ايضاً .

§ ١٠ - لا شيء ليس في حركة - هذا الجزء من تدليل غرغياس ليس موجوداً في تحليل سكستوس امبريوكوس . وربما كانت هذه الادلة ضد الحركة متعلقة بزينون أكثر من سملقها بفرغياس . ولكن لا شيء في النص يدل على انه يلزم نسبها هنا الى زينون . - فلا يكون بعد هو ما هو - لان الحركة تقتضي دائماً تغيراً . - وحينئذ الموجود لا يكون بعد اذا كان الموجود لا يعدم بأكمله فيالقل يفقد منه جزء ويكون هو الذي يصير غير ما كان . - وينقطع عن أن يكون متصلاً - لا يرى لشيء يمكن أن يكون هذا لازماً لان الموجود يمكن الا يفقد شيئاً من اتصاله بنقلته . - في جميع اجزائه - عبارة النص ليست بيّنة جداً البيان . - يقول غرغياس - ليس في النص هنا ايضاً اسم غرغياس . - لوكيبيس فيما يسمى بمقالاته - يظهر أن المؤلف ، كما نبه اليه مللاج ليس هنا واقفاً من كتاب لوكيبيس .
قطع ديمقريطس للملاج ص ٣٧٤ ، يقول ديوجين اللايرني ب ٩ ف ٤٦ طبعة فيرمين ديدو ص ٢٣٨ ان ثيوفراست كان ينسب الى لوكيبيس كتاباً معنوناً «نظام العالم الكبير» الذي كان المقتله دائماً انه لديمقريطس . ر . ايضاً فيما سبق آراء لوكيبيس على الخط في كتاب الكون والفلساد ١ ب ٨ ف ٥ ص ٨٩ . وقد يظهر جلياً على حسب هذه الفقرة الاخيرة أن لوكيبيس كان قد كتب بعض مؤلفات يظهر ان المؤلف قد استخلص منها ما يقوله .

نأفص من جهة ما هو منقسم - وهو يتكلم على التجربة عرضاً عن أن يتكلم على الخلو كما كتبه لوكيبس فيما يسمى بمقالاته .

§ ١١ - يظن غريغاس انه في هذا قد وفي البيان حقه . يقول : اذا ثبت حينئذ ان لا شيء فالكل حينئذ يعزب عن علمنا . فلم يبق بعد من ثم الا ما يتصور . واللاموجود ما دام أنه غير كائن فلا يمكن البتة تصوره . ومتى كان هذا كمن من المحال ، على رأى غريغاس ، الا يكون هناك شيء باطل بل لا يكون خطأ ان يقال مثلاً : ان «العربات تدرج على امواج البحر» لان كل هذا حق كما أن نقيضه حق .

§ ١٢ - ولكن كيف توجد الاشياء التي ترى أو التي تسمح بهذا السبب وحده وهو ان يتصور كل واحد منها ! فاذا لم يكن ذلك هو السبب الذي يجعلها تكون ، واذا كانت الاشياء التي نتصورها لا توجد من أجل ذلك أيضاً ، فهل للاشياء التي نشاهدها وجود أدخل في باب الحقيقة والفعل من الاشياء التي نتصورها ؟ .

§ ١٣ - في الواقع ، كما أنه ممكن جداً أن كثيراً من الناس يشاهد الاشياء فكذلك من جهة أخرى كثير من الناس يتصورها أيضاً . فالاشياء الذهنية هي اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية . ولكنه لا يدري أى الفريقين هو الحقيقي . وبالنتيجة ان يوجد من شيء فمن المحال ان تكون الاشياء معلومة لنا .

§ ١١ - غريغاس - ليس غريغاس مذكوراً هنا أيضاً بالاسم . فالكل حينئذ يعزب عن علمنا - هذه هي النظرية الثانية لغريغاس . ما سبق به في تحليل سكستوس أمبريكوس . فلم يبق من بعد من ثم - ليس النص على هذا القدر من البيان . فلا يمكن البتة تصوره - وغريغاس مع ذلك يتصور اللاموجود مادام انه يتكلم عنه . وكل هذا مبسوط في تحليل سكستوس أمبريكوس . على رأى غريغاس - كذلك لم يسم هنا . العربات تدرج على امواج البحر . فيما سيلي تحليل سكستوس أمبريكوس حيث هذا المثل المذكور ومضاف الى مثل غيره .

§ ١٢ - ولكن كيف - قد احتفظت بصيغة النص . ولكن من البين ان الجملة هنا غاية في الإيجاز وان الفكرة ليست مبسطة البسط الكافي . وتحليل سكستوس افضل في هذا الموطن . لا توجد من أجل ذلك أيضاً - لاننا نبصرها وفي هذه مجاوزة باللا أدري الى مدى بعيد . ولكن تلك كانت هي عادة السفسطائيين اذ يلذ لهم ان يقتحموا الذوق العام .

§ ١٣ - هي اذا على الاطلاق مثل الاشياء الخارجية - ليس النص على هذا القدر من الصراحة . والتعبير الاغريقي أعم ولكن المعنى بين الجلاء . ولكنه لا يدري - تلك سفسطة محضة لأنه في هذا الخصوص ، اللادري لا يتردد أكثر من العامي ويعتقد حقيقة أدراكاته . وبالنتيجة - النتيجة ليست لازمة . وفي تحليل سكستوس هذا الدليل اقوى وامتن دون ان يكون بالغاً حد القوة .

§ ١٤ - يقول غريغاس : حتى مع التسليم بأنها معلومة لنا فهل يمكننا أن ننقل التعبير عنها الى الغير ؟ كيف يمكن الانسان ان يعلم غيره بطريق الكلام ما قد شاهده هو بالنظر ؟ وكيف يمكن الانسان لمجرد سماعه شيئا ان يفهمه جليا اذا لم يكن قد رآه ؟ وفي الواقع كما ان النظر لا يدرك الاصوات كذلك السمع الا يسمع الالوان ولا يسمع الا الاصوات ، فالذي يتكلم يتكلم كلاما ولا يتكلم لونا ولا أى شيء آخر ايا كان .

§ ١٥ لكن كيف يمكن ان يلتبس المرء فى كلام الغير شيئا لم يكن هو نفسه قد تصوره ؟ هل يتفق بالمصادفة ان توجد دلالة اخرى ، تطبيق فكرة الشيء ان لم يكن لونه حينما يرى وصوته حينما يسمع ؟ لاننا كبدا هاهنا على رأى غريغاس ليس هو لا الصوت ولا اللون بل هو مجرد الكلام . فلا يفكر الانسان لونا بل يراه ولا يفكر صوتا بل يسمعه .

§ ١٦ - لنفترض ، اذا شئت ، ان ذلك ممكن وأن الذى يتكلم يعلم الشيء وعند الحاجة يمكنه ان يعرفه كيف أن الذى يسمع الكلام يكون موقنا بأنه يفهم الشيء بعينه على هذا النحو ؟ لانه ليس ممكنا أن يكون الشيء بعينه فى آن واحد فى كائنات عدة وفى كائنات منفصلة لانه حينئذ يكون الشيء الواحد عدة . يقول غريغاس : ولكن شيئا واحدا ولو كان فى آن واحد فى عدة أذهان وكان فيها هو بعينه فلا شيء يمنع أنه يظهر متاثلا عند جميع الاشخاص الذين هم انفسهم ليسوا متماثلين فى الظاهر والذين هم ليسوا على استعداد واحد بعينه .

§ ١٤ - حتى مع التسليم - مناقشة النقطة الثالثة - ما سبق به فـ ، وتحليل سكستوس أمبيريكوس . - يقول غريغاس - ليس فى النص الا فعل مستند الى ضمير الغائب - لا يدرك الاصوات - قد كان الاحسن ان يقال : « لا يرى الاصوات » ولكن اتبعت النص الذى يتخذ تعبيرا عاما كالى اتخذته . - فالذى يتكلم يتكلم كلاما - هذا التكرير فى النص .

§ ١٥ - ان يلتبس - هذه هى عبارة النص بعينها . - بالمصادفة - أضفت هذه الكلمة لبيان الفكرة - دلالة اخرى - ليس النص على هذا القدر من الضبط . - على رأى غريغاس ليس غريغاس مذكورا بالاسم هنا . وان المعنى الذى اختاره فى ترجمتى هو الاحسن فإنا يظهر لى . ولكن يمكن أن تفهم هذه النقطة على وجه آخر : « الذى يتكلم لا يتكلم لا الصوت ولا اللون انه لا يتكلم الا الكلام » ولا يكون هذا الا تكريرا لما قيل آنفا . وهذا هو الذى حملنى على اتخاذ المعنى الذى اخترته .

§ ١٦ - وعند الحاجة - أضفت هذه العبارة . - ان يفهمه - « ان يقرأه » متى كان مكتوبا . - يكون موقنا - عبارة النص « يفهمه » . - أن يكون الشيء بعينه لم أن واحد - هذا يقتضى أن يكون الشيء حقيقيا فى الذهن كما هو فى الخارج وهذا ما قد ذكر فيما سبق وعلى حسب هذه النظرية يمكن أن يقال على الشيء انه محال لا لشيء الا لانه معا فى عدة أحياء أو موجودات . ومع ذلك ففى الفكرة شطط . - الشيء الواحد - عبارة النص « الواحد » . - يقول غريغاس - لم يذكر فى النص اسمه . - فى الظاهر - زدت هذه العبارة . - على استعداد واحد بعينه - عبارة النص غير محددة .

§ ١٧ - لنسلم أيضا أنهم في استعداد واحد أفلا يكونون إذا اثنين بالاقبال أو عدة ؟ ولكن الشخص بعينه ليس له في الوقت الواحد احساسات متشابهة فان سمعه وبصره يعطيان احساسات مختلفة ، والاحساسات التي به في الحال هي مغايرة لاحساسات سابقة . فباطل اذا أن تظن أن غيرك يمكن أن يكون له ادراكات شبيهة بادراكاتك في أى شيء كان .

§ ١٨ - على هذا لا يمكن العلم بشيء ما مع التسليم بوجود شيء ما . خصوصا انه لا يمكن البتة للانسان ان يعلم غيره ما يعلم هو ، لان الاشياء ليست اقوالا وانه لا شخص يمكنه البتة أن يفهم بالضبط ما يفهمه شخص آخر .

§ ١٩ - كل هذه المسائل المحيرة قد اثارها فلاسفة آخرون اقدم عهدا . وسندرس هذه النظريات عند البحث الذي سنعقده لمذاهبهم المختلفة .

§ ١٧ - أفلا يكونون اذا اثنين - ليس اعني بيئا بوقد حاولت أن ابيها باضافة كلمة « بالاقبال » . ومع ذلك يظهر لي أنه يمكن قبول سلسلة هذه المعاني التي هي مؤلفة النتائج بعضها مع بعض . في الوقت الواحد - عبارة النص هي كالعبارة المذكورة في الفقرة السابقة ولكنه يكملها بأن اضاف اليها كلمة الوقت التي ربما يلزم أن تكون مقدرة في الفقرة السابقة .

§ ١٨ - عل هذا لا يمكن العلم بشيء ما - ملخص نظرية غريغاس . ر . ما سبق به . ٦ - مع التسليم بوجود شيء ما - النقطة الاولى التي كان ينكرها غريغاس الذي هو من التبصر والا ادريه بمكان .

§ ١٩ - اقدم عهدا - من غريغاس . وربما على هيرقليدس الا فيزوسى . الذى سنعقده ليس النص على هذا القدر من الصراحة ولكن يظهر انه يعد بكتاب آخر بعد هذا .

قسط من ميليسوس

١

قال سمبليسيوس في شرحه كتاب الطبيعة لارسطو (الورقة ٢٢) :
فلننظر اذا الى أدلة ميليسوس وهو الاول الذي انحى عليه أرسطو . ان
ميليسوس معتمدا على مبادئ الطبيعيين (١) في كون الاشياء وفسادها ؛
يبدأ كتابه بالعبارات الآتية :

« ان لم يوجد شيء كيف يمكن بأى حال اعتبار هذا الاشياء » كانه
شيء ما ؟ « ان كان يوجد شيء ما فهذا الشيء اما مولود واما ازل . فان كان
مولودا وكان قد كوّنه فهو لا يمكن أن يأتي الا من الموجود أو من اللاموجود
ونكن ليس ممكنا أن ما ليس شيئا ، وبالأولى ما هو موجود على الاطلاق ،
يمكن البتة ان يأتي مما ليس موجودا . كما لا يمكن ايضا ان يأتي مما هو
موجود لان الموجود حينئذ يكون قد وجد ولم يكن به من حاجة الى ان يصير
وان يوجد . اذا الموجود لا يمكن ان يصير اذا فهو اذلى . ومن جهة
اخرى الموجود لا يمكن ان يفسد ، لانه ليس ممكنا أن الموجود يتغير الى
لا موجود . وتلك هي نقطة يوافق عليها الطبيعويون . ليس ممكنا ايضا
أن الموجود يتغير الى اللاموجود لانه بهذه الطريقة أيضا الموجود يبقى ولا
يفسد . على ذلك فالموجود ما كان ليتمكن أن يولد ، وانه لن ينعدم ، فقد كان
وسيجوز أبدا » .

٢

سمبليسيوس . المرجع السابق

« لكن اذا كان ما قد ولد له أول فالذي لم يولد ليس له أول .
فاذا كان الموجود ليس مولودا فلا يمكن ان يكون له أول كذلك . ويمكن
أن يزداد على ذلك ان ما قد فسد له آخر ، ولكن اذا كان شيء غير قابل
للفساد فليس له آخر ممكن . اذا فالموجود بما هو غير قابل للفساد ليس
له من آخر . وما ليس له لا أول ولا آخر هو بهذا عينه لا متناه . واذا
فالموجود لا متناه » .

(١) الطبيعويون . هم فلاسفة مدرسة يونيا . ر . الطبيعة لارسطو ك ٢ ب ٩ ص
٤٣٣ من ترجمتنا .

٣

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كان الموجود لا متناهيًا فهو واحد • لانه اذا كان موجودا فلا يمكن ان يكونا لا متناهيين مادام انهما يحدان بعضهما بعضا • وبما ان الموجود هو لا متناه فالموجودات لا يمكن ان تكون كثرة • واذا فالموجود هو واحد » •

٤

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« اذا كن الموجود واحدا فهو بالتبع لا متحرك • لانا الموجود بما هو واحد هو على الدوام مشبه لذاته • الموجود بما هو باق على الدوام شبيها لذاته لا يمكن ان ينعدم ولا ان ينمو ولا ان يتغير ولا ان يتأثر ولا ان يضمحل • فاذا كانا يعاني أدنى واحد من تلك التأثيرات فلا يكون بعد واحدا • لان موجودا يعاني حركة من أى جنس كان يتغير من حالة ما الى اخرى • والموجود لا يمكن ان يكون شيئا الا الموجود • وبالنسبة الموجود لا يمكن ان يكون له حركة » •

٥

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« ومن جهة اخرى لا شيء من الموجود يمكن ان يكون خلوا لان الخلو ليس شيئا • والاشياء لا يمكن ان يكون • واذا فالموجود لا يتحرك • لانه ما دام انه لا خلوا فلا مكان فيه يمكنه ان يتحيز • ولكن ليس ممكنا ان يدخل الموجود في ذاته ما دام أنه يلزم على ذلك اذا أن يكون أكثر تخلخلا او أكثر كثافة مما هو • وهذا ممتنع لانا المتخلخل لا يمكن ان يكون مليئا كالكثيف وما هو متخلخل هو اشد خلوا مما يمكن الكثيف ان يكونه • اذا الخلو لا يوجد • للحكم على الموجود أهو مليء ام لا فذلك يمكن معرفته بأن ينظر هل هو يمكنه او لا يمكنه ان يقبل في ذاته شيئا ما • فان لم يقبل فذلك بأنه مليء • وان يقبل فذلك بأنه ليس مليئا • لكن اذا لم يكن خلوا فمن ثم كل شيء مليء • واذا كان الكل مليئا فلا حركة بعد • لانه ليس ممكنا ان تقع الحركة في الملاء كما نقوله حين نتكلم على الاجسام • واخيرا

فالموجود الذى هو الكل لا يمكن أن يتحرك فى الموجود ما دام أنه لا شيء خارج عنه ، ولا فى اللاموجود ما دام اللاموجود ليس موجودا .

٦

سمبليسيوس • الورقة ٣٤

« لاثبات ان الموجود لا يمكن ان يكون قد خلق يعتمد ميليسوس على هذه القاعدة العامة : ما قد كان قد كان دائما ويكون دائما • لانه اذا كان قد ولد فى لحظة ما ، فيلزم أنه لم يكن شيئا قبل أن يولد • فاذا لم يكن شيئا حينئذ فقد كان من « الممتنع أن شيئا يولد من لا شيء » .

٧

سمبليسيوس • الورقة ٧ ، ٩ ، ٢٣

« قد وجه نقد الى ميليسوس هو ان لفظ البداية متعدد المعاني • فعوضا عن أن يأخذ البدايه بالاضافة الى الزمان الخاص بالموجود الدائن أخذ البداية بالاضافة الى الشيء تلك البداية التى لا يمكن ان تنطبق على الاشياء التى تتغير دفعة واحدة • فلفقه رأى ميليسوس ، حتى قبل ارسطوطاليس ، ان كل جسم متناه مع انه ازلى ليس له الا قوة متناهية وان هذا الجسم معتبرا فى ذاته فهو دائما على حد الزمان • • • • • بحيث انه بما أن له من جهة العظم بداية ونهاية يجب ان تكونا كلتاهما له على السواء بالاضافة الى الزمان • وعلى التكاثر : ما له بداية ونهاية بالاضافة الى الزمان لا يمكن معاً ان يكون الكل • ومن أجل ذلك يسند ميليسوس برهانه الى البداية والنهاية مطبقتين فقط على الزمان • ولا يسمى بلا بداية وبلا نهاية ما ليس الكل • يعنى ما ليس معاً العالم اجمع • وهذا لا ينطبق الا على الاشياء التى لا اجزاء لها وغير المتناهية فى وجودها ، وينطبق على الخصوص على الموجود المطلق ما دام الموجود المطلق هو بالضبط الكل • وهاك مع ذلك أقوال ميليسوس اعيانها :

«على ذلك ما لم يكن قد كون فهو كائن دائما وقد كان دائما وهيكون دائما ، فليس له اول ولا آخر ، ولكنه لامتناه • فاذا كان قد كون فيكون له اول لانه يكون قد بدأ يصير فى حين ما ، ويكون له ايضا آخر لانه يكون قد انقطع ايضا عن ان يصير • فاذا لم يكن قد بدأ قط واذا لم يكن قد انتهى قط فذلك بأنه قد كان دائما ويكون دائما بما انه ليس له لا اول ولا آخر لان ما ليس الكل لا يمكن أن يصل الى أن يكونه » .

٨

سمبليسيوس • الورقة ٢٣ •

كما أن الموجود أزلى كذلك يلزم أن يكون عظمة أبديا لا متناها .

٩

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« ما له أول وآخر لا يمكن البتة أن يكون أزليا ولا لا متناها » .

١٠

سمبليسيوس • المرجع السابق •

« إذا لم يكن هو أحد فهو يحد آخر » .

١١

سمبليسيوس • الورقة ٢٤ •

« إن لغة ميليسيوس نفسه يمكن أن تكون قديمة ولكنها ليست غامضة . وقد يمكننا أن نضع تحت الانظار هذه المؤلفات العتيقة حتى يتهيا للذين يقرءونها أن يكونوا قضاة يحسنون الحكم في ايضاحات اضبط وأوفى . وهناك إذا ما يقول ميليسيوس ملخصا ما قد بسطه في الماضي ومتابعا نظريته على الحركة :

« على هذا إذا فالعالم ، الكل ، هو أزلى لامتناه واحد ومتشابه . إنه لا يمكن أن يفنى ولا يمكن أن ينمو ولا يمكن أن تتغير صورته ولا يمكن أن يقبل ولا يمكن أن يضمحل . فإذا هو عانى شيئا من ذلك فلا يكون واحدا . وفي الحق أنه إذا صار الموجود غيرا فيلزم ضرورة ألا يكون متشابها وأن الموجود الأول يفنى وإذا اللاموجود يصير . ولو اقتضى الكل ثلاثين ألف عام ليصير غيرا لانتهى بأن يفنى في كل ما يلي من الزمان » .

١٢

سمبليسيوس • المرجع السابق :

« ولكن لا يمكن أن تتغير صورته ، لان النظام المتقنم للعالم لاينعدم والنظام الذي لم يكن بعد لا يتكون . ولكن ما دام أنه لا شيء يولد من

جديد وما دام انه لا شيء ينعدم وما دام انه لا شيء يتغير كيف يمكن ان
أى موجود اتفق يمكن ان تتغير صورته ؟ انه يكون قد تحول من قبل
اذا كان يمكن ان يصير غير ما هو .

١٣

سمبليسيوس . المرجع السابق :

« انه لا ينفعل لان الكلي لا يمكن ان ينفعل ما دام انه لا يمكن ان
شيئا قابلا يكون ازليا . ومن ثم لن يكون له بعد قوة شيء يكون في كمال
الصحة . وكذلك هو لا يكون متشابها اذا كان ينفعل . انه لا يمكن
ان ينفعل الا اذا فقد ان كسب شيئا . وبهذا وحده ينقطع عن ان يكون
متشابها . كذلك ليس من الممكن ان شيئا صحيحا ينفعل بأى ما كان
لانه حينئذ الموجود وهذا الصحيح ينعدم واللاموجود يكون . والدليل
عينه الذى ينطبق على الانفعال ينطبق ايضا على أى اضمحلال ما للموجود »

١٤

سمبليسيوس . القطعة ٩ و ١٧ و ٢٤ :

« لا شيء من الخلو بموجود ، لان الخلو ليس شيئا . وبما هو لاشيء
لا يمكن ان يكون . الموجود لا يتحرك لانه لا محل يمكنه ان يستقر فيه
ولكن الكل هو ملء . اذا كان خلو فالموجود يتحيز فى الخلو . ولكن ما
دام أنه لا خلو فلا محل يستقر فيه . ما دام الكل ملئا فلا حركة . كذلك
لا يكون لا كثيفا ولا متخلخلا لانه ليس ممكنا ان يكون المتخلخل مليئا
كالكثيف سواء بسواء . والمتخلخل هو أخلى من الكثيف . اليك كيف
يلزم الحكم فى الملء والخلو »

واذا كان شيء يتحيز او يقبل شيئا ما فذلك بأنه ليس مليئا . فاذا
لم يتحيز او اذا لم يقبل فذلك بأنه ملء . اذا ليس الا الملء اذا لم يكن
خاو . اذا كان اذا الكل هو ملئا فلا حركة ممكنة »

١٥

سمبليسيوس . المرجع السابق الورقة ٢٤ :

« اذا تجزأ الموجود تحرك ، ولكن حينئذ لا يتحرك كله معا »

١٦

سمبليسيوس • ما سبق الورقة ١٩ :

« وإذا كان الموجود يوجد فيلزم ان يكون واحدا • وبما هو واحد يلزم في آن واحد الا يكون جسما • لانه اذا كان له سمك كان له ايضا اجزاء ولا يكون بعد واحدا » •

١٧

سمبليسيوس • شرح كتاب السماء • الورقة ١٧٣ :

« او سيب وهو يستشهد ارسطوقلس (Preparation Evangelique XV) هذا هو اذا الدليل الاقوى على اثبات وحدة الموجود • ولكن هاك من جهة اخرى أدلة تثبتها ايضا • ان كان موجودات متكررة فيلزم ان يكون كل واحد منها كالموجود الذي اثبتت وحدته • اذا كان الارض والنار ، واذا كان الهواء والحديد ، والذهب والنار اذا كان الحى والميت ، اذا كان الابيض والاسود وسائر الاشياء التى يعتبرها الناس حقائق ، هى موجودة فى الواقع كما يقال ، فيلزم ان يكون كل شئ على الحقيقة هو ما قد ظهر لنا بادى الامر ، وانه لا يتغير حاله ، وانه لا يصير غيرا بل يبقى دائما هو ما هو • ولكننا نعتقد فى حالة الاشياء الراحنة اننا نحسن رؤيتها ونحسن استماعها ونحسن ادراكها • فالخار يظهر لنا انه يصير باردا والبارد يصير حارا والصلب يصير ليئا واللين يصير صلبا والحى يظهر لنا انه يموت ويتولد ثانيا مما ليس خيا بعد ، فالكل بلا استثناء يظهر لنا انه يصير غيرا • ولا شئ يظهر بانه يبقى فى الحالة بعينها التى كان فيها والتى هو فيها • الحديد نفسه مهما كان صلبا ينبرى بلامسة الاصبع • والذهب والحجر واى جسم آخر مما يظهر لنا صلبا هكذا تأتى من الماء كما تأتى منه الارض والحجر • وبالنتيجة يمكن ان يقال اننا لانرى ولا نعرف الموجودات فى حقائقها • على ذلك فكل ذلك ابعد من ان يتطابق • اننا نقول حقا على بعض الاشياء انها ازلية ومع ذلك نرى صورها كلها وخواصها كلها تتغير تحت اعيننا وتنقطع عن ان تكون على ما قد كنا رايناها عليه فى كل حالة خاصة • اذا يلزم التسليم باننا لا نحسن رؤية الاشياء وان ظهور الاشياء لنا متكررة انما هو خطأ • لانها لو كانت حقيقية ما تغيرت ولكنها تكون على ما يظهر لنا كل واحد منها انه موجود ، ما دام انه لا شئ فوق الموجود الحقيقى • ففى التغير قد هلك الموجود ، وهذا الذى يتكون هو اللاموجود • حينئذ مرة ثانية اذا كانت الاشياء متكررة كما يقال فيلزم انها كانت على الاطلاق كما يكون الموجود اللاحد » •

تحليل نظرية غرغياس

لسكستوس أميريكوس

(Adversus Mathematicos Logicos)

« ك ٧ ، ص ٣٨٥ ، طبعة ١٨٤٢ »

قال سكستوس بعدان أثنى على فروطاغوراس وأوتيديم وريونيسودور
الذين لم يعترفوا بالموجود وبالحقيقة الا فى الاضافى :

« غرغياس الليونتيومى قد تبوأ مكانا ايضا فى طائفة الفلاسفة
الذين انكروا ملكة الحكم . ولكنه لم يتخذ فى هجماته الطريقة التى اتخذها
فروطاغوراس . فانه فى كتابه المعنون « فى اللاموجود او فى الطبيعة »
يقرر النقط الثلاث الآتية : اولا انه لا شىء بموجود . وثانيا انه اذا كان
شىء موجودا فذلك الشىء هو غير قابل لان يدركه الانسان . واخيرا وثالثا
ان هذا الشىء لو كان قابلا لادراكنا لما أمكن التعبير عنه ولا تفهيمه الغير .

« واليك كيف يثبت النقطة الاولى وهى ان لا شىء بموجود . اذا
كان شىء موجودا فانما هو الموجود او اللاموجود أو الموجود واللاموجود
معا . ولكن الموجود ليس موجودا كما سيبسطه . واللاموجود كذلك
ليس موجودا كما سيبينه . واخيرا ما هو معا موجود ولا موجود لا
يوجد كما سيبينه . اذا لا شىء بموجود . بديهى ان اللاموجود غير
موجود . لانه اذا كان اللاموجود موجودا فينتج منه انه يوجد ولا يوجد
معا . لانه من جهة أنه متصور لا موجودا قلن يوجد ، ومن جهة أنه
اللاموجود فهو سيوجد من جديد وعلى العكس . ولكن من السخف ان
شيئا يكون ولا يكون معا . اذا اللاموجود غير موجود البتة . أضف الى
ذلك أنه من جهة نظر أخرى اذا كان اللاموجود موجودا فالوجود حينئذ لا
يوجد لانهما على التكافؤ ضدان احدهما للآخر ، واذا كان الموجود يصل
الى اللاموجود فاللاموجود يصل الى الموجود .

ولكن ما دام الموجود ليس موجودا فاللاموجود ليس موجودا من باب
اولى . على هذا اقول : ان الموجود ليس موجودا . لانه اذا كان الموجود
موجودا فانما أن يكون أزليا واما أن يكون مخلوقا واما ان يكون معا ازليا
ومخلوقا . ولكن ، كما سنبرهنه ، الموجود ليس لا ازليا ولا مخلوقا ولا
كليهما معا . اقول : اذا ان الموجود لا يكون . لانه اذا كان الموجود ازليا

مادام انه يجب الابتداء بذلك ، فليس له اول وكل ما يولد له اول . والازلى بما هو لم يخلق لا يمكن ان يكون له اول ما . وبما هو ليس له اول فهو لامتناه . وبما هو لامتناه فليس في أى مكان ما . وفى الحق انه اذا كان فى مكان ما فيلزم انه كان موجود آخر غيره وفيه يوجد . واذا كان الموجود محوبا هكذا فى شىء ما فلا يكون بعد لامتناهيا ما دام ان الحاوى هو اكبر من المحوى . ولا يمكن ان يكون شىء اكبر من اللامتناهى . اذا اللامتناهى ليس فى حيز ما .

ولكن اللامتناهى لا يمكن ان يكون كذلك محويا فى ذاته لانه اذا يكون المحل والحال يشتبهان ويصير الموجود اثنين : المحل اولا ثم الجسم . فان ما فيه الجسم هو الحيز وما فى الحيز هو الجسم . ولكن هذا سخف . وبالنتيجة فالموجود ليس كذلك حالا فى ذاته . وبالنتيجة ايضا اذا كان الموجود أزليا فهو لا متناه . وبما هو لا متناه فهو ليس فى أى حيز . وبما هو ليس فى حيز فهو غير موجود . اذا كان اذا الموجود أزليا فلا يمكن ان يكون له كذلك اول .

ومن جهة اخرى الموجود لا يمكن كذلك ان يكون قد خلق . فاذ كان بالمصادفة قد ولد فيجب ان يكون قد أتى من الموجود او من اللاموجود . ولكنه لا يمكن ان يكون قد أتى من الموجود لانه اذا كان الموجود موجودا فذلك بأنه لم يكن قد ولد وانه موجود من قبل . ولا من اللاموجود مادام اللاموجود لا يمكن ان يكون شيئا ما ايا كان مادام ان ماهو قادر على ان يكون شيئا يجب بالضرورة ان يكون قد شارك فى الوجود . اذا فالموجود لا يمكن ان يكون قد خلق .

وقد اثبت بالأدلة عينها ان الموجود لا يمكن ان يكون الاثنى معا . اعني أزليا ومخلوقا معا . وفى الحق ان هذين المعنيين يتفاسدان . واذا كان الموجود أزليا فهو لم يولد . واذا ولد فليس أزليا . حينئذ مسرة اخرى ، الموجود بما هو لا أزلى ولا مخلوق ولا الاثنان معا فذلك بأنه لا يوجد البتة .

دليل آخر : اذا كان الموجود يوجد فهو واحد أو كثر . ولكن الموجود ليس واحدا ولا متكثرا كما نعتى ذلك . ومن ثم فالموجود ليس البتة . فاذا افترض واحدا فهو اما كم واما متصل واما عظم ما واما جسم . ولكن ماهو فى أى ما من هذه الاحوال ليس بعد واحدا . وفى الحق أنه اذا كان الموجود كبا فيكون منقسما . واذا كان متصلا فيمكن فصله . واذا افترض له فى الذهن عظم فلا يكون بعد غير منقسم . واذا ذهب الى حد ان يجعل جسما فاذا يكون له الأبعاد الثلاثة ، وبعبارة اخرى

يكون له طول وعرض وعمق • ويكون مما لا يستطيع تأييده ان يدعى
ان الموجود ليس على الاطلاق شيئا من ذلك كله • واذا فالموجود ليس
واحدا •

أقول : ان الموجود ليس كذلك متكثرا لانه ما دام ليس واحدا لا
يمكن بعد ان يكون كثرة • وفي الحق أن كثرة لا تتألف الا من تركيب
الوحدات • ومتى نفيت الوحدة انتفتت الكثرة حتما •

حينئذ على ما تقدم كله يرى جليا ان الموجود ليس اكثر وجودا من
اللاموجود • ويمكن ان يستنتج منه ان الموجود ليس كذلك الموجود
واللاموجود معا • اذا كان الموجود ، فى الحق ، هو مايوجد ومالا يوجد
فحينئذ اللاموجود يتحد مع الموجود فى أمر الوجود • ومن ثم لا يوجد
لا احدهما ولا الآخر • فأما ان اللاموجود لا يوجد فهذا موضع اتفاق
جميع الناس • ولكن قد قرر آنفا ان الموجود يتماثل مع اللاموجود •
فالموجود اذا ليس يوجد كذلك • ولكن اذا كان الموجود مماثلا للاموجود
فلا يمكن ان يكون الاثنين معا • فاذا كان الاثنين معا فلا يكون مماثلا
واذا كان مماثلا فلا يكون الاثنين • وينتج منه أن الموجود هو لا شيء •
لانه اذا لم يكن لا الموجود ولا اللاموجود ولا كليهما ، ولا شيء وراء ذلك ،
فذلك بأن الموجود ليس شيئا •

الآن يلزمنا ان نوضح انه ان كان من شيء فذلك الشيء غير معروف
للانسان وان عقله لا يمكن ان يفهمه • يقول غريغاس : اذا كانت تصورات
عقلنا ليست موجودات فالموجود لا يمكن أن يتصور • وذلك بسيط
كل البساطة • وفى الحق ، كما انه اذا كانت الاشياء التى نتصورها بيضاء
هى فى الحقيقة متصورة بيضاء فكذلك الاشياء المتصورة ليست موجودات ،
فينتج منه بالضرورة الختمية أنه لا يمكن ان تتصور موجودات حقيقية •
وهذا دليل صحيح تام الصحة ومنتج جد الانتاج • فاذا كانت الاشياء
المتصورة ليست موجودات فالموجود لا يمكن ان يتصور الاشياء
المتصورة ليست موجودات كما سنقره • وذلك فرض اولينبغى التسليم
به • اذا الموجود ليس متصورا • فأما ان الاشياء المتصورة ليست
موجودات فذلك ما هو بين بذاته • لانه اذا كانت التصورات هى الحقائق
فحينئذ كل ما يتصور يوجد وعلى الوجه الذى تصور به ايا كان هذا
الوجه • وهذا هو سخييفه بالبداهة وافتراضه غير معقول بالمرّة • مثال
ذلك : اذا شاء المرء ان يفترض انسانا يطير فى الاجواء وعزبات تدرج
على الامواج ، فلا ينتج من ذلك وحده ان الانسان يستطيع ان يطير والعربات
تدرج على امواج البحر • على هذا فتصورات التى تتصور ليست حقائق •

يلزم ان يزداد على هذا انه اذا كانت الاشياء المتصورة موجودات فينتج منه ان الاشياء التي ليست موجودة لا يمكن ان تتصور . لان الخواص المتضادة تتعلق بالاضداد . واللاموجود هو نقيض الموجود . فاذا كان اذا الموجود يمكن ان يتصور كما قد يعتقد فينتج منه ان اللاموجود لا يمكن ان يتصور . وهذا سخف . لان الانسان يتصور «سجلا» و«الشيمير» واشياء شتى اخرى ليس لها وجود ما . اذا الموجود ليس متصورا . وكما ان الاشياء المرئية هي بذلك يقال عليها انها قابلة لان ترى وان الاشياء المسموعة يمكن ان يقال عليها انها قابلة لان تسمع لان الانسان يسمعها وان المرء لا ينكر الاشياء المرئية لانه لا يسمعها كما انه لا ينكر الاشياء القابلة لان تسمع بحجة انه لا يراها فان كل واحد من هذه الاشياء يجب ان يحكم عليه بحاسته الخاصة لا بحاسة أجنبية ، كذلك الامر في الاشياء المتصورة لانه لا يمكن ان ترى بالنظر ولا ان تسمع بالسمع ما دام انها مدركة بالحاسة الخاصة بها . وبالتبع اذا كان امرؤ يتصور العربات تدرج على المياه ولا يراها فلا يلزم منه انكار ان العربات تدرج على الماء . ولكن هذا سخف . واذا فالوجود ليس متصورا ولا يمكن ان يفهم .

ولكن بافتراض انه يفهم فلا يمكن نقله الى الغير . وفي الحق ان الموجودات التي يمكن للمرء ان يراها ويسمعها وعلى وجه العموم ان يحسها هي مفروضة خارجة عنا ومن بينها المراتب مدركة بالنظر وما يمكن سماعها مدركة بالسمع دون ان يكون البتة عكس ممكن ، فكيف يمكن حينئذ التعبير عنها للغير . وفي الواقع ان طريقة الايضاح التي عندنا هي الكلام ، والكلام ليس هو الاشياء نفسها ولا الموجودات . اذا ليست الموجودات هي التي نعبر عنها للغير بل هو الكلام وحده الذي هو على الاطلاق خلاف الحقائق أعينها . واذا فكما ان المرئي لا يمكن ان يصير قابلا لان يسمع وعلى التكافؤ ، فكذلك الموجود المفروض انه خارج عنا لا يمكن ان يصير هو كلامنا . وبما ان الكلام ليس موجودا فليس من الممكن التعبير عن شيء ما للغير . وفي الواقع ان المقالة - كما يقبل غريغاس - لا تتألف الا من اشياء خارجية تأتي فتقع في ذهننا اعني اشياء تدركها حواسنا . وعلى هذا فعلى اثر تسلط ذوق ما في الاشياء المدركة يتكون عندنا الكلام الذي نعبر به عن هذا الكيف الخاص . وتبعاً لتدخل اللون يتكون الكلام الذي نعبر به عنه . فاذا كان هذا هكذا فليس الكلام هو الذي يمثل ما هو في الخارج بل هو الشيء الخارجي الذي يعين الكلام . لا يمكن ان يقال : ان الكلام هو على الوجه الذي عليه الاشياء المرئية او المسموعة بحيث ان الكلام بافتراضه يمكن ان يستدل به على الموجودات والموضوعات الخارجية . يقول غريغاس : لانه اذا كان الكلام هو ايضا موضوعا فهو يختلف بالاقل عن جميع الموضوعات الاخرى . ومثال ذلك

أية مسافة لا تكون بين الأشياء المرئية وبين الكلمات التي تعبر عنها ؟
 وفي الحق انه انما يختلف العضو الذي تدرك به الأشياء المرئية والذي
 يدرك به الكلام الذي يعبر عنها . وعلى ذلك فالكلام لا يمكن ان يبين
 الجزء الاعظم للأشياء الخارجية بذواتها ، كما ان أكثر الأشياء لا يمكن على
 التبادل ان يبين بعضها طبع البعض الآخر .

تلك هي أدلة غرغياس التي هي على قدر قيمتها تفسد كل مقياس
 للحق ، لانه ليس بعد من مقياس ما دام ان الموجود ليس موجودا ، وانه
 لا يمكن ان يعلم ، وانه ليس قابلا لأن ينقل علمه الى الغير .

راجع أيضا Hypotyposes Pyrrhoniennes ك ٢ ب ٦ ف
 ٥٧ و ٥٩ و ٦٤ - ص ١٣٤ و ١٣٦ من طبعة سنة ١٨٤٢

فهرس

كتاب الكون والفساد

مقدمة المترجم

بارتلى سانتيلير

(اصول الفلسفة الاغريقية)

صفحة

هذان الكتابات اللذان جمع بينهما في هذا السفر هما حملة مدرسة ايليا التي هي من اقدم مدارس الفلسفة اليونانية - مهد الفلسفة هو في مستعمرات شواطئ آسيا الصغرى : طاليس وفيثاغورث واكسينوفان ٥٠ الف ، وسابقوهم الحقيقيون بالاعجاب : هوميروس وسافو ٥٠٠ الف - علم الفلك والرياضيات والتاريخ والطب ٥٠٠ الف ٥٠٠ - الاتحادات الثلاثة : الايوليون في الشمال ، واليونان في الوسط ، والدوريون في الجنوب - جملة الخواص الكبرى التي تدخل في امرها الفلاسفة من طاليس الى ميليسوس من السنة ٦٢٠ الى السنة ٤٣٠ قبل الميلاد - حرب يونيا مع ليديا ومع مملكة الفرس - الوسائل المادية التي كانت عند الاقدمين لكتابة المؤلفات - الكتب من طاليس الى زمن ارسطو طاليس - شهادات هيرودوت وطوكوديدس واكسينوفان وافلاطون وارسطو - الاستعمال العام لورق البردي المصري - صنع الورق على قول بلاين - رسائل شيشيرون - ايضاح هذه الخواص - ورق البردي المحفوظ في دور الآثار عندنا (فرنسا) - محابر واقلام الكتبة التي يرجع تاريخها على الاقل الى نحو خمسة وعشرين قرنا - اولية الفلسفة اليونانية - كونها لا تدين بشيء للشرق - المقارنة بينها وبين الفلسفة الهندية - خلاصة القول على مدرسة ايليا - المعنى الحقيقي لنظرية الوحدة

الكون والفساد

الكتاب الأول

صفحة

الباب الأول - الموضوع العام لهذا الكتاب - تمحيص المذاهب السابقة - آراء مختلفة - تمحيص نظريات انكساغوراس ولوكيبس وديمقريطس - نقض خاص للمذهب أمبيدقل - الاستشهاد ببعض آبياته - المعاني المختلفة التي يحمل عليها كون الاشياء تبعا لما يسلم به من الوحدة أو التعدد للمناصر الأولية ٨٩

الباب الثاني - عدم كفاية نظرية أفلاطون - عود على نظرية ديمقريطس ولوكيبس - نظرية جديدة على كون الاشياء وفسادها - النمط المتبع - أهمية مسألة الذوات - رأى ديمقريطس ولوكيبس - رأى أفلاطون في كتابه طيماوس - خطأ هؤلاء وهؤلاء - وجوب الأخذ بملاحظة الاحداث على الاخص - فضل ديمقريطس من هذه الجهة - افكار في قابلية الاشياء للقسمه - يمكن القتر: خالق القسمه لامتناحية - صعوبات هذه النظرية - صعوبات ليست أقل خطرا من نظرية الذوات - نقض هذه النظرية - المعنى العام الذي يحمل عليه كون الاشياء ٩٥

الباب الثالث - في الكون المطلق والفساد الاشياء - صعوبة هذه المسألة - الكون والفساد الاضافيان - النمط الذي يتخذ في هذا البحث - شواهد من كتاب الحركة - أبدية الكائنات وتعاقبها المستمر - تبادل الكون والفساد - تمييز مغلبي مهم - استشهاد برميثيد - الفرق بين الكون المطلق والكون الاضائي - فروق الفساد باعتبار هذين الوصفين - الرأى العام في هذا الموضوع - في ان شهادة الحواس تغطي أكثر مما تستحق - توضيحات مختلفة - طريقة فهم أبدية الظواهر ١٠٥

الباب الرابع - فصول الكون والاستحالة - تمييز الموضوع ومحو الكون الموضوع - حدد الاستحالة - امثلة مختلفة - حدد الكون المطلق وامثلة متنوعة - آخر المقارنة بين الكون والاستحالة ١١٥

الباب الخامس - نظرية النمو - الفروق بينه وبين الكون والاستحالة - سواء في موضوع النمو أو في الكيفية التي يحصل بها النمو - نقلة الشيء النامي غير المحسوسة صعوبة ادراك من أين يأتي النمو في الجسم - كل اجزاء الجسم تنمو دفعة واحدة الشروط الأصلية للنمو ثلاثة - المقارنة بين النمو والاستحالة - نظرية جديدة للنمو - تمييز ما بالفعل من ما بالقوة - يلزم أن ما بالقوة يتحقق حتى يوجد النمو - علاقة المنصر الجديد الذي يحدث نمو الجسم النامي ١١٨

الباب السادس - الفعل المتكافئ للمناصر بعضها في بعض - في اختلاطها - رأى ديوجين الايلوني - لا جل ادراك أن المناصر تفعل أن تفعل بعضها ببعض يلزم توسيع ما يعنى بتماسها - المعاني المختلفة لهذه الكلمة - الفرق بين الحركة والفسل - المحرك غير المتحرك لا حاجة به ضرورة الى مس الشيء الذي يحركه - الشيء المتحرك يمكن الا يمس شيئا هو أيضا في نويته - آخر نظرية التماس ١٢١

صفحة

الباب السابع - نظرية الفعل والانفعال - آراء الفلاسفة - ديمقريطس هو الذى اجاد
فهم هذا الموضوع - سبب خطأ الفلاسفة - التشبيه لا يمكن أن يقبل أى فعل
من التشبيه - العلاقة الضرورية بين الفاعل والمنفعل - التشبه والفرق بينهما -
توفيق رأيين متعارضين فى تمييز لفظى - المشابهة بين الحركة وبين ظاهرة الفعل
والانفعال - المحرك الاول يمكن أن يكون غير متحرك - الفاعل الاول يمكن أن يكون
كذلك لا منفعلا - ختام نظرية الفعل والانفعال ١٣٧

الباب الثامن - نقض النظرية التى تفرض أن الفعل والانفعال يحدثان فى الجوهر المادية
بالمسام - رأى الفلاسفة القدماء - استشهاد من أمبيدقل - لوكيبيس وديمقريطس
هما اقرب الى الحق - وحدة الوجود محال وكذلك ثباته - غرائب ضلالات الفلاسفة
القدماء - عرض نظرية لوكيبيس - عرض نظرية أمبيدقل - موطن الاتفاق
والاختلاف بينهما وبين نظرية لوكيبيس - استشهاد من طيماوس افلاطون -
مقارنة بين افلاطون ولوكيبيس - اعتراضات على نظرية افلاطون وعلى نظرية الوحدة
ونظرية الذرات - استحالة قبول وجود الذرات وفهم من أين جاءتها الحركة -
الرؤية من خلال الاوساط تصير غير قابلة للايضاح - خاتمة نقض النظرية التى تفسر
بواسطة المسام الفعل والانفعال فى الاشياء ١٤٤

الباب التاسع - تفاصيل جديدة على نظرية كون الاشياء وعلى خواصها الفاعلة والقابلة
الافعال التى تحصل عند التماس وعلى بعد - توضيح ديمقريطس غير الكافى -
تحول أشكال الأجسام اذ تتغير بالحال دون أن تتغير بالمكان - خاتمة نظرية الفصل
والانفعال ١٥٥

الباب العاشر - نظرية الاختلاط - من الفلاسفة من انكر ان الاشياء امكنها ان تختلط
فيما بينها - ابطال هذه النظرية - المعنى العام لشروط الاختلاط - الطبع المختلف
للأجسام المختلطة - الفرق بين الاجتماع وبين الاختلاط الحق - لكى يوجد اختلاط
بين الاشياء يلزم أن يوجد بينها تماس بل شئ من التناسب - النقطة من
النبيذ فى كمية من الماء - سهولة الاختلاط أو صعوبة تبعاً للتخالف فى طبع
الاشياء وصورتها - خاتمة نظرية الاختلاط ١٥٩

الكتاب الثاني

صفحة

الباب الاول - نظرية عناصر الاجسام - عددها - شاهد من أمبیدقل - المادة ليست منفصلة عن الاجسام كما هو في طيماوس افلاطون فيما يظهر - نقض هذه النظرية انها حقة بجزئها باطله بالجزء الاخر - شاهد من المؤلفات المختلفة السابقة - نظرية جديدة على المبادئ العنصرية للاجسام - طبعها وعددها ١٦٦

الباب الثاني - حد الجسم كما تعرفه لنا حاسة اللمس - تعديد الاضداد الاصلية التي يمرضها الجسم المحسوس باللمس - فصول هذه الاضداد - الفعل المتباين للبارد والحار والجاف والسائل - علاقة جميع الفصول الاخرى بهذه الفصول الاربعة الاصلية ١٧٠

الباب الثالث - تراكيب العناصر بين بعضها والبعض - ليس منها الا اربعة لان الاضداد خارجة عنها - نظريات سابقة على عدد العناصر - برمييد - افلاطون - أمبیدقل طبع العناصر المختلفة - الامكنة المختلفة التي تشغلها في الاين ١٧٤

الباب الرابع - نظرية تبدل العناصر بعضها ببعض - فصول العناصر فيما بينها يمكن ان تكون اكثر او اقل عددا - سهولة التبدل وصعوبته - امثلة مختلفة بحسب تجاوز العناصر أو البعد بينها في النظام الذي هي مرتبة به وبحسب تماثل كيفيات العناصر أو تقابلها - خاتمة الجزء الاول لنظرية التبدل المتكافئ بين العناصر ... ١٧٨

الباب الخامس - بقية نظرية تبدل العناصر من المحال ألا يوجد الا عنصر واحد منه تأتي كل العناصر الاخرى - في هذا الافتراض قد تحصل استحالة العنصر الوحيد ولكن لا يحصل البتة كون حقيقي للعناصر المختلفة - شاهد من طيماوس لا افلاطون - عرض جديد للطريقة التي بها تتغير العناصر بعضها الى بعض يحصل التبدل بسرعة متناسبة مع وجود كيف مشترك - نسبة العناصر الاطراف بعضها الى بعض ونسبة العناصر الاوساط - الحدود الضرورية لهذا التحول - لا يمكن التمشي الى اللانهاية في اى واحدة من الجهتين - البيان الحرفي لهذا المبدأ ١٨٣

الباب السادس - ابطال نظرية أمبیدقل على مقارنة العناصر بينها سواء بالنسبة الى الكم أم بالنسبة الى الاثر والتناسب - في مذهب أمبیدقل نمو الاشياء يرجع الى مجرد جمع - انه لا يفسر أيضا كون الاشياء بل أخضعه لسلطان المصادفة ولا علة الحركة الاصلية ولا طبع النفس الحقيقي - شواهد مختلفة من شعر أمبیدقل ١٨٩

الباب السابع - بقية مذهب أمبیدقل - متى أنكر أن العناصر يمكن أن تتغير بعضها الى بعض فلا يمكن توضيح تكون الجواهر العنصرية المختلفة - شاهد من أمبیدقل - صعوبة توضيح تكون الجواهر المختلفة ليست أقل عظما متى سلم بأحدية المادة - تعيين نظرية جديدة فيها تكون الاضداد هي التي بقلها المتكافئ تكون جميع الطبيعة ١٩٥

صفحة

الباب الثامن - التركيب العام للأجسام المختلطة - يوجد في كلها من الأرض ومن الماء اللذين هما عنصران ضروريان - وفيها أيضا من الهواء ومن النار وهما ضد العنصرين الأولين - ظاهرة التغذية التي يستشهد بها سندنا لهذه النظرية كيف أن النار هي العنصر الوحيد ، من العناصر البسيطة ، الذي يفلى نفسه ١٩٩

الباب التاسع - الهوى والصورة - المبادئ الأولى للأشياء - ضرورة مبدأ ثالث وهو العلة المحركة - إبطال نظرية المثل على نحو ما عرضها أفلاطون في الفيثون أن المثل لا يمكن أن تفسر كون الأشياء - أنها لا تكون - يرى أن طاقة من الأشياء تتكون تحت أعيته يغفل أخرى - إبطال النظرية التي تفسر كون الأشياء بحركة المادة - المادة قابلة للأفاعلة - أمثلة مختلفة مستخرجة من طرائق الفن ٢٠٢

الباب العاشر - كون الأشياء وفسادها هما متصلان بالحركة ويتعلقان بالنقطة الدائرة للعالم - ضرورة حركتين - النقطة الدائرية المائلة تسد هذه الضرورة بانتظام الكون والفساد الطبيعيين - المدة الموزونة للكائنات - فعل الله - القوانين الحاكمة التي وضعها في أبدية الأشياء - النظام العجيب للعالم - تغير الأجسام إنما هو الذي يحتفظ مدتها - المحرك الأول غير المتحرك هو المبدأ الوحيد للحركة العالمية - اتصال الحركة يتعلق باتصال المتحرك ٢٠٦

الباب الحادي عشر - نظرية تعاقب الأشياء الأبدى المنتظم - هل أي مقدار يكون تدخل الوجوب - الأشياء الواجبة والأشياء الممكنة - الوجوب المطلق - الوجوب الإضافي - علاقة الواجب والأزلي - كون الأشياء لا يمكن أن يكون أبديا إلا إذا كان دائريا - تركيب الأشياء العجيب - الحركة الدائرية للفلك الإعمل تنظم كل الحركات السفلى ، حركة الشمس ، وحركة الفصول وكل الحركات الأخرى - أبدية الأنواع - فناء الأشخاص المتعاقب - أزلية بعض الجواهر - خاتمة الكتاب ٢١٢

تحقيق - على كتاب الموسوم «في ميليسوس وفي أكسينوفان وفي غريغياس» ... ٢١٨

في ميليسوس وفي اكسينوفان وفي غريغياس

مذاهب ميليسوس

صفحة

الباب الاول - الموجود هو أزلي غير متناه واحد ولا متحرك - أركان الوحدة
ونشأتها - الاختلاط - ظاهر الاشياء هو ضد الوحدة - الحذر الذي ينبغي أخذه
من شهادة الحواس - ردود على نظرية الوحدة وعلى الآراء الأدبية - الآراء
المضادة لهذا المذهب - شواهد من هيزيود وبعض فلاسفة آخرين ... ٢٣٤

الباب الثاني - تامة تفنيد ميليسوس - ردود على مبدأ أنه ليس شيء يأتي من
لا شيء - تولد الاشياء وكونها بعض من بعض على التكافؤ - نظريات أمبيدقل
وانكساغوراس وديمقريطس وبرمينيد وزيثون - شواهد من شعر أمبيدقل
وهيزيود - الموجود ليس ضرورة واحداً أزلياً ولا متناهياً ... ٢٤٠

مذاهب اكسينوفان

الباب الثالث - نظرية اكسينوفان في حق الله - الازلية - القدرة - احدىة الله -
يجب أن يتصور كأنه فلك - الله منزّه عن الحركة والسكون ومنزه عن أن
يكون متناهياً أو لا متناهياً ... ٢٥١

الباب الرابع - ابطال نظرية اكسينوفان - استشهاد من ميليسوس - كيف ينبغي
أن يعنى بقدرة الله - الله ليس فلكياً - أنه لا متناهِجانية الله ليست منافية
لكونه متناهياً - في نفى الحركة عن الله - في الحركة التي يمكن تصورهما في حق
الله - استشهاد من زيثون ... ٢٥٥

مذاهب غريغياس

الباب الخامس - النظريات الثلاث الاصلية لغريغياس : على الوجود ، وعلى امتناع
المعلم ، وعلى نقل العلم - على النظرية الاولى يجمع غريغياس بين الآراء السابقة -
ميليسوس وزيثون - بسط مذهب غريغياس في امتناع الموجود والمعدوم على
السواء ... ٢٦٢

الباب السادس - نقض نظرية غريغياس الاولى - شاهد من ميليسوس وزيثون - الموجود
واللاموجود لا يشتبهان - والحركة هي ممكنة - شاهد من مقالات لوكييس - نقض
نظرية غريغياس الثانية على امتناع العلم - ونقض النظرية الثالثة على امتناع نقل
المعلم بمذكسبه - ايدان بأن نظريات الفلاسفة القدماء ستدرس بعد دراسة
خاصة ... ٢٦٤

قطع من ميليسوس ... ٢٧١

تحليل نظرية غريغياس لسكسوس أميريكوس ... ٢٧٧

الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

طبع هذا الكتاب على ورق صناعة شركة راکتا

تصدر قريبا

من الشرق والغرب

هَلْ لِلْإِنْسَانِ مُسْتَقْبَلٌ

بـتراند راسل

الثن ٣٠ قرشا

العدد ٣

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥